

رَفَعُ

عبد الرحمن البخاري  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com

الْقُطُوفُ الدَّوَانِيَّةُ  
فِي شَرْحِ  
نُصَيْبِ الْمُحْكَمَاتِ

شَرْحُ

فَيْضُ الشَّيْخِ الدَّانِشْوَارِيِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

الْمُدَرِّسُ بِالْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ

وَمُؤَمِّمُهُ السَّيِّدُ د. زَادَةُ الشَّيْخُونَ الْإِسْلَامِيَّةُ بِمَنْطِقَةِ الدِّينِيَّةِ الْإِسْرَافِيَّةِ  
وَعَضْوَةُ التَّدْرِيسِ بِالْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالدِّينِيَّةِ النَّبَوِيَّةِ - سَابِقًا

تَوَزَّعَ  
دَارُ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ  
لِشَيْخَةِ خَدِيمَتِهِ

شَرْحُ وَقْفَاتِهِ  
لِلدِّينِ وَالْإِيمَانِ

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

الْقُطُوفُ الدَّارِيَّةُ  
فِي شَجَرِ  
بُؤْنَيْتِ الْقَحْطَانِيَّةِ

حُقوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ  
الطَّبْعَةُ الْأُولَى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

رقم الإيداع: ١٧٣٠-٢٠١٣

ردمك: ٥-٠٢٠-٤٨-٩٩٤٧-٩٧٨



مؤسسة كنوز وفوائد للنشر والإعلان

الطريق الوطني رقم ٥٥ رقم ١٩ حاليا، قطعة رقم ٠٢ باب الزوار - الجزائر

kounouz.fawayed@gmail.com

توزيع

دار الميراث النبوي  
لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

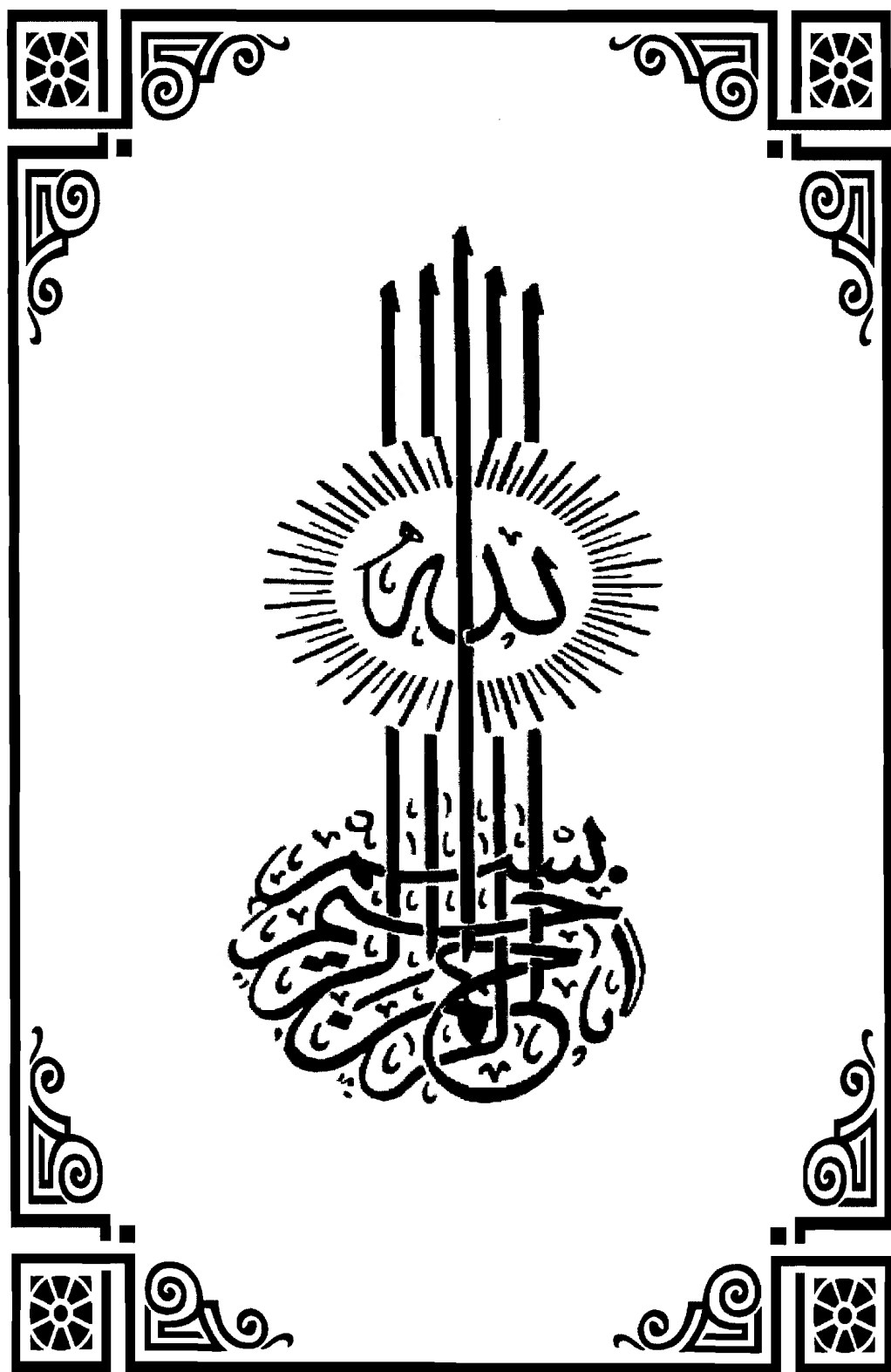
الضَّوِّيرَ البَجْرِيَّ - المَحْمَدِيَّة - الجَزَائِرِ العَاصِمَةُ  
الهاتف: 554250098 (00213)      الفاكس: 26936739 (00213)  
البريد الإلكتروني: dar.mirath@gmail.com





الْقُطُوفُ الدَّوَالِيَّةُ  
فِي شَج  
بُؤْنِيَّةِ الْقَحْطَانِيَّةِ

شَج  
فَضْلَةُ الشَّيْخِ الدُّكْنَ عَالِمِ الدِّينِ سَيِّدِ عَجَلِ السَّعْيِ  
الْمَدْرَسُ بِالْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ  
وَمَوْجِهَ الرِّعَاةِ بِفَرْعِ وَزَارَةِ السُّوْنِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِمَنْطِقَةِ الدِّينَةِ النَّبَوِيَّةِ  
وَعُضُوهِيَّةِ التَّدْرِيسِ بِالْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ - سَابِقًا



Dr. Salih Saad Al-Suhaimi Al-Harbi

Teacher at the Mosque of the Prophet  
Inspector of the Preachers in the Ministry  
of Islamic Affairs, Madinah Branch  
Member, Teaching Staff at the Islamic  
University of Madinah Munawwarah

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

د. صالح بن سعد السحيمي الحربي

المدرس بالمسجد النبوي  
موجه الدعاة بفرع وزارة الشؤون الإسلامية  
بالمدينة النبوية  
عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية (سابقاً)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد  
فقد أذنتُ للأخ الشيخ العياشي العربي براهمي بطباعة  
كتابي الموسوم "القُطُوف الدَّوَانِي شرح نونية القحطاني"  
الطبعة الأولى، ولا أُجيز لأحد طباعة الكتاب إلا بإذن مسبق  
مني، وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح، وصلى الله  
وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أملاه الفقير  
إلى عفوره د. صالح بن سعد السحيمي الحربي

١٤٢٧/١/٢٦ هـ





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْمُقْتَضَى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النِّسَاءُ: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الْأَنْعَامُ: ٧٠ - ٧١].

رَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ وخيرَ الهدي هديُّ محمدٍ ﷺ وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة وكلُّ بدعة ضلالة وكلُّ ضلالة في النار<sup>(١)</sup>.

رَمَّا بَعْدُ:

فقد منَّ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَالِيٌّ وَفَرَّغَتْ مِنْ شَرْحِ بَعْضِ كُتُبِ السَّلَفِ فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ وَآخِرُهَا الرِّسَالَةُ التَّدْمِرِيَّةُ لَشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللهُ الَّذِي تَمَّ بِفَضْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ الْإِنْتِهَاءُ

(١) هذه هي خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه، ودرج السلف رَحِمَهُمُ اللهُ عَلَى افْتِتَاحِ خُطْبَتِهِمْ وَدُرُوسِهِمْ وَكُتُبِهِمْ بِهَا؛ وَقَدْ أَخْرَجَهَا مُسْلِمٌ [٨٦٧]، وَأَبُو دَاوُدَ [٢١٢٠]، وَالنَّسَائِيُّ [١٥٧٨]. وَأَفْرَدَهَا الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ بِرِسَالَةٍ لَطِيفَةٍ جَمَعَ الْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِيهَا وَأَسَمَاهَا «خُطْبَةُ الْحَاجَةِ الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْلَمُهَا أَصْحَابُهُ».

منه ليلة الأول من هذا الشهر المبارك شهر رمضان لعام ١٤٢٣ هـ، ونزولاً عند رغبة بعض الإخوة رأيت أن نبدأ في شرح القصيدة النونية للشيخ محمد بن عبد الله القحطاني رَحِمَهُ اللهُ؛ منبِّهاً في هذا اليوم على أهمية دراسة كتب السلف والاشتغال بها؛ لأن فيها الخير كل الخير، فالاهتمام بكتب السلف التي تتضمن الكلام في العقيدة والسنة والفقه والأدب وعليها طابع الإخلاص والتقوى والورع والإتقان ولا تكاد تمر جملة إلا وتجد فيها إشارة إلى آية أو حديث أو أثر عن السلف الصالح؛ بل ربما كان بعض الكلمات أو الجمل هي نصوص بعينها تُضمَّن في هذا الكتاب أو ذاك؛ لذلك فإن هذه الكتب عليها نور وفيها بركة ونفع كبير لطلاب العلم؛ فعلينا أن نشتغل بها بعد كتاب الله تَعَالَى وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنَّها بمثابة الشروح لهذين الوحيين؛ أعني: الكتاب والسنة؛ فإذا اهتمَّ بها المؤمنون عامة وطلاب العلم خاصة، فإنهم سيجدون عندهم حصيلة علمية وافرة نافعة بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فهي كتب تنطق بهدي الكتاب والسنة إما لفظاً وإما معنى، ولذلك تبرز أهميتها وتعظم فائدتها لأنَّها إما أن تكون شرحاً لآية أو حديث أو تقريراً لحكم دلت عليه الآية أو الحديث أو بياناً لمدلول تلك الآية أو ذلك الحديث.

لذلك عندما يقرأ طالب العلم هذه الكتب يجد في قراءتها لذة خاصة.

ويدرك من خلال ذلك أنَّ أهلها قد خالط هدي الكتاب والسنة دماءهم وجرى في عروقهم واطمأنت إليه قلوبهم، وانشرت له صدورهم، خلافاً لأهل الأهواء والبدع الذين ليس لأحدهم إلا ما أُشرب من هواه «تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه»<sup>(١)</sup>، أما علماء أهل السنة فإنَّ كتبهم تنطق بالهدى والحق؛ لأن أساسها ومبناها

(١) جزء من حديث أخرجه أحمد [١٦٩٧٩]، والطبراني [٨٨٥]، والحاكم [٤٤٣] من حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وقال الحاكم: هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث. ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» [٤٨].

ومستندها ومنتهاها وقطب رحاها هو ذلكم الأساس المتين والحرز العظيم والركن الركين ألا وهو كتاب الله سبحانه الذي: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٢]، وسنة رسوله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فالاهتمام بذلك يُثري العقول والقلوب واللغة واللسان والجوارح بالتقوى والإيمان والعلم والفقه في الدين؛ لأنها ترجمة صادقة وصورة ناصعة وبيان واضح لما كان عليه القوم من تمسك بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ؛ لذلك قلّ عندهم الخطأ وإن كنا لا نعتقد العصمة لأحد بعد الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ لكن أقول: يقلّ عندهم الخطأ إذا قورنوا بمن جاء بعدهم وكيف لا يقلّ عندهم الخطأ ومنهلهم ومشرّبهم وأساس دعوتهم ومنهج عقيدتهم وأساس وحدتهم هو كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩].

لذلك فإننا عندما نقرأ هذه الكتب ونتمعّن فيها نلمس فيها الخير وصدق اللهجة وقوة الإيمان؛ لأنهم يهدفون إلى أن يفهم الناس هذا الدين الصحيح الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، الذي لا غلو فيه ولا تقصير، الذي لا وكس فيه ولا شطط، الدين الوسط الذي اختاره الله عز وجل لهذه الأمة ببعثة نبينا محمد ﷺ؛ ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق، والحمد لله الذي هدانا للإيمان، والحمد لله الذي هدانا لأن نكون من أهل السنة والجماعة أصحاب الطريق الوسط فإن أهل السنة وسط بين الفرق كما أن أمة نبينا محمد

حَسْبُكَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَطٌ بَيْنَ الْأُمَمِ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

قال المفسرون في قوله: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي: عدولاً خياراً، عدول خيار بين الأمم السابقة، فعلينا أن نفهم ذلك، فإذا تمعنا في كتب السلف التي ألفت في العقيدة نجدها على هذا المنوال، بل لو استعرضتها - أيها الأخ المسلم - منذ صدور أول مؤلف في التوحيد إلى ما ألفه وسطه مشايخنا وعلماؤنا في هذا الزمان؛ لوجدتها تنطق بأسلوب واحد على منهج واحد، وتدعو إلى هدف واحد؛ هو تحقيق التوحيد وتخليصه من شوائب الشرك والبدع والمعاصي والسير على الصراط المستقيم الذي أمرنا الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى أن نسير عليه بقوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ① صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿[الفاتحة: ٦ - ٧].

وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأَنْعَامُ: ١٥٣].

وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]

وقوله سُبحَانَهُ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الاحزاب: ٢١].

فكتب السلف كلها على هذا المنوال لا تخرج عنه يمناً ولا يسرة، بل كلها تدعو إلى هذا الأمر الذي دعت إليه الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ فينبغي لنا أن نسير على منهجهم وأن نحذو حذوهم وأن نسلك الطريق المستقيم الذي سلكوه، والذي من حاد عنه يميناً أو شمالاً؛ شذو وضاع وضل وأضلَّ وبعُد عن منهج الله المستقيم، فهو



سبيل النجاة وطريق السلامة، وأي منحى ' يأخذ بصاحبه عن هذا الطريق، فإنه سيورده حياض الردى ' ويبعده عن طريق النجاة والهدى، من ابتغى ' الهدى ' من غيره أضله الله، ومن طلب الهدى ' من سواه أبعده الله؛ فهو صراط الله المستقيم ونوره المبين وهدية القويم وطريق السالكين إلى مرضاة رب العالمين، وهو الذي عناه ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ بعنوان كتابه: «مدارج السالكين شرح منازل السائرين بين إياك نعبد وإياك نستعين» للهروي. هذا هو الطريق الذي يجب أن نسير عليه وهو الذي يعنيه الرسول ﷺ بقوله: «إنَّ هذا الدين يسرون يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة<sup>(١)</sup> والروحة<sup>(٢)</sup> وشيء من الدلجة<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup>، وهو المعنى بقول عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ عندما قال: «سنَّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سنناً؛ الأخذ بها قوة على دين الله واستكمال لطاعة الله وتصديق بكتاب الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيء خالفها، من استنصر بها فهو منصور، ومن اهتدى بها فهو المهتدي، ومن خالفها وبدَّلها وغيرَها واتبع غير سبيل المؤمنين؛ ولأه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً»<sup>(٥)</sup>.

فيجب أن نسلك هذا السبيل، وأن نجتهد فيما يقربنا إلى مرضاة ربنا بفهم كتابه جَلَّ وَعَلَا وسنة رسوله ﷺ وفق فهم سلف الأمة - وفي مقدمتهم الصحابة رضوان الله عليهم الذين بهم قام القرآن وبه قاموا وبهم نطق القرآن وبه نطقوا؛ أولئك الغر الميامين والسادة المتقين والعدول المقربين أصحاب رسول الله ﷺ الذين مدحهم الله في

(١) الغدوة: المرة من الغدو وهو سير أول النهار. انظر: «النهاية في غريب الأثر» (٣/ ٦٤٩).

(٢) الروحة: سير آخر النهار. انظر: المصدر السابق.

(٣) الدلجة: سير الليل. انظر: «النهاية في غريب الأثر» (٢/ ٣٠٧).

(٤) أخرجه البخاري [٣٩] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٥) انظر: «الشریعة» للأجري، ص: [٤٨]، «الإعتصام» للشاطبي (١/ ٥٠)، «جامع بيان العلم وفضله»،

كتابهِ وأُتِيَ عَلَيْهِمْ رَسُولُهُ ﷺ؛ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالسَّيْفُوتُ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهِجَرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنِ رِضَى اللَّهِ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التَّوْبَةُ: ١٠٠].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهِجَرِينَ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَصْطُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ<sup>١</sup> أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ<sup>٢</sup>﴾ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ<sup>٣</sup>﴾ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الْحُشْرُ: ٨ - ١٠].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الْفَتْحُ: ١٨]؛ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَسْبُوا أَصْحَابِي فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مَدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيْفَهُ»<sup>(١)</sup>، فَعَلَيْنَا إِخْوَةُ الْإِيمَانِ أَنْ نَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ وَأَنْ نَسِيرَ عَلَى هَدْيِهِمْ وَمِنَاهِمِمْ وَأَنْ نَجْتَهِدَ فِي أَنْ نَكُونَ عَلَى مِثْلِ مَا تَرَكَهُمْ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَيْثُ تَرَكَهُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ لَيْلِهَا وَنَهَارُهَا سِوَاءً<sup>(٢)</sup>، فَهُمْ أَمْنَاؤُهُ عَلَى تَبْلِيغِ مَا أَوْحَى إِلَيْهِ بِهِ رَبُّهُ؛ الصَّحَابَةُ هُمُ الْأَمْنَاءُ عَلَى الْوَحْيِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَيُّ قَدَحٍ فِيهِمْ أَوْ نِيلٍ مِنْهُمْ هُوَ نِيلٌ مِنَ الدِّينِ كُلِّهِ.

وَنَعُودُ إِلَى أَهْمِيَةِ قِرَاءَةِ وَدِرَاسَةِ كُتُبِ السَّلَفِ وَالْمَتُونِ الَّتِي سَطَّرُوهَا بِأَحْرَفٍ مِنْ نُورٍ وَفَقْ هَدْيِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ وَمِنْ ذَلِكَ مَا نَحْنُ بِصَدَدٍ شَرَحَهُ، وَهِيَ الْقَصِيدَةُ النَّوْنِيَّةُ لِلشَّيْخِ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ [٣٦٧٣]، وَمُسْلِمٌ [٢٢١] مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ.

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ [٥] مِنْ حَدِيثِ الْعَرَبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» بِرَقْمٍ [٦٨٨].

محمد بن عبد الله القحطاني؛ تلكم القصيدة السلفية المشتملة على 'علوم شتى' من علوم القرآن والسنة والعقيدة وكثير من الأحكام والآداب والأخلاق، بل وجملة من علوم الطب والفلك والتاريخ...، فهي كما قال ناظمها:

جاءتكم سنية مأمونة	من شاعر ذرب اللسان مُعان
يَهْوِي فصيحُ القولِ من لهواته	كالصخر يهبط من ذُرَى كَهْلان
هي للروافض ذُرَّةُ عُمَرِيَّة	تركت رؤوسَهُمْ بلا آذان
هي للمنجم والطبيب منية	فكلاهما مُلقان مختلفان
هي في رؤوس المارقين شقيقة	ضربت لفرط صداعها الصُدغان
هي في قلوب الأشعرية كلهم	صاب وفي الأجساد كالسَّعدان
لكن لأهل الحق شهداً صافيا	أو تمر يثرب ذلك الصَّيحاني
مَع أنها جمعت علوماً جَمَّة	مما يضيق لشرحها ديواني
أبياتها مثلُ الحقائق تُجتنى	سمعا وليس يملهنَّ الجاني

وصاحب هذه المنظومة الغراء لم أقف له على ترجمة فيما اطلعت عليه من كتب التراجم والرجال، ولعله نظمها في وقت لأهل الباطل والبدع فيه صولة وغلبة مما جعله لا يظهر اسمه في هذه القصيدة، وإنما اكتفى بلقبه القحطاني.

وأما ما ذكره الشيخ محمد بن أحمد سيد أحمد المدرس بدار الحديث الخيرية، بمكة المكرمة في مقدمته لهذه القصيدة، والتي عني فيها بضبطها بالشكل دون شرح أو تعليق حيث قال: «تنسب هذه القصيدة للإمام الخبر، العالم الرباني، أبي محمد عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني السلفي المالكي. وقال صاحب («أربح البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة» ط: [١] المكتب الإسلامي): إن ناظم هذه القصيدة «لعله محمد بن صالح القحطاني المعافري الأندلسي المالكي أبو عبد الله» قلت: قال غنجار: كان فقيهاً حافظاً، جمع

تاريخاً لأهل الأندلس. وقال أبو سعيد الإدريسي في تاريخ سمرقند: إنه كان من أفاضل الناس ومن ثقاتهم. وقال السمعاني فيه: كان فقيهاً حافظاً، رحل في طلب العلم إلى المشرق والمغرب. وذكره الحاكم أبو عبد الله في تاريخ نيسابور. وقال: اجتمعنا به بهمذان. كما روى عنه أبو القاسم بن حبيب النيسابوري وغيره. كما ذكره ابن عساكر وأسند إليه قوله:

ودعت قلبي ساعة التوديع      وأطعت قلبي وهو غير مطيعي  
إن لم أشيعهم فقد شيعتهم      بمشيعين تنفسي ودموعي<sup>(١)</sup>

وقد أشار الزركلي إلى محمد بن صالح القحطاني في كتابه «الأعلام» وذكر أن وفاته كانت سنة ٣٨٧هـ.

أقول: إنها أورده عن صاحب «أريح البضاعة» وما نقله عن الزركلي من أن وفاته كانت سنة ٣٨٧هـ محال؛ لأن الوقائع والأحداث والأشخاص الذين ردّ عليهم القحطاني مثل المعري الهالك سنة ٤٤٩هـ، وابن تومرت المتوفى ٥٢٤هـ، أو من أدخل الأشعرية إلى بلاد المغرب والأندلس بين القرنين الخامس والسادس الهجري... الأمر الذي يؤكد أن القحطاني كان بعد ذلك الوقت يقيناً.

هذا وقد أشار ابن القيم إلى هذه النونية بقوله:

ولقد أتى في نظمه من قال قو	ل الحق والإنصاف غير جبان
أن الذي هو في المصاحف مثبت	بأنامل الأشياخ والشبان
هو قول ربي آيه وحروفه	ومدادنا والرق مخلوقان
فشفى وفرق بين متلو ومصد	وع وذاك حقيقة العرفان
الكل مخلوق وليس كلامه	المتلو مخلوقا هنا شيئان
قد أفسدا هذا الوجود وخبطا ال	أذهان والآراء كل زمان

(١) «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» للمقري التلمساني، (٢/ ١٥٢).



وفي قوله أيضاً:

ولقد شفانا قول شاعرنا الذي      قال الصواب وجاء بالإحسان  
إن الذي هو في المصاحف مثبت      بأنامل الأشياخ والشبان  
هو قول ربي آيه وحروفه      ومدادنا والرق مخلوقان

... إلخ، بل وضّمن نونيته بعض أبياتها؛ فانظر مثلاً الأبيات رقم (١٧٤ - ١٧٨، ١٨٨ - ١٩٧، ٢١٧، ٤٢٨، ٤٣٠، ٤٥١، ٥٥٦، ٥٦٢ - ٥٦٣، ٥٦٩، ٧٧٥..).

فعلينا طلبة العلم أن نشتغل بذلك وأن ننأى بأنفسنا عما يشغل عن ذلك من كثرة القيل والقال، وما لا فائدة فيه، وإذا أشكل أمر ما أو عنت مسألة وبخاصة ما يتعلق بالأمور الكبار ومصالح المسلمين أو له علاقة بالفتن، فالواجب ترك معالجة ذلك للعلماء الربانيين، الذين «ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»<sup>(١)</sup>، الذين هم أكبر منّا، وأعلم منّا، وأفقه بمعاني الكتاب والسنة منّا، وأعرف بما يتعلق بالشريعة من قواعد ومقاصد، وأدرى بمراعاة المصالح والمفاسد، وأدرى بمراعاة درء الفتن، فإنهم يزنون الأمور بميزان الشرع؛ فربّما تطلّب الأمر عندهم «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا»<sup>(٢)</sup> دون التصريح، وربّما تطلّب الأمر مجرّد التلميح والتلويح، وربّما تطلّب الأمر بيان الحق بدليله دون الخوض فيما يخالفه، وربما تطلب المقام الرد بطريقة علمية جيدة تراعى فيها مقتضيات الأحوال، وربما تطلب الأمر «بئس الخطيب أنت»<sup>(٣)</sup>؛ فهم أعلم بمراعاة مقتضيات الأحوال؛ وقد يّمّا قيل: أعط القوس باريها.

(١) أخرجه البيهقي [٢٠٧٠٠]، وابن عساكر (٣٨/٧) من حديث إبراهيم بن عبد الرحمن العذري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الإمام أحمد كما في «جامع الأحاديث» للسيوطي برقم [٢٦٦٤٣]، وصححه الألباني في «المشكاة» [٢٤٨].

(٢) أخرجه أبو داود [٤٧٨٨]، والنسائي [٣٢١٧] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وصححه الألباني. انظر: «صحيح الجامع» [٤٦٩٢].

(٣) طرف من حديث أخرجه مسلم [٨٧٠] من حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ذَكَرَ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ الدَّؤَلِيِّ قَالَ:

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا الْأَحْدَاثَ دَبَّرَهَا دُونَ الشُّيُوخِ تَرَى فِي سِيرِهَا الْخِلَالَ<sup>(١)</sup>

فإنك لتجد أحياناً بعض المتسرِّعين يقحمون أنفسهم في مسائل لا قبل لهم بها، ويدخلون في إثارة مسائل لا يدركون عواقب الأمور الناتجة عن الخوض فيها فيدورون في حلقة مفرغة «رَحِمَ اللَّهُ امراً عرف قدر نفسه»<sup>(٢)</sup>! يختلفون في مسألة ما أو في شخص ما، فينقسمون إلى قسمين ثم ينشطر الآخرون إلى أقسام ثم ينشطرون إلى أقسام - والعياذ بالله - وهذا هو شأن أهل البدع والأهواء، حيث إنهم يتفرقون ويتناحرون ويختلفون عند أدنى سبب أو بلا سبب فيصيرون شيعاً وأحزاباً، كل حزب بما لديهم فرحون، وقد ذم الله أصحاب هذا المسلك، قَالَ النَّبِيُّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقال سبحانه: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وَقَالَ النَّبِيُّ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠٥].

ولا تلتفت يا عبد الله إلى أولئك الرعاع والشذاذ؛ شذاذ الآفاق وشر الطوائف الذين يهونون من شأن علماء الأمة، فإذا رأيت الناس يتكلمون في العلماء والولادة؛ فاعلم أنهم أصحاب بدعة وضلالة. قال الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا رأيت القوم يتناجون في دينهم دون العامة فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة»<sup>(٣)</sup>.

ومن صفات أصحاب البدع الخوض في أمر علماء الأمة وولادة أمورهم ومن يدعو إلى السنة بالقدح والتقصص، فإذا رأيت من يغتابهم ويتكلم فيهم أو يغمزهم، فاعلم أنه صاحب بدعة ومفتتح باب ضلالة؛ فابتعد وأنا بنفسك عنه؛ لأنه دنيء يُجرب، ومن خالط الجرباء جرب - بإذن الله -.

(١) «الطيوريات» لأبي الحسين الطيوري الحنبلي، ص: [٣٥].

(٢) أثر عن عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ. انظر: «فيض القدير» [٤٤٣٩].

(٣) انظر: «الزهد» للإمام أحمد، ص: [٢٨٩]، و«شرح السنة» للالكائي (١/١٣٥).

قال أبو العلا المعري:

واحد عشر معاشرة الدنيء فإنها تُعدي كما يعدي الصحيح الأجرب<sup>(١)</sup>

قيل للإمام الأوزاعي: إن رجلاً يقول: أنا أجالس أهل السنة وأجالس أهل البدع فقال رَحِمَهُ اللهُ: «هذا رجل يريد أن يساوي بين الحق والباطل»، قال ابن بطة رَحِمَهُ اللهُ لما أورد كلامه هذا: «صدق الأوزاعي، إن هذا رجل لا يعرف الحق من الباطل»<sup>(٢)</sup>.  
و«الرجل على دين خليله»<sup>(٣)</sup>، و«المرء مع من أحب»<sup>(٤)</sup>.

وللسلامة من ذلك ولحفظ وقتك أيها المسلم عليك بالعلم والتعلم والفقه في دين الله تَعَالَى؛ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ»<sup>(٥)</sup>، وقال: «من يُرد الله به خيراً يُفْقِضْهُ فِي الدِّينِ»<sup>(٦)</sup>.

أسأل الله الكريم، رب العرش العظيم أن يرزقنا وإياكم تلك الخيرية، وأن يعلمنا ما ينفعنا في ديننا ودنيانا، وأن يلهمنا رشدنا، ويقينا شر أنفسنا؛ كما أسأله سُبْحَانَهُ أَنْ يستعملنا في طاعته حتى 'يختتم لنا بخير، وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن لا يجعله ملتبساً علينا فَنَضِلَّ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

(١) «مجمع الحكم والأمثال»، ص: [١١].

(٢) أخرجه بن بطة في «الإبانة» (٢/ ٤٥٦)، واللالكائي [٢٥٢] في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة».

(٣) أخرجه أبو داود [٤٨٣٣]، والترمذي [٢٣٧٨] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: حسن غريب. وحسنه الألباني بمجموع طرقه. انظر: «الضعيفة» برقم [٩٢٧].

(٤) أخرجه البخاري [٦١٦٩]، ومسلم [٢٦٤٠] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ١٢٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٢٣٢٨].

(٦) أخرجه البخاري [٧١]، ومسلم [١٠٣٧] من حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.





مَدِينَةُ  
نَوَافِيزِ الْقَحَطَانِي



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ

- ١- يَا مُنْزِلَ الْآيَاتِ وَالْفُرْقَانِ
  - ٢- اشرحْ بِهِ صَدْرِي لِمَعْرِفَةِ الْهُدَى
  - ٣- يَسِّرْ بِهِ أَمْرِي وَأَقْضِ مَآرِبِي
  - ٤- وَأَخْطُطْ بِهِ وَرْزِي وَأَخْلِصْ نِيَّتِي
  - ٥- وَاكْشِفْ بِهِ ضُرِّي وَحَقِّقْ تَوْبَتِي
  - ٦- طَهِّرْ بِهِ قَلْبِي وَصَفِّ سَرِيرَتِي
  - ٧- واقْطَعْ بِهِ طَمَعِي وَشَرِّفْ هِمَّتِي
  - ٨- أَسْهَرْ بِهِ لَيْلِي وَأَظْمِ جَوَارِحِي
  - ٩- امْزُجْهُ يَا رَبِّي بِلَحْمِي مَعَ دَمِي
  - ١٠- أَنْتَ الَّذِي صَوَّرْتَنِي وَخَلَقْتَنِي
  - ١١- أَنْتَ الَّذِي عَلَّمْتَنِي وَرَحِمْتَنِي
  - ١٢- أَنْتَ الَّذِي أَطْعَمْتَنِي وَسَقَيْتَنِي
  - ١٣- وَجَبَّرْتَنِي وَسَتَرْتَنِي وَنَصَرْتَنِي
  - ١٤- أَنْتَ الَّذِي أَوْيْتَنِي وَحَبَوْتَنِي
  - ١٥- وَزَرَعْتَ لِي بَيْنَ الْقُلُوبِ مَوَدَّةً
  - ١٦- وَنَشَرْتَ لِي فِي الْعَالَمِينَ مَحَاسِنًا
  - ١٧- وَجَعَلْتَ ذِكْرِي فِي الْبَرِيَّةِ شَائِعًا
  - ١٨- وَاللَّهُ تَوَّ عَلِمُوا قَبِيحَ سَرِيرَتِي
  - ١٩- وَلَا عَرَضُوا عَنِّي وَمَلُّوا صُحْبَتِي
- بَيْنِي وَبَيْنَكَ حُرْمَةً الْقُرْآنِ  
وَأَعِصِمْ بِهِ قَلْبِي مِنَ الشَّيْطَانِ  
وَأَجْرِزْ بِهِ جَسَدِي مِنَ النَّيِّرَانِ  
وَأَشْدُدْ بِهِ أَرْزِي وَأَصْلِحْ شَانِي  
وَارْبِخْ بِهِ بَيْعِي بِلَا خُسْرَانِ  
أَجْمِلْ بِهِ ذِكْرِي وَأَعْلِ مَكَانِي  
كَثِّرْ بِهِ وَرْعِي وَأَخِي جَنَانِي  
أَسْبِلْ بِفَيْضِ دُمُوعِهَا أَجْفَانِي  
وَاغْسِلْ بِهِ قَلْبِي مِنَ الْأَضْغَانِ  
وَهْدَيْتَنِي لِشَرَائِعِ الْإِيمَانِ  
وَجَعَلْتَ صَدْرِي وَاعِي الْقُرْآنِ  
مِنْ غَيْرِ كَسْبٍ يَدٍ وَلَا دُكَّانِ  
وَعَمَّرْتَنِي بِالْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ  
وَهْدَيْتَنِي مِنْ حَيْرَةِ الْخِذْلَانِ  
وَالْعَطْفَ مِنْكَ بِرَحْمَةٍ وَحَنَانِ  
وَسَتَرْتَ عَن أَبْصَارِهِمْ عِضْيَانِي  
حَتَّى جَعَلْتَ جَمِيعَهُمْ إِخْوَانِي  
لَأَبْأَى السَّلَامِ عَلَيَّ مَنْ يَلْقَانِي  
وَلَبُؤْتُ بَعْدَ كَرَامَةٍ بِهِوَانِ

وَحُلُمْتَ عَنْ سَقَطِي وَعَنْ طُغْيَانِي  
 بِخَوَاطِرِي وَجَوَارِحِي وَلِسَانِي  
 مَالِي بِشُكْرِ أَقْلِهِنَّ يَدَانِي  
 حَتَّى شَدَدْتَ بِنُورِهَا بُرْهَانِي  
 حَتَّى تَقَوَّيْ أَيْدُهَا إِيْمَانِي  
 وَلِتَخْدُمَنَّكَ فِي الدُّجَى أَرْكَانِي  
 وَلَا شُكْرَنَّكَ سَائِرَ الْأَحْيَانِ  
 وَلَا شُكُورٌ إِلَيْكَ جَهْدَ زَمَانِي  
 مِنْ دُونِ قَصْدِ فَلَانَةٍ وَفُلَانِ  
 بِحُسَامٍ يَأْسٍ لَمْ تَشْبُهْ بِنَانِي  
 وَلَا ضَرْبَنَ مِنَ الْهَوَى شَيْطَانِي  
 وَلَا قَبِضَنَ عَنِ الْفُجُورِ عَنَانِي  
 وَلَا جَعَلَنَّ الزُّهْدَ مِنْ أَعْوَانِي  
 وَلَا حَرِقَنَّ بِنُورِهِ شَيْطَانِي  
 وَوَصَفَتْهُ بِالْوَعْظِ وَالتَّبْيَانِ  
 تَكْثِيفُهَا يَخْفَى عَلَى الْأَذْهَانِ  
 مِنْ قَبْلِ خَلْقِ الْخَلْقِ فِي أَرْمَانِ  
 حَقًّا إِذَا مَا شَاءَ ذُو إِحْسَانِ  
 مُوسَى فَأَسْمَعَهُ بِلَا كِثْمَانِ  
 جَهْرًا فَيَسْمَعُ صَوْتَهُ الثَّقْلَانِ  
 قَوْلَ الْإِلَهِ الْمَالِكِ الدِّيَّانِ

٢٠- لَكِنْ سَتَرْتَ مَعَايِبِي وَمَثَالِبِي  
 ٢١- فَالِكَ الْمَحَامِدُ وَالْمَدَائِحُ كُلُّهَا  
 ٢٢- وَلَقَدْ مَنَنْتَ عَلَيَّ رَبِّ بِأَنْعَمِ  
 ٢٣- فَوْحٍ حِكْمَتِكَ الَّتِي آتَيْتَنِي  
 ٢٤- لَنْ اِجْتَبَيْتَنِي مِنْ رِضَاكَ مَعُونَةً  
 ٢٥- لَا سَبْحَنَّكَ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً  
 ٢٦- وَلَا ذُكْرَنَّكَ قَائِمًا أَوْ قَاعِدًا  
 ٢٧- وَلَا كُتْمَنَّ عَنِ الْبَرِيَّةِ خَلَّتِي  
 ٢٨- وَلَا قَصِدَنَّكَ فِي جَمِيعِ حَوَائِجِي  
 ٢٩- وَلَا حَسِمَنَّ عَنِ الْأَنَامِ مَطَامِعِي  
 ٣٠- وَلَا جَعَلَنَّ رِضَاكَ أَكْبَرَ هِمَّتِي  
 ٣١- وَلَا كَسُونَ عُيُوبَ نَفْسِي بِالتَّقَى  
 ٣٢- وَلَا مَنَعَنَّ النَّفْسَ عَنْ شَهَوَاتِهَا  
 ٣٣- وَلَا تَلُونَّ حُرُوفَ وَحْيِكَ فِي الدُّجَى  
 ٣٤- أَنْتَ الَّذِي يَا رَبِّ قُلْتَ حُرُوفَهُ  
 ٣٥- وَنَظَّمْتَهُ بِبَلَاغَةِ أَرْزَلِيَّةٍ  
 ٣٦- وَكَتَبْتَ فِي اللَّوْحِ الْحَفِیْظِ حُرُوفَهُ  
 ٣٧- فَاللَّهُ رَبِّي لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا  
 ٣٨- نَادَى بِصَوْتٍ حِينَ كَلَّمَ عَبْدَهُ  
 ٣٩- وَكَذَا يُنَادِي فِي الْقِيَامَةِ رَبَّنَا  
 ٤٠- أَنْ يَا عِبَادِي أَنْصِتُوا لِي وَاسْمَعُوا

صِدْقًا بِلَا كَذِبٍ وَلَا بُهْتَانٍ  
إِذْ لَيْسَ يُدْرَكَ وَصْفُهُ بِعِيَانٍ  
أَبَدًا وَلَا يَحْوِيهِ قَطْرُ مَكَانٍ  
مِنْ غَيْرِ إِغْفَالٍ وَلَا نَسْيَانٍ  
وَهُوَ الْقَدِيمُ مُكُونُ الْأَكْوَانِ  
وَحَوَى جَمِيعَ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ  
وَحَيًّا عَلَى الْمَبْعُوثِ مِنْ عَدْنَانٍ  
مَا لَاحَ فِي فَلَكَيْهِمَا الْقَمَرَانِ  
لَا تَغْتَرِيهِ نَوَائِبُ الْحَدَثَانِ  
بِشَهَادَةِ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ  
أَحَدٌ وَلَوْ جُمِعَتْ لَهُ الثَّقَلَانِ  
وَمِنْ الزِّيَادَةِ فِيهِ وَالنُّقْصَانِ  
وَيَرَاهُ مِثْلَ الشَّعْرِ وَالْهَذْيَانِ  
فَإِذَا رَأَى النُّظْمَيْنِ يَشْتَبِهَانِ  
رَبَّ الْبَرِيَّةِ وَلَيْقُلْ سُبْحَانِي  
ثَوْبَ النَّقِيصَةِ صَاغِرًا بِهِوَانٍ  
سَمَاهُ فِي نَصِّ الْكِتَابِ مَثَانِي  
وَبِدَايَةِ التَّنْزِيلِ فِي رَمَضَانَ  
وَتِلَاةَ تَنْزِيلًا بِلَا أَلْحَانٍ  
بِفَصَاحَةٍ وَيَلَاغَةِ وَيَيَانٍ  
وَصِرَاطُهُ الْهَادِي إِلَى الرِّضْوَانِ

٤١- هَذَا حَدِيثُ نَبِينَا عَنْ رَبِّهِ  
٤٢- لَسْنَا نُسَبِّهُ صَوْتَهُ بِكَلَامِنَا  
٤٣- لَا تَحْصُرُ الْأَوْهَامُ مَبْلَغَ ذَاتِهِ  
٤٤- وَهُوَ الْمُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمُهُ  
٤٥- مَنْ ذَا يُكَيِّفُ ذَاتَهُ وَصِفَاتِهِ  
٤٦- سُبْحَانَهُ مَلِكًا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى  
٤٧- وَكَلَامُهُ الْقُرْآنُ أَنْزَلَ آيَهُ  
٤٨- صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ خَيْرَ صَلَاتِهِ  
٤٩- هُوَ جَاءَ بِالْقُرْآنِ مِنْ عِنْدِ الَّذِي  
٥٠- تَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَحْيُهُ  
٥١- وَكَلَامُ رَبِّي لَا يَجِيءُ بِمِثْلِهِ  
٥٢- وَهُوَ الْمَصُونُ مِنَ الْأَبَاطِلِ كُلِّهَا  
٥٣- مَنْ كَانَ يَزْعُمُ أَنْ يُبَارِي نَظْمَهُ  
٥٤- فَلَيَأْتِ مِنْهُ بِسُورَةٍ أَوْ آيَةٍ  
٥٥- فَلْيَنْفِرْ بِاسْمِ الْأُلُوهَةِ وَلْيَكُنْ  
٥٦- فَإِذَا تَنَاقَضَ نَظْمُهُ فَلْيَلْبَسْ  
٥٧- أَوْ فَلْيَقْرَبْ بِأَنَّهُ تَنْزِيلُ مَنْ  
٥٨- لَا رَيْبَ فِيهِ بِأَنَّهُ تَنْزِيلُهُ  
٥٩- اللَّهُ فَصَلِّهِ وَأَحْكَمْ آيَهُ  
٦٠- هُوَ قَوْلُهُ وَكَلَامُهُ وَخِطَابُهُ  
٦١- هُوَ حُكْمُهُ هُوَ عِلْمُهُ هُوَ نُورُهُ

فَبِهِ يَصُولُ الْعَالِمُ الرَّيَّانِي  
رَبِّي فَأَحْسَنَ أَيَّامَ إِحْسَانِ  
بِتَمَامِ الْفَاطِظِ وَحُسْنِ مَعَانِ  
وَنَهَى عَنِ الْأَثَامِ وَالْعِصْيَانِ  
فَقَدْ اسْتَحَلَّ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ  
فَغَدَا يُجَرِّعُ مِنْ حَمِيمِ آنِ  
فَالْعَنَةُ ثُمَّ اهْجُرْهُ كُلَّ أَوَانِ  
إِلَّا بِعَبْسَةِ مَالِكِ الْغَضْبَانِ  
وَخِدَاعِ كُلِّ مُذْبَذَبٍ حَيْرَانِ  
وَأَعْجَلَ وَلَا تَكُ فِي الْإِجَابَةِ وَانِي  
وَالْقَائِلُونَ بِخَلْقِهِ شَكْلَانِ  
وَمَقَالَ جَهَنَّمَ عِنْدَنَا سَيَّانِ  
وَإِخْصَصْ بِذَلِكَ جُمْلَةَ الْإِخْوَانِ  
وَأَسْمَعْ بِفَهْمٍ حَاضِرٍ يَقْظَانِ  
عَدْلًا بِلَا نَقْصٍ وَلَا رُجْحَانِ  
مُتَنَزِّةً عَنِ ثَالِثٍ أَوْ ثَانِ  
وَالْآخِرُ الْمُضْنِي وَلَيْسَ بِضَانِ  
مِنْهُ بِلَا أَمَدٍ وَلَا حَدَثَانِ  
لَا خَيْرَ فِي بَيْتٍ بِلَا أَرْكَانِ  
وَهُمَا وَمَنْزِلَتَاهُمَا ضِدَّانِ  
رَشَدًا وَلَا يَقْدِرُ عَلَى خِدْلَانِ

٦٢- جَمَعَ الْعُلُومَ دَقِيقَهَا وَجَلِيلَهَا  
٦٣- قَصَصَ عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ قَصَّهُ  
٦٤- كَلِمَاتُهُ مَنْظُومَةٌ وَحُرُوفُهُ  
٦٥- وَأَبَانَ فِيهِ حَالَالَهُ وَحَرَامَهُ  
٦٦- مَنْ قَالَ إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ قَوْلِهِ  
٦٧- مَنْ قَالَ فِيهِ عِبَارَةٌ وَحِكَايَةٌ  
٦٨- مَنْ قَالَ إِنَّ حُرُوفَهُ مَخْلُوقَةٌ  
٦٩- لَا تَلَقَ مُبْتَدِعًا وَلَا مُتَزَنِّدًا  
٧٠- وَالْوَقْفُ فِي الْقُرْآنِ خُبْتُ بَاطِلُ  
٧١- قُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ إِلَهِنَا  
٧٢- أَهْلُ الشَّرِيعَةِ أَيْقَنُوا بِنَزُولِهِ  
٧٣- وَتَجَنَّبِ اللَّفْظَيْنِ إِنَّ كِلَيْهِمَا  
٧٤- يَأْيُهَا السُّنِّيُّ خُذْ بِوَصِيَّتِي  
٧٥- وَأَقْبَلْ وَصِيَّةَ مُشْفِقٍ مُتَوَدِّدٍ  
٧٦- كُنْ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا مُتَوَسِّطًا  
٧٧- وَاعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ رَبٌّ وَاحِدٌ  
٧٨- الْأَوَّلُ الْمُبْدِي بِغَيْرِ بَدَايَةٍ  
٧٩- وَكَلَامُهُ صِفَةٌ لَهُ وَجَلَالَةٌ  
٨٠- رُكْنُ الدِّيَانَةِ أَنْ تُصَدَّقَ بِالْقَضَا  
٨١- اللَّهُ قَدْ عَلِمَ السَّعَادَةَ وَالشَّقَا  
٨٢- لَا يَمْلِكُ الْعَبْدُ الضَّعِيفُ لِنَفْسِهِ

فِي الْخَلْقِ بِالْأَرْزَاقِ وَالْحِرْمَانِ  
فِي خَلْقِهِ عَدْلًا بِلَا عُذْوَانٍ  
مَنْ غَيْرِ إِغْفَالٍ وَلَا نُقْصَانٍ  
إِنَّ الْقُدُورَ تَفُورُ بِالْغَلِيَانِ  
فَكِلَاهُمَا لِلدِّينِ وَاسْطَتَانِ  
بِجَمِيعِ مَا تَأْتِيهِ مُحْتَظَانِ  
يَقَعُ الْجَزَاءُ عَلَيْهِ مَخْلُوقَانِ  
وَهُمَا لِأَمْرِ اللَّهِ مُؤْتَمِرَانِ  
مِمَّا يُعَايِنُ شَخْصَهُ الْعَيْنَانِ  
أَوْ أَنْ يُقَاسَ بِجُمْلَةِ الْأَعْيَانِ  
حَقٌّ وَيَسْأَلُنَا بِهِ الْمَلَكَانِ  
وَكِلَاهُمَا لِلنَّاسِ مُدْخَرَانِ  
بِإِعَادَةِ الْأَزْوَاجِ فِي الْأَبْدَانِ  
صِدْقٌ لَهُ عَدَدُ النُّجُومِ وَأَوَانِي  
وَيُذَادُ كُلُّ مُحَالِفٍ فَتَانِ  
مَوْضُوعَةٌ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ  
بِشَمَائِلِ الْأَيْدِي وَالْإِيمَانِ  
مَعَ أَنَّهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ دَانٍ  
وَيَعِيبُ وَصَفَ اللَّهِ بِالْإِتْيَانِ  
يَأْتِي بِغَيْرِ تَنْقُلٍ وَتَدَانِ  
لِلْحُكْمِ كَيْ يَتَنَاصَفَ الْخُصْمَانِ

٨٣- سُبْحَانَ مَنْ يُجْرِي الْأُمُورَ بِحِكْمَةٍ  
٨٤- نَفَذَتْ مَشِيئَتَهُ بِسَاقٍ عِلْمِهِ  
٨٥- وَالْكُلُّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ مُسْطَرٌّ  
٨٦- فَاقْصِدْ هُدَيْتَ وَلَا تَكُنْ مُتَغَالِيًا  
٨٧- دِنٌ بِالشَّرِيعَةِ وَالْكِتَابِ كِلَيْهِمَا  
٨٨- وَكَذَا الشَّرِيعَةُ وَالْكِتَابُ كِلَاهُمَا  
٨٩- وَلِكُلِّ عَبْدٍ حَافِظَانِ لِكُلِّ مَا  
٩٠- أَمْرًا بِكُتُبِ كَلَامِهِ وَفِعَالِهِ  
٩١- وَاللَّهُ صِدْقٌ وَعَدُهُ وَوَعِيدُهُ  
٩٢- وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَنْ تُحَدَّ صِفَاتُهُ  
٩٣- وَحَيَاتُنَا فِي الْقَبْرِ بَعْدَ مَمَاتِنَا  
٩٤- وَالْقَبْرِ صَحَّ نَعِيمُهُ وَعَذَابُهُ  
٩٥- وَالْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَعَدُّ صَادِقٌ  
٩٦- وَصِرَاطُنَا حَقٌّ وَخَوْضُ نَبِيِّنَا  
٩٧- يُسْقَى بِهَا السُّنِّي أَعْدَبَ شَرْبَةٍ  
٩٨- وَكَذَلِكَ الْأَعْمَالُ يَوْمَئِذٍ تُرَى  
٩٩- وَالْكَتُبُ يَوْمَئِذٍ تَطَايُرُ فِي الْوَرَى  
١٠٠- وَاللَّهُ يَوْمَئِذٍ يَجِيءُ لِعَرْضِنَا  
١٠١- وَالْأَشْعَرِيُّ يَقُولُ يَأْتِي أَمْرُهُ  
١٠٢- وَاللَّهُ فِي الْقُرْآنِ أَخْبَرَ أَنَّهُ  
١٠٣- وَعَلَيْهِ عَرَضُ الْخَلْقِ يَوْمَ مَعَادِهِمْ

١٠٤- وَاللَّهُ يَوْمَئِذٍ نَرَاهُ كَمَا نَرَى  
 ١٠٥- يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْ عَلِمْتَ بِهِوْلَهُ  
 ١٠٦- يَوْمَ تَشَقَّقَتِ السَّمَاءُ لَهُوْلَهُ  
 ١٠٧- يَوْمَ عَبُوسٌ قَمَطِرِيرٌ شَرُّهُ  
 ١٠٨- وَالْجَنَّةُ الْعُلْيَا وَنَارُ جَهَنَّمَ  
 ١٠٩- يَوْمَ يَجِيءُ الْمُتَّقُونَ لِرَبِّهِمْ  
 ١١٠- وَيَجِيءُ فِيهِ الْمُجْرِمُونَ إِلَى لَظَى  
 ١١١- وَدُخُولُ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ جَهَنَّمَ  
 ١١٢- وَاللَّهُ يَرْحَمُهُمْ بِصِحَّةِ عَقْدِهِمْ  
 ١١٣- وَشَفِيعُهُمْ عِنْدَ الْخُرُوجِ مُحَمَّدٌ  
 ١١٤- حَتَّى إِذَا طَهَرُوا هُنَاكَ أُدْخِلُوا  
 ١١٥- فَاللَّهُ يَجْمَعُنَا وَإِيَّاهُمْ بِهَا  
 ١١٦- وَإِذَا دُعِيتَ إِلَى آدَاءِ فَرِيضَةٍ  
 ١١٧- قُمْ بِالصَّلَاةِ الْخُمْسِ وَاعْرِفْ قَدْرَهَا  
 ١١٨- لَا تَمْنَعَنَّ زَكَاةَ مَالِكَ ظَالِمًا  
 ١١٩- وَاثْبُتْ بَعْدَ الْفَرَضِ آكُدُ سُنَّةٍ  
 ١٢٠- مَعَ كُلِّ بَرٍّ صَلَّاهَا أَوْ فَاجِرٍ  
 ١٢١- وَصِيَامُنَا رَمَضَانَ فَرَضٌ وَاجِبٌ  
 ١٢٢- صَلَّى النَّبِيُّ بِهِ ثَلَاثًا رَغْبَةً  
 ١٢٣- إِنَّ التَّرَاوَحَ رَاحَةٌ فِي لَيْلِهِ  
 ١٢٤- وَاللَّهُ مَا جَعَلَ التَّرَاوَحَ مُنْكَرًا

قَمَرًا بَدَأَ لَيْسَتْ بَعْدَ ثَمَانٍ  
 لَفُزِرَتْ مِنْ أَهْلِ وَمِنْ أَوْطَانٍ  
 وَتَشِيبُ فِيهِ مَفَارِقُ الْوِلْدَانِ  
 فِي الْخَلْقِ مُنْتَشِرٌ عَظِيمُ الشَّانِ  
 دَارَانِ لِلْخَصْمَيْنِ دَائِمَتَانِ  
 وَفِدَاً عَلَى نُجُبٍ مِنَ الْعُقَيَانِ  
 يَتَلَمَّظُونَ تَلَمَّظَ الْعَطْشَانِ  
 بِكِبَائِرِ الْأَثَامِ وَالطُّغْيَانِ  
 وَيُبَدِّلُوا مِنْ خَوْفِهِمْ بِأَمَانٍ  
 وَطُهُورُهُمْ فِي شَاطِئِ الْحَيَوَانِ  
 جَنَّاتٍ عَذْنٍ وَهِيَ خَيْرُ جَنَّاتٍ  
 مِنْ غَيْرِ تَعْذِيبٍ وَغَيْرِ هَوَانٍ  
 فَاَنْشَطْ وَلَا تَكُ فِي الْإِجَابَةِ وَانِي  
 فَلَهُنَّ عِنْدَ اللَّهِ أَعْظَمُ شَانٍ  
 فَصَلَاتُنَا وَزَكَاتُنَا أُخْتَانِ  
 وَالْجُمُعَةُ الزُّهْرَاءُ وَالْعِيدَانِ  
 مَا لَمْ يَكُنْ فِي دِينِهِ بِمُشَانٍ  
 وَقِيَامُنَا الْمَسْنُونُ فِي رَمَضَانَ  
 وَرَوَى الْجَمَاعَةُ أَنَّهَا ثِنْتَانِ  
 وَنَشَاطُ كُلِّ عُوَيْجَزٍ كَسَلَانِ  
 إِلَّا الْمَجُوسُ وَشِيعَةُ الصُّلْبَانِ



١٢٥- وَالْحُجُّ مُفْتَرَضٌ عَلَيْكَ وَشَرْطُهُ  
 ١٢٦- كَبُرَ هُدَيْتَ عَلَى الْجَنَائِزِ أَرْبَعًا  
 ١٢٧- إِنَّ الصَّلَاةَ عَلَى الْجَنَائِزِ عِنْدَنَا  
 ١٢٨- إِنَّ الْأَهْلَةَ لِلْأَنَامِ مَوَاقِتُ  
 ١٢٩- لَا تُفْطِرَنَّ وَلَا تَصُمْ حَتَّى يَرَى  
 ١٣٠- مُتَثَبَّتَانِ عَلَى الَّذِي يَرِيَانِهِ  
 ١٣١- لَا تَقْصِدَنَّ لِيَوْمٍ شَكٌّ عَامِدًا  
 ١٣٢- لَا تَعْتَقِدْ دِينَ الرِّوَافِضِ إِنَّهُمْ  
 ١٣٣- جَعَلُوا الشُّهُورَ عَلَى قِيَاسِ حِسَابِهِمْ  
 ١٣٤- وَلَرُبَّمَا نَقَصَ الَّذِي هُوَ عِنْدَهُمْ  
 ١٣٥- إِنَّ الرِّوَافِضَ شَرٌّ مِنْ وَطْئِ الْحَصَى  
 ١٣٦- مَدَحُوا النَّبِيَّ وَخَوَّنُوا أَصْحَابَهُ  
 ١٣٧- حَبُّوا قَرَابَتَهُ وَسَبُّوا صَحْبَهُ  
 ١٣٨- فَكَأَنَّمَا آلُ النَّبِيِّ وَصَحْبُهُ  
 ١٣٩- فِئَتَانِ عَقَدُهُمَا شَرِيعَةُ أَحْمَدٍ  
 ١٤٠- فِئَتَانِ سَالِكَتَانِ فِي سُبُلِ الْهُدَى  
 ١٤١- قُلْ إِنَّ خَيْرَ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٌ  
 ١٤٢- وَأَجَلُ صَحْبِ الرُّسُلِ صَحْبُ مُحَمَّدٍ  
 ١٤٣- رَجُلَانِ قَدْ خُلِقَا لِنَصْرِ مُحَمَّدٍ  
 ١٤٤- فَهُمَا اللَّذَانِ تَظَاهَرَا لِنَبِيِّنَا  
 ١٤٥- بِنْتَاهُمَا أَسْنَى نِسَاءِ نَبِيِّنَا

أَمِنُ الطَّرِيقِ وَصَحَّةُ الْأُبْدَانِ  
 وَاسْأَلْ لَهَا بِالْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ  
 فَرَضُ الْكِفَايَةِ لَا عَلَى الْأَعْيَانِ  
 وَبِهَا يَقُومُ حِسَابُ كُلِّ زَمَانٍ  
 شَخْصَ الْهَلَالِ مِنَ الْوَرَى إِثْنَانِ  
 حُرَّانِ فِي نَفْلَيْهِمَا ثِقَتَانِ  
 فَتَصُومُهُ وَتَقُولُ مِنْ رَمَضَانَ  
 أَهْلُ الْمُحَالِ وَحَزْبَةُ الشَّيْطَانِ  
 وَلَرُبَّمَا كُمَلًا لَنَا شَهْرَانِ  
 وَافٍ وَأَوْفَى صَاحِبُ النُّقْصَانِ  
 مِنْ كُلِّ إِنْسٍ نَاطِقٍ أَوْ جَانٍ  
 وَرَمَوْهُمْ بِالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ  
 جَدَلَانِ عِنْدَ اللَّهِ مُنْتَقِضَانِ  
 رُوحٌ يَضُمُّ جَمِيعَهَا جَسَدَانِ  
 بِأَبِي وَأُمِّي ذَانِكَ الْفِئَتَانِ  
 وَهُمَا بِيَدَيْنِ اللَّهِ قَائِمَتَانِ  
 وَأَجَلٌ مَنْ يَمْشِي عَلَى الْكُثْبَانِ  
 وَكَذَاكَ أَفْضَلُ صَحْبِهِ الْعُمَرَانِ  
 بِدَمِي وَنَفْسِي ذَانِكَ الرَّجُلَانِ  
 فِي نَصْرِهِ وَهُمَا لَهُ صِهْرَانِ  
 وَهُمَا لَهُ بِالْوَحْيِ صَاحِبَتَانِ

١٤٦- أَبَوَاهُمَا أَسْنَىٰ صَحَابَةِ أَحْمَدٍ  
 ١٤٧- وَهُمَا وَزِيرَاهُ اللَّذَانِ هُمَا هُمَا  
 ١٤٨- وَهُمَا لِأَحْمَدَ نَاطِرَاهُ وَسَمْعُهُ  
 ١٤٩- كَانَا عَلَى الْإِسْلَامِ أَشْفَقَ أَهْلِهِ  
 ١٥٠- أَصْفَاهُمَا أَقْوَاهُمَا أَخْشَاهُمَا  
 ١٥١- أَسْنَاهُمَا أَرْكَاهُمَا أَعْلَاهُمَا  
 ١٥٢- صَدِيقُ أَحْمَدَ صَاحِبُ الْغَارِ الَّذِي  
 ١٥٣- أَعْنِي أَبَا بَكْرٍ الَّذِي لَمْ يَخْتَلِفْ  
 ١٥٤- هُوَ شَيْخُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ وَخَيْرُهُمْ  
 ١٥٥- وَأَبُو الْمُطَهَّرَةِ الَّتِي تَنْزِيهُهَا  
 ١٥٦- أَكْرَمَ بَعَائِشَةَ الرُّضَا مِنْ حُرَّةٍ  
 ١٥٧- هِيَ زَوْجُ خَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ وَيَكْرَهُ  
 ١٥٨- هِيَ عَرْسُهُ هِيَ أَنْسُهُ هِيَ إِلْفُهُ  
 ١٥٩- أَوْلَيْسَ وَالِدُهَا يُصَافِي بَعْلَهَا  
 ١٦٠- لَمَّا قَضَىٰ صَدِيقُ أَحْمَدَ نَحْبَهُ  
 ١٦١- أَعْنِي بِهِ الْفَارُوقَ فَرَّقَ عَنُوَّةَ  
 ١٦٢- هُوَ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ بَعْدَ خَفَائِهِ  
 ١٦٣- وَمَضَىٰ وَخَلَّى الْأَمْرَ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ  
 ١٦٤- مَنْ كَانَ يَسْهَرُ لَيْلَةً فِي رَكْعَةٍ  
 ١٦٥- وَلِيَ الْخِلَافَةَ صَهْرُ أَحْمَدَ بَعْدَهُ  
 ١٦٦- زَوْجَ الْبُتُولِ أَخَا الرَّسُولِ وَرُكْنَهُ

يَا حَبِّذَا الْأَبَوَانِ وَالْبِنَتَانِ  
 لِفَضَائِلِ الْأَعْمَالِ مُسْتَبِقَانِ  
 وَيَقْرِبُهُ فِي الْقَبْرِ مُضْطَجِعَانِ  
 وَهُمَا لِدَيْنِ مُحَمَّدٍ جَبَلَانِ  
 اتَّقَاهُمَا فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ  
 أَوْفَاهُمَا فِي الْوَزْنِ وَالرُّجْحَانِ  
 هُوَ فِي الْمَغَارَةِ وَالنَّبِيِّ اثْنَانِ  
 مِنْ شَرَعْنَا فِي فَضْلِهِ رَجُلَانِ  
 وَإِمَامُهُمْ حَقًّا بِلَا بُطْلَانِ  
 قَدْ جَاءَنَا فِي النُّورِ وَالْفُرْقَانِ  
 بِكُرِّ مُطَهَّرَةِ الْإِزَارِ حَصَانِ  
 وَعَرُوسُهُ مِنْ جُمْلَةِ النِّسْوَانِ  
 هِيَ حُبُّهُ صِدْقًا بِلَا إِذْهَانِ  
 وَهُمَا بِرُوحِ اللَّهِ مُؤْتَلِفَانِ  
 دَفَعَ الْخِلَافَةَ لِلْإِمَامِ الثَّانِي  
 بِالسَّيْفِ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ  
 وَمَحَا الظَّلَامَ وَبَاحَ بِالْكِتْمَانِ  
 فِي الْأَمْرِ فَاجْتَمَعُوا عَلَى عُثْمَانَ  
 وَتَرَا فَيُكْمِلُ خَتَمَةَ الْقُرْآنِ  
 أَعْنِي عَلَيَّ الْعَالَمَ الرَّيَّانِي  
 لَيْتَ الْحُرُوبِ مُنَازِلَ الْأَقْرَانِ

وَيَنْبَى الْإِمَامَةَ أَيَّمَا بُنْيَانٍ  
مِنْ بَعْدِ أَحْمَدَ فِي النُّبُوءَةِ ثَانٍ  
وَبِمَنْ هُمَا لِمُحَمَّدٍ سِبْطَانٍ  
لِلَّهِ دُرُّ الْأَضْلِّ وَالْغُضْنَانِ  
وَسَعِيدِهِمْ وَبِعَابِدِ الرَّحْمَنِ  
وَأَمْدَحُ جَمَاعَةَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ  
وَأَمْدَحُ جَمِيعَ الْأَلِّ وَالنِّسْوَانِ  
بِسُيُوفِهِمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ  
وَكِلَاهُمَا فِي الْحَشْرِ مَرْحُومَانِ  
تَحْوِي صُدُورُهُمْ مِنَ الْأَضْغَانِ  
عُثْمَانُ فَاجْتَمَعُوا عَلَى الْعُضْيَانِ  
قَدْ بَاءَ مِنْ مَوْلَاهُ بِالْخُسْرَانِ  
فَاللَّهُ ذُو عَضْوٍ وَذُو غُضْرَانِ  
جَمَعَ الرُّوَاةَ وَخَطَّ كُلُّ بَنَانٍ  
سِيمَا ذَوِي الْأَحْلَامِ وَالْأَسْنَانِ  
وَاللَّيْثِ وَالزُّهْرِيِّ أَوْ سُفْيَانِ  
فَمَكَانُهُ فِيهَا أَجَلُ مَكَانٍ  
وَأَعْرِفْ عَلِيًّا أَيَّمَا عِرْفَانٍ  
فَعَلَيْهِ تَصَلَّى النَّارَ طَائِفَتَانِ  
وَتَنْصُصُهُ الْأَخْرَى إِلَهًا ثَانِي  
أَعْنَاقُهُمْ غُلَّتْ إِلَى الْأَذْقَانِ

١٦٧- سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْخِلَافَةَ رُتْبَةً  
١٦٨- وَاسْتَخْلَفَ الْأَصْحَابَ كَيْ لَا يَدْعِي  
١٦٩- أَكْرَمَ بِفَاطِمَةَ الْبَتُولِ وَيَعْلَاهَا  
١٧٠- غُضْنَانِ أَصْلُهُمَا بِرَوْضَةِ أَحْمَدٍ  
١٧١- أَكْرَمَ بِطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَسَعْدِهِمْ  
١٧٢- وَأَبِي عُبَيْدَةَ ذِي الدِّيَانَةِ وَالتَّقَى  
١٧٣- قُلْ خَيْرُ قَوْلٍ فِي صَحَابَةِ أَحْمَدٍ  
١٧٤- دَعَا مَا جَرَى بَيْنَ الصَّحَابَةِ فِي الْوَعَى  
١٧٥- فَقَتِيلُهُمْ مِنْهُمْ وَقَاتِلُهُمْ لَهُمْ  
١٧٦- وَاللَّهُ يَوْمَ الْحَشْرِ يَنْزِعُ كُلَّ مَا  
١٧٧- وَالْوَيْلُ لِلرَّكْبِ الَّذِينَ سَعَوْا إِلَى  
١٧٨- وَيْلٌ لِمَنْ قَتَلَ الْحُسَيْنَ فَإِنَّهُ  
١٧٩- لَسْنَا نَكْفُرُ مُسْلِمًا بِكَبِيرَةٍ  
١٨٠- لَا تَقْبَلَنَّ مِنَ التَّوَارِخِ كُلِّ مَا  
١٨١- أَرَوْا الْحَدِيثَ الْمُنتَقَى عَنْ أَهْلِهِ  
١٨٢- كَابِنِ الْمُسَيَّبِ وَالْعَلَاءِ وَمَالِكِ  
١٨٣- وَاحْفَظْ رِوَايَةَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ  
١٨٤- وَاحْفَظْ لِأَهْلِ الْبَيْتِ وَاجِبَ حَقِّهِمْ  
١٨٥- لَا تَنْتَقِصْهُ وَلَا تَزِدْ فِي قَدْرِهِ  
١٨٦- إِحْدَاهُمَا لَا تَرْتَضِيهِ خَلِيفَةً  
١٨٧- وَالْعَن زَنَادِقَةَ الْجَهَالَةِ إِنَّهُمْ

بِفَسَادِ مِلَّةِ صَاحِبِ الْإِيْوَانِ  
 شَتَمُوا الصَّحَابَةَ دُونَ مَا بُرْهَانِ  
 وَوَدَّادُهُمْ فَرَضَ عَلَى الْإِنْسَانِ  
 أَلْقَى بِهَا رِيِّي إِذَا أَحْيَانِي  
 حَتَّى تَكُونَ كَمَنْ لَهُ قَلْبَانِ  
 عَمَلٍ وَقَوْلٍ وَاعْتِقَادِ جَنَانِ  
 وَكِلَاهُمَا فِي الْقَلْبِ يَغْتَلِجَانِ  
 وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَى الطُّغْيَانِ  
 إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلَامَ يَرَانِي  
 فَهُمَا إِلَى سُبُلِ الْهُدَى سَبَبَانِ  
 مُتَعَلِّقٌ بِزَخَارِفِ الْكُفَّانِ  
 فِي قَلْبِ عَبْدٍ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ  
 لَمْ يَهْبِطِ الْمَرِيخُ فِي السَّرَطَانِ  
 وَهَبُوطُهَا فِي كَوْكَبِ الْمِيزَانِ  
 لَكِنَّهَا وَالْبَدْرَيْنِ خَسِفَانِ  
 وَهُمَا لِخَوْفِ اللَّهِ يَرْتَعِدَانِ  
 وَيَظُنُّ أَنَّ كِلَيْهِمَا رِيَّانِ  
 وَيَظُنُّ أَنَّ هُمَا لَهُ سَعْدَانِ  
 وَبَوْهَجِ حَرِّ الشَّمْسِ يَخْتَرِقَانِ  
 وَكِلَاهُمَا عَبْدَانِ مَمْلُوكَانِ  
 لَسَجَدْتُ نَحْوَهُمَا لِيُصْطَنِعَانِي

١٨٨- جَحَدُوا الشَّرَائِعَ وَالنُّبُوَّةَ وَاقْتَدَوْا  
 ١٨٩- لَا تَرَكْنَنْ إِلَى الرُّوَافِضِ إِنَّهُمْ  
 ١٩٠- لَعَنُوا كَمَا بَغَضُوا صَحَابَةَ أَحْمَدٍ  
 ١٩١- حُبُّ الصَّحَابَةِ وَالْقَرَابَةِ سُنَّةٌ  
 ١٩٢- احْذَرِ عِقَابَ اللَّهِ وَارْجُ ثَوَابَهُ  
 ١٩٣- إِيْمَانُنَا بِاللَّهِ بَيْنَ ثَلَاثَةٍ  
 ١٩٤- وَيزِيدُ بِالتَّقْوَى وَيَنْقُصُ بِالرَّدَى  
 ١٩٥- وَإِذَا خَلَوْتَ بِرَبِيبَةٍ فِي ظُلْمَةٍ  
 ١٩٦- فَاسْتَحْيِ مَنْ نَظَرَ إِلَيْهِ وَقُلْ لَهَا  
 ١٩٧- كُنْ طَالِبًا لِلْعِلْمِ وَاعْمَلْ صَالِحًا  
 ١٩٨- لَا تَتَّبِعْ عِلْمَ النُّجُومِ فَإِنَّهُ  
 ١٩٩- عِلْمُ النُّجُومِ وَعِلْمُ شَرْعِ مُحَمَّدٍ  
 ٢٠٠- لَوْ كَانَ عِلْمٌ لِلْكَوَاكِبِ أَوْ قَضَا  
 ٢٠١- وَالشَّمْسُ فِي الْحَمَلِ الْمُضِيءِ سَرِيعَةٌ  
 ٢٠٢- وَالشَّمْسُ مُحْرِقَةٌ لِسِتَّةِ أَنْجُمٍ  
 ٢٠٣- وَلَرُبَّمَا اسْوَدَّا وَغَابَ ضِيَاهُمَا  
 ٢٠٤- اِرْدُدْ عَلَى مَنْ يَظْمِنُ إِلَيْهِمَا  
 ٢٠٥- يَا مَنْ يُحِبُّ الْمُشْتَرِيَّ وَعُطَارِدًا  
 ٢٠٦- لَمْ يَهْبِطَانِ وَيَعْلَوَانِ تَشْرِفًا  
 ٢٠٧- أَتَخَافُ مِنْ زُحَلٍ وَتَرْجُو الْمُشْتَرِيَّ  
 ٢٠٨- وَاللَّهِ لَوْ مَلَكَ حَيَاةً أَوْ فَنًا

رَزَقِي وَإِلَّا حَسَانَ يَكْتَنِفَانِي  
 ذَلَّتْ لِعِزَّةٍ وَجْهَهُ الثَّقَلَانِ  
 وَالرَّأْسُ وَالذَّنْبُ الْعَظِيمُ الشَّانِ  
 وَعُطَارِدُ الْوَقَادُ مَعَ كَيَوَانِ  
 وَتَسَدَّسَتْ وَتَلَا حَقَّتْ بِقِرَانِ  
 لَا وَالَّذِي بَرَأَ الْوَرَى وَبِرَانِي  
 لِلشَّرْعِ مُتَّبِعٍ لِقَوْلِ ثَانِ  
 فَاسْمَعْ مَقَالَ النَّاقِدِ الدَّهْقَانِ  
 كَالدَّرِّ فَوْقَ تَرَائِبِ النَّسْوَانِ  
 وَرُجُومُ كُلِّ مُثَابِرِ شَيْطَانِ  
 إِذْ كُلُّ يَوْمٍ رَبُّنَا فِي شَانِ  
 لَا نَوَاءَ عَوَاءٍ وَلَا دَبْرَانِ  
 أَوْ صَرْفَةٍ أَوْ كَوَكَبِ الْمِيزَانِ  
 يُنْزِلُ بِهِ الرَّحْمَنُ مِنْ سُلْطَانِ  
 وَلَقَلَّمَا يَتَجَمَّعُ الضُّدَّانِ  
 فَاطْلُبْ شَوَاطِئَ النَّارِ فِي الْغُدْرَانِ  
 وَمَعَادُ أَرْوَاحِ بِلَا أَبْدَانِ  
 لَمْ يَمْشِ فَوْقَ الْأَرْضِ مِنْ حَيَوَانِ  
 وَالشَّمْسُ أَوَّلُ غُنْصِرِ النَّيِّرَانِ  
 دَامَتْ بِهَاطِلِ الْوَابِلِ الْهَتَّانِ  
 صَوْتُ اضْطِكَاكِ السُّحْبِ فِي الْأَغْنَانِ

٢٠٩- وَلِيَفْسَحَا فِي مُدَّتِي وَيُوسِّعَا  
 ٢١٠- بَلْ كُلُّ ذَلِكَ فِي يَدِ اللَّهِ الَّذِي  
 ٢١١- فَقَدْ اسْتَوَى رُحْلٌ وَنَجْمُ الْمُشْتَرِي  
 ٢١٢- وَالزَّهْرَةُ الْغَرَاءُ مَعَ مَرِيخِهَا  
 ٢١٣- إِنْ قَابَلَتْ وَتَرِيَعَتْ وَتَثَلَّثَتْ  
 ٢١٤- أَلَهَا دَلِيلُ سَعَادَةٍ أَوْ شِقْوَةٍ  
 ٢١٥- مَنْ قَالَ بِالتَّأْثِيرِ فَهُوَ مُعْطَلٌ  
 ٢١٦- إِنَّ النُّجُومَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ  
 ٢١٧- بَعْضُ النُّجُومِ خُلِقَ زِينًا لِلسَّمَاءِ  
 ٢١٨- وَكَوَاكِبُ تَهْدِي الْمَسَافِرَ فِي السُّرَى  
 ٢١٩- لَا يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ مَا يُقْضَى غَدًا  
 ٢٢٠- وَاللَّهُ يُمِطُّرُنَا الْغُيُوثَ بِفَضْلِهِ  
 ٢٢١- مَنْ قَالَ إِنَّ الْغَيْثَ جَاءَ بِهَنْعَةٍ  
 ٢٢٢- فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا وَيُهْتَانًا وَلَمْ  
 ٢٢٣- وَكَذَا الطَّبِيعَةُ لِلشَّرِيعَةِ ضِدُّهَا  
 ٢٢٤- وَإِذَا طَلَبْتَ طِبَائِعًا مُسْتَسْلِمًا  
 ٢٢٥- عِلْمُ الْفَلَاسِفَةِ الْغَوَاةِ طَبِيعَةُ  
 ٢٢٦- لَوْلَا الطَّبِيعَةُ عِنْدَهُمْ وَفَعَالُهَا  
 ٢٢٧- وَالْبَحْرُ غُنْصَرُ كُلِّ مَاءٍ عِنْدَهُمْ  
 ٢٢٨- وَالْغَيْثُ أَبْخَرَةٌ تَصَاعِدُ كُلَّمَا  
 ٢٢٩- وَالرَّعْدُ عِنْدَ الْفَيْلَسُوفِ بِزَعْمِهِ

٢٣٠- وَالْبَرْقُ عِنْدَهُمْ شَوْاطِ حَارِجٌ  
 ٢٣١- كَذَبَ أَرِسْطَالِيْسُهُمْ فِي قَوْلِهِ  
 ٢٣٢- الْغَيْثُ يُفْرِغُ فِي السَّحَابِ مِنَ السَّمَاءِ  
 ٢٣٣- لَا قَطْرَةَ إِلَّا وَيَنْزِلُ نَحْوَهَا  
 ٢٣٤- وَالرَّعْدُ صَيْحَةٌ مَالِكٍ وَهُوَ اسْمُهُ  
 ٢٣٥- وَالْبَرْقُ شَوْطُ النَّارِ يَزْجُرُهَا بِهِ  
 ٢٣٦- أَفَكَانَ يَعْلَمُ ذَا أَرِسْطَالِيْسُهُمْ  
 ٢٣٧- أَمْ غَابَ تَحْتَ الْأَرْضِ أَمْ صَعِدَ السَّمَاءِ  
 ٢٣٨- أَمْ كَانَ دَبْرٌ لَيْلَهَا وَنَهَارَهَا  
 ٢٣٩- أَمْ سَارَ بِطَلِيْمُوسُ بَيْنَ نَجُومِهَا  
 ٢٤٠- أَمْ كَانَ أَطْلَعَ شَمْسَهَا وَهَلَالَهَا  
 ٢٤١- أَمْ كَانَ أَرْسَلَ رِيحَهَا وَسَحَابَهَا  
 ٢٤٢- بَلْ كَانَ ذَلِكَ حِكْمَةَ اللَّهِ الَّذِي  
 ٢٤٣- لَا تَسْمَعُ قَوْلَ الصَّوَارِبِ بِالْحَصَا  
 ٢٤٤- فَالْفِرْقَتَانِ كَذُوبَتَانِ عَلَى الْقَضَا  
 ٢٤٥- كَذَبَ الْمُهَنْدِسُ وَالْمُنْجِمُ مِثْلُهُ  
 ٢٤٦- الْأَرْضُ عِنْدَ كُلِّهِمَا كُرْوِيَّةٌ  
 ٢٤٧- وَالْأَرْضُ عِنْدَ أُولِي النُّهَى لَسَطِيْحَةٌ  
 ٢٤٨- وَاللَّهُ صَيَّرَهَا فِرَاشًا لِلْوَرَى  
 ٢٤٩- وَاللَّهُ أَخْبَرَ أَنَّهَا مَسْطُوحَةٌ  
 ٢٥٠- أَحَاطَ بِالْأَرْضِ الْمُحِيطَةُ عِلْمُهُمْ

بَيْنَ السَّحَابِ يُضِيءُ فِي الْأَحْيَانِ  
 هَذَا وَأَسْرَفَ أَيَّمَا هَذَيَانِ  
 وَيَكِيلُهُ مِيكَالٌ بِالْمِيزَانِ  
 مَلِكٌ إِلَى الْأَكَامِ وَالْفَيْضَانِ  
 يُزْجِي السَّحَابَ كَسَائِقِ الْأَظْعَانِ  
 زَجَرَ الْحُدَاةِ الْعَيْسِ بِالْقَضْبَانِ  
 تَدْبِيرَ مَا انْفَرَدَتْ بِهِ الْجِهَتَانِ  
 فَرَأَى بِهَا الْمَلَكُوتَ رَأَى عِيَانِ  
 أَمْ كَانَ يَعْلَمُ كَيْفَ يَخْتَلِفَانِ  
 حَتَّى رَأَى السِّيَّارَ وَالْمُتَوَانِي  
 أَمْ هَلْ تَبَصَّرَ كَيْفَ يَعْتَقِبَانِ  
 بِالْغَيْثِ يَهْمِلُ أَيَّمَا هَمَلَانِ  
 بِقَضَائِهِ مُتَصَرِّفُ الْأَزْمَانِ  
 وَالزَّاجِرِينَ الطَّيْرَ بِالطَّيْرَانِ  
 وَيَعْلَمُ غَيْبَ اللَّهِ جَاهِلَتَانِ  
 فَهُمَا لِعِلْمِ اللَّهِ مُدَّعِيَانِ  
 وَهُمَا بِهِذَا الْقَوْلِ مُقْتَرِنَانِ  
 بِدَلِيلِ صِدْقٍ وَاضِحِ الْقُرْآنِ  
 وَبَنَى السَّمَاءَ بِأَحْسَنِ الْبُنْيَانِ  
 وَأَبَانَ ذَلِكَ أَيَّمَا تَبْيَانِ  
 أَمْ بِالْجِبَالِ الشُّمَخِ الْأَكْنَانِ

٢٥١- أَمْ يُخْبِرُونَ بِطُولِهَا وَبِعَرْضِهَا  
 ٢٥٢- أَمْ فَجَرُوا أَنْهَارَهَا وَعَيُونَهَا  
 ٢٥٣- أَمْ أَخْرَجُوا أَثْمَارَهَا وَنَبَاتَهَا  
 ٢٥٤- أَمْ هَلْ لَهُمْ عِلْمٌ بَعْدَ ثَمَارِهَا  
 ٢٥٥- اللَّهُ أَحْكَمَ خَلْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ  
 ٢٥٦- قُلْ لِلطَّبِيبِ الْفَيْلَسُوفِ بَزْعُمِهِ  
 ٢٥٧- أَيْنَ الطَّبِيعَةُ عِنْدَ كَوْنِكَ نُطْفَةً  
 ٢٥٨- أَيْنَ الطَّبِيعَةُ حِينَ عُذْتُ عَلَيْهِ  
 ٢٥٩- أَيْنَ الطَّبِيعَةُ عِنْدَ كَوْنِكَ مُضْغَةً  
 ٢٦٠- أَتَرَى الطَّبِيعَةَ صَوْرَتَكَ مُصَوَّرًا  
 ٢٦١- أَتَرَى الطَّبِيعَةَ أَخْرَجْتَكَ مِنْكَ  
 ٢٦٢- أَمْ فَجَرْتَ لَكَ بِاللَّبَانِ ثُدْيَهَا  
 ٢٦٣- أَمْ صَيَّرْتَ فِي وَالِدَيْكَ مَحَبَّةً  
 ٢٦٤- يَا فَيْلَسُوفُ لَقَدْ شَغَلْتَ عَنِ الْهُدَى  
 ٢٦٥- وَشَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ أَفْضَلَ شَرْعَةٍ  
 ٢٦٦- هُوَ دِينَ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَشَرْعُهُ  
 ٢٦٧- هُوَ دِينَ آدَمَ وَالْمَلَائِكِ قَبْلَهُ  
 ٢٦٨- وَلَهُ دَعَا هُوَذَا النَّبِيُّ وَصَالِحُ  
 ٢٦٩- وَبِهِ آتَى لُوطٌ وَصَاحِبُ مَدْيَنَ  
 ٢٧٠- هُوَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ وَابْنَيْهِ مَعًا  
 ٢٧١- وَبِهِ حَمَى اللَّهُ الذَّبِيحَ مِنَ الْبَلَاءِ

أَمْ هَلْ هُمَا فِي الْقَدْرِ مُسْتَوِيَانِ  
 مَاءٌ بِهِ يُرَوَّى صَدَى الْعُطْشَانِ  
 وَالنَّخْلَ ذَاتَ الطَّلَعِ وَالْقِنَوَانَ  
 أَمْ بِاخْتِلَافِ الطَّعْمِ وَالْأَلْوَانِ  
 صُنْعًا وَآتَقَنَ أَيُّمَا إِتْقَانِ  
 إِنَّ الطَّبِيعَةَ عِلْمُهَا بُرْهَانِ  
 فِي الْبَطْنِ إِذْ مُشِجَتْ بِهِ الْمَاءَانِ  
 فِي أَرْبَعَيْنِ وَأَرْبَعَيْنِ تَوَانِي  
 فِي أَرْبَعَيْنِ وَقَدْ مَضَى الْعَدَدَانِ  
 بِمَسَامِعَ وَنَوَاطِرَ وَبَنَانِ  
 مِنْ بَطْنِ أُمِّكَ وَاهِي الْأَرْكَانِ  
 فَرَضَعْتُهَا حَتَّى مَضَى الْحَوْلَانِ  
 فَهُمَا بِمَا يُرْضِيكَ مُغْتَبِطَانِ  
 بِالْمَنْطِقِ الرُّومِيِّ وَالْيُونَانِي  
 دَيْنُ النَّبِيِّ الصَّادِقِ الْعَدْنَانِ  
 وَهُوَ الْقَدِيمُ وَسَيِّدُ الْأَذْيَانِ  
 هُوَ دَيْنُ نُوحٍ صَاحِبِ الطُّوفَانِ  
 وَهُمَا لِدَيْنِ اللَّهِ مُعْتَقِدَانِ  
 فَكِلَاهُمَا فِي الدِّينِ مُجْتَهِدَانِ  
 وَبِهِ نَجَا مَنْ نَفَحَةِ النَّيِّرَانِ  
 لَمَّا فَدَاهُ بِأَعْظَمِ الْقُرْبَانِ

٢٧٢- هُوَ دِينَ يَعْقُوبَ النَّبِيَّ وَيُونُسَ  
 ٢٧٣- هُوَ دِينَ دَاوُدَ الْخَلِيفَةَ وَابْنِهِ  
 ٢٧٤- هُوَ دِينَ يَحْيَىٰ مَعَ أَبِيهِ وَأُمِّهِ  
 ٢٧٥- وَلَهُ دَعَا عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ قَوْمَهُ  
 ٢٧٦- وَاللَّهُ أَنْطَقَهُ صَبِيًّا بِالْهُدَىٰ  
 ٢٧٧- وَكَمَالَ دِينَ اللَّهِ شَرَعَ مُحَمَّدٍ  
 ٢٧٨- الطَّيِّبُ الرَّاكَي الَّذِي لَمْ يَجْتَمِعْ  
 ٢٧٩- الطَّاهِرُ النَّسْوَانِ وَالْوَلَدِ الَّذِي  
 ٢٨٠- وَأَوَّلُو النَّبُوءَةِ وَالْهُدَىٰ مَا مِنْهُمْ  
 ٢٨١- بَلْ مُسْلِمُونَ وَمُؤْمِنُونَ بِرَبِّهِمْ  
 ٢٨٢- وَلِلَّهِ الْإِسْلَامُ خَمْسُ عَقَائِدٍ  
 ٢٨٣- لَا تَعْصِ رَبَّكَ قَائِلًا أَوْ فَاعِلًا  
 ٢٨٤- جَمَلُ زَمَانِكَ بِالسُّكُوتِ فَإِنَّهُ  
 ٢٨٥- كُنْ جَلَسَ بَيْتِكَ إِنْ سَمِعْتَ بِفِتْنَةٍ  
 ٢٨٦- أَدِّ الْفَرَائِضَ لَا تَكُنْ مُتَوَانِيًا  
 ٢٨٧- أَدِمِ السَّوَاكَ مَعَ الْوُضُوءِ فَإِنَّهُ  
 ٢٨٨- سَمَّ الْإِلَهَ لَدَى الْوُضُوءِ بِنِيَّةٍ  
 ٢٨٩- فَاسَّاسُ أَعْمَالِ الْوَرَىٰ نِيَّاتُهُمْ  
 ٢٩٠- أَسْبَغْ وَضُوءَكَ لَا تَضَرَّقْ شَمْلَهُ  
 ٢٩١- فَإِذَا انْتَشَقْتَ فَلَا تَبَالِغْ جَيِّدًا  
 ٢٩٢- وَعَلَيْكَ فَرْضًا غَسْلُ وَجْهِكَ كُلِّهِ

وَكِلَاهُمَا فِي اللَّهِ مُبْتَلَيَانِ  
 وَبِهِ أَذَلُّ لَهُ مُلُوكُ الْجَانِ  
 نِعَمَ الصَّبِيِّ وَحَبْدَا الشَّيْخَانِ  
 لَمْ يَدْعُهُمْ لِعِبَادَةِ الصُّلْبَانِ  
 فِي الْمَهْدِ ثُمَّ سَمَّا عَلَى الصَّبِيَّانِ  
 صَلَّى عَلَيْهِ مُنْزَلُ الْقُرْآنِ  
 يَوْمًا عَلَى زَلَلٍ لَهُ أَبَوَانِ  
 مِنْ ظَهْرِهِ الزُّهْرَاءُ وَالْحَسَنَانِ  
 أَحَدٌ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِي  
 حَنْضَاءُ فِي الْإِسْرَارِ وَالْإِغْلَانِ  
 وَاللَّهُ أَنْطَقَنِي بِهَا وَهَدَانِي  
 فَكِلَاهُمَا فِي الصُّحُفِ مَكْتُوبَانِ  
 زَيْنُ الْحَلِيمِ وَسُتْرَةُ الْحَيْرَانِ  
 وَتَوَقَّ كُلَّ مُنَافِقٍ فَتَّانِ  
 فَتَكُونِ عِنْدَ اللَّهِ شَرًّا مُهَانِ  
 مُرْضِي الْإِلَهِ مُطَهِّرُ الْأَسْنَانِ  
 ثُمَّ اسْتَعِذْ مِنْ فِتْنَةِ الْوَلَهَانِ  
 وَعَلَى الْأَسَاسِ قَوَاعِدُ الْبُنْيَانِ  
 فَالْفُضُورُ وَالْإِسْبَاغُ مُضْتَرَضَانِ  
 لَكِنَّهُ شَمٌّ بِلَا إِمْعَانِ  
 وَالْمَاءُ مَتَّبِعٌ بِهِ الْجَفْنَانِ



فَكِلَاهُمَا فِي الْغَسْلِ مَدْخُولَانِ  
وَالْمَاءُ مَمْسُوحٌ بِهِ الْأُذُنَانِ  
بِالْمَاءِ ثُمَّ تَمَجُّهُ الشَّفَتَانِ  
فَرَضٌ وَيَدْخُلُ فِيهِمَا الْعُظْمَانِ  
أَمَرَ النَّبِيُّ بِهَا عَلَى اسْتِحْسَانٍ  
وَاسْتَيْقَظَتْ مِنْ نَوْمِكَ الْعَيْنَانِ  
فَرَضٌ وَيَدْخُلُ فِيهِمَا الْكَعْبَانِ  
مِنْ رَأْيِهِمْ أَنْ تُمَسَّحَ الرَّجْلَانِ  
بِقِرَاعَةٍ وَهُمَا مُنْزَلَتَانِ  
لَكِنْ هُمَا فِي الصُّخْفِ مُثَبَّتَانِ  
لَمْ يَخْتَلِفْ فِي غَسْلِهِمْ رَجُلَانِ  
فِي الْحُكْمِ قَاضِيَةٌ عَلَى الْقُرْآنِ  
وَهُمَا مِنَ الْأَخْدَاطِ طَاهِرَتَانِ  
فَتَمَامُهَا أَنْ يُمَسَّحَ الْخُفَّانِ  
فَلتُخْلَعَا وَلتُغْسَلَ الْقَدَمَانِ  
فَأَدَاؤُهَا مِنْ أَكْمَلِ الْإِيْمَانِ  
لَا خَيْرَ فِي مُتَثَبِّطٍ كَسَلَانِ  
حَتَّى يَغُمَّ جَمِيعَهُ الْكَفَّانِ  
مِنْ طَيِّبٍ تُرْبِ الْأَرْضِ وَالْجُدْرَانِ  
فَكِلَاهُمَا فِي الشَّرْعِ مُجْزِيَتَانِ  
وَهُمَا بِمَذْهَبِ مَالِكٍ فَرَضَانِ

٢٩٣- وَاغْسِلْ يَدَيْكَ إِلَى الْمِرْفَاقِ مُسْبِغًا  
٢٩٤- وَامْسَحْ بِرَأْسِكَ كُلَّهُ مُسْتَوْفِيًا  
٢٩٥- وَكَذَا التَّمَضُّمُضُ فِي وُضُوءِكَ سُنَّةٌ  
٢٩٦- وَالْوَجْهُ وَالْكَفَّانِ غَسْلُ كُلِّهِمَا  
٢٩٧- غَسْلُ الْيَدَيْنِ لَدَى الْوُضُوءِ نَظَافَةٌ  
٢٩٨- سِيمَا إِذَا مَا قُمْتَ فِي غَسَقِ الدُّجَى  
٢٩٩- وَكَذَلِكَ الرَّجْلَانِ غَسْلُهُمَا مَعًا  
٣٠٠- لَا تَسْمَعْ قَوْلَ الرَّوَافِضِ إِنَّهُمْ  
٣٠١- يَتَأَوَّلُونَ قِرَاءَةَ مَنْسُوخَةٍ  
٣٠٢- إِحْدَاهُمَا نَزَلَتْ لِتَنْسَخَ أُخْتَهَا  
٣٠٣- غَسْلُ النَّبِيِّ وَصَحْبُهُ أَقْدَامُهُمْ  
٣٠٤- وَالسُّنَّةُ الْبَيْضَاءُ عِنْدَ أُولَى النُّهَى  
٣٠٥- فَإِذَا اسْتَوَتْ رِجْلَاكَ فِي خُفَّيْهِمَا  
٣٠٦- وَارَدَتْ تَجْدِيدَ الطَّهَارَةِ مُحَدَّثًا  
٣٠٧- وَإِذَا أَرَدْتَ طَهَارَةَ لِحْيَابَةٍ  
٣٠٨- غُسْلُ الْجَنَابَةِ فِي الرِّقَابِ أَمَانَةٌ  
٣٠٩- فَإِذَا ابْتَلَيْتَ فَبَادِرَنَّ بِغَسْلِهَا  
٣١٠- وَإِذَا اغْتَسَلْتَ فَكُنْ لِحْجَمِكَ دَالِكًا  
٣١١- وَإِذَا عَدِمْتَ الْمَاءَ فَكُنْ مُتِيَمِّمًا  
٣١٢- مُتِيَمِّمًا صَلَّيْتَ أَوْ مُتَوَضِّئًا  
٣١٣- وَانْغُسِلْ فَرَضٌ وَالتَّدْلُكُ سُنَّةٌ

٣١٤- وَالْمَاءُ مَا لَمْ تَسْتَحِلْ أَوْصَافُهُ  
 ٣١٥- فَإِذَا صَفَا فِي لَوْنِهِ أَوْ طَعْمِهِ  
 ٣١٦- فَهُنَاكَ سُمِّيَ طَاهِرًا وَمُطَهَّرًا  
 ٣١٧- فَإِذَا صَفَا فِي لَوْنِهِ أَوْ طَعْمِهِ  
 ٣١٨- جَازَ الْوُضُوءَ لَنَا بِهِ وَطُهُورُنَا  
 ٣١٩- وَمَتَى تَمَّتْ فِي الْمَاءِ نَفْسٌ لَمْ يَجْزُ  
 ٣٢٠- إِلَّا إِذَا كَانَ الْغَدِيرُ مُرْجَرَجًا  
 ٣٢١- أَوْ كَانَتْ الْمِيَنَاتُ مِمَّا لَمْ تَسَلْ  
 ٣٢٢- وَالْبَحْرُ أَجْمَعُهُ طَهُورٌ مَاؤُهُ  
 ٣٢٣- إِيَّاكَ نَفْسُكَ وَالْعَدُوَّ وَكَئِدُهُ  
 ٣٢٤- وَاحْذَرْ وَضُوءَكَ مُضَرِّطًا وَمُضَرِّطًا  
 ٣٢٥- فَقَلِيلٌ مَا يَكُ فِي وَضُوءِكَ خُدْعَةٌ  
 ٣٢٦- وَتَعُودَ مَغْسُولَاتِهِ مَمْسُوحَةٌ  
 ٣٢٧- وَكَثِيرٌ مَا يَكُ فِي وَضُوءِكَ بِدْعَةٌ  
 ٣٢٨- لَا تُكْثِرَنَّ وَلَا تُقَلِّلْ وَاقْتَصِدْ  
 ٣٢٩- وَإِذَا اسْتَطَبَّتْ فِي الْحَدِيثِ ثَلَاثَةٌ  
 ٣٣٠- مِنْ أَجْلِ أَنْ لِكُلِّ مَخْرَجٍ غَائِطٌ  
 ٣٣١- وَإِذَا الْأَذَى قَدْ جَازَ مَوْضِعَ عَادَةٍ  
 ٣٣٢- نَقَضَ الْوُضُوءَ بِقُبْلَةٍ أَوْ لَمْسَةٍ  
 ٣٣٣- أَوْ بَوْلَةٍ أَوْ غَائِطٍ أَوْ نَوْمَةٍ  
 ٣٣٤- وَمِنْ الْمَذْيِ أَوْ الْوَدْيِ كِلَاهُمَا

بِنَجَاسَةٍ أَوْ سَائِرِ الْأَذْهَانِ  
 مَعَ رِيحِهِ مِنْ جُمْلَةِ الْأَضْغَانِ  
 هَذَانِ أَبْلَغُ وَضْفِهِ هَذَانِ  
 مِنْ حَمَاةِ الْأَبَارِ وَالْغُدْرَانِ  
 فَاسْمَعْ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ يَقْظَانِ  
 مِنْهُ الطُّهُورُ لِعَلَّةِ السَّيَالَنِ  
 غَدَقًا بَلَا كَيْلٍ وَلَا مِيزَانَ  
 وَالْمَا قَلِيلٌ طَابَ لِلْغُسْلَانِ  
 وَتَحِلَّ مَيْتَتُهُ مِنَ الْحَيَتَانِ  
 فَكِلَاهُمَا لِأَذَاكَ مُبْتَدِيَانِ  
 فَكِلَاهُمَا فِي الْعِلْمِ مَحْدُورَانِ  
 لَتَعُودَ صِحَّتُهُ إِلَى الْبُطْلَانِ  
 فَاحْذَرْ غُرُورَ الْمَارِدِ الْخَوَّانِ  
 يَدْعُو إِلَى الْوَسْوَاسِ وَالْهَمَلَانِ  
 فَالْقَصْدُ وَالتَّوْفِيقُ مُصْطَحِبَانِ  
 لَمْ يُجْزِنَا حَجْرٌ وَلَا حَجْرَانِ  
 شَرَجًا تَضُمُّ عَلَيْهِ نَاحِيَتَانِ  
 لَمْ يُجْزِ إِلَّا الْمَاءُ بِالْإِمْعَانِ  
 أَوْ طُولِ نَوْمٍ أَوْ بِمَسِّ خِتَانِ  
 أَوْ نَفْخَةٍ فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ  
 مِنْ حَيْثُ يَبْدُو الْبَوْلُ يَنْحَدِرَانِ

حَتَّى يُضْمَّ لِنَفْخِهِ الْفَخْدَانِ  
هَاتَانِ بَيْنَتَانِ صَادِقَتَانِ  
دَفَقُ الْمَنِيِّ وَحَيْضَةُ النِّسْوَانِ  
حَالَانَ لِلتَّطْهِيرِ مُوجِبَتَانِ  
عِنْدَ الْجَمَاعِ إِذَا التَّقَى الْفَرْجَانِ  
فَهُمَا بِحُكْمِ الشَّرْعِ يَغْتَسِلَانِ  
وَالْأُنْثَيَانِ فَلَيْسَ يُفْتَرَضَانِ  
عِنْدَ انْقِطَاعِ الدَّمِّ يَغْتَسِلَانِ  
تِلْكَ اسْتِحَاضَةٌ بَعْدَ ذِي الشَّهْرَانِ  
وَالْمُسْتَحَاضَةُ دَهْرُهَا نِصْفَانِ  
وَدَمُ الْمَحِيضِ وَغَيْرُهُ لَوْنَانِ  
فَصَلَاتُهَا وَالصَّوْمُ مُفْتَرَضَانِ  
إِنَّ الصَّلَاةَ تَعُودُ كُلَّ زَمَانِ  
بَيْنَ النِّسَاءِ فَلَيْسَ يُطْرَحَانِ  
أَوْ لَا فَعَايَةُ طُهْرُهَا شَهْرَانِ  
حَرْتُ السَّبَاخِ خَسَارَةُ الْحِرْتَانِ  
أَوْ شَارِبًا أَوْ ظَالِمًا أَوْ زَانِي  
فَرَضُ إِذَا زَنِيََا عَلَى الْإِخْصَانِ  
لِلْمُخْصَنِينَ وَيُجْلَدُ الْبُكَرَانِ  
سَيِّانِ ذَلِكَ عِنْدَنَا سَيِّانِ  
وَكِلَاهُمَا لَا شَكَّ مُتَّبَعَانِ

٣٣٥- وَلَرُبَّمَا نَفَخَ الْخَبِيثُ بِمَكْرِهِ  
٣٣٦- وَيَبَيِّنُ ذَلِكَ صَوْتُهُ أَوْ رِيحُهُ  
٣٣٧- وَالْغُسْلُ فَرَضٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ  
٣٣٨- أَنْزَالُهُ فِي نَوْمَةٍ أَوْ يَقْظَةٍ  
٣٣٩- وَتَطَهُّرُ الزَّوْجَيْنِ فَرَضٌ وَاجِبٌ  
٣٤٠- فَكِلَاهُمَا إِنْ أَنْزَلَا أَوْ أَكْسَلَا  
٣٤١- وَاعْسَلُ إِذَا أَمْذَيْتَ فَرْجَكَ كُلَّهُ  
٣٤٢- وَالْحَيْضُ وَالنِّفْسَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ  
٣٤٣- وَإِذَا أَعَادَتْ بَعْدَ شَهْرَيْنِ الدَّمَا  
٣٤٤- فَلْتَغْتَسِلْ لِمَصَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا  
٣٤٥- فَالْنِّصْفُ تَتْرُكُ صَوْمَهَا وَصَلَاتَهَا  
٣٤٦- وَإِذَا صَفَا مِنْهَا وَأَشْرَقَ لَوْنُهُ  
٣٤٧- تَقْضِي الصِّيَامَ وَلَا تُعِيدُ صَلَاتَهَا  
٣٤٨- فَالشَّرْعُ وَالْقُرْآنُ قَدْ حَكَمَا بِهِ  
٣٤٩- وَمَتَى تَرَى النِّفْسَاءَ طُهْرًا تَغْتَسِلْ  
٣٥٠- مَسُّ النِّسَاءِ عَلَى الرِّجَالِ مُحَرَّمٌ  
٣٥١- لَا تَلْقَ رِيكَ سَارِقًا أَوْ خَائِنًا  
٣٥٢- قُلْ إِنْ رَجِمَ الزَّانِيَيْنِ كِلَيْهِمَا  
٣٥٣- وَالرَّجْمُ فِي الْقُرْآنِ فَرَضٌ لَازِمٌ  
٣٥٤- وَالْخَمْرُ يَحْرُمُ بَيْعُهَا وَشِرَاؤُهَا  
٣٥٥- فِي الشَّرْعِ وَالْقُرْآنِ حُرْمُ شُرْبِهَا

وَأَسْمَعُ هُدَيْتَ نَصِيحَتِي وَبَيَانِي  
وَخُرُوجَ دَجَّالٍ وَهَوْلِ دُخَانٍ  
مِنْ كُلِّ صَقْعٍ شَاسِعٍ وَمَكَانٍ  
يَقْضِي بِحُكْمِ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ  
يَسْمُ الْوَرَى بِالْكَفْرِ وَالْإِيمَانِ  
وَهُمَا لِعَقْدِ الدِّينِ وَاسْطَتَانِ  
إِذْ كُلُّ وَاحِدَةٍ لَهَا وَقْتَانِ  
وَأَقْلُ حُدِّ الْقَصْرِ مَرَحِلَتَانِ  
خَمْسُونَ مِيلًا نَقْضُهَا مِيلَانِ  
فَالْقَصْرُ وَالْإِفْطَارُ مَفْعُولَانِ  
فِي الْحَضَرِ وَالْأَسْفَارِ كَامِلَتَانِ  
فَالظُّهْرُ ثُمَّ الْعَصْرُ وَاجِبَتَانِ  
بِالْعَصْرِ وَالْوَقْتَانِ مُشْتَبِكَانِ  
وَخَشَعُ بَقْلِبٍ خَائِفٍ رَهْبَانِ  
وَعِشَاءَنَا وَقْتَانِ مُتَّصِلَانِ  
لَكِنْ لَهَا وَقْتَانِ مَفْرُودَانِ  
وَقْتُ لِكُلِّ مَطْوَلٍ مُتَوَانِ  
فَالضُّجْرُ عِنْدَ شُيُوخِنَا فَجْرَانِ  
وَلَرُبَّمَا فِي الْعَيْنِ يَشْتَبِهَانِ  
زَمَنُ الشِّتَا وَالصَّيْفِ مُخْتَلِفَانِ  
وَأَسْكُتُ إِذَا مَا كَانَ ذَا إِعْلَانِ

٣٥٦- أَيْقَنَ بِأَشْرَاطِ الْقِيَامَةِ كُلَّهَا  
٣٥٧- كَالشَّمْسِ تَطْلُعُ مِنْ مَكَانٍ غُرُوبِهَا  
٣٥٨- وَخُرُوجِ يَأْجُوجٍ وَمَأْجُوجٍ مَعَا  
٣٥٩- وَنُزُولِ عِيسَى قَاتِلًا دَجَّالَهُمْ  
٣٦٠- وَادْكَرُ خُرُوجِ فَصِيلِ نَاقَةِ صَالِحٍ  
٣٦١- وَالْوَحْيِ يُرْفَعُ وَالصَّلَاةُ مِنَ الْوَرَى  
٣٦٢- صَلِّ الصَّلَاةَ الْخَمْسَ أَوَّلَ وَقْتِهَا  
٣٦٣- قَصْرُ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُسَافِرِ وَاجِبٌ  
٣٦٤- كِلْتَاهُمَا فِي أَصْلِ مَذْهَبِ مَالِكٍ  
٣٦٥- وَإِذَا الْمُسَافِرُ غَابَ عَنْ أَبْيَاتِهِ  
٣٦٦- وَصَلَاةُ مَغْرِبِ شَمْسِنَا وَصَبَاحِنَا  
٣٦٧- وَالشَّمْسُ حِينَ تَزُولُ مِنْ كَبِدِ السَّمَاءِ  
٣٦٨- وَالظُّهْرُ آخِرُ وَقْتِهَا مُتَعَلِّقٌ  
٣٦٩- لَا تَلْتَفِتْ مَا دُمْتَ فِيهَا قَائِمًا  
٣٧٠- وَكَذَا الصَّلَاةُ غُرُوبِ شَمْسِ نَهَارِنَا  
٣٧١- وَالصُّبْحُ مُنْفَرِدٌ بِوَقْتِ مُفْرَدٍ  
٣٧٢- فَجَرٌّ وَإِسْفَارٌ وَبَيْنَ كِلَيْهِمَا  
٣٧٣- وَارْقُبْ طُلُوعَ الْفَجْرِ وَاسْتَيْقِنْ بِهِ  
٣٧٤- فَجَرٌّ كَذُوبٌ ثُمَّ فَجَرٌّ صَادِقٌ  
٣٧٥- وَالظِّلُّ فِي الْأَزْمَانِ مُخْتَلِفٌ كَمَا  
٣٧٦- فَاقْرَأْ إِذَا قَرَأَ الْإِمَامُ مُحَافِتًا

قَبْلَ السَّلَامِ وَبَعْدَهُ قَوْلَانِ  
فَاسْأَلْ شُيُوخَ الْفِقْهِ وَالْإِحْسَانِ  
مَا إِنْ تَخَالَفَ فِيهِمَا رَجُلَانِ  
تَسْلِيْمُهُمَا وَكِلَاهُمَا فَرَضَانِ  
آيَاتُهَا سَبْعٌ وَهُنَّ مَثَانِي  
فِيهَا بِبَسْمَلَةٍ فَخُذْ تَبْيَانِي  
فَاسْتَوْفِ رَكَعَاتَهَا بِغَيْرِ تَوَانٍ  
فَكِلَاهُمَا فِعْلَانِ مُحْمُودَانِ  
فَكِلَاهُمَا أَمْرَانِ مَذْمُومَانِ  
وَهُمَا لِدَيْنٍ مُحَمَّدٍ عَقْدَانِ  
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَبَيَّنَ الضَّجْرَانِ  
مِنْ أَجْلِ يَقْظَةِ غَافِلٍ وَسَنَانِ  
بِتَطْمَؤُنٍ وَتَرْفُقٍ وَتَدَانِ  
فَالْإِحْتِقَانُ يُخْلُ بِالْأَرْكَانِ  
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَيَّزَ الْخَيْطَانِ  
إِذْ لَيْسَ مُخْتَلِطًا بِعَقْدِ ثَانٍ  
مَا حَالُهُ يَوْمٌ وَلَا يَوْمَانِ  
تَأْخِيرُ صَوْمِهِمَا لَوْقَتِ ثَانٍ  
فِي فِطْرِهِ لِنِسَائِنَا عُذْرَانِ  
فَكِلَاهُمَا أَمْرَانِ مَرْغُوبَانِ  
أَطْبِقْ عَلَى عَيْنَيْكَ بِالْأَجْفَانِ

٣٧٧- وَلِكُلِّ سَهْوٍ سَجْدَتَانِ فَصَلَّاهَا  
٣٧٨- سُنُّ الصَّلَاةِ مُبَيَّنَةٌ وَفَرُوضُهَا  
٣٧٩- فَرَضُ الصَّلَاةِ رُكُوعُهَا وَسُجُودُهَا  
٣٨٠- تَحْرِيمُهَا تَكْبِيرُهَا وَحَالَاتُهَا  
٣٨١- وَالْحَمْدُ فَرَضٌ فِي الصَّلَاةِ قِرَاءَتُهَا  
٣٨٢- فِي كُلِّ رَكَعَاتِ الصَّلَاةِ مُعَادَةٌ  
٣٨٣- وَإِذَا نَسِيتَ قِرَاءَتَهَا فِي رَكَعَةٍ  
٣٨٤- اتَّبِعْ إِمَامَكَ خَافِضًا أَوْ رَافِعًا  
٣٨٥- لَا تَرْفَعَنَّ قَبْلَ الْإِمَامِ وَلَا تَضَعْ  
٣٨٦- إِنَّ الشَّرِيعَةَ سُنَّةٌ وَفَرِيضَةٌ  
٣٨٧- لَكِنْ أَذَانُ الصُّبْحِ عِنْدَ شُيُوخِنَا  
٣٨٨- هِيَ رُخْصَةٌ فِي الصُّبْحِ لَا فِي غَيْرِهَا  
٣٨٩- أَحْسِنْ صَلَاتَكَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا  
٣٩٠- لَا تَدْخُلَنَّ إِلَى صَلَاتِكَ حَاقِنًا  
٣٩١- بَيْتٌ مِنَ اللَّيْلِ الصِّيَامَ بِنِيَّةٍ  
٣٩٢- يُجْزِيكَ فِي رَمَضَانَ نِيَّةٌ لَيْلَةٍ  
٣٩٣- رَمَضَانُ شَهْرٌ كَامِلٌ فِي عَقْدِنَا  
٣٩٤- إِلَّا الْمُسَافِرُ وَالْمَرِيضُ فَقَدْ أَتَى  
٣٩٥- وَكَذَلِكَ حَمْلُ الرِّضَاعِ كِلَاهُمَا  
٣٩٦- عَجَلٌ بِفِطْرِكَ وَالسُّحُورُ مُؤَخَّرٌ  
٣٩٧- حَصِّنْ صِيَامَكَ بِالسُّكُوتِ عَنِ الْخَنَاءِ

٣٩٨- لَا تَمْشِ ذَا وَجْهَيْنِ مِنْ بَيْنِ الْوَرَى  
 ٣٩٩- لَا تَحْسُدَنَّ أَحَدًا عَلَى نَعْمَائِهِ  
 ٤٠٠- لَا تَسْعَ بَيْنَ الصَّاحِبَيْنِ نَمِيمَةً  
 ٤٠١- وَالْعَيْنُ حَقٌّ غَيْرُ سَابِقَةٍ لِمَا  
 ٤٠٢- وَالسَّحَرُ كُفْرٌ فِعْلُهُ لَا عِلْمُهُ  
 ٤٠٣- وَالْقَتْلُ حَدُّ السَّاجِرِينَ إِذَا هُمْ  
 ٤٠٤- وَتَحَرَّبَ بَرُّ الْوَالِدَيْنِ فَإِنَّهُ  
 ٤٠٥- لَا تَخْرُجَنَّ عَلَى الْإِمَامِ مُحَارِبًا  
 ٤٠٦- وَمَتَى أُمِرْتَ بِبِدْعَةٍ أَوْ زَلَّةٍ  
 ٤٠٧- الدِّينُ رَأْسُ الْمَالِ فَاسْتَمْسِكْ بِهِ  
 ٤٠٨- لَا تَخُلْ بِأَمْرَةٍ لَدَيْكَ بِرِيَّةٍ  
 ٤٠٩- إِنَّ الرِّجَالَ النَّاطِرِينَ إِلَى النِّسَاءِ  
 ٤١٠- إِنْ لَمْ تَصُنْ تِلْكَ اللَّحُومَ أُسُودَهَا  
 ٤١١- لَا تَقْبَلَنَّ مِنَ النِّسَاءِ مَوَدَّةً  
 ٤١٢- لَا تَتْرُكَنَّ أَحَدًا بِأَهْلِكَ خَالِيًا  
 ٤١٣- وَاغْضُضْ جُفُونَكَ عَنْ مَلَا حِظَةِ النِّسَاءِ  
 ٤١٤- لَا تَجْعَلَنَّ طَلَاقَ أَهْلِكَ عُرْضَةً  
 ٤١٥- إِنْ الطَّلَاقَ مَعَ انْعِتَاقٍ كِلَاهُمَا  
 ٤١٦- وَاحْفَظْ لِسْرَكَ فِي فُؤَادِكَ مَلْحَدًا  
 ٤١٧- إِنْ الصَّدِيقَ مَعَ الْعَدُوِّ كِلَاهُمَا  
 ٤١٨- لَا يَبْدُ مِنْكَ إِلَى صَدِيقِكَ زَلَّةٌ

شَرُّ الْبَرِيَّةِ مَنْ لَهُ وَجْهَانِ  
 إِنْ الْحُسُودَ لِحُكْمِ رَبِّكَ شَانِي  
 فَلْأَجْلِهَا يَتَبَاغَضُ الْخِلَآنُ  
 يُقْضَى مِنَ الْأَرْزَاقِ وَالْحِرْمَانِ  
 مِنْ هَاهُنَا يَتَضَرَّقُ الْحُكْمَانِ  
 عَمِلُوا بِهِ لِلْكَفْرِ وَالطُّغْيَانِ  
 فَرَضَ عَلَيْكَ وَطَاعَةُ السُّلْطَانِ  
 وَلَوْ أَنَّهُ رَجُلٌ مِنَ الْحُبْشَانِ  
 فَاهْرُبْ بِدِينِكَ آخِرَ الْبُلْدَانِ  
 فَضْيَاعُهُ مِنْ أَعْظَمِ الْخُسْرَانِ  
 لَوْ كُنْتَ فِي النُّسَاكِ مِثْلَ بُنَانٍ  
 مِثْلُ الْكِلَابِ تَطُوفُ بِاللُّحْمَانِ  
 أَكَلْتَ بِلَا عَوْضٍ وَلَا أَثْمَانٍ  
 فَقُلُوبُهُنَّ سَرِيعَةُ الْمِيلَانِ  
 فَعَلَى النِّسَاءِ تَقَاتَلَ الْأَخْوَانِ  
 وَمَحَاسِنِ الْأَحْدَاثِ وَالصَّبِيَّانِ  
 إِنْ الطَّلَاقَ لَأَخْبَثُ الْأَيْمَانِ  
 قَسَمَانِ عِنْدَ اللَّهِ مَمْقُوتَانِ  
 وَادْفِنْهُ فِي الْأَحْشَاءِ أَيَّ دِفَانٍ  
 فِي السَّرِّ عِنْدَ أُولَى النُّهَى شَكْلَانِ  
 وَاجْعَلْ فُؤَادَكَ أَوْثَقَ الْخِلَآنِ

فَالْقَطْرُ مِنْهُ تَدْفُقُ الْخِلْجَانِ  
فَالنَّذْرُ مِثْلُ الْعَهْدِ مَسْئُولَانِ  
عَنْ عَيْبِ نَفْسِكَ إِنَّهُ عَيْبَانِ  
إِنَّ الْجِدَالَ يُخِلُّ بِالْأَذْيَانِ  
تَدْعُو إِلَى الشَّحْنَاءِ وَالشَّنَّانِ  
لَكَ مَهْرِيًّا وَتَلَاَقَتِ الصَّفَّانِ  
وَالشَّرْعَ سَيْفَكَ وَابْدُ فِي الْمَيْدَانِ  
وَارْكَبْ جَوَادَ الْعَزْمِ فِي الْجَوْلَانِ  
فَالصَّبْرُ أَوْثَقُ عُودَةِ الْإِنْسَانِ  
لِلَّهِ دُرُّ الْفَارِسِ الطَّعَانِ  
مُتَجَرِّدٌ لِلَّهِ غَيْرِ جَبَانِ  
كَالتَّغْلِبِ الْبَرِّيِّ فِي الرُّوْعَانِ  
حُسْنُ الْجَوَابِ بِأَحْسَنِ التَّبْيَانِ  
لَفْظُ السُّؤَالِ كِلَاهُمَا عَيْبَانِ  
فَالْعُجْبُ يُخِمِدُ جَمْرَةَ الْإِحْسَانِ  
ثُمَّ انْتَنَى فَسَطًا عَلَى الْفُرْسَانِ  
فَلَرِيْمًا الْقَوُوكَ فِي بُحْرَانِ  
فَاقْبُتْ وَلَا تَنْكُلْ عَنِ الْبُرْهَانِ  
إِنَّ الْبَلَاعَةَ لُجِّمَتْ بِبَيَانِ  
فَكِلَاهُمَا خُلُقَانِ مَذْمُومَانِ  
فَكِلَاهُمَا لَا شَكَّ مُنْقَطِعَانِ

٤١٩- لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الذُّنُوبِ صِغَارَهَا  
٤٢٠- وَإِذَا نَذَرْتَ فَكُنْ بِنَذْرِكَ مُوفِيًّا  
٤٢١- لَا تُشْغَلَنَّ بِعَيْبِ غَيْرِكَ غَافِلًا  
٤٢٢- لَا تُفْنِ عُمْرَكَ فِي الْجِدَالِ مُخَاصِمًا  
٤٢٣- وَاحْذَرْ مُجَادِلَةَ الرِّجَالِ فَإِنَّهَا  
٤٢٤- وَإِذَا اضْطُرَرْتَ إِلَى الْجِدَالِ وَلَمْ تَجِدْ  
٤٢٥- فَاجْعَلْ كِتَابَ اللَّهِ دِرْعًا سَابِغًا  
٤٢٦- وَالسُّنَّةَ الْبَيْضَاءَ دُونَكَ جُنَّةً  
٤٢٧- وَاقْبُتْ بِصَبْرِكَ تَحْتَ أَلْوِيَةِ الْهُدَى  
٤٢٨- وَاطْعَنْ بِرُمَحِ الْحَقِّ كُلَّ مُعَانِدٍ  
٤٢٩- وَاحْمِلْ بِسَيْفِ الصِّدْقِ حَمَلَةَ مُخْلِصٍ  
٤٣٠- وَاحْذَرْ بِجُهِدِكَ مَكْرَ خَصْمِكَ إِنَّهُ  
٤٣١- أَضْلُ الْجِدَالِ مِنَ السُّؤَالِ وَفَرَعُهُ  
٤٣٢- لَا تَلْتَفِتْ عِنْدَ السُّؤَالِ وَلَا تُعَدِّ  
٤٣٣- وَإِذَا غَلَبْتَ الْخَصْمَ لَا تَهْزَأْ بِهِ  
٤٣٤- فَلَرِيْمًا انْهَزِمِ الْمُحَارِبُ عَامِدًا  
٤٣٥- وَاسْكُتْ إِذَا وَقَعَ الْخُصُومُ وَقَعْقَعُوا  
٤٣٦- وَلَرِيْمًا ضَحِكَ الْخُصُومُ لِدَهْشَةٍ  
٤٣٧- فَإِذَا أَطَالُوا فِي الْكَلَامِ فَقُلْ لَهُمْ  
٤٣٨- لَا تَغْضَبْنِ إِذَا سُئِلْتَ وَلَا تَصِحْ  
٤٣٩- وَإِذَا انْقَلَبْتَ عَنِ السُّؤَالِ مُجَاوِبًا

٤٤٠- وَاحْدَرْ مُنَاطِرَةً بِمَجْلِسِ خِيْفَةٍ  
 ٤٤١- نَاطِرْ أَدِيْبًا مُنْصِيفًا لَكَ عَاقِلًا  
 ٤٤٢- وَيَكُونُ بَيْنَكُمَا حَكِيمٌ حَاكِمًا  
 ٤٤٣- كُنْ طُولَ دَهْرِكَ سَاكِتًا مُتَوَاضِعًا  
 ٤٤٤- وَاخْلَعْ رِدَاءَ الْكِبَرِ عَنْكَ فَإِنَّهُ  
 ٤٤٥- كُنْ فَاعِلًا لِلْخَيْرِ قَوَّالًا لَهُ  
 ٤٤٦- مِنْ غَوْتٍ مَلْهُوفٍ وَشَبْعَةٍ جَائِعٍ  
 ٤٤٧- فَإِذَا عَمِلْتَ الْخَيْرَ لَا تَمْنُنْ بِهِ  
 ٤٤٨- اشْكُرْ عَلَى النِّعْمَاءِ وَاصْبِرْ لِلْبَلَاءِ  
 ٤٤٩- لَا تَشْكُونَنَّ بِعِلَّةٍ أَوْ قِلَّةٍ  
 ٤٥٠- صُنْ حُرَّ وَجْهَكَ بِالْقَنَاعَةِ إِنَّمَا  
 ٤٥١- بِاللَّهِ ثِقٌ وَلَهُ أَنْبٌ وَبِهِ اسْتَعْنُ  
 ٤٥٢- وَإِذَا عَصَيْتَ فَتُبْ لِرَبِّكَ مُسْرِعًا  
 ٤٥٣- وَإِذَا ابْتَلَيْتَ بِعُسْرَةٍ فَاصْبِرْ لَهَا  
 ٤٥٤- لَا تَحْشُ بَطْنَكَ بِالطَّعَامِ تَسْمُنًا  
 ٤٥٥- لَا تَتَّبِعْ شَهَوَاتِ نَفْسِكَ مُسْرِفًا  
 ٤٥٦- أَقْلِلْ طَعَامَكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ  
 ٤٥٧- وَامْلِكْ هَوَاكَ بِضَبْطِ بَطْنِكَ إِنَّهُ  
 ٤٥٨- وَمَنْ اسْتَدَلَّ لِفَرْجِهِ وَلِبَطْنِهِ  
 ٤٥٩- حِصْنُ التَّدَاوِي الْمَجَاعَةُ وَالظُّلْمَا  
 ٤٦٠- أَظْمَى نَهَارَكَ تَرَوْ فِي دَارِ الْعُلَا

حَتَّى تُبَدِّلَ خِيْفَةً بِأَمَانٍ  
 وَأَنْصِفْهُ أَنْتَ بِحَسَبِ مَا تَرِيَانِ  
 عَدْلًا إِذَا جِئْتَاهُ تَحْتَكِيمَانِ  
 فَهُمَا لِكُلِّ فَضِيلَةٍ بَابَانِ  
 لَا يَسْتَقِلُّ بِحَمْلِهِ الْكَتِفَانِ  
 فَالْقَوْلُ مِثْلُ الْفِعْلِ مُقْتَرِنَانِ  
 وَدَثَارِ غُرَيَّانِ وَفِدْيَةٍ عَانِ  
 لَا خَيْرَ فِي مُتَمَدِّحٍ مَنَّانِ  
 فَكِلَاهُمَا خُلُقَانِ مَمْدُوحَانِ  
 فَهُمَا لِعَرْضِ الْمَرْءِ فَاضِحَتَانِ  
 صَوْنُ الْوُجُوهِ مُرُوءَةُ الْفُتَيَّانِ  
 فَإِذَا فَعَلْتَ فَأَنْتَ خَيْرُ مُعَانِ  
 حَذَرُ الْمَمَامَاتِ وَلَا تَقُلْ لَمْ يَانَ  
 فَالْعُسْرُ فَرْدٌ بَعْدَهُ يُسْرَانِ  
 فَجُسُومُ أَهْلِ الْعِلْمِ غَيْرُ سَمَانِ  
 فَاللَّهُ يُبْغِضُ عَابِدًا شَهْوَانِي  
 نَفْعُ الْجُسُومِ وَصِحَّةُ الْأَبْدَانِ  
 شَرُّ الرِّجَالِ الْعَاجِزُ الْبَطْنَانِ  
 فَهُمَا لَهُ مَعَ ذَا الْهَوَى بَطْنَانِ  
 وَهُمَا لِمَكَ نَفُوسِنَا قَيْدَانِ  
 يَوْمًا يَطُولُ تَلَهُفُ الْعَطْشَانِ



٤٦١- حُسْنُ الْغِذَاءِ يَنْوُبُ عَنْ شُرْبِ الدَّوَا  
 ٤٦٢- إِيَّاكَ وَالْغَضَبَ الشَّدِيدَ عَلَى الدَّوَا  
 ٤٦٣- دَبَّرَ دَوَاءَكَ قَبْلَ شُرْبِكَ وَلِيَكُنْ  
 ٤٦٤- وَتَدَاوِيَ بِالْعَسَلِ الْمُصَفَّى وَاحْتَجِمْ  
 ٤٦٥- لَا تَدْخُلِ الْحَمَّامَ شَبَعَانَ الْحَشَا  
 ٤٦٦- وَالنَّوْمُ فَوْقَ السَّطْحِ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ  
 ٤٦٧- لَا تُفْنِ عُمْرَكَ فِي الْجَمَاعِ فَإِنَّهُ  
 ٤٦٨- أَخَذَرَكَ مِنْ نَفْسِ الْعَجُوزِ وَيُضَعِّهَا  
 ٤٦٩- عَانِقُ مِنَ النِّسْوَانِ كُلِّ فَتِيَّةٍ  
 ٤٧٠- لَا خَيْرَ فِي صُورِ الْمَعَارِضِ كُلِّهَا  
 ٤٧١- إِنَّ التَّقِيَّ لِرَبِّهِ مُتَنَزَّةٌ  
 ٤٧٢- وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ مِنْ أَهْلِ التَّقَى  
 ٤٧٣- أَشْهُى وَأَوْفَى لِلنَّفُوسِ حِلَاوَةٌ  
 ٤٧٤- وَحَنِينُهُ فِي اللَّيْلِ أَطْيَبُ مَسْمَعٍ  
 ٤٧٥- أَعْرِضْ عَنِ الدُّنْيَا الدُّنْيَا زَاهِدًا  
 ٤٧٦- زُهْدٌ عَنِ الدُّنْيَا وَزُهْدٌ فِي الشَّأْنِ  
 ٤٧٧- لَا تَنْتَهَبْ مَالَ الْيَتَامَى ظَالِمًا  
 ٤٧٨- وَاحْفَظْ لِحَارِكَ حَقَّهُ وَذِمَامَهُ  
 ٤٧٩- وَاضْحَكْ لِضَيْفِكَ حِينَ يَنْزِلُ رَحْلَهُ  
 ٤٨٠- وَاصِلْ ذَوِي الْأَرْحَامِ مِنْكَ وَإِنْ جَفَوْا  
 ٤٨١- وَاصْدُقْ وَلَا تَحْلِفْ بِرَبِّكَ كَاذِبًا

سِيمَا مَعَ التَّقْلِيلِ وَالْإِذْمَانِ  
 فَلَرُبَّمَا أَفْضَى إِلَى الْخِذْلَانِ  
 مُتَأَلِّفَ الْأَجْزَاءِ وَالْأَوْزَانِ  
 فَهُمَا لِدَائِكَ كُلِّهِ بُرْءَانِ  
 لَا خَيْرَ فِي الْحَمَّامِ لِلشَّبَعَانِ  
 يُفْنِي وَيُذْهِبُ نَضْرَةَ الْأَبْدَانِ  
 يَكْسُو الْوُجُوهَ بِحُلَّةِ الْيَرْقَانِ  
 فَهُمَا لِحِسْمِ ضَجِيعِهَا سُقْمَانِ  
 أَنْفَاسُهَا كَرَوَائِحِ الرِّيحَانِ  
 وَالرَّقْصِ وَالْإِيْقَاعِ فِي الْقُضْبَانِ  
 عَنْ صَوْتِ أَوْتَارٍ وَسَمْعِ أَغَانِ  
 سِيمَا بِحُسْنِ شَجَا وَحُسْنِ بَيَانِ  
 مِنْ صَوْتِ مِزْمَارٍ وَنَقْرِ مِثَانِ  
 مِنْ نَغْمَةِ النَّايَاتِ وَالْعِيدَانِ  
 فَالزُّهْدُ عِنْدَ أُولِي النَّهْيِ زُهْدَانِ  
 طُوبَى لِمَنْ أَمْسَى لَهُ الزُّهْدَانِ  
 وَدَعَ الرِّيَا فَكِلَاهُمَا فِسْقَانِ  
 وَلِكُلِّ جَارٍ مُسْلِمٍ حَقَّانِ  
 إِنَّ الْكَرِيمَ يُسَرُّ بِالضَّيْفَانِ  
 فَوِصَالُهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْهَجْرَانِ  
 وَتَحَرَّرْ فِي كَفَّارَةِ الْإِيْمَانِ

٤٨٢- وَتَوَقَّ أَيَّامَانَ الْغَمُوسِ فَإِنَّهَا  
 ٤٨٣- حَدُّ النِّكَاحِ مِنَ الْحَرَائِرِ أَرْبَعُ  
 ٤٨٤- لَا تَنْكِحَنَّ مُحَدَّةً فِي عِدَّةٍ  
 ٤٨٥- عِدَّةُ النِّسَاءِ لَهَا فَرَائِضُ أَرْبَعُ  
 ٤٨٦- تَطْلِيقُ زَوْجٍ دَاخِلٍ أَوْ مَوْتُهُ  
 ٤٨٧- وَحُدُودُهُنَّ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْرُو  
 ٤٨٨- وَكَذَاكَ عِدَّةٌ مَنْ تُوَفِّي زَوْجَهَا  
 ٤٨٩- عِدَّةُ الْحَوَامِلِ مِنْ طَلَاقٍ أَوْ فَنَاءِ  
 ٤٩٠- وَكَذَاكَ حُكْمُ السَّقَطِ فِي إِسْقَاطِهِ  
 ٤٩١- مَنْ لَمْ تَحْضِ أَوْ مَنْ تَقَلَّصَ حَيْضُهَا  
 ٤٩٢- كِلْتَاهُمَا تَبْقَى ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ  
 ٤٩٣- عِدَّةُ الْجَوَارِ مِنَ الطَّلَاقِ بِحَيْضَةٍ  
 ٤٩٤- فَبِطَلْقَتَيْنِ تَبِينُ مِنْ زَوْجٍ لَهَا  
 ٤٩٥- وَكَذَا الْحَرَائِرُ فَالثَّلَاثُ تَبِينُهَا  
 ٤٩٦- فَلْتَنْكِحَا زَوْجِيَهُمَا عَنْ غِبْطَةٍ  
 ٤٩٧- حَتَّى إِذَا امْتَزَجَ النِّكَاحُ بِدَلْسَةٍ  
 ٤٩٨- إِيَّاكَ وَالتَّيْسَ الْمُحَلَّلَ إِنَّهُ  
 ٤٩٩- لَعَنَ النَّبِيُّ مُحَلَّلًا وَمُحَلَّلًا  
 ٥٠٠- لَا تَضْرِبَنَّ أَمَةً وَلَا عَبْدًا جَنَى  
 ٥٠١- أَعْرِضْ عَنِ النِّسْوَانِ جُهْدَكَ وَانْتَدِبْ  
 ٥٠٢- فِي جَنَّةٍ طَابَتْ وَطَابَ نَعِيمُهَا

تَدْعُ الدِّيَارَ بِلَاقِعِ الْحَيْطَانِ  
 فَاطْلُبْ ذَوَاتِ الدِّينِ وَالْإِخْصَانِ  
 فَنِكَاحُهَا وَزِنَاؤُهَا شَبَهَانِ  
 لَكِنْ يَضُمُّ جَمِيعَهَا أَضْلَانِ  
 قَبْلَ الدُّخُولِ وَيَعْدُهُ سَيَّانِ  
 أَوْ أَشْهُرٍ وَكِلَاهُمَا جِسْرَانِ  
 سَبْعُونَ يَوْمًا بَعْدَهَا شَهْرَانِ  
 وَضَعُ الْأَجْنَةِ صَارِخًا أَوْ فَانِي  
 حُكْمُ التَّمَامِ كِلَاهُمَا وَضْعَانِ  
 قَدْ صَحَّ فِي كِلْتَيْهِمَا الْعِدْدَانِ  
 حُكْمَاهُمَا فِي النَّصِّ مُسْتَوِيَانِ  
 وَمِنْ الْوَفَاةِ الْخُمْسُ وَالشَّهْرَانِ  
 لَا رَدَّ إِلَّا بَعْدَ زَوْجٍ ثَانِ  
 فَيُحِلُّ تِلْكَ وَهَذِهِ زَوْجَانِ  
 وَرِضًا بِلَا دَلْسٍ وَلَا عِضْيَانِ  
 فَهُمَا مَعَ الزَّوْجَيْنِ زَانِيَتَانِ  
 وَالْمُسْتَحِلُّ لِرَدِّهَا تَيْسَانِ  
 فَكِلَاهُمَا فِي الشَّرْعِ مَلْعُونَانِ  
 فَكِلَاهُمَا بِيَدَيْكَ مَأْسُورَانِ  
 لِعِنَاقِ خَيْرَاتِ هُنَاكَ حَسَانِ  
 مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ بِهَا زَوْجَانِ

مَحْضُوفَةٌ بِالنَّخْلِ وَالرُّمَانِ  
وَقُصُورُهَا مِنْ خَالِصِ الْعُقَيَانِ  
شُبَّهْنَ بِالْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ  
حُمَرُ الْخُدُودِ عَوَاتِقُ الْأَجْفَانِ  
هَيْفُ الْخُصُورِ نَوَاعِمُ الْأَبْدَانِ  
صُفْرُ الْحُلِيِّ عَوَاطِرُ الْأَرْدَانِ  
فِي دَارِ عَدْنٍ فِي مَحَلِّ أَمَانٍ  
بِأَنَامِلِ الْخُدَامِ وَالْوُلْدَانِ  
وَهُمَا فَوْيْقَ الْفُرْشِ مُتَكَيِّانِ  
وَهُمَا بِلَذَّةِ شَرِبِهَا فَرِحَانِ  
وَكِلَاهُمَا بِرُضَابِهَا حُلْوَانِ  
وَهُمَا بِثَوْبِ الْوَصْلِ مُشْتَمِلَانِ  
إِخْوَانُ صِدْقِ أَيْمَانِ إِيَّاهُ  
أَكْرَمَ بِهِمْ فِي صَفْوَةِ الْجِيرَانِ  
وَالْمُقَلَّتَانِ إِلَيْهِ نَاطِرَتَانِ  
وَعَلَى الْمَفَارِقِ أَحْسَنُ التَّيْجَانِ  
أَوْ فِضَّةٍ مِنْ خَالِصِ الْعُقَيَانِ  
مِنْ فِضَّةٍ كُسِيتَ بِهَا الزُّنْدَانِ  
كَالْبُخْتِ يُطْعَمُ سَائِرَ الْأَلْوَانِ  
سَبْعُونَ أَلْفًا فَوْقَ أَلْفِ خَوَانِ  
شَوْقُ الْغَرِيبِ لِرُؤْيَا الْأَوْطَانِ

٥٠٣- أَنَهَارُهَا تَجْرِي لَهُمْ مِنْ تَحْتِهِمْ  
٥٠٤- غُرَفَاتُهَا مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَيْرَجِدٍ  
٥٠٥- قَصِرَتْ بِهَا لِلْمُتَّقِينَ كَوَاعِبُ  
٥٠٦- بَيْضُ الْوُجُوهِ شُعُورُهُنَّ حَوَالِكُ  
٥٠٧- فُلُجُ الثُّغُورِ إِذَا ابْتَسَمْنَ ضَوَاحِكًا  
٥٠٨- خَضِرُ الثِّيَابِ ثُدِيَهُنَّ نَوَاهِدُ  
٥٠٩- طُوبَى لِقَوْمٍ هُنَّ أَزْوَاجُ لَهُمْ  
٥١٠- يُسْقَوْنَ مِنْ حَمَرٍ لَذِيذِ شَرِبِهَا  
٥١١- لَوْ تَنْظُرُ الْحَوْرَاءُ عِنْدَ وَلِيِّهَا  
٥١٢- يَتَنَازَعَانِ الْكَأْسَ فِي أَيْدِيهِمَا  
٥١٣- وَلَرُبَّمَا تَسْقِيهِ كَأْسًا ثَانِيًا  
٥١٤- يَتَحَدَّثَانِ عَلَى الْأَرَائِكِ خَلْوَةً  
٥١٥- أَكْرَمَ بَجَنَاتِ النَّعِيمِ وَأَهْلِهَا  
٥١٦- جِيرَانُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحَزْبُهُ  
٥١٧- هُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَهُ وَيَرَوْنَهُ  
٥١٨- وَعَلَيْهِمْ فِيهَا مَلَابِسُ سُندُسٍ  
٥١٩- تَيْجَانُهُمْ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَيْرَجِدٍ  
٥٢٠- وَخَوَاتِمُ مِنْ عَسَجِدٍ وَأَسَاوِرُ  
٥٢١- وَطَعَامُهُمْ مِنْ لَحْمِ طَيْرٍ نَاعِمٍ  
٥٢٢- وَصِحَافُهُمْ ذَهَبٌ وَدُرٌّ فَائِقُ  
٥٢٣- إِنْ كُنْتَ مُشْتَاقًا لَهَا كَلِذَا بِهَا

٥٢٤- كُنْ مُحْسِنًا فِيمَا اسْتَطَعْتَ فَرِيْمًا  
 ٥٢٥- وَاعْمَلْ لِحَبَاتِ النِّعَمِ وَطَيِّبِهَا  
 ٥٢٦- أَدِمِ الصِّيَامَ مَعَ الْقِيَامِ تَعَبُّدًا  
 ٥٢٧- قُمْ فِي الدُّجَى وَاتْلُ الْكِتَابَ وَلَا تَنَمْ  
 ٥٢٨- فَلَرِيْمًا تَأْتِي الْمَنِيَّةُ بَغْتَةً  
 ٥٢٩- يَا حَبْدًا عَيْنَانِ فِي غَسَقِ الدُّجَى  
 ٥٣٠- لَا تَقْذِفَنَّ الْمُحْصَنَاتِ وَلَا تَقُلْ  
 ٥٣١- لَا تَدْخُلَنَّ بُيُوتَ قَوْمٍ حُضِرَ  
 ٥٣٢- لَا تَجْزَعَنَّ إِذَا دَهَتْكَ مُصِيبَةٌ  
 ٥٣٣- فَإِذَا ابْتَلَيْتَ بِنَكْبَةٍ فَاصْبِرْ لَهَا  
 ٥٣٤- وَعَلَيْكَ بِالْفَقْهِ الْمُبِينِ شَرْعًا  
 ٥٣٥- عِلْمُ الْحِسَابِ وَعِلْمُ شَرْعِ مُحَمَّدٍ  
 ٥٣٦- ثَوَلَا الْفَرَائِضَ ضَاعَ مِيرَاثُ الْوَرَى  
 ٥٣٧- ثَوَلَا الْحِسَابَ وَضُرِبَهُ وَكُسُورُهُ  
 ٥٣٨- لَا تَلْتَمِسْ عِلْمَ الْكَلَامِ فَإِنَّهُ  
 ٥٣٩- لَا يَصْحَبُ الْبِدْعِيَّ إِلَّا مِثْلُهُ  
 ٥٤٠- عِلْمُ الْكَلَامِ وَعِلْمُ شَرْعِ مُحَمَّدٍ  
 ٥٤١- أَخَذُوا الْكَلَامَ عَنِ الْفَلَاسِفَةِ الْأَلَى  
 ٥٤٢- حَمَلُوا الْأُمُورَ عَلَى قِيَاسِ عُقُولِهِمْ  
 ٥٤٣- مُرْجِيَهُمْ يُزْرِي عَلَى قَدَرِهِمْ  
 ٥٤٤- وَيَسْبُ مُخْتَارِيَهُمْ دَوْرِيَهُمْ

تُجْزَى عَنِ الْإِحْسَانِ بِالْإِحْسَانِ  
 فَنَعِيمُهَا يَبْقَى وَلَيْسَ بِضَانِ  
 فَكِلَاهُمَا عَمَلَانِ مَقْبُولَانِ  
 إِلَّا كَنُومَةٍ حَائِرٍ وَتَهَانِ  
 فَتُسَاقُ مِنْ فُرْشٍ إِلَى الْأَكْفَانِ  
 مِنْ خَشْيَةِ الرَّحْمَنِ بَاكِتَانِ  
 مَا لَيْسَ تَعْلَمُهُ مِنَ الْبُهْتَانِ  
 إِلَّا بِنَحْنَحَةٍ أَوْ اسْتِئْذَانِ  
 إِنَّ الصَّبُورَ ثَوَابُهُ ضِعْفَانِ  
 اللَّهُ حَسْبِي وَخُدَّةُ وَكَفَانِي  
 وَفَرَائِضِ الْمِيرَاثِ وَالْقُرْآنِ  
 عِلْمَانِ مَطْلُوبَانِ مُتَّبَعَانِ  
 وَجَرَى خِصَامُ الْوُلْدِ وَالشَّيْبَانِ  
 لَمْ يَنْقَسِمِ سَهْمٌ وَلَا سَهْمَانِ  
 يَدْعُو إِلَى التَّعْطِيلِ وَالْهَيْمَانِ  
 تَحْتَ الدُّخَانِ تَأْجُجُ النَّيْرَانِ  
 يَتَغَايِرَانِ وَلَيْسَ يَشْتَبِهَانِ  
 جَحَدُوا الشَّرَائِعَ غِرَّةً وَأَمَانِ  
 فَتَبَلَّدُوا كَتَبَلِدِ الْحَايِرَانِ  
 وَالْفِرْقَتَانِ لَدَيَّ كَافِرَتَانِ  
 وَالْقَرْمَطِيُّ مُلَاعِنُ الرُّفْضَانِ

وَكِلَاهُمَا يَرْوِي عَنْ ابْنِ أَبَانَ  
مِثْلَ السَّرَابِ يُلُوحُ لِلظَّمْآنِ  
يَتَنَاقَرُونَ تَنَاقَرَ الْغَرِيَانِ  
وَيَتِيَهُ تَيْهَ الْوَالِيهِ الْهَيْمَانِ  
وَلَهُ الثَّنَا مِنْ قَوْلِهِمْ بَرَّانِي  
قَذَفَتْ بِهِ الْأَهْوَاءُ فِي غُدْرَانِ  
فِيمَا بِهِ يَتَصَرَّفُ الْمَلَوَانِ  
بِخَوَاطِرِ الْأَوْهَامِ وَالْأَذْهَانِ  
مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ وَلَا هَذِيَانِ  
وَكِلَاهُمَا فِي شَرْعِنَا عَلَمَانِ  
وَلَرَيْنَا عَيْنَانِ نَاطِرَتَانِ  
وَيَمِينُهُ جَلَّتْ عَنِ الْإِيمَانِ  
وَهُمَا عَلَى الثَّقَلَيْنِ مُنْفِقَتَانِ  
وَالْأَرْضُ وَهُوَ يَعْمُهُ الْقَدَمَانِ  
وَالْكَيفُ مُمْتَنِعٌ عَلَى الرَّحْمَنِ  
لِسَمَائِهِ الدُّنْيَا بِلَا كِثْمَانِ  
فَأَنَا الْقَرِيبُ أُجِيبُ مَنْ نَادَانِي  
فَالْكَيفُ وَالتَّمَثِيلُ مُنْتَفِيَانِ  
شَيْءُ تَعَالَى الرَّبِّ ذُو الْإِحْسَانِ  
صَوْتُ وَحَرْفٌ لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ  
رَبٌّ وَعَبْدٌ كَيْفَ يَشْتَبِهَانِ

٥٤٥- وَيَعِيبُ كَرَامِيَهُمْ وَهَبِيَهُمْ  
٥٤٦- لِحِجَاجِهِمْ شُبَّهُ تَخَالٍ وَرَوْنَقُ  
٥٤٧- دَعِ أَشْعَرِيَهُمْ وَمُعْتَزِلِيَهُمْ  
٥٤٨- كُلُّ يَقِيسُ بِعَقْلِهِ سُبُلَ الْهُدَى  
٥٤٩- فَاللَّهُ يَجْزِيهِمْ بِمَا هُمْ أَهْلُهُ  
٥٥٠- مَنْ قَاسَ شَرْعَ مُحَمَّدٍ فِي عَقْلِهِ  
٥٥١- لَا تَفْتَكِرْ فِي ذَاتِ رَبِّكَ وَاعْتَبِرْ  
٥٥٢- وَاللَّهُ رَبِّي مَا تُكَيِّفُ ذَاتَهُ  
٥٥٣- أَمُرُّ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ كَمَا أَتَتْ  
٥٥٤- هُوَ مَذْهَبُ الزُّهْرِيِّ وَوَافَقَ مَالِكُ  
٥٥٥- لِلَّهِ وَجْهٌ لَا يَحْدُ بِصُورَةٍ  
٥٥٦- وَلَهُ يَدَانِ كَمَا يَقُولُ إِلَهَنَا  
٥٥٧- كِلْتَا يَدَيَّ رَبِّي يَمِينٌ وَصَفْهَا  
٥٥٨- كُرْسِيُّهُ وَسِعَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا  
٥٥٩- وَاللَّهُ يَضْحَكُ لَا كَضْحَكِ عَبِيدِهِ  
٥٦٠- وَاللَّهُ يَنْزِلُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ  
٥٦١- فَيَقُولُ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُجِيبُهُ  
٥٦٢- حَاشَا إِلَهِهِ بِأَنْ تُكَيِّفَ ذَاتَهُ  
٥٦٣- وَالْأَصْلُ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ  
٥٦٤- وَحَدِيثُهُ الْقُرْآنُ وَهُوَ كَلَامُهُ  
٥٦٥- لَسْنَا نُشَبِّهُ رَبَّنَا بِعِبَادِهِ

٥٦٦- فَالصَّوْتُ لَيْسَ بِمُوجِبٍ تَجْسِيمَهُ  
 ٥٦٧- حَرَكَاتُ أَلْسِنِنَا وَصَوْتُ حُلُوقِنَا  
 ٥٦٨- وَكَمَا يَقُولُ اللَّهُ رَبِّي لَمْ يَزَلْ  
 ٥٦٩- وَحَيَاةُ رَبِّي لَمْ تَزَلْ صِفَةً لَهُ  
 ٥٧٠- وَكَذَاكَ صَوْتُ إِلَهِنَا وَنِدَاؤُهُ  
 ٥٧١- وَحَيَاتُنَا بِحَرَارَةٍ وَبُرُودَةٍ  
 ٥٧٢- وَقَوَامُهَا بِرُطُوبَةٍ وَيُبُوسَةٍ  
 ٥٧٣- سُبْحَانَ رَبِّي عَنْ صِفَاتِ عِبَادِهِ  
 ٥٧٤- إِنِّي أَقُولُ فَأَنْصِتُوا لِمَقَالَتِي  
 ٥٧٥- إِنَّ الَّذِي هُوَ فِي الْمَصَاحِفِ مُثَبَّتٌ  
 ٥٧٦- هُوَ قَوْلُ رَبِّي آيُهُ وَحُرُوفُهُ  
 ٥٧٧- مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ ضِدَّ مَقَالَتِي  
 ٥٧٨- هُوَ فِي الْمَصَاحِفِ وَالصُّدُورِ حَقِيقَةٌ  
 ٥٧٩- وَكَذَا الْحُرُوفُ الَّتِي تُسْتَقَرُّ حِسَابُهَا  
 ٥٨٠- هِيَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ  
 ٥٨١- حَاءٌ وَمِيمٌ قَوْلُ رَبِّي وَحْدَهُ  
 ٥٨٢- مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ مَا قَدْ قَالَهُ  
 ٥٨٣- فَقَدْ افْتَرَى كَذِبًا وَإِنَّمَا وَافَقْتَدَى  
 ٥٨٤- خَالَطَتْهُمْ حِينًا فَلَوْ عَاشَرْتُهُمْ  
 ٥٨٥- تَعَسَّ الْعَمِيُّ أَبُو الْعَلَاءِ فَإِنَّهُ  
 ٥٨٦- وَلَقَدْ نَظَّمْتُ قَصِيدَتَيْنِ بِهِجُوهِ

إِذْ كَانَتِ الصِّفَتَانِ تَخْتَلِفَانِ  
 مَخْلُوقَةٌ وَجَمِيعٌ ذَلِكَ فَإِنْ  
 حَيًّا وَلَيْسَ كَسَائِرِ الْحَيَوَانِ  
 سُبْحَانَهُ مِنْ كَامِلِ ذِي الشَّانِ  
 حَقًّا أَتَى فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ  
 وَاللَّهُ لَا يُعْزَى لَهُ هَذَانِ  
 ضِدَّانِ أَزْوَاجٍ هُمَا ضِدَّانِ  
 أَوْ أَنْ يَكُونَ مُرَكَّبًا جَسَدَانِي  
 يَا مَعْشَرَ الْخُلَطَاءِ وَالْإِخْوَانِ  
 بِأَنَامِلِ الْأَشْيَاخِ وَالشُّبَّانِ  
 وَمِدَادُنَا وَالرِّقِّ مَخْلُوقَانِ  
 فَالْعَنُّهُ كُلُّ إِقَامَةٍ وَأَذَانِ  
 أَيَقِنُ بِذَلِكَ أَيُّمَا إِيْقَانِ  
 عِشْرُونَ حَرْفًا بَعْدَهُنَّ ثَمَانِ  
 حَقًّا وَهُنَّ أَصُولُ كُلِّ بَيَانِ  
 مِنْ غَيْرِ أَنْصَارٍ وَلَا أَعْوَانِ  
 عَبْدُ الْجَلِيلِ وَشَيْعَةُ اللُّحْيَانِ  
 بِكِلَابِ كَلْبِ مَعْرَةَ النُّعْمَانِ  
 لَضَرِيتُهُمْ بِصَوَارِمِي وَلِسَانِي  
 قَدْ كَانَ مَجْمُوعًا لَهُ الْعَمَيَانِ  
 أَبْيَاتُ كُلِّ قَصِيدَةٍ مِثْلَانِ

٥٨٧- وَالْآنَ أَهْجُوا الْأَشْعَرِيَّ وَحِزْبَهُ  
 ٥٨٨- يَا مَعْشَرَ الْمُتَكَلِّمِينَ عَدَوْتُمْ  
 ٥٨٩- كَفَرْتُمْ أَهْلَ الشَّرِيعَةِ وَالْهَدَى  
 ٥٩٠- فَلَا نُصِرَنَّ الْحَقَّ حَتَّى أَنْنِي  
 ٥٩١- اللَّهُ صَيَّرَنِي عَصَا مُوسَى لَكُمْ  
 ٥٩٢- بِأَدَلَّةِ الْقُرْآنِ أَبْطَلُ سِحْرَكُمْ  
 ٥٩٣- هُوَ مَلَجَبِي هُوَ مَدْرَتِي هُوَ مُنْجِي  
 ٥٩٤- إِنْ حَلَّ مَذْهَبُكُمْ بِأَرْضٍ أَجْدَبَتْ  
 ٥٩٥- وَاللَّهُ صَيَّرَنِي عَلَيْكُمْ نِقْمَةً  
 ٥٩٦- أَنَا فِي خُلُوقِ جَمِيعِكُمْ عُوْدُ الْحَشَا  
 ٥٩٧- أَنَا حَيَّةُ الْوَادِي أَنَا أَسَدُ الشَّرَى  
 ٥٩٨- بَيْنَ ابْنِ حَنْبَلٍ وَابْنِ إِسْمَاعِيلِكُمْ  
 ٥٩٩- دَارَيْتُمْ عِلْمَ الْكَلَامِ تَشْرُرًا  
 ٦٠٠- الْفِقْهُ مُفْتَقِرٌ لِخَمْسِ دَعَائِمٍ  
 ٦٠١- حِلْمٌ وَإِتْبَاعٌ لِسُنَّةِ أَحْمَدٍ  
 ٦٠٢- أَثَرْتُمْ الدُّنْيَا عَلَى أَدْيَانِكُمْ  
 ٦٠٣- وَفَتَحْتُمْ أَفْوَاهَكُمْ وَبَطُونَكُمْ  
 ٦٠٤- كَذَبْتُمْ أَقْوَالَكُمْ بِفِعَالِكُمْ  
 ٦٠٥- قَرَأُوكُمْ قَدْ أَشْبَهُوا فُقَهَاءَكُمْ  
 ٦٠٦- يَتَكَلَّبَانِ عَلَى الْحَرَامِ وَأَهْلِهِ  
 ٦٠٧- يَا أَشْعَرِيَّةُ هَلْ شَعَرْتُمْ أَنَّنِي

وَأَذِيعُ مَا كَتَمُوا مِنَ الْبُهْتَانِ  
 عُدْوَانِ أَهْلِ السَّبْتِ فِي الْحَيَاتَانِ  
 وَطَعَنْتُمْ بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ  
 أَطُّوْ عَلَى سَادَاتِكُمْ بِطِعَانِي  
 حَتَّى تَلْقَفَ إِفْكَكُمْ ثُعْبَانِي  
 وَبِهِ أُنْزِلُ كُلَّ مَنْ لَأَقَانِي  
 مِنْ كَيْدِ كُلِّ مُنَافِقٍ خَوَّانٍ  
 أَوْ أَصْبَحَتْ قَفْرًا بِلَا عُمَرَانِ  
 وَلِهَتْكَ سِتْرُ جَمِيعِكُمْ أَبْقَانِي  
 أَعْيَا أَطَبَّبْتُكُمْ غُمُوضُ مَكَانِي  
 أَنَا مُرْهَفٌ مَاضِي الْغَرَارِ يَمَانِي  
 سَخَطُ يُذِيقُكُمْ الْحَمِيمَ الْآنِي  
 وَالْفِقْهُ لَيْسَ لَكُمْ عَلَيْهِ يَدَانِ  
 لَمْ يَجْتَمِعْ مِنْهَا لَكُمْ ثِنْتَانِ  
 وَتَقَى وَكَفَّ أَذَى وَفَهُمْ مَعَانِ  
 لَا خَيْرَ فِي دُنْيَا بِلَا أَدْيَانِ  
 فَبَلَعْتُمْ الدُّنْيَا بِغَيْرِ تَوَانِ  
 وَحَمَلْتُمْ الدُّنْيَا عَلَى الْأَدْيَانِ  
 فَيَتَانِ لِلرَّحْمَنِ عَاصِيَتَانِ  
 فِعْلَ الْكِلَابِ بِجِيفَةِ اللُّحْمَانِ  
 رَمَدُ الْعُيُونِ وَحِكَّةُ الْأَجْفَانِ

٦٠٨- أَنَا فِي كُبُودِ الْأَشْعَرِيَّةِ قَرَحَةٌ  
 ٦٠٩- وَلَقَدْ بَرَزْتُ إِلَى كِبَارِ شُيُوخِكُمْ  
 ٦١٠- وَقَلَبْتُ أَرْضَ حِجَاجِهِمْ وَنَثَرْتُهَا  
 ٦١١- وَاللَّهُ أَيْدِيَّ وَثَبَّتْ حُجَّتِي  
 ٦١٢- وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُهَيِّمِ دَائِمًا  
 ٦١٣- أَحَسِبْتُمْ يَا أَشْعَرِيَّةُ أَنَّنِي  
 ٦١٤- أَفْتَسْتَرُ الشَّمْسُ الْمُضِيئَةَ بِالشُّهَا  
 ٦١٥- عَمْرِي لَقَدْ فَتَشَنْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ  
 ٦١٦- أَحَضَرْتُكُمْ وَحَشَرْتُكُمْ وَقَصَدْتُكُمْ  
 ٦١٧- أَزَعَمْتُ أَنَّ الْقُرَانَ عِبَارَةٌ  
 ٦١٨- إِيْمَانُ جَبْرِيلَ وَإِيْمَانُ الَّذِي  
 ٦١٩- هَذَا الْجَوْنِيهِرُ وَالْعَرِيضُ بِزَعْمِكُمْ  
 ٦٢٠- مَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَعْرِفْهُمَا  
 ٦٢١- أَفْمُسَلِّمٌ هُوَ عِنْدَكُمْ أَمْ كَافِرٌ  
 ٦٢٢- عَظَلْتُمْ السَّبْعَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا  
 ٦٢٣- وَزَعَمْتُمْ أَنَّ الْبَلَاغَ لِأَحْمَدٍ  
 ٦٢٤- هَذِي الشَّقَاشِقُ وَالْمَخَارِقُ وَالْهَوَى  
 ٦٢٥- سَمَّيْتُمْ عِلْمَ الْأُصُولِ ضَلَالَةً  
 ٦٢٦- وَنَعَتَ مَحَارِمُكُمْ عَلَى أَمْثَالِكُمْ  
 ٦٢٧- إِنِّي اعْتَصَمْتُ بِحَبْلِ شَرَعِ مُحَمَّدٍ  
 ٦٢٨- أَشْعَرْتُمْ يَا أَشْعَرِيَّةُ أَنَّنِي

أَرَبُو فَأَقْتُلْ كُلَّ مَنْ يَشَانِي  
 فَصَرَفْتُ مِنْهُمْ كُلَّ مَنْ نَاوَانِي  
 فَوَجَدْتُهَا قَوْلًا بِلَا بُرْهَانَ  
 وَاللَّهُ مِنْ شُبُهَاتِهِمْ نَجَانِي  
 حَمْدًا يُلَقِّحُ فِطْنَتِي وَجَنَانِي  
 مِمَّنْ يُقَعِّقُ خَلْفَهُ بِشَنَانِ  
 أَمْ هَلْ يُقَاسُ الْبَحْرُ بِالْخُلْجَانِ  
 حُمْرًا بِلَا عَنَنِ وَلَا أَرْسَانِ  
 وَكَسَرْتُكُمْ كَسْرًا بِلَا جُبْرَانِ  
 فَهُمَا كَمَا تَحْكُونُ قُرْآنَانِ  
 رَكِبَ الْمَعَاصِي عِنْدَكُمْ سِيَّانِ  
 أَهْمَا لِمَعْرِفَةِ الْهُدَى أَضْلَانِ  
 وَأَقْرَبَ إِلَى السَّلَامِ وَالْفُرْقَانِ  
 أَمْ عَاقِلٌ أَمْ جَاهِلٌ أَمْ وَإِ  
 وَالْعَرْشَ أَخْلَيْتُمْ مِنَ الرَّحْمَنِ  
 فِي آيَةٍ مِنْ جُمْلَةِ الْقُرْآنِ  
 وَالْمَذْهَبُ الْمُسْتَحْدَثُ الشَّيْطَانِي  
 كَاسِمِ النَّبِيذِ لِحُمْرَةِ الْأَذْنَانِ  
 وَاللَّهُ عَنْهَا صَانِنِي وَحَمَانِي  
 وَعَضَضْتُهُ بِنَوَاجِدِ الْأَسْنَانِ  
 طُوفَانُ بَحْرِائِي مَا طُوفَانِ



٦٢٩- أَنَا هَمُّكُمْ أَنَا غَمُّكُمْ أَنَا سُقْمُكُمْ  
 ٦٣٠- أَذْهَبْتُمْ نُورَ الْقُرْآنِ وَحُسْنَهُ  
 ٦٣١- فَوَحَقَّ جَبَّارٌ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى  
 ٦٣٢- وَوَحَقَّ مَنْ خَتَمَ الرِّسَالَةَ وَالْهُدَى  
 ٦٣٣- لَأَقْطَعَنَّ بِمَعُولِي أَعْرَاضِكُمْ  
 ٦٣٤- وَلَأَهْجُونَكُمْ وَأَثْلُبُ حَزْبَكُمْ  
 ٦٣٥- وَلَأَهْتِكَنَّ بِمَنْطِقِي أَسْتَارَكُمْ  
 ٦٣٦- وَلَأَهْجُونَ صَغِيرَكُمْ وَكَبِيرَكُمْ  
 ٦٣٧- وَلَأَنْزِلَنَّ بِكُمْ أَلِيمَ صَوَاعِقِي  
 ٦٣٨- وَلَأَقْطَعَنَّ بِسَيْفٍ حَقِّي زُورَكُمْ  
 ٦٣٩- وَلَأَقْصِدَنَّ اللَّهُ فِي خِذْلَانِكُمْ  
 ٦٤٠- وَلَأَحْمِلَنَّ عَلَى عَتَاةٍ طُغَاتِكُمْ  
 ٦٤١- وَلَأَرْمِيَنَّكُمْ بِصَخْرٍ مَجَانِقِي  
 ٦٤٢- وَلَأَكْتُبَنَّ إِلَى الْبِلَادِ بِسَبْكُمْ  
 ٦٤٣- وَلَأَذْهَبَنَّ بِحُجَّتِي شُبُهَاتِكُمْ  
 ٦٤٤- وَلَأَغْضِبَنَّ لِقَوْلِ رَبِّي فِيكُمْ  
 ٦٤٥- وَلَأَضْرِبَنَّكُمْ بِصَارِمٍ مَقُولِي  
 ٦٤٦- وَلَأَسْعِطَنَّ مِنَ الْفُضُولِ أُنُوفَكُمْ  
 ٦٤٧- إِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ عِنْدَ قِتَالِكُمْ  
 ٦٤٨- وَإِذَا ضَرِبْتُ فَلَا تَخِيبُ مَضَارِبِي  
 ٦٤٩- وَإِذَا حَمَلْتُ عَلَى الْكِتَابَةِ مِنْكُمْ

أَنَا سُمْكُمْ فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ  
 مِنْ كُلِّ قَلْبٍ وَإِلَيْهِ لَهْفَانِ  
 مِنْ غَيْرِ تَمْثِيلٍ كَقَوْلِ الْجَانِي  
 بِمُحَمَّدٍ فَرْهَا بِهِ الْحَرَمَانِ  
 مَا دَامَ يَصْحَبُ مُهْجَتِي جُثْمَانِي  
 حَتَّى تُغَيِّبَ جُثَّتِي أَكْفَانِي  
 حَتَّى أَبْلُغَ قَاصِيًا أَوْ دَانِي  
 غَيْظًا لِمَنْ قَدْ سَبَّنِي وَهَجَانِي  
 وَلِتُحْرِقَنَّ كُبُودَكُمْ نِيرَانِي  
 وَلِيُخَمِدَنَّ شَوَاطِكُمْ طُوفَانِي  
 وَلِيَمْنَعَنَّ جَمِيعَكُمْ خِذْلَانِي  
 حَمَلَ الْأَسُودِ عَلَى قَطِيعِ الضَّانِ  
 حَتَّى يَهْدَّ عُتُوكُمْ سُلْطَانِي  
 فَيَسِيرُ سَيْرَ الْبُزْلِ بِالرُّكْبَانِ  
 حَتَّى يُغَطِّيَ جَهْلَكُمْ عِرْفَانِي  
 غَضَبَ النُّمُورِ وَجُمْلَةَ الْعُقْبَانِ  
 ضَرْبًا يُزَعِزُ أَنْفُسَ الشُّجْعَانِ  
 سَعَطًا يُعْطَسُ مِنْهُ كُلُّ جَبَانِ  
 لِمُحَكِّمٍ فِي الْحَرْبِ ثَبَتَ جَنَانِ  
 وَإِذَا طَعَنْتُ فَلَا يَرُوغُ طِعَانِي  
 مَزَقْتُهَا بِلَوَامِعِ الْبُرْهَانِ

٦٥٠- الشَّرْعُ وَالْقُرْآنُ أَكْبَرُ عُدَّتِي  
 ٦٥١- ثَقُلَا عَلَيَّ أَبْدَانُكُمْ وَرُءُوسُكُمْ  
 ٦٥٢- إِنْ أَنْتُمْ سَأَلْتُمْ سُؤْلَهُمْ  
 ٦٥٣- وَلَيْتَنِي أَبَيْتُمْ وَاعْتَدَيْتُمْ فِي الْهَوَى  
 ٦٥٤- يَا أَشْعَرِيَّةُ يَا أَسَافِلَةَ الْوَرَى  
 ٦٥٥- إِنِّي لَا بُغْضُكُمْ وَأُبْغِضُ حَزْبَكُمْ  
 ٦٥٦- لَوْ كُنْتُ أَعْمَى الْمُقْلَتَيْنِ لَسَرَّنِي  
 ٦٥٧- تَغْلِي قُلُوبَكُمْ عَلَيَّ بِحَرِّهَا  
 ٦٥٨- مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ وَمُوتُوا حَسْرَةً  
 ٦٥٩- قَدْ عِشْتُ مَسْرُورًا وَمِتُّ مُخَفَّرًا  
 ٦٦٠- وَأَبَاحَنِي جَنَاتِ عَدْنٍ أَمِنًا  
 ٦٦١- وَلَقِيتُ أَحْمَدَ فِي الْجَنَانِ وَصَحْبَهُ  
 ٦٦٢- لَمْ أَدْخِرْ عَمَلًا لِرَبِّي صَالِحًا  
 ٦٦٣- أَنَا تَمَرَةُ الْأَخْبَابِ حَنْظَلَةُ الْعِدَا  
 ٦٦٤- وَأَنَا الْمُحِبُّ لِأَهْلِ سُنَّةِ أَحْمَدِ  
 ٦٦٥- سَلْ عَنْ بَنِي قَحْطَانَ كَيْفَ فَعَالَهُمْ  
 ٦٦٧- سَلْ كَيْفَ نَثَرَهُمُ الْكَلَامَ وَنَظَّمَهُمْ  
 ٦٦٨- نَصِرُوا بِالسِّنَةِ جِدَادٍ سُلِّقِ  
 ٦٦٩- سَلْ عَنْهُمْ عِنْدَ الْجِدَالِ إِذَا التَّقَى  
 ٦٧٠- نَحْنُ الْمُلُوكُ بَنُو الْمُلُوكِ وَرَاثَةٌ  
 ٦٧١- لَا قَوْمُنَا بِخَلَا وَلَا بِأَذَلَّةٍ

فَهُمَا لِقَطْعِ حِجَااجِكُمْ سَيْفَانِ  
 فَهُمَا لِكَسْرِ رُءُوسِكُمْ حَجَرَانِ  
 وَسَلِمْتُمْ مِنْ حَيْرَةِ الْخِذْلَانِ  
 فَنِضَالُكُمْ فِي ذِمَّتِي وَضْمَانِي  
 يَا عُمِّي يَا صُمَّ بِلَا آذَانِ  
 بُغْضًا أَقْلُ قَلِيلِهِ أَضْغَانِي  
 كَيْ لَا يَرَى إِنْسَانُكُمْ إِنْسَانِي  
 حَنْقًا وَغَيْظًا أَيْمًا غَلِيَانِ  
 وَأَسَى عَلَيَّ وَعَضُوا كُلُّ بَنَانِ  
 وَلَقِيتُ رَبِّي سَرَّنِي وَرَعَانِي  
 وَمِنْ الْجَحِيمِ بِفَضْلِهِ عَافَانِي  
 وَالْكُلُّ عِنْدَ لِقَائِهِمْ أَذْنَانِي  
 لَكِنْ بِإِسْخَاطِي لَكُمْ أَرْضَانِي  
 أَنَا غُصَّةٌ فِي حَلْقٍ مَنِ عَادَانِي  
 وَأَنَا الْأَدِيبُ الشَّاعِرُ الْقَحْطَانِي  
 يَوْمَ الْهِيَاجِ إِذَا التَّقَى الزَّحْفَانِ  
 وَهُمَا لَهُمْ سَيْفَانِ مَسْلُولَانِ  
 مِثْلَ الْأَسِنَّةِ شَرَّعَتْ لِبَطْعَانِ  
 مِنْهُمْ وَمِنْ أَضْدَادِهِمْ خَصْمَانِ  
 أَسْدُ الْهِيَاجِ وَأَبْحَرُ الْإِحْسَانِ  
 عِنْدَ الْحُرُوبِ وَلَا النِّسَاءِ بَرْوَانِ

بِدْعَا وَأَهْوَاءَ بِلَا بُرْهَانٍ  
 مِنْ شَاعِرٍ ذَرَبِ اللِّسَانِ مُعَانٍ  
 فَكَأَنَّ جُمْلَتَهَا لَدَيَّ عَوَانٍ  
 كَالصَّخْرِ يَهْبِطُ مِنْ ذُرَى كَهْلَانٍ  
 هَتَكَتْ سُتُورَكُمْ عَلَى الْبُلْدَانِ  
 تَرَكَتْ رُءُوسَهُمْ بِلَا آذَانٍ  
 فَكِلَاهُمَا مُلْقَانِ مُخْتَلِفَانِ  
 ضَرَبْتُ لِفَرْطِ صُدَاعِهَا الصُّدْغَانِ  
 صَابٌ وَفِي الْأَجْسَادِ كَالسَّعْدَانِ  
 أَوْ تَمُرٌ يَثْرِبُ ذَلِكَ الصَّيْحَانِ  
 مَنْظُومَةٌ كَقَلَائِدِ الْمَرْجَانِ  
 وَصَفَعْتُ كُلَّ مُخَالِفٍ صَفْعَانِ  
 مِمَّا يَضِيقُ لِسَرْحِهَا دِيَوَانَ  
 سَمْعًا وَلَيْسَ يَمْلُكُنَّ الْجَانِي  
 وَشَيْءٌ تَنْمَقُّهُ أَكْثَرُ غَوَانِ  
 مِنِّي وَأَشْكُرُهُ لِمَا أَوْلَانِي  
 مَا نَاحَ قُمْرِيٌّ عَلَى الْأَغْصَانِ  
 وَعَلَى جَمِيعِ الصَّخْبِ وَالْإِخْوَانِ  
 رَحِمَ الْإِلَهُ صَدَاكَ يَا قَحْطَانِي

٦٧٢- يَا أَشْعَرِيَّةُ يَا جَمِيعَ مَنْ ادَّعَى  
 ٦٧٣- جَاءَتْكُمْ سُنِّيَّةٌ مَأْمُونَةٌ  
 ٦٧٤- خَرَزَ الْقَوَافِي بِالْمَدَائِحِ وَالْهَجَا  
 ٦٧٥- يَهْوِي فَصِيحُ الْقَوْلِ مِنْ لَهَوَاتِهِ  
 ٦٧٦- إِنِّي قَصَدْتُ جَمِيعَكُمْ بِقَصِيدَةٍ  
 ٦٧٧- هِيَ لِلرُّوَافِضِ دُرَّةٌ عُمَرِيَّةٌ  
 ٦٧٨- هِيَ لِلْمُنَجِّمِ وَالطَّبِيبِ مَنِيَّةٌ  
 ٦٧٩- هِيَ فِي رُءُوسِ الْمَارِقِينَ شَقِيقَةٌ  
 ٦٨٠- هِيَ فِي قُلُوبِ الْأَشْعَرِيَّةِ كُلِّهِمْ  
 ٦٨١- لَكِنْ لِأَهْلِ الْحَقِّ شَهْدٌ صَافِيًا  
 ٦٨٢- وَأَنَا الَّذِي حَبَرْتُهَا وَجَعَلْتُهَا  
 ٦٨٣- وَنَصَرْتُ أَهْلَ الْحَقِّ مَبْلَغَ طَاقَتِي  
 ٦٨٤- مَعَ أَنَّهَا جَمَعَتْ عُلُومًا جَمَّةً  
 ٦٨٥- أَبْيَاتُهَا مِثْلُ الْحَدَائِقِ تُجْتَنَّى  
 ٦٨٦- وَكَأَنَّ رَسْمَ سُطُورِهَا فِي طَرَسِهَا  
 ٦٨٧- وَاللَّهُ أَسْأَلُهُ قَبُولَ قَصِيدَتِي  
 ٦٨٨- صَلَّى الْإِلَهُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ  
 ٦٨٩- وَعَلَى جَمِيعِ بَنَاتِهِ وَنَسَائِهِ  
 ٦٩٠- بِاللَّهِ قُولُوا كُلَّمَا أَنْشَدْتُمْ





توسل الناظم بكلام الله عزَّجَل الذي هو صفة من صفاته

ويقتضي ذلك مشروعية التوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى

قال الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد القحطاني رحمه الله:

١- يَا مُنْزِلَ الْآيَاتِ وَالْفُرْقَانِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ حُرْمَةُ الْقُرْآنِ

✽ بدأ الناظم رحمه الله هذه القصيدة بالدعاء؛ يدعو الله سبحانه وتعالى بقوله:

«يَا مُنْزِلَ الْآيَاتِ وَالْفُرْقَانِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ حُرْمَةُ الْقُرْآنِ»

✽ وهذا البيت تحته معاني عظيمة لو تأملناها فإنه أول ما بدأ توسل إلى الله عزَّجَل

بأسمائه وصفاته؛ لأنَّ منزل التوراة والإنجيل والفرقان هو الله عزَّجَل فهو بدأ بقوله:

«يَا مُنْزِلَ الْآيَاتِ وَالْفُرْقَانِ».

فالأيات تشمل الآيات الكونية والآيات الشرعية؛ فتشمل الآيات التي جعلها الله دلائل

على قدرته سبحانه وتعالى وتشمل آيات الكتاب آيات القرآن الذي أنزله الله سبحانه وتعالى؛

لأنَّ الله عزَّجَل قد يُنزل آيات كونية؛ كما نزل للحواريين عندما طلبوا من عيسى عليه السلام

أن يدعو الله أن يُنزل عليهم مائدة من السماء هذا بالنسبة للآيات الكونية، وكذلك هو

مُنزل الآيات القرآنية كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ من قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ

الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٣-٤﴾؛ ولذلك

عبر بالفرقان، والفرقان اسم من أسماء القرآن، وكونه منزل القرآن يشتمل على أن القرآن

كلام الله عزَّجَل وكلامه صفة من صفاته سبحانه وتعالى؛ فهو أنزله على قلب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم

بواسطة جبريل عليه السلام؛ حيث تكلم به سبحانه وسمعه منه جبريل عليه السلام بعد أن تكلم به

بحرف وصوت مسموع، ثم نزل به وبلغه بكل صدق وأمانة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،

ثم الرسول صلى الله عليه وسلم بلغه للأمة إذاً هذا من التوسل بصفات الله جلَّ وعلا.

## أنواع التوسل

والتوسل المشروع ثلاثة أقسام:

التوسل بأسماء الله وصفاته؛ كما في هذا البيت، وكما في قول النبي ﷺ: «يا حيّ يا قيّوم برحمتك أستغيث»<sup>(١)</sup>.

والتوسل بالأعمال الصالحة، وقد جاء هذا في الشطر الثاني من البيت كما سنبينه، والمهم أن نفهم أن قول الناظم رَحِمَهُ اللهُ: «يَا مُنْزِلَ الْآيَاتِ وَالْفُرْقَانِ»: توسل إلى الله عزّ وجلّ؛ بصفته لأن من صفاته الكلام، والقرآن كلام الله عزّ وجلّ فهو مُنْزَلُ القرآن، وهذا يتطلب أن نؤمن بأن القرآن كلام الله؛ نؤمن به على النحو الآتي:

أولاً- نؤمن بأن القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ هو كلام الله الذي تكلم به حقيقة، وليس عبارة عن كلام الله ولا حكاية عنه، بل هو كلامه الذي تكلم به حقيقة؛ لأن الله يتكلم بما شاء متى شاء كيف شاء.

ثانياً- أن الله تكلم به بحرف وصوت مسموعين ولذلك لما نازع بعض المتكلمين في الحرف والصوت ردّ عليهم السجزي رَحِمَهُ اللهُ برسالة سماها «رسالة في الحرف والصوت»، حرف وصوت يليقان بجلاله وعظمته لا نشبه ولا نمثل كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

ثالثاً- أن جبريل سمعه من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وليس المقصود أن يُقال: إن جبريل سمعه من الهواء أو إن الله خلقه في الهواء كما تقول بعض المعطلة، بل إن جبريل سمعه من الله مباشرة.

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» [١٠٣٣٠]، والحاكم [١٨٧٥]، والبيهقي في «شعب الإيمان» [١٠٢٣١] من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٥٨٢٠].

رابعًا- كلام الله المنزَّل من عنده غير مخلوق.

خامسًا- أنَّ القرآن المحفوظ في الصدور هو كلام الله.

سادسًا- أنَّ القرآن المتلوُّ بالألسن هو كلام الله.

سابعًا- أنَّ الكلام المكتوب في المصحف يعني أنَّ القرآن المسطرَّ في المصحف هو

كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أمَّا المداد والحبر والأوراق فهذه مخلوقات كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في نونيته:

لكن أصوات العباد وفعلهم كمدادهم والرق مخلوقان؛

ونصَّ السلف على هذا التفصيل.

وقد كان الصَّحابة والسلف الصالح يكتفون بأنَّه كلام الله وكفى 'حتى' ظهرت الفرق المنحرفة عن الجادة كالجهمية والمعتزلة وغيرهم من المعطلة، حينئذ وجد أهل العلم أنهم مضطرون إلى هذا التفصيل المبني على 'الأدلة الواضحة من الكتاب والسنة؛ وبناء عليه فإنَّ القرآن المنزَّل المتلوُّ، المحفوظ، المكتوب، المسموع؛ كلُّه كلام الله عَزَّجَلَّ، لفظه ومعناه غير مخلوق.

فقوله: «يَا مُنْزِلَ الْآيَاتِ وَالْفُرْقَانِ»: نداء ودعاء.

وقوله: «بَيْنِي وَبَيْنَكَ حُرْمَةُ الْقُرْآنِ»: هذا توسُّل بالأعمال الصَّالحة، وفيه إشارة إلى التوسُّل بأسماء الله وصفاته، لكن هو توسُّل بالعمل الصَّالح.

يعني: إيماني بهذا القرآن وعلمي بهذا القرآن وإيماني بأنَّه كلامك المنزَّل من عندك، «بَيْنِي وَبَيْنَكَ»؛ يعني: أتوسَّل به إليك يا رب، بمعنى 'أتوسَّل إليك بإيماني بكتابك، ولذلك قال: «بَيْنِي وَبَيْنَكَ حُرْمَةُ الْقُرْآنِ»؛ فشأن القرآن عظيم عند الله عَزَّجَلَّ كيف لا وهو كلامه الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٢].

فانناظم توسّل إلى الله بأسمائه وصفاته بقوله: «يَا مُنْزِلَ الْآيَاتِ وَالْفُرْقَانِ». وتوسّل إليه بالعمل الصّالح بقوله: «بَيْنِي وَبَيْنَكَ حُرْمَةُ الْقُرْآنِ».

والنوع الثالث: التوسّل إلى الله تَعَالَى بدعاء المسلم الصّالح الحي القادر على الدعاء كما جاء في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتفق عليه، «أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان نحو دار القضاء ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً ثم قال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغثنا قال فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا» قال أنس: «ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة وما بيننا وبين سلع<sup>(١)</sup> من بيت ولا دار. قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل التُّرس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، قال: فلا والله ما رأينا الشمس سبتاً»<sup>(٢)</sup>.



(١) «من أشهر جبال المدينة». انظر: «معجم البلدان» (٣/ ٢٣٦).

(٢) أخرجه البخاري [١٠١٣]، ومسلم [٨٩٧].



## ٢- اشرح به صدري لمعرفة الهدى وأعصم به قلبي من الشيطان

﴿ القرآن الكريم فيه حياة القلوب وشرح الصدور؛ ولذلك قال: «اشرح به صدري لمعرفة الهدى»؛ لأن أساس معرفة الهدى القرآن والسنة، لا يمكن أن نعرف طريق الهدى وطريق الخير وطريق عبادة الله سبحانه وتعالى إلا من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، وإذا دعا بأن يشرح الله صدره بالقرآن؛ فإن ذلك يشمل السنة؛ لأن القرآن والسنة وحيان لا ينفك أحدهما عن الآخر، كلاهما وحي من الله عز وجل؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤]، وقال رسول الله ﷺ: «إني أوتيت القرآن ومثله معه»<sup>(١)</sup>؛

وحي من الله كالقرآن شاهده في سورة النجم فاحفظه ولا تهمل  
خير الكلام ومن خير الأنام بدا من خير قلب به قد فاه خير فهم  
ويزيدها مرّ الليالي جدّة وتقادم الأيام حسن شباب<sup>(٢)</sup>

ولذلك قال الناظم: «اشرح به صدري»، والضمير في «به» يعود على القرآن وهذا دعاء لله: يا ربي اشرح بالقرآن صدري وقلبي ليتنور قلبي بمعرفة الهدى، هدى الله سبحانه وتعالى وهو الإسلام، الهدى المقصود به الإسلام كله والإيمان ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

فهذا توسّل إلى الله عز وجل بأسمائه وصفاته وبالأعمال الصالحة أن يشرح بالقرآن الكريم صدره وقلبه لهدى الله عز وجل؛ لأن في القرآن شرحاً للصدور وشفاء لما في الصدور ودواء للقلوب، وبه تلين القلوب؛ لأنه ذكر الله ﴿الَّذِينَ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

(١) أخرجه أحمد [١٧١٧٤]، والطبراني في «مسند الشاميين» [١٠٦١] من حديث المقدم بن معدي كرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «المشكاة»: (١٦٣، ٤٢٤٧).

(٢) «ديوان أبي تمام» لأبي تمام الطائي حبيب بن أوس المتوفى ٢٣١ هـ.

وَيَتَوَسَّلُ إِلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ أَنْ يَحْفَظَ قَلْبَهُ مِنْ تَلْيِيسِ إِبْلِيسَ وَأَلَا عِيبَ الشَّيْطَانِ وَنَزَغَاتِهِ؛ فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا لَمْ يُحِطْ بِالْقُرْآنِ عَلَيْهِ خَطَرٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَالْحَصْنُ الْحَصِينُ وَالْحَرْزُ الْمُتِينُ لِلْحَفِظِ مِنَ الشَّيْطَانِ إِنَّهَا هُوَ كِتَابُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَحْفَظُكَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ؛ إِذَا قَرَأْتَهُ بِصَدَقٍ وَإِخْلَاصٍ وَعَمِلْتَ بِهِ، وَأَحْلَلْتَ حَلَالَهُ وَحَرَّمْتَ حَرَامَهُ وَوَقَفْتَ عِنْدَ حُدُودِهِ وَعَمِلْتَ بِمَحْكَمِهِ وَأَمَنْتَ بِمُتَشَابِهِهِ، وَلَمْ تَتَجَاوَزْ حَرَمَاتِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَعِصِمُ بِهَ قَلْبَكَ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ، انْظُرْ يَا عَبْدَ اللَّهِ إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بَيْوتَكُمْ مَقَابِرَ إِنْ الشَّيْطَانُ يَنْزُرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تَقْرَأُ فِيهِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ»<sup>(١)</sup>، وَمَا جَاءَ فِي قِصَّةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ الشَّيْطَانِ وَقَوْلِهِ لَهُ لِيَتَخَلَّصَ مِنْهُ: «إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكَرْسِيِّ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرِيكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تَصْبِحَ»<sup>(٢)</sup>، وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: «صَدَقْتُكَ وَهُوَ كَذُوبٌ».

فَالْقُرْآنُ يَطَهِّرُ اللَّهَ بِهِ قَلْبَكَ وَبَيْتَكَ وَنَفْسَكَ وَأَسْرَتَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ لَكِنْ بِالْقِيُودِ الَّتِي ذَكَرْتَهَا وَهُوَ الْإِيمَانُ بِهِ وَالْعَمَلُ بِهِ وَالْوُقُوفُ عِنْدَ حُدُودِهِ وَتَحْلِيلُ حَلَالِهِ وَتَحْرِيمُ حَرَامِهِ وَالْاجْتِهَادُ فِي تَنْفِيزِ أَوَامِرِهِ وَالْبَعْدُ عَنْ نَوَاهِيهِ، هَذَا يَعِصِمُ اللَّهَ بِهِ قَلْبَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَهْرَبُ مِنْ صَاحِبِ الْقُرْآنِ الَّذِي يَعْمَلُ بِهِ وَيَقِفُ عِنْدَ حُدُودِهِ، وَلِذَلِكَ دَعَا النَّازِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَعِصِمْ بِهِ قَلْبِي مِنَ الشَّيْطَانِ»، وَمَنْ عَصَمَ اللَّهُ قَلْبَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ - بِإِذْنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -؛ وَالشَّيْطَانُ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِّ قَدْ يَجْرِي فِي عُرُوقِهِ وَدَمِهِ فَيَجِبُ أَنْ يَتَعَاهَدَ الْقُرْآنَ لِيُطْرَدَ بِالتَّلَاوَةِ وَالْحَفِظِ وَالْعَمَلِ وَالتَّدَبُّرِ وَالتَّأَمُّلِ وَالتَّحَصُّنِ بِهِ آثَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ.

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ [٧٨٠] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ [٣٢٧٥] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٣- يَسِّرْ بِهِ أَمْرِي وَأَقْضِ مَآرِبِي وَأَجْرِ بِهِ جَسَدِي مِنَ النَّيرانِ

❖ كل ذلك توّسل بكلام الله؛ وهو القرآن.

لأن الضمير في «به» يعود على القرآن؛ يتوّسل إلى الله عزّ وجلّ أن ييسّر له أمره بالقرآن الكريم. أي: سهّل به أموري التي أحتاج إلى قضائها؛ ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، وأساس تقوى الله عزّ وجلّ تلاوة كتابه والعمل به وبسنة رسوله ﷺ، ومن عمل بالقرآن ووقف عند حدوده؛ جعل الله له من كلّ هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب.

«يَسِّرْ بِهِ أَمْرِي وَأَقْضِ مَآرِبِي»؛ يعني: وفّقني للحصول على قصدي وما أريد من خير، والمقصود بالمآرب: المآرب التي هي خير؛ مثل طلب الهدى، وطلب الرزق الحلال، وطلب زيادة الإيمان، وطلب الخير، وطلب الجنة، وطلب النجاة من النار، هذا هو مراد الناظم. و«اقض» أي: به، وحذف الجار والمجرور المقدّران في السياق لدلالة ما قبله عليه، فالتقدير واقض به مآربي؛ أي: بالقرآن. المآرب: جمع مأرب، والمآرب هو القصد، وهو ما يريجه المسلم.

وقوله: «وَأَجْرِ بِهِ جَسَدِي مِنَ النَّيرانِ»، الله أكبر وأجر به جسدي من النيران؛ جاء في الحديث: «ما استجار عبد من النار سبع مرات في يوم إلا قالت النار: يا رب إن عبدك فلانا قد استجارك مني فأجره، ولا يسأل الله عبد الجنة في يوم سبع مرات إلا قالت الجنة: يا رب إن عبدك فلانا سأني فأدخله الجنة»<sup>(١)</sup>، وهنا توّسل بالقرآن

(١) أخرجه أبو يعلى [١٨٠٨٣]، والضياء في «صفة الجنة» - كما عزاه إليه الألباني في «الصحيحة» - من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الألباني في «الصحيحة» (٢٢ / ٦): «وقال الضياء: هذا الحديث عندي على شرط الصحيحين، وكذا قال المنذري قبله في «الترغيب» (٢٢٢ / ٤) وتبعهما ابن القيم في «حادي الأرواح» (١ / ١٤٨)، وهو كما قالوا».

الذي هو كلام الله عَزَّجَلَّ «أَجْرِبِهِ»: بعلمي به، بإيماني به، باحتجاجي به، باعتمادي عليه، بوقوفي عند حدوده؛ أجرني من النيران - نسأل الله أن يمجربنا وإياكم من النار -؛ لأن من أجبر من النار فقد فاز فوزاً عظيماً، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ رُحِّحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [الْعَنْكَرَان: ١٨٥]، فهذا أعظم فوز بعد رؤية المؤمنين لربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلْقُهُ لِمَن أنكر الرؤية من المعتزلة كالزُّمَّخْشَرِيِّ وَمَن على شاكلته؛ فإن الرؤية أعظم فوز يناله المسلم في الجنة؛ ومما جاء في ذلك قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البَقَّة: ٢٠١]، وفي الدعاء الذي جاء في آخر سورة آل عمران: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١٣) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾ [الْعَنْكَرَان: ١٩١ - ١٩٢].

أعوذ بالله وإياكم من عذاب النار، استعينوا بالله من عذاب النار؛ وقد شرع لنا بعد التشهد الآخر من كل صلاة أن ندعو بهذا الدعاء كما ثبت في الصحيحين: «اللهم إنا نعوذ بك من عذاب القبر، وعذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال» (١).

فقوله: «وَأَجْرِبِهِ جَسَدِي مِنَ النَّيِّرَانِ»؛ أي: أتوسل إليك بالقرآن الكريم وبعملي به وإيماني أنه كلامك أن تجبرني من عذاب النار، وفي الحديث: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما» (٢)، أسأل الله أن يجعلني وإياكم من أولئك.

(١) أخرجه البخاري [٨٣٢]، ومسلم [٥٨٩] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه مسلم [٨٠٤] من حديث أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٤- وَاحْطُطْ بِهِ وَزْرِي وَأَخْلِصْ نِيَّتِي وَاشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَصْلِحْ شَانِي

❖ كل هذه الضمائر تعود على القرآن، «واحططْ بِهِ وَزْرِي»؛ لأنه عمل صالح، والعمل الصالح مما مُحْطُّ به الأوزار، وتُرفع به الدرجات، ويُقال به العثرات؛ ولذلك قال: «احططْ بِهِ وَزْرِي» بفضل الله عزَّ وجلَّ وبرحمته والباء هنا يسمِّيها اللغويون باء السببية؛ أي: بسبب العمل؛ لأنَّ الإنسان لا ينال ما ينال عند الله بعمله المجرد؛ وإنما الأعمال أسباب، وأما ما يناله فهو بفضل الله ورحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فالباء في مثل هذه الأمور للسببية، ويؤيِّده قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿جَزَاءُ يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة: ٢٤]؛ أي: بسبب ما كانوا يعملون من الأعمال الصالحة الخالصة لوجه الله والموافقة لشرعه، ولذلك قال: «احططْ بِهِ وَزْرِي» والوزر: هو الذنب والإثم؛ فبالأعمال الصالحة والتوبة الصادقة مُحْطَّ الأوزار وتوضع عن أصحابها؛ كما قال الله جَلَّ وَعَلَا بعد أن ذكر مجموعة من الذنوب وعلى رأسها الشرك أنَّ من تاب منها وعمل صالحاً فإنَّ الله يبدل السيئات حسنات؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠].

وهذا اعتراف منه بذنبه، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه كل مسلم؛ - أي: الاعتراف بالذنب والخطيئة -، كما اعترف ذو النون عَلَيْهِ السَّلَام حينما قال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، وهذا خلاف ما يقوله بعض العوام إذا أصابته مصيبة، يقول معترضاً: ماذا فعلت يا رب حتى تفعل بي كذا وكذا؟

فهذا اعتراض على الله من وجهين:

أولاً- أننا وقع لك إنما هو بسبب ذنوبك.

وثانياً- لو احتسبت ذلك عند الله؛ فإنه تحطَّ عنك به سيئة وترفع لك به درجة.

وقوله: «وَأَخْلِصْ نِيَّتِي» تقديره: أخلص به نيتي؛ لأنَّ تلاوة القرآن والعمل به من

أعظم الأسباب لصلاح النية وشفاء القلب؛ فإنَّ القلب يمرض بالذنوب والموبقات،

ويُشفَى 'بالأعمال الصّالحة، ومن ذلك صلاح النّيّة التي بصلاحها يصح العمل وبفسادها يفسد؛ كما قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»<sup>(١)</sup>، وقال في وصف القلب: «أَلَا إِنَّ فِي الْجَسَدِ مَضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»<sup>(٢)</sup>، ويقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا هَجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ»<sup>(٣)</sup>؛ والنّيّة هنا هي: حسن القصد وابتغاء وجه الله، لا يريد من وراء العمل جزاءً ولا شكورًا.

فالإخلاص أمر قلبي، وهو أمر عزيز، وهناك أمور تخدشه وتنقصه وقد تُبطله؛ فيبطله الشرك والرّياء إذا دخله كاملاً ويضعفه يسير الرّياء، وتضعفه إرادة الإنسان بعمله الدنيا إن كان يسيراً؛ أمّا إذا توجّهت الإرادة إلى الدّنيا بالكلية؛ فالعمل حابط غير مقبول؛ فيجب على المسلم أن يجتهد في إخلاص نيّته وأن يسأل الله أن يرزقه الإخلاص؛ لأنّه أمر عزيز وخطير.

وقوله: «وَأَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي»؛ الشّد: هو الضّبط والرّبط، والأزر: هو الشّأن والأمر الذي أنت فيه، وهذا كدعاء موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما دعا ربّه أن يرسل معه أخاه هارون وأن يشركه معه، أي: في أمر الرّسالة؛ ليشدّ به أزره كما قال الله تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾<sup>(٥)</sup> وَبَيِّرْ لِي أَمْرِي<sup>(٦)</sup> وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي<sup>(٧)</sup> يَفْقَهُوا قَوْلِي<sup>(٨)</sup> وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي<sup>(٩)</sup> هَؤُلَاءِ أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي<sup>(١٠)</sup> وَأَشْرِكُ فِي أَمْرِي<sup>(١١)</sup> كَيْ تَسْمِعَكَ كَثِيرًا<sup>(١٢)</sup> وَتَذَكَّرَكَ كَثِيرًا<sup>(١٣)</sup> إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿[طَبَا: ٢٥ - ٣٥]؛ ومن ذلك قول القائل: شدّ فلان على يد فلان؛ أي: عاضده في

(١) أخرجه البخاري [٨٣٢]، ومسلم [١٩٠٧] من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [٥٢]، ومسلم [١٥٩٩] من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه البخاري [٢٧٨٣] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

عمله الذي يعمله، ومنه قول: النبي ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»<sup>(١)</sup>؛ ولذلك قال: «وَأَشْدُّ بِهِ أَزْرِي»؛ أي: بالقرآن، اشدد به جميع أموري، واجعله عوناً لي على طاعتك.

وقوله: «وَأَصْلِحْ شَأْنِي»؛ والشَّان: سهَّلت الهمزة وإلا فالأصل شأن، والتسهيل والإظهار ثابت من حيث اللغة، وصلاح الشَّان عام يشمل تضرعه إلى ربه أن يصلح جميع أموره، ديناً ودنياً؛ ولذلك جاء في الدعاء الصحيح، دعاء الكرب: «دعوات المكروب اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت»<sup>(٢)</sup>، وإذا صَلَحَ شأن المرء؛ صلحت كل أموره؛ لأنَّ شأنه يشمل جميع أحواله، فإذا أصلح الله شأنه وأعان عليه؛ فكل بقية الأمور أمرها سهل.

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده وهذا كله يدل على اعتماد على ربه وصدق اللجوء إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



(١) أخرجه البخاري [٤٨١]، ومسلم [٢٥٨٥] من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الطيالسي [٩١٠]، وأحمد [٢٠٤٣٠]، وأبو داود [٥٠٩٢] من حديث أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٣٣٨٨].

٥- وَاكْشِفْ بِهِ ضُرِّي وَحَقِّقْ تَوْبَتِي وَارْبِحْ بِهِ بَيْعِي بِلاَ خَسْرَانِ

❦ قوله: «وَاكْشِفْ بِهِ ضُرِّي» الضمير كما تقدّم يعود على القرآن، وهذا أيضًا من التوسّل بأسماء الله وصفاته والتوسّل بالعمل الصّالح؛ لأنّ تلاوة القرآن، والخشوع فيه، والوقوف عند حدوده، وتحليل حاله، وتحريم حرامه من العمل الصّالح؛ فيكون هذا التوسّل شاملاً للتوسّل بأسماء الله وصفاته؛ حيث إنّ القرآن كلام الله وشامل للتوسّل بالأعمال الصّالحة، وكلاهما دلّت عليه الأدلّة من الكتاب والسنة كما تقدم؛ لذلك دعا الله عزّ وجلّ أن يكشف به ضرّه؛ لأنّ الذي يكشف الضرّ هو الله وحده؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]؛ فالذي يكشف الضرّ هو الله وحده لا ملك مقرب ولا نبيّ مرسل ولا السّاحر ولا الكاهن ولا الدجال؛ الله تبارك وتعالى وحده الذي يكشف الضرّ ويلجأ إليه في طلب كشف الشدائد: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [البقرة: ٦٢]، هو الذي يجعل لنا من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ومن كل بلاء عافية؛ فيجب أن نخلص النية له في طلب كشف الضرّ؛ لأنّ الله وحده القادر على كشفه؛ فالذي قدره هو القادر على إزالته، والضرّ يشمل جميع أنواع الشر من الأمراض وتسلط الأعداء والمصائب التي تحصل للإنسان؛ فهو يتوسل إلى الله أن يكشف أيّ ضرّ مسّه؛ كما حكى الله عن أيّوب عليه السّلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]؛ فيجب أن نلجأ إلى الله في طلب كشف الضرّ.

وقوله: «وَحَقِّقْ تَوْبَتِي»؛ كلمة «وَحَقِّقْ»: راءها ما وراءها من المعاني؛ إذ ليس المراد بالتوبة مجرّد النطق باللسان أو ترداد الكلمات، وإنّما لابد فيها من التزام الشّروط التي دلّ عليها الكتاب والسنة، وفرق بين مجرّد التلفظ بالتوبة وبين تحقيق التوبة؛ ولذلك وصف الله عزّ وجلّ التوبة الحقيقية بالتوبة النّصوح كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التوبة: ٨]؛ وكيف تتحقّق التوبة؟ تتحقّق بما ذكره أهل العلم من



شروط التوبة الصادقة النصوح وهي: الإقلاع من الذنب؛ أي: تركه بالكلية وترك مقارفته والبعد عنه.

والعزم على عدم العودة؛ أي: عندما تتلفظ بالتوبة لا تفكر في العودة إلى هذا الذنب ألبته؛ أي: أن في قلبك عزمًا أكيدًا على أن لا تعود إليه مرة أخرى.

والشروط الثالث: الندم على ما فات، بأن تتأسف على ما بدر منك من تقصير في جنب الله؛ فلا تذهب تتحدث بما اقترفت من جرائم ومعاصي على سبيل التندر والتفكك؛ وإنما لا بد أن تندم وتتمنى أنك لو لم تفعل، هذا إذا كان الذنب المتوب منه يتعلّق بحقوق الله سبحانه وتعالى، وأمّا إذا كان يتعلّق بحقوق الآدميين؛ فثمة شرط رابع وهو رد حقوق الناس التي عليك، فإن وجدت بعينها أعدتها، وإن لم توجد أعدت ما يماثلها أو بدلها أو ثمنها أو تتحلّل من صاحبها، فإن أباحك وحللك؛ تمت التوبة بإذن الله مع الشروط المتقدمة، وإن كانت تتعلّق بعرض أو كلام أو سب أو شتم ونحو ذلك، فإنك تتحلله منها إلا إن خشيت أن يترتب على ذلك ضرر أو فتنة، فأكثر من الاستغفار والدعاء له وذكره بالجميل وبخاصة في المجالس التي كنت تسيء إليه فيها، لعل ذلك يكون كفارة لك.

وقد ترد هنا مسألة: تقدم أن شروط تحقيق التوبة هذه الأربعة، وأنه إذا لم تتوافر هذه الشروط؛ فالتوبة لا قيمة لها، لكن قد يرد سؤال لو أن هذه الشروط توفرت غير أن الإنسان عاد مرة أخرى إلى الذنب بعد فترة فهل يُقال إن توبته الأولى انتقضت ولم تُعتبر؟ الجواب: ليس الأمر كذلك، بل توبته الأولى تامة؛ وإنما يحاسب على ما فعل بعد ذلك؛ لأن التوبة تجب ما قبلها؛ أي: تمحو ما قبلها ولكن بالشروط التي ذكرت.

هناك شرط آخر قد لا ينتبه له البعض، وهو أن تكون التوبة واقعة في زمان تقبل فيه التوبة، أمّا إذا بلغت الروح الحلقوم أو طلعت الشمس من مغربها فإنّ التوبة لا تقبل؛ كما قال رسول الله ﷺ: «تُقبل توبة العبد ما لم يغرغر»<sup>(١)</sup>، والغرغرة: بلوغ الروح الحلقوم؛ أي: حال الاحتضار، وجاء في الحديث الآخر: «إن الله عزّ وجلّ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»<sup>(٢)</sup> وإلا فالإنسان يقع في الذنوب لكن باب التوبة مفتوح؛ ولذلك يقول النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم»<sup>(٣)</sup>؛ فالواجب على المسلم المبادرة إلى التوبة وعدم التسويف فيها، قال الله جلّ وعلا: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧].

ومعنى ﴿مِنْ قَرِيبٍ﴾ أي: قبل بلوغ الروح الحلقوم، وقبل طلوع الشمس من مغربها ثم قال سبحانه: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ﴾ [النساء: ١٨] لو كانت تنفع لنفعت فرعون؛ فإنه عندما أحس بالغرق قال: ﴿ءَاْمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاْمَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، فردّ الله تبارك وتعالى عليه وكبته: ﴿ءَاْلَكُنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١].

(١) أخرجه أحمد [٦١٦٠]، والترمذي [٣٥٣٧]، ابن ماجه [٤٢٥٣]، وابن حبان [٦٢٨]، والحاكم [٧٦٥٩] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال الترمذي: «حديث حسن». وقال الحاكم: «هذا

حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وصححه الذهبي.

(٢) أخرجه مسلم [٢٧٥٩] من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم [٧١٤١] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولهذا ثبت عن رسولنا الكريم ﷺ الذي ما ترك خيرا إلا دلنا عليه، أنه قال: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»<sup>(١)</sup>، وصح عن ابن عمر قال: «إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة «رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم»<sup>(٢)</sup>.

وقوله: «وَأَرِخْ بِهِ بَيْعِي بِلَا خُسْرَانٍ»؛ هذا من الأساليب العربية التي يسميها بعض اللغويين مجازًا واستعارة، والحق أن المجاز طاغوت من الطواغيت امتطته فرق أهل الكلام من الجهميّة والمعتزلة ومن قلّدهم من الأشعرية والماتريدية؛ فجعلوا صفات الله عزّ وجلّ مجازًا، وقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله رسالة نفيسة في الردّ على القائلين بالمجاز، هي «الرسالة المدنية في الحقيقة والمجاز»<sup>(٣)</sup>؛ كما ألف شيخنا الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي رحمه الله رسالة عنوانها: «منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز»؛ فالمجاز حمار المعتزلة الذي ركبه فأبحر بهم في غياهب الظلام؛ كما يقول أحد الشعراء:

خضتم بحار الشعر دون روية أنتم كمن ركب الحمار فأبحرا<sup>(٤)</sup>

فهذا هو شأن المتكلمين؛ ركبوا علم الكلام والمجاز، وسبحوا في خيالاتهم حتّى ألقى بهم في الهاوية فأنكروا أو عطّلوا أو أولوا أو فوّضوا أو شبهوا في أسماء الله وصفاته؛ فوقع منهم ما الله به عليم من الإفراط والتفريط في هذا الباب؛ فنحن نسميه كما سماه علماؤنا أسلوب عربي منوّع، والعرب لم تسمه مجازًا؛ كل عربي فصيح إذا قال له أحد:

(١) أخرجه البخاري [٦٣٠٧] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود [١٥١٨]، وابن ماجه [٣٨١٤] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» [١٣٥٧].

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣٥١ / ٦).

(٤) بيت من قصيدة للشيخ د/ محمد بن عبد الله بن زربان الغامدي.

«زارني أسد» عِلِمَ بداهة أن الذي زاره رجل شجاع، وكل عربي فصيح لم يتبدّل لسانه كما تبدّلت ألسنتنا في هذا العصر؛ إذا سمع قائلًا يقول: «وجدت الجود عند هذا البحر» يعلم يقينًا أنه يقصد الإنسان الكريم السخي الجواد، وهذا يفهم ابتداء من سياق الكلام، لا يحتاج إلى قرينة ولا إلى علاقة ولا إلى وجه شبه ولا إلى مشبّه به الأمور واضحة لكن لما فسدت الألسن والقلوب امتطوا هذه الأشياء، نعم لاشك أن علم البلاغة وعلم النحو علوم نافعة عظيمة لكن إذا خرجت عن الشّرع أصبحت فاسدة وإذا ركبت لتغيير وتحريف كتاب الله عزّ وجلّ وسنة رسوله ﷺ أصبحت ضارة.

وقوله: «وَارِزِحْ بِهِ بَيْعِي بِلَا خُسْرَانٍ»؛ الله عزّ وجلّ سمى الأعمال الصّالحة بالتجارة الرّابحة كما قال جلّ وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُجِيزُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۝ تُمْنُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ يَعْرِضُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف: ١٠ - ١٢].

فسماها الله عزّ وجلّ تجارة وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى في وصف المؤمنين وأنهم يتاجرون معه سُبْحَانَهُ، تلك التجارة الرّابحة؛ قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمْ الْجَنَّةُ يَقُولُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعْيِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١] - جعلني الله وإياكم منهم -؛ فسماها شراء وهذا من الأساليب العربيّة المعروفة ووصف عزّ وجلّ أعمال الكفار بالتجارة الخاسرة، فقال تَعَالَى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦].

ولذلك قال الناظم: «وَارِزِحْ بِهِ»؛ أي: بالقرآن، «بِئَعِي»؛ أي: عملي الصالح الذي أعمله خالصاً لوجه الله بلا خسران؛ لأن من ربح بالأعمال الصالحة؛ فإنه لن يخسر والخسران الذي يشير إليه ويحذر منه ويخشى منه؛ هو خسران الدنيا والآخرة؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤].

فالمتقصد بقوله: «وَارِزِحْ بِهِ بِئَعِي بِلَا خُسْرَانٍ»؛ أي: وفقني يا ربّي ليكون ذلك البيع، وهو عملي الصالح عملاً رابحاً متقبلاً ينفعني عندك يوم الحاجة إلى ذرة من الأعمال؛ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزال: ٧ - ٨]، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩].



٦- طَهَّرْ بِهِ قَلْبِي وَصَفِّ سَرِيرَتِي أَجْمَلُ بِهِ ذِكْرِي وَأَعْلَى مَكَانِي

❖ قوله: «طَهَّرْ بِهِ قَلْبِي»، القرآن يطهر القلوب من الأدران والأضغان، وطهارة القلوب تنتج عنها طهارة الجوارح والأعمال كما تقدّم؛ إذ أنها تصلح بصلاحه، وتفسد بفساده؛ فطهارة القلوب: نظافتها من الغلّ والحقد والحسد والنفاق والكفر وما أشبه ذلك من أمراض الشبهات والشهوات التي تفتك بالقلوب، والقلوب تمرض كما تمرض الأجسام؛ فحتاج إلى تطهير كما أنّ الجسم يحتاج إلى تطهير.

«طَهَّرْ بِهِ قَلْبِي»: أي: نظف به قلبي من كلّ درن، ومن كل شائبة تخالف الشرع.

وقوله: «وَصَفِّ سَرِيرَتِي»: السريرة أيضًا: هي محلّها القلب وهو ما يكنه العبد مما لا يطلع عليه إلا الله سُبحانه وتعالى، فهو الذي يعلم السر وأخفى، فإذا تقيت سريرة العبد ونظفت وصُفيت؛ انعكس ذلك على سائر جوارحه وأعماله التي يتقرّب بها إلى الله سُبحانه وتعالى، وقد تُكشف سريرة العبد - نسأل الله السلامة - قال عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ما أسرَّ عبد سريرة إلاّ أظهرها الله على صفحات وجهه وفتلت لسانه»<sup>(١)</sup>.

فسلامة القلب وتنقيته من أعظم الأمور التي تُقرّب العبد إلى ربه؛ ولذلك وصف أحد السلف أبا بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بقوله: «ما سبق أبو بكر الناس بكثرة صيام ولا صلاة، ولكن بشيءٍ وقر في قلبه»<sup>(٢)</sup>.

والناظم رَحِمَهُ اللهُ دعا بهذه الدعوة المباركة ليأمن من أمراض القلب وأدراجه.

ومن أعظم أسباب أدراان القلب تراكم الذنوب والمعاصي عليه كما قال الله

سُبحانه وتعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

(١) «الآداب الشرعية» (١/ ١٧٧).

(٢) روي ذلك عن بكر بن عبد الله المزني كما جاء عند الحكيم الترمذي وأبي بكر بن عياش كما جاء في «منهاج السنة» لابن تيمية (٦/ ١٣٧)، و«مفتاح دار السعادة» لابن القيم (١/ ٨٢).

وقد فسر النبي ﷺ ذلك بقوله: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نَكْتَةُ سُودَاءَ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صَقَلَ قَلْبَهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ، حَتَّى يَعْلُو قَلْبَهُ ذَاكَ الرَّانَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الْمُطَفِّفِينَ: ١٤]»<sup>(١)</sup>.

وقد وصف الله عَزَّوَجَلَّ قلوب الكفار بالطبع عليها، قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَافِلُونَ﴾ [النَّحْل: ١٠٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُم قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الْأَنْعَام: ١٧٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِنَّ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الْحَجَّ: ٤٦]، وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غَشَاةٌ ﴿[البَقَرَةُ: ٦-٧]، إِلَى أَنْ قَالَ فِي وَصْفِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البَقَرَةُ: ١٠] - والعياذ بالله.

ومنها كذلك الوقوع في الفتن، والتعرض لها كما في الصحيح من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «تَعْرِضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عَوْدًا عَوْدًا فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نَكَتٌ فِيهِ نَكْتَةُ سُودَاءَ أَوْ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نَكَتٌ فِيهِ نَكْتَةُ بَيْضَاءَ حَتَّى تُصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلَ الصِّفَا فَلَا تُضِرُّهُ فَتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخِرُ أَسْوَدَ مَرِيَادَا كَالْكُوزِ مَجْخِيَا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يَنْكَرُ مَنْكَرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه أحمد [٧٩٥٢]، وابن ماجه [٤٢٤٤]، والترمذي [٣٣٣٤]، والنسائي في «الكبرى» [١٠٢٥١]، والحاكم [٦] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [١٦٧٠].

(٢) أخرجه مسلم [١٤٤].

وقوله: «أَجْمَلُ بِهِ ذِكْرِي وَأَعْلَى مَكَانِي»، الذكر الحسن ينتج عن سيرتك الحسنة، ليس المراد هنا طلب محمداً الناس أو مدحهم أو ثنائهم:

فالناس لا يرجئ اجتماع قلوبهم لا بد من مثنٍ عليك وقال وإن كان ذلك من آثار الذكر الحسن، قال رسول الله ﷺ: «أنتم شهداء الله في الأرض» ثلاثاً<sup>(١)</sup>، قال الله عز وجل حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [التَّحَّة: ٨٤]، ويقول تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الحج: ٤٤]؛ أي: في القرآن تذكير لك ولقومك وشرف لكم أيضاً، أي: أجمل وشرف بالقرآن ذكري في الدنيا والآخرة.

وقوله: «وَأَعْلَى مَكَانِي»؛ أي: في الجنة، ارفع به ذكري في الدنيا والآخرة، في الدنيا ليدعولي الناس ولأحصل على الدعاء الذي هو عبادة ولأكون قدوة في الخير ليتضاعف أجري، وفي الآخرة في الجنة وأعل منزلي فيها؛ فهو يتوسل بالقرآن إلى الله أن يجعله من أهل القرآن، الذين هم أهلهم وخاصته، والذين هم موعودون على لسان رسوله ﷺ بالدرجات العلى في الجنة؛ «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتنق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها»<sup>(٢)</sup>؛ - نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أولئك -؛ هذا هو المقصود بقوله: «وَأَعْلَى مَكَانِي»، ليس المقصود أنه يتمنى مجرد الذكر في الدنيا ورفعة المكانة في الدنيا، وإنما المراد الرفعة الأهم في الآخرة، وما يتعلق بالدنيا

(١) أخرجه البخاري [١٣٦٧]، ومسلم [٩٤٩] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد [٦٧٩٩]، وأبو داود [١٤٦٦]، والترمذي [٢٩١٤]، والحاكم [٢٠٣٠] من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٨١٢٢].



يكون بالذكر الجميل وبالدعاء له على ما قدّم، سواء أكان دعاء إخوانه المسلمين أو دعاء أولاده الذين ربّاهم على طاعة الله؛ كما قال رسول الله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»<sup>(١)</sup>.

ومما يؤيّد هذه الدّعوات التي هي التوسّل بالقرآن؛ ما رواه الإمام أحمد وغيره بسند صحيح من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: - وهو دعاء الكرب ما قاله مسلم وعليه كرب إلا أزال الله كربَه وأبدله به فرحًا - قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي»<sup>(٢)</sup>.



(١) أخرجه مسلم [١٦٣١] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد [٣٧١٢]، وابن أبي شيبة [٢٩٣١٨]، والطبراني في «الكبير» [١٠٣٥٢]، وابن حبان [٩٧٢]، والحاكم [١٨٧٧] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم». وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» [١٨٢٢].

٧- وَأَقْطَعْ بِهِ طَمَعِي وَشَرِّفْ هِمَّتِي كَثُرَ بِهِ وَرَعِي وَأَحْيِ جَنَانِي

﴿وَأَقْطَعْ بِهِ طَمَعِي﴾؛ أي: الأطماع الدنيوية والضَّمائر كما تقدَّم في الآيات السابقة تعود كلُّها إلى القرآن الكريم؛ لأنَّه كلام الله والتوسل بصفات الله عزَّ وجلَّ مشروع؛ أي: اجعل تعلُّقي بالآخرة والبعد عن الأطماع الدنيوية التي تصرفني عن الآخرة؛ وليس المراد أن يترك الإنسان المسلم الدنيا كلها؛ بل يتزوَّد منها بما يعينه على 'طاعة الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والله عزَّ وجلَّ يحب أن يرى أثر نعمه على عباده؛ لكن المراد: أن يقطع طمعه؛ ذلك الطَّمع الذي يجعله يُؤثر الدنيا على الآخرة وهذا هو المذموم، فالمذموم هو أن تُؤثر الدنيا على الآخرة، وأمَّا إذا أخذ المسلم منها بالقدر الذي يعينه على 'طاعة الله ولو كَثُرَ ماله إذا كان من طرقه المشروعة والمباحة، وسخَّرَه في طاعة الله عزَّ وجلَّ فهذا لا حرج عليه ولا شيء فيه، بل «نعمًا المال الصالح للفرء الصالح»<sup>(١)</sup>، وهذا فيه أيضًا لفظة عظيمة إلى أمر هام؛ وهو أنَّه لا يجوز للمسلم أن يستخدم القرآن من أجل أطماع الدنيا والتكثُر منها، فيكون ممَّن يشتري بآيات الله ثمنًا قليلًا، وخير مثال على هذا، الذين سخَّروا القرآن للأطماع الدنيوية في هذا العصر؛ أولئك الذين يحيون بالقرآن الماتم البدعية التي تقام عند وفاة أحد من الناس، فيقيمون ثلاثة أيَّام أو أسبوعًا، وربما جدَّدوا ذلك عند الأربعين، وعند حولان الحول، وكل هذا بدع ما أنزل الله بها من سلطان، وأكل لأموال الناس بالباطل؛ فالذين يقيمون الشُّرادات عند وجود ميت عندهم:

أولًا- العمل في حدِّ ذاته بدعة.

وثانيًا- ما يأخذه هؤلاء القراء الفجار سحت وحرام.

(١) أخرجه الطيالسي [١٠٦١]، وأحمد [١٧٨٠٢]، وابن حبان [٣٢١٠]، والحاكم [٢٠٨٩] من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. وصححه الألباني في «غاية المرام» [٤٥٤].

وثالثًا - أنه قد يكون فيه أكل لأموال الورثة بغير حق، فهو حرام من جميع الوجوه. وأعظم الناس طمعًا في الدنيا القراء الذين يستخدمون القرآن لهذا الغرض حتى وصل الحال ببعضهم إلى أنه اتخذ ذلك مهنة، فإذا أصبح الصباح فتح مكتبه، وقال على الله وعلى باب كريم يا رزاق؛ يبحث عن ميت، فيفرح إذا أخبروه أنه قد مات فلان في الحي أو المدينة حتى يساومهم على النقود التي تُدفع ناهيك عن الذبائح والحلوى التي يبلع منها ويتجرّع ويتمايل برقبته ورأسه كما تتمايل الراقصة، فمثل هذا القرآن يلعنه وهو حجة عليه - والعياذ بالله - كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَالْقُرْآنُ حَجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ»<sup>(١)</sup>، بل وصل الأمر في ذلك في بعض بلاد المسلمين إلى تصنيف القراء إلى كبار وصغار؛ فالأغنياء وأهل الثراء يذهبون إلى القارئ الكبير ليقرأ لهم في عزائهم، والفقراء يذهبون إلى الصغار؛ لأنهم يقنعون بالقليل من المال، وربما جامل أحد القراء الكبار بعض المساكين فذهب معهم، لكن يقرأ لهم من آيات الوعيد والعذاب، فإذا ما رأهم انزعجوا قال لهم: تريدون الجنة ب (بلاش)؛ أي: بالرخص، ادفعوا أكثر لأقرأ لكم آيات الرحمة والمغفرة!! - والعياذ بالله - وكأن لسان حال هذا المفترى ومقاله أن مفاتيح الجنة والنار بيده يكرم من يشاء ويحرم من يشاء؛ أي: أن الجنة والنار تنال على قدر الجاه، والمال الذي يُدفع يشبه في ذلك بعض مشايخ المتصوفة الغلاة والرافضة في معاملتهم لأتباعهم، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

وقوله: «وَشَرَّفَ هِمَّتِي»؛ أي: بالقرآن، وذلك بتلاوته والعمل به على الوجه الذي يُرضي الله، وفهمه وفق فهم السلف الصالح، فالقرآن شرف لأصحابه، وهو أعظم مقصد شريف ينشده المسلم.

(١) أخرجه مسلم [١٧٨٠٢].

وقوله: «كَثْرَبِهِ وَرَعِي وَأَخِي جَنَانِي»، القرآن إذا تعلَّمه المسلم وعمل به؛ كَثُرَ ورعه وزهده في الدنيا، وأقبل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأنَّ القرآن قد تَشَرَّبَتْ به دماؤه وعروقه وشُغِفَ به قلبه؛ فأصبح شغله الشاغل؛ لذلك يمتاز بالورع، ليس ورع المتصوِّفة البارد الذين يتركون القرآن، ويردِّدون أذكَّارًا ابتدعوها من عند أنفسهم يترنمون ويرقصون بها ويسمُّونها ذكراً وإنَّما هو ورع أهل السنَّة والجماعة الذين يعملون بالقرآن ويطبِّقونه ويحلُّون حلاله ويحرِّمون حرامه ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه.

والورع: هو الوقوف عند حدود الله نتيجة لشدة الخوف والخشية منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهذا هو شأن أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصَّته<sup>(١)</sup>.

وقوله: «وَأَخِي جَنَانِي»، الجنان - بالفتح - هو القلب، والجنان ما يجتن ويستتر به، والجنَّان - بالضم - الإصابة بالجنون - والعياذ بالله -، ولذلك عرف السلف الإيَّمان بقولهم: «قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان»، والمقصود بالجنَّان: القلب.

«وَأَخِي - أي: بالقرآن - جَنَانِي»؛ أي: أخي به قلبي ياربي؛ لأنَّ في القرآن حياة القلوب وطمأنينة الأفتدة، فيه تنبيه لها من غفلتها وإيقاظ لها من سباتها وتليين لها من قسوتها، فإذا قرأه المسلم وعمل به وطبَّقه حيي عن بينة بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



(١) نقل ابن القيم عن شيخ الإسلام ابن تيمية في تعريف الورع أنه ترك ما يخاف ضرره في الآخرة، «مدارج السالكين» (١٢/٢).

## ٨- أَسْهَرِ بِهِ لَيْلِي وَأَظْمِ جَوَارِحِي أَسْبِلْ بِفَيْضِ دُمُوعِهَا أَجْفَانِي

«أَسْهَرِ بِهِ لَيْلِي»؛ أي: بالقرآن اجعلني أفقي الساعات الطويلة في صلاة الليل يا ربي في تلاوة القرآن وقراءته، والعمل به؛ ولذلك يقول النبي ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين..»، وذكر منهما رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وأطراف النهار<sup>(١)</sup>؛ فالمسلمون الخُلَصُّ وطلاب العلم خاصّة الجادّون هم الذين يسهرون ليلاتهم في القرآن الكريم تلاوة وعملاً وتفسيراً وفهماً، ورجوعاً إلى 'تفاسير القرآن على' منهج السلف الصالح.

«وَأَظْمِ جَوَارِحِي» يعني: بالصوم؛ أي: عطّش جوارحي بكثرة ما أصوم وألهج بتلاوة كتابك، وليس المراد يا عبد الله أن تضني نفسك حتى السأم؛ فإنّ هذا لا ينبغي ولكن ساعة وساعة كما قال النبي ﷺ لحنظلة، ولأنّ المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى، اقرأ ساعة ونم مثلها؛ ثم قم واقرأ وهكذا هذا هو مقصود النظم؛ أنّه يطبّق القرآن وفق السنة، والرسول ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا»<sup>(٢)</sup>، وكان رسول الله ﷺ يتخوّل أصحابه بالموعظة تخوّلًا، فهذا هو المقصود بقوله: «أَسْهَرِ بِهِ لَيْلِي وَأَظْمِ جَوَارِحِي» اجعل جوارحي تتلهف إليه وتعطش من كثرة الجهد فيه؛ أي: اجعل القرآن شغلي الشاغل قولاً وعملاً واعتقاداً؛ لأنّه جهد مبارك، وكما قلت ليس المراد أن يتبتّل المسلم وينقطع للعبادة تماماً، فإنّ ذلك هو الرهبانية التي قد نُسِخت - والله الحمد - من شريعتنا، وإنّما المراد أن تراعي أربعة حقوق: حق نفسك وحق أهللك وحق إخوانك، وقبل ذلك حق الله عزّ وجلّ، فتنبه لهذا «إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري [٥٠٢٦] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [١١٥١]، ومسلم [٧٨٢] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه البخاري [١٩٦٨]، ومسلم [٧٨٢] من حديث أبي جحيفة السوائي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقوله: «أَسْبِلْ بِضَيْضِ دُمُوعِهَا أَجْفَانِي» بمعنى 'أنه يتضرّع إلى الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقه التأثر بالخشوع عند تلاوة القرآن والعمل به، والتأثر به والتأثير به؛ لأنه كلام عظيم لو أنزل على الجبال لتهددت؛ قال الله سُبْحَانَهُ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِيعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجن: ٢١].

المسلم الحق يتأثر ويخشع قلبه، وقد تذرف عينه وتدمع من خشية الله حين تلاوة القرآن، وهذا عند تفهّمك لمعانيه وتدبرها وتأملها؛ كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وليس المقصود التكلف في البكاء عند تلاوة القرآن، وإنما المقصود ما يحدث عفويًا بسبب تأثر القلب عندما يسمع الآيات الزواجر التي تخوّف من عذاب الله، أو التي تبشر بالجنة وتحذر من النار، فعندها يخشع قلبه ويعود إلى 'ربه' ويزيد إيمانه وتقوى 'عزيمته' ويطمع فيما عند الله، يرجو ثواب الله ويخاف عقابه.



٩- امزجْهُ يَا رَبِّي بِلَحْمِي مَعَ دَمِي      وَاغْسِلْ بِهِ قَلْبِي مِنَ الْأَضْغَانِ

❁ كل هذا تضرعٌ إلى الله عزَّ وجلَّ بأن يجعل القرآن شغله الشاغل، وإذا اشتغل بالقرآن اشتغل بالسنة، يتضرع إلى الله أن يجعل تأثيره بالقرآن هو شغله الشاغل؛ حتى يجري في سويداء قلبه وفي دمه وعروقه، يتعلق بالقرآن دائماً وفي كل وقت وحين، قلبه معلق بالقرآن؛ أي: اجعله شغلي الشاغل وهمي العظيم قولاً وتلاوةً وقراءةً وعملاً وتطبيقاً وأخلاقاً وآداباً، وقبل ذلك عقيدة؛ هذا هو المراد؛ ثم أيضاً يتضرع إلى الله أن ينظف به أضغان قلبه؛ لأن ضغينة القلب وسخيمة القلب تُزال بتلاوة القرآن؛ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وأعظم ما تُنظف به الأضغان والأحقاد والسخائم؛ إنها هو كتاب الله عزَّ وجلَّ وهدى نبيه ﷺ، نعم إذا صارت تفرغ القلب بما فيها من مبشرات ومنذرات ومن خوف ورجاء ودعوة إلى كل خير وتحذير من كل شر، وبيان الثواب والعقاب؛ فإنها ستسألُ سخيمة القلب وستسألُ ضغينته - بإذن الله تعالى -؛ فيبقى قلب المؤمن أبيض كالصفا؛ نقياً من كل درن؛ لأن القلوب إذا وجدت فيها الأضغان والأحقاد خربت، والرجل الذي بشره النبي ﷺ بالجنة، وتتبعه عبد الله بن عمرو ليرى عمله وما رأى عنده كثير صلاة ولا صوم غير أنه أخبره في نهاية الأمر أنه لم يبت وفي قلبه حقد وضغينة على مسلم؛ فهذا هو شأن المسلمين يطهرون قلوبهم من الأحقاد والأضغان والحسد وما إلى ذلك.



## إقرار الناظر باستفاضة نعم الله وشكره ربه على ذلك

١٠- أَنْتَ الَّذِي صَوَّرْتَنِي وَخَلَقْتَنِي وَهَدَيْتَنِي لِشَرَائِعِ الْإِيمَانِ

❖ هنا توسل إلى الله عَزَّجَلَّ بالعمل الصالح، وهو شكره الله على ما منَّ عليه به من الخلق أولاً، وجعله في أحسن تقويم؛ ثم بعد هذا هداه إلى شريعة الحق الإسلام كما قال عَزَّجَلَّ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التَّيْنِ: ٤]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ] (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ❖ [الْأَنْظَارُ: ٦ - ٨].

الله عَزَّجَلَّ كَرَّمَ بَنِي آدَمَ ❖ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ❖ [الْإِسْرَاءِ: ٧٠]، وجعلهم في هذه الصورة الجميلة وأعطاهم هذا القوام؛ فذكره لذلك من باب الامتنان بنعمة الله عَزَّجَلَّ «أَنْتَ الَّذِي صَوَّرْتَنِي وَخَلَقْتَنِي»، خلقتني من عدم، وصوّرتني في هذه الصورة الجميلة؛ ثم بعد هذا التصوير البديع والخلق الجميل؛ هديتني للإسلام وشرائع الإيمان، والشرائع جمع شريعة والمقصود بها مناهج الإسلام التفصيلية، والآ فهي شريعة واحدة، ولكن المراد الأحكام الكثيرة التي يشملها الدين الحنيف.

انظر إلى العالم آلاف الملايين يعيشون شريعة الغاب، كفر منوع، وقد منَّ الله عليك يا عبد الله بأن هداك للإسلام، فهذه أعظم منّة، وأفضل نعمة يجب أن نشكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عليها؛ ف ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الْإِنْفِاقِ: ٤٣]؛ فمن هداه الله للإسلام فإنَّ كلَّ ما دونه يهون، فنسأله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن يثبتنا على ذلك، اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، ثبت قلوبنا على طاعتك، ثبت قلوبنا على الإيمان، يا حيُّ يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام.



## ١١- أَنْتَ الَّذِي عَلَّمْتَنِي وَرَحِمْتَنِي وَجَعَلْتَ صَدْرِي وَاعِي الْقُرْآنِ

✽ مازال في باب الامتنان بما تفضل الله به عليه والاغتباط بذلك والتوسل به؛ يعني يتوسل بالأعمال الصالحة؛ فيشكر ربه ويعترف بنعمته عليه حيث تفضل عليه بالعلم، والعلم هو أعظم زاد يتزود به المسلم؛ لأنه بالعلم يعرف الإسلام من الكفر، والهدى من الضلال، والتوحيد من الشرك، والسنة من البدعة، والحق من الباطل، فالعلم الذي يعمل به صاحبه كالميزان الذي توزن به الأشياء فيزن به الأمور ولا يضع قدمه إلا حيث ينبغي أن توضع، فالعلم نور يضيء له الطريق كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ: «ليس العلم بكثرة الرواية، إنما العلم نور يضعه الله عزَّجَلَّ في القلوب»<sup>(١)</sup>، وكما قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي  
وقال اعلم بأن العلم نور ونور الله لا يعطى لعاصي ؛  
فهو يشكر الله ويحمده أن وفقه للعلم ويعترف بفضلته عليه.

وقوله: «وَرَحِمْتَنِي»؛ أي: بهذا العلم، لأن في العلم رحمة لأولي الألباب، العلم رحمة على أصحابه حيث يرحمهم الله به من الوقوع في الشبهات والشهوات؛ لأنَّ العالم العامل بعلمه يخشى الله عزَّجَلَّ؛ كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [قَطَاة: ٢٨]، ثُمَّ يَبَيِّنُ بعض ما منَّ الله به عليه من العلم وأعظم ذلك وأفضله وأساسه؛ وهو كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ حيث قال: «وَجَعَلْتَ صَدْرِي وَاعِي الْقُرْآنِ»، وكلمة واعى أعظم من كلمة حافظ؛ ولذلك قال الله تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [مُجَدَّد: ٢٤]، ويقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَصَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها فَأَدَاها كَمَا سَمِعَهَا

(١) انظر: «الإمام»، ص: [٢١٧].

فرب مبلغ أوعى من سامع»<sup>(١)</sup>، والوعي هو الفهم والإدراك والتمييز ومعرفة مدلول النص؛ ولذلك قال: «فرب مبلغ أوعى من سامع»، فإذا وعى المسلم القرآن؛ أي: فهم معانيه وعمل به؛ كان ذلك سبباً في سعادته في الدارين، وهذا الوعي للقرآن لا يكون بمجرد التلاوة والحفظ؛ بل لابد مع ذلك من فهم المعنى والعمل.

يقول أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ التَّابِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «حدثنا الذين كانوا يقرءوننا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً»<sup>(٢)</sup>؛ لأنَّ العمل هو ثمرة العلم، ولذلك قال: «وَجَعَلْتُ صَدْرِي وَاعِي الْقُرْآنِ»؛ أي: فاهماً له عاملاً به؛ لأنَّه إذا كان واعياً حقَّ الوعي؛ فإنَّه يخشى الله، وإذا خشي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ عمل بطاعته، فعل ما أوجب الله عليه، وترك ما حَرَّمَ الله عليه؛ لأنَّ خشية الله تحمله على الطَّاعة وتمنعه من المعصية، فمن جعل الله صدره واعياً للقرآن تالياً له عاملاً به معطيه حقَّه؛ فهذه أفضل نعمة يمتنُّ الله بها على المسلم.



(١) أخرجه أحمد [١٦٧٨٤]، والدارمي [٢٢٨]، وأبو يعلى [٧٤١٣]، والطبراني [١٥٤١]، والحاكم [٢٩٤] من حديث جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٦٧٦٦].

وجمع طرق هذا الحديث شيخنا: الشيخ عبد المحسن العباد البدر في كتاب أسماه «دراسة حديث: «نضر الله امرأً سمع مقالتي...» رواية ودراية، وبين حفظه الله أن الحديث بلغ حدَّ التواتر.

(٢) انظر: «البدع» لابن وضاح، ص: [٩٣].

## ١٢- أَنْتَ الَّذِي أَطْعَمْتَنِي وَسَقَيْتَنِي مِنْ غَيْرِ كَسْبٍ يَدٍ وَلَا دُكَّانٍ

﴿ هذا أيضًا من باب الاعتراف بنعمة الله، والتوسل بهذا الاعتراف إلى الله عَزَّوَجَلَّ وبيان ما تفضل به المنعم سُبحَانَهُ وَتَعَالَى من نعم عظيمة عليه؛ إِنَّ من أعظم أسباب إجابة الدعاء: اعتراف المؤمن بنعم الله عليه التي تفضل بها عليه وأولاه إِيَّاهَا، ومن ذلك: الإطعام والسُّقْيَا، «أَنْتَ الَّذِي أَطْعَمْتَنِي وَسَقَيْتَنِي» وهو الذي يطعمني ويسقين؛ فتعداد هذه الفضائل والاعتراف بها والاعتباط بها، وتسخيرها لطاعة الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى من أعظم ما يوصلك يا عبد الله إلى مرضاة الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

ويشير بقوله: «أَنْتَ الَّذِي أَطْعَمْتَنِي وَسَقَيْتَنِي» إلى ما دلت عليه النصوص الكريمة من تكفل الله برزق العباد وتفضله عليهم به، قال سُبحَانَهُ: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الدَّهْلُوك: ٢٢]، وقال: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (٧٨) ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ [الشَّحَرَاء: ٧٨-٧٩]، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى هو المتكفل بالرزق؛ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿ [الدَّهْلُوك: ٥٦-٥٨]، وقال: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾ [الْحَجَّة: ١١]، وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن الله جَلَّوَعَلَا في حديث طويل أنه يقول: «يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم»<sup>(١)</sup>؛ فالله عَزَّوَجَلَّ هو المتكفل بالرزق والسُّقْيَا؛ لأنَّ الماء أساس كل رزق ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، فمن منَّ الله عليه بهذا الرِّزْق وسخره في طاعة ربِّه؛ سَعِدَ في دنياه وفي آخرته.

وقوله: «مِنْ غَيْرِ كَسْبٍ يَدٍ وَلَا دُكَّانٍ»؛ يدل على أهمية التوكل، وأنَّه بمنزلة الرأس من الجسد، قال رسول الله ﷺ: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه مسلم [٢٥٧٧] من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد [٢٠٥]، والترمذي [٢٣٤٤]، وابن ماجه [٤١٦٤]، ومن حديث عمر بن الخطاب

ولا يفهم من قول الناظم «من غير كسب... دكان» أنَّ الإنسان يجلس ويقبع في بيته دون اتخاذ أسباب الرزق، فلا يبحث عن أسباب طلب الرزق، فإن ذلك مخالف للشرع؛ فالسما لا تمطر ذهباً ولا فضة، فإن الله سُبحانه وتعالى يقول: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الْجِنَّةُ: ١٠]، ويقول تبارك وتعالى: ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [البَقَرَةُ: ١٨٧]؛ أي: من الذرية والرزق. ويقول جلَّ وعلا: ﴿وَأَخْرَجُوا يَصْرِيُونَ فِي الْأَرْضِ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الْمَزَلَّةُ: ٢٠] يتبعون من فضل الله فطلب الرزق والسعي في ذلك من سنن الأنبياء والمرسلين، ويقول النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله أعطاه أو منعه»<sup>(١)</sup>.

فلا بدَّ يا عبد الله من العمل، ويقول النبي ﷺ: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده»<sup>(٢)</sup>، وقوله عليه الصلاة والسلام: «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم فقال أصحابه وأنت فقال نعم كنت أراهما على قراريط لأهل مكة»<sup>(٣)</sup>، وحث النبي ﷺ أمته على العمل والكد وطلب الكسب الحلال، والأنبياء منهم من كان صانعاً، ومنهم من كان نجَّاراً أو حدَّاداً، ومنهم من كان يسعى في طلب الرزق، وكذا الصحابة رضي الله عنهم منهم التاجر ومنهم الفلاح ومنهم المزارع وهكذا سنة الله في خلقه.

فينبغي للمسلم أن يسعى في طلب الرزق الحلال وأن يجد في ذلك بشرط أن لا يطغى هذا السعي على ما أوجب الله عليه من فعل المأمورات وترك المحظورات،

<sup>=</sup> رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: «حسن صحيح». وصححه الألباني في «الصحيحة» [٣١٠].

(١) أخرجه البخاري [١٤٧٠] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [٢٠٧٢] من حديث المقدم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري [٢٢٦٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وإنما قصد المصنّف أن الأرزاق بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى هو الذي يعطي ويمنع، وليس الغنى دليل محبة الله تَعَالَى ولا الفقر دليل كراهية الله تَعَالَى للفقير؛ بل ربما انعكس الأمر أحياناً؛ لذلك تكلم بعض الناس في أي الصنفين أفضل الغني الشاكر أم الفقير الصّابر؟ وهذه المسألة أرى أنها من فضول العلم، فكلّ سيؤتيه الله عزّ وجلّ من فضله ولذلك لما جاء فقراء الصّحابة إلى النبي ﷺ؛ وقالوا: «ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم»، فقال: وما ذاك قالوا يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق فقال رسول الله ﷺ: «أفلا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة». قال أبو صالح فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله، فقال رسول الله ﷺ: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»<sup>(١)</sup>؛ فلا اعتراض على قدر الله عزّ وجلّ؛ ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الْعنكبوت: ٢٦].

فالخلاصة أنه ينبغي أن يُحمل ما في كلام السلف من إطلاق على ما فيه من تقييد، والناظم ليس ممن يرى الركون إلى النوم والسكون إلى الدعة والراحة وعدم العمل؛ تدلّ لذلك أبيات سوف تأتي ولكنه ينبه إلى أهمية الإيمان بأنّ الأرزاق بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يرزق من يشاء بفضله، ويحرم من شاء بعدله، ولا يظلم ربك أحداً.

(١) أخرجه البخاري [٢٢٦٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

١٣- وَجَبَرْتَنِي وَسَتَرْتَنِي وَنَصَرْتَنِي وَغَمَرْتَنِي بِالْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ

✽ الجبر هو: إصلاح الكسر، ويُطلق على ما يمنُّ الله به على عبده من الخير؛ من جبر قلبه بالإيمان وجبر القلوب بما قسم وقدر، ولذلك جاء في الدعاء الذي يُقال في الجلسة بين السجدين: «اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني واهدني وارزقني»<sup>(١)</sup>؛ لأنَّه هو الجَبَّار بما يحتمله هذا الاسم من معانٍ عظيمة؛ فهو جابر الكسور وجابر القلوب - نسأل الله أن يجبر قلوبنا بالإيمان وبِعزِّ الإسلام ورفعة الدين وعلو شأنه -؛ كما أنَّه الجَبَّار الذي يكسر الظَّلمة والكفرة والملحدين - ونسأله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن يخزي أعداء المسلمين، وأن يكسر شوكتهم.

وقوله: «وَسَتَرْتَنِي» يشمل هذا الستر كل ما منَّ الله به علينا من ألوان الستر من ستر الذُّنوب، وستر العيوب، وكلِّنا عيوب وذنوب لولا فضل الله علينا وستره وستر أجسامنا بما تفضَّل علينا به من لباس وخير وسترنا بالرزق الحلال؛ فقوله: «وَسَتَرْتَنِي» تشمل معانٍ كثيرة؛ «من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة»<sup>(٢)</sup>، ولذلك من أسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى السَّتِير كما ثبت في السنَّة<sup>(٣)</sup>؛ أي: الساتر لذنوب عباده، والساتر لعيوبهم والساتر لأجسامهم، والساتر لخلَّاتهم؛ فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى هو السَّتِير، ولا أعلم أنَّ من أسمائه

(١) أخرجه أبو داود [٨٥٠]، والترمذي [٢٨٤]، وابن ماجه [٨٩٨]، والحاكم [١٠٠٤] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وصححه الألباني في «صفة الصلاة»، ص: [١٥٣].

(٢) أخرجه مسلم [٢٦٩٩] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد [١٧٩٧٠]، وأبو داود [٤٠١٤]، والنسائي [٤٠٦] عن يعلى بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يغتسل بالبراز بلا إزار فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إن الله عزَّ وجلَّ حيي ستير يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [١٧٥٦].

الساتر لذلك ينبغي للمسلم أن يقول: «يا ستر» بدلاً من «يا ستر» أو «يا ساتر» كما هو شائع بين الناس؛ لأن ذلك هو الثابت عن رسول الله ﷺ.

فمن ستره الله فلا كاشف لستره، ومن فضحه الله فلا ساتر له، نسأل الله تعالى أن يستر ذنوبنا وعيوبنا في الدنيا والآخرة، ومما جاء في هذا المعنى حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في تفسير قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا سِيرًا﴾ [الأنشقاق: ٨]؛ حيث استفسرت النبي ﷺ عندما قال: «من حوسب عذب»، حيث سألت عن معنى الآية، فقال لها النبي ﷺ: «إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك»<sup>(١)</sup>، وفيه أيضاً حديث ابن عمر في الصحيح في شأن ستر الله لعبده المؤمن في الدنيا<sup>(٢)</sup>، ومنه كذلك حديث «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله»<sup>(٣)</sup>.

وقوله: «وَنَصَرْتَنِي» وأول نصر وأعظمه هو الانتصار على النفس والشيطان ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٩]، إذا نصرك الله على شهوات نفسك

(١) أخرجه البخاري [١٠٣]، ومسلم [٢٨٧٦].

(٢) أخرجه البخاري [٢٤٤١]، ومسلم [٢٧٦٨] عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول: أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول: نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغضها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته وأما الكفار والمنافقون فيقول: الأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

(٣) أخرجه الترمذي [٢٠٣٢] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال: «هذا حديث حسن غريب». وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» [٢٣٣٩]: «حسن صحيح».

وعلى 'هواك' وعلى 'الشيطان'؛ فَإِنَّ هذا هو أعظم نصر ويترتب عليه النصر على 'الأعداء' بإذن الله ﴿وَلْيَنْصُرَكَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠].

والانتصار على 'النفس' بكبح جماحها ومنعها من شهواتها ونزواتها؛ لأنّ النفس أمّارة بالسوء، وقد تكون لواءة وقد تكون مطمئنة - أسأل الله أن يجعل نفوسنا وإياكم من النفوس المطمئنة - فالانتصار على 'النفس' بالبعد عن الشهوات من أعظم ما يمتنّ الله به على عباده، ولذلك يقول النبي ﷺ: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات»<sup>(١)</sup>، فمن نصره الله على نفسه وعلى 'الشيطان'؛ سَعِدَ في الدنيا والآخرة؛ فاللهم ألهمنا رشدنا وأعدنا من شر أنفسنا، وفي الحديث الصحيح الذي يسنّ قوله عند الصباح وعند المساء، وعند النوم: «اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، لا إله إلا أنت، رب كل شيء ومليكه، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه، وأن أقترف على نفسي سوءاً، أو أجره إلى مسلم»<sup>(٢)</sup> كما أرشد إلى ذلك النبي ﷺ أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فينبغي لنا أن نحافظ على مثل هذا الدعاء، والنفس كالطفل تتعود على ما تعودها عليه:

والنفس كالطفل إن تهمله شبّ على حب الرضاع وإن تظطمه ينظم  
إن عودتها على 'الخير' تعودت وإن عودتها على 'الشر' وتركت لها العنان سوف تلقي بك في متاهات لا تحمد عقباها؛ ولذلك ينبغي للمسلم أن يجاهد نفسه وأن يكبح جماحها وأن يوقفها عند حدّها؛ حتّى لا تلقي به في مهاوي الردى كما قال الإمام ابن المبارك:

(١) أخرجه مسلم [٢٨٢٢] من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد [٨١]، وأبو يعلى [٧٧]، والضياء [٣٠] من حديث أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الضياء: «إسناده حسن». وصححه الألباني في «الصحيحة» [٢٧٥٣].



رأيت الذنوب تميت القلوب      ويورث الدُّلُّ إدمانها  
وترك الذنوب حياة القلوب      وخير لنفسك عصيانها<sup>(١)</sup>

وقال المتنبي:

وخالف النفس والشیطان واعصهما      وإن هما محضاك النصح فاتهم<sup>(٢)</sup>

وقوله: «وَعَمَّرْتَنِي بِالْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ»، الغمر هو التغطية، والمقصود أن فضلك وإحسانك يارب سابغ علي وعلى المؤمنين، وأعظم ما من الله به على المؤمنين أن هداهم للإسلام؛ فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وهذا الإقرار بالغمر والفضل والإحسان من باب شكر النعمة والامتنان حيث ينطرح المسلم بين يدي ربه شاكرًا لأنعمه عليه؛ فإن ذلك هو أعظم سبب لدوامها والانتفاع بها؛ ﴿وَلَا تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [البقرة: ١٨].

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

إذا كنت في نعمة فارعها      فإن المعاصي تزيل النعم  
وحافظ عليها بشكر الإله      فإن الإله سريع النقم<sup>(٣)</sup>



(١) «بهجة المجالس وأنس المجالس» (١/٢٤٦).

(٢) «ديوان أبي الهدي الصيادي» (١/٢٦٩).

(٣) «ديوان علي بن أبي طالب» (١/١٤٥).

١٤- أَنْتَ الَّذِي آوَيْتَنِي وَحَبَوْتَنِي وَهَدَيْتَنِي مِنْ حَيْرَةِ الْخِذلَانِ

قوله: «أَنْتَ الَّذِي آوَيْتَنِي وَحَبَوْتَنِي»، الإيواء هو الحماية والنصر والحفظ من كل مكروه؛ ولذلك جاء في الثناء على أهل الذكر في قصة الرجل الذي جلس حيث انتهى به المجلس أو حيث لم يجد مكاناً؛ فجلس خلف الصف؛ قال النبي ﷺ: «وَأَمَّا الثَّانِي فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَأَوَاهُ اللَّهُ»<sup>(١)</sup> آواه وتفضل عليه؛ لأن الإيواء هو الحماية والحفظ والكلاءة من الله سبحانه وتعالى، آويتني وحفظتني بالإسلام، وآويتني وحفظتني من كل ما يخالف ذلك؛ فهذا فضل من الله ومنّة؛ فيطلبه المزيد وفي كل هذا توسل باعترافه بفضل الله عليه وهو من الأعمال الصالحة التي يُشرع التوسّل بها.

وقوله: «وَحَبَوْتَنِي» حباه؛ أي: أعطاه؛ أي: أعطيتني وتفضلت عليّ بعطائك الواسع ومنتك العظيمة وأعظم ما حبوتني به نعمة الإسلام، فمن حباه الله نعمه؛ فليشكره بفعل أوامره واجتناب نواهيه حتّى لا تتعرّض للزوال، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وقوله: «وَهَدَيْتَنِي»؛ الهداية قسماً: الأولى- هداية التوفيق والسداد، والثانية- هداية الدلالة والإرشاد إلى الخير؛ أمّا التوفيق والسداد؛ فهي خاصّة بالله سبحانه وتعالى إذ الهداية بيده، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البصّ: ٥٦]، وقد أمر الله المؤمنين أن يقولوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الإعراف: ٤٣]؛ فهذا من ذكر المؤمنين في الجنة بعد أن يمتنّ الله عليهم بعفوه وغفرانه ودخول الجنة، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله؛ لأنّ الهداية والإضلال بيد الله يهدي من يشاء تكرّماً وفضلاً، ويضلّ من يشاء حكمة وعدلاً؛ ولذلك يجب على المسلم أن يسأل الله الهداية دائماً؛ بل أمرنا أن نسألها في كل

(١) أخرجه البخاري [٦٦]، ومسلم [٢١٧٦] من حديث أبي واقد الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقت، في الصلوات بتكرار سورة الفاتحة ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]؛ أي: وفقنا للسير على الطريق السويّ طريق الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، بعيداً عن طريق المغضوب عليهم اليهود والضالين النصارى ومن شايعهم أو قلّدهم، فمن هداه الله سُبحانَهُ وتعالى وامتَنَّ الله عليه بالهداية؛ فهو فضل عظيم منه سُبحانَهُ، ولذلك جاء في دعاء القنوت: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ»<sup>(١)</sup>، وجاء في الدعاء الآخر «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهْدِنِي لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»<sup>(٢)</sup>، ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمُ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١٧]، ﴿وَمَنْ يَنْصِبِ بِاللَّهِ فَقَدْ هَدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الزمر: ١٠١].

وقوله: «وَهَدَيْتَنِي مِنْ حَيْرَةِ الْخُذْلَانِ»؛ لأن من لم يهده الله فلا هادي له، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٨٦]، وقوله: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ﴾ [الزمر: ٣٣]، وقوله: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ فَلَن يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]؛ الله وحده الذي بيده الهداية، فعلى المسلمين أن يعوا ذلك؛ لأن من لم يهده الله سيكون في حيرة وفي ضياع لا يدرى أين يتجه، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]؛ فالله عزَّ وجلَّ هو الذي يهدي من الحيرة إلى اليقين، فمن طلب الهدى من كتاب الله عزَّ وجلَّ وسنة رسوله ﷺ بصدق وإخلاص؛ حصلت له هذه الهداية، ومن طلب الهدى من غير الكتاب والسنة؛ وقع في الحيرة والضياع والتيهان.

(١) أخرجه أحمد [١٧١٨]، وابن الجارود [١٤٢] من حديث الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وصححه الألباني في «الإرواء» [٤٢٩].

(٢) أخرجه مسلم [١٨٤٧] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وأما هداية الدلالة والإرشاد فهي: بيان الحق للخلق بدلائلهم على الخير، وتحذيرهم من الشر، وهذه منقبة يهبها الله لمن يشاء من النبيين ودعاة الحق من المسلمين، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرَّعِيدُ: ٧]، وَقَالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشُّورَى: ٥٢].



١٥- وَزَرَعْتَ لِي بَيْنَ الْقُلُوبِ مَوَدَّةً وَعَظَّمْتَ مِنكَ بِرَحْمَةٍ وَحَنَانٍ

✽ يشكر ربّه سُبحانه وتعالى ويحمده على أن زرع له مودة في قلوب المؤمنين، وهذا شأن المؤمن فإنه إذا أحبه الله؛ حبه إلى عباده المؤمنين وهذا يدل له الحديث الصحيح: «إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال: إني أحب فلانا فأحبه قال فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء قال ثم يوضع له القبول في الأرض وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلانا فأبغضه قال: فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلانا فأبغضوه قال: فيبغضونه ثم يوضع له البغضاء في الأرض»<sup>(١)</sup>، وهذا من فضل الله تبارك وتعالى على المؤمن أن الله يحبه ويحبّه إلى عباده المؤمنين، ولذلك ذكر الناظم رحمه الله أن الله جعل له مودة في قلوب عباده المؤمنين، ومن أحبه المؤمنون فهذا دليل على محبة الله له؛ لأن المؤمنين شهداء الله في أرضه، وقد مرّت جنازة ذات يوم فذكرت بخير؛ فقال النبي ﷺ: «وجبت»، ومرت أخرى فذكرت بشر؛ فقال: «وجبت»؛ قالوا: وما وجبت يا رسول الله؟ قال: «ذكرتم الأولى بخير؛ فوجبت لها الجنة، وذكرتم الأخرى بغير ذلك؛ فوجبت لها النار أنتم شهداء الله في أرضه»<sup>(٢)</sup>، وليس المراد المحبة التي قد يغتر بها البعض وهي المحبة من أجل الدنيا ومصالحها وما يتعلق بها من أمور؛ وإنما المقصود المحبة في الله، وذلك أن الله تبارك وتعالى يحب المؤمنين إلى إخوانهم في الله؛ كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُم عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، فإذا أحبهم الله وضع لهم القبول في الأرض وزرع لهم المحبة والمودة في القلوب من فضله سُبحانه وتعالى.

(١) أخرجه البخاري [٧٤٨٥]، ومسلم [٢٦٣٧] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [١٣٦٧] ومسلم [٩٤٩] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ومن شأن المؤمنين التحابُّ في الله، ومن أعظم أسباب التحابِّ: إفشاء السَّلام؛ قال رسول الله ﷺ: «أولاً أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم! أفشوا السَّلام بينكم»<sup>(١)</sup>؛ فالْمؤمن يحبُّ أخاه المؤمن، ومن علامات ذلك: الإيثار أنَّه يؤثره حتَّى على نفسه، قال الله تَعَالَى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [النَّحْلُ: ٩]؛ هذا هو شأن المؤمنين. قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»<sup>(٢)</sup>، ولذلك ينبغي للمسلم أن يفهم هذا وأن يفهم أسبابه فيعمل بها.

وقوله: «وَعَطَفَتْ مِنْكَ بِرَحْمَةٍ وَحَنَانٍ»: يغتبط بعطف الله وحنانه ورحمته به، ومن آثار لطفه به وحنانه عليه ورحمته له أن حبيه إلى عباده المؤمنين.

وهذا فضل من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ونعمة، قال الله تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الْبَنَافِثَةُ: ٤].



(١) أخرجه مسلم [٥٤] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [٦٠١١] ومسلم [٢٥٨٦] من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

١٦- وَنَشَرْتُ لِي فِي الْعَالَمِينَ مَحَاسِنًا وَسَتَرْتُ عَنْ أَبْصَارِهِمْ عِصْيَانِي

❁ في الشطر الأول من هذا البيت بيان وتأکید لما ذکر في البيت الذي قبله وهو أَنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رزقه محبة المسلمين؛ حيث لا يَطْلَعُونَ إِلَّا عَلَىٰ محاسنه وما صدر عنه من أعمال طيبة بينما ستر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن أبصارهم ما بدر منه من تقصير في جنب الله، وهذا أيضًا اعتراف منه بتقصيره فَإِنَّ ما رزقه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من نشر المحاسن والخير والأعمال الصالحة إِنَّمَا هو سِتْرٌ من الله عليه وَإِلَّا فَأَغْلَبَ النَّاسَ لو يعلم النَّاسُ ما تنطوي عليه نفوسهم وقلوبهم من معاصي؛ لما سَلَّمُوا عليهم ولهجروهم ولتَبَرَّؤُوا منهم؛ ولكن قد تغلب الأعمال الصالحة وتغلب خشية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فتجعل إخوانك المسلمين يحبونك من أجل ما عندك من خير، كما ستر الله عليك ما قد يكون عندك من تقصير في جنب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سَتِيرٌ يحبُّ السِّرَّ (١)، ولذلك يحبُّ من عباده؛ فينبغي أن يستر بعضهم خلات البعض الآخر، وبخاصة من وُجدت منه هفوة أو هفوات وليس داعية إلى بدعة أو خرافة أو منكر أو معصية مع اعترافه بذنبه فليستتر بستر الله.

أما من أصبح بؤرة فساد؛ يدعو إلى الشر ويدعو إلى البدع والخرافات والمنكرات ويدعو إلى المعاصي والشرك، ويتبجح بذلك؛ فهذا لا ينبغي الستر عليه ولا يجوز، بل يجب فضحه والإخبار عنه ويحرم إيواؤه، ومن آواه أو ناصره انطبق عليه قول النبي ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَىٰ مُّحَدِّثًا» (٢).



(١) تقدم تخريجه في ص: [٨٨].

(٢) أخرجه مسلم [١٩٧٨] من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

١٧- وَجَعَلْتَ ذِكْرِي فِي الْبَرِيَّةِ شَائِعًا حَتَّى جَعَلْتَ جَمِيعَهُمْ إِخْوَانِي

❁ هذا يقارب البيتين الذين قبله بمعنى أنه يحمد الله ويشكره على أن جعل له ذكراً حسناً، حبّ إخوانه المسلمين إليه وليس المقصود المفاخرة ولا المراءاة؛ كما هو معلوم من سياق هذه الآيات؛ وإثما المراد تكراره لشكر الله وحمده على ما أولاه من نعمة وما جعله له من ذكر طيب وصيت حسن جعل إخوانه المسلمين يحبونه في الله؛ لأنّ المحبة في الله من أعظم الأعمال التي تقرب إلى الله عزَّ وجلَّ يقول النبي ﷺ: «ثلاث من كنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار»<sup>(١)</sup> الحب في الله والبغض في الله والموالاتة في الله والمعاداة في الله أوثق عرى الإيمان كما ثبت في الحديث<sup>(٢)</sup>؛ فلتتمسك بهذه العرى ولذلك عدَّ النبي ﷺ من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله؛ «رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وافترقا عليه»<sup>(٣)</sup>.



(١) أخرجه البخاري [١٦]، ومسلم [٤٣] من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الطيالسي [٧٤٧]، وأحمد [١٨٥٢٤] من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٢٠٠٩].

(٣) أخرجه البخاري [٦٦٠]، ومسلم [١٠٣١] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



١٨- وَاللّٰهُ لَوْ عَلِمُوا قَبِيْحَ سَرِيْرَتِيْ لَاَبَى السَّلَامَ عَلَيَّ مَنْ يَلْقَانِيْ

❖ هذا يفسر ما تقدّم في الآيات الثلاثة من أنّه يحمد الله أن جعل له ذكراً طيباً مما حَبَّبَ إخوانه إليه؛ ثمّ يعترف بذنوبه وأنهم لو يعلمون ما يعلم من نفسه؛ لهجروه وامتنعوا من السلام عليه، ولا يلزم من هذا أنّه منهمك في المعاصي والذنوب، لكن المسلم دائماً يشعر أنّه مقصّر في جنب الله؛ كما وصف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى المؤمنين بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ تُشْفِقُونَ﴾ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا شَافِقُونَ ﴿١١﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١].

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَلبِنِي ﷺ: «يا رسول الله هو الرّجل يسرق ويزني ويشرب الخمر ويخشى أن لا يتقبّل منه؟ قال: لا يا ابنة الصّديق هو الرّجل يصليّ ويصوم ويزكّي، ويفعل الطّاعات، ويخشى أن لا يُتقبّل منه»<sup>(١)</sup>.

فالمسلم يعمل ويلجأ إلى الله ويدعوه أن يتقبّل منه هذا هو شأن المؤمن دائماً، فقد توجد موانع تحول دون قبول العمل أو إجابة الدعاء مثل أكل الحرام أو أي مخالفة أخرى، فالواجب على المسلم أن يكون دائماً بين الخوف والرّجاء؛ كما سيأتي توضيحه وتفصيله إن شاء الله.



(١) أخرجه الترمذي [٣١٧٥]، وابن ماجه [٤١٩٨]، والحاكم (٢/ ٢٧) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وقال الحاكم: «صحيح الإسناد»، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» [٢٥٣٧].

١٩. وَلَا عَرَضُوا عَنِّي وَمَلُّوا صُحْبَتِي وَلَبُّوتُ بَعْدَ كَرَامَةٍ بِهِوَانٍ

❖ هذا كله تأكيد لما تقدم من اعترافه بتقصيره في جنب الله، أنهم لو يعلمون حقيقة أمره وما تنطوي عليه نفسه؛ لأعرضوا عنه وابتعدوا عنه وهجروه ونأوا عنه، وانقلب صديقه عدوا له، ولباء - أي: رجع بعد العزة بالهوان والذل -؛ لأن الذنوب تذل صاحبها وليس هناك ذل أعظم من ذل الذنوب كما قال ابن المبارك:

رَأَيْتَ الذَّنْبَ يَمِيتُ الْقُلُوبَ وَيُورِثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا  
وَتَرَكْتُ الذَّنْبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَخَيْرَ لِنَفْسِكَ عَصْيَانُهَا<sup>(١)</sup>؛

فإنها تذله أمام الله ثم أمام خلقه، لكن المؤمن الحق الذي يعترف بذنوبه يُرجى له خير؛ الذي إذا سوّلت له نفسه أمراً تذكر أن له رباً يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؛ فرجع إلى ربه، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠١]، وقد وعد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على لسان رسوله ﷺ: أن «من هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة»<sup>(٢)</sup>؛ لأنه رجع خوفاً من الله، وليس المراد أنه حاول ولم يتمكن.



(١) «بهجة المجالس وأنس المجالس» (٢٤٦/١).

(٢) أخرجه البخاري [٦٤٩١] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٢٠- لَكِنْ سَتَرْتَ مَعَائِبِي وَمَثَالِبِي وَحَلُمْتَ عَن سَقَطِي وَعَن طُغْيَانِي

❖ يقول: يا ربي إنك رحمتني وعفوت عني وتكرّمت عليّ وأكرمتني وتجاوزت عن سيئاتي وسترت خطئي وطغياني، وغمرتني بحلمك الذي تفضلت به عليّ عبادك الصّالحين؛ فما أحلم الله عن عباده! ومن أسماء الله تَعَالَى «الحليم»، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٣٥]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٣]، والحلم من صفات الرّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَلَوْلَا حلمه؛ لأخذ الناس بذنوبهم وعاجلهم بالعقوبة؛ لكن الله يتفضل عليهم ويحلم عليهم ويتجاوز عن سيئاتهم ويستر عيوبهم ويغفر ذنوبهم ثمّ يصفح عنهم، فاعترف العبد بأنّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قد تَكَرَّمَ عليه وحلم عليه وتجاوز عن سيئاته وغفر له زلاته؛ هذا من الأعمال الصّالحة التي تقربه إلى ربه؛ يعني شعوره بذلك.



## ٢١- فَلَاكُ الْمَحَامِدِ وَالْمَدَائِحِ كُلُّهَا بِخَوَاطِرِي وَجَوَارِحِي وَلِسَانِي

❁ أي: لك الحمد الذي لا يحصى<sup>١</sup> فالحمد لله رب العالمين، و(ال) هنا تفيد الاستغراق؛ أي: جميع المحامد وجميع ألوان الثناء العطرة لك وحدك سبحانه، وأنت وحدك الذي تستحق المدح والمحمدة والثناء؛ فلك الحمد ربنا ولك الثناء ولك المجد ولك العُتْبَى حتى ترضى؛ فأنت وحدك المستحق لهذه المحامد دون سواك؛ فينبغي للمسلم أن يحمده الله بجميع أنواع المحامد، وبكل الوسائل، وما يدور في خاطره وضميره، وبجوارحه بالأعمال الصالحة، وبلسانه بالذكر وتلاوة القرآن واللّهج بالتسبيح والتحميد والتهليل، وقد دلّ الشطر الثاني من البيت - وهو قوله: بخواطري وجوارحي ولساني - على معتقد المصنف في الإيمان الموافق لعقيدة السلف من أن الإيمان قول وعمل واعتقاد؛ فالذي يدور في الضمائر معناه الذي تُكِنُّهُ القلوب من الإخلاص والمحبة والخوف والرجاء والخشوع والخضوع والإنابة والتعظيم وما إلى ذلك من أعمال القلوب، فالقلب له عمل كما أنّ للجوارح واللسان عملاً؛ فمن أعمال الجوارح الصلاة والزكاة ونحوهما، ومن أعمال اللسان تلاوة القرآن والذكر كما تقدم.



٢٢- وَلَقَدْ مَنَنْتَ عَلَيَّ رَبِّ بِأَنْعَمٍ مَا لِي بِشُكْرِ أَقْلِهِنَّ يَدَانِ

❖ ما زال يعدد نعم الله عليه، والتي أعظمها الهداية للإيمان والظفر بالإسلام، ثم يُبين أنه لا يمكنه مهما عمل أن يبلغ أقل مقدار أو عشر معشار أداء شكر تلك النعم؛ لأنَّ الفضل في تلك النعم لله وحده، وإن كان عمل العبد في الحقيقة لنفسه، والله غني عنا وعن أعمالنا، قَالَ الْعَلَاءِيُّ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فُطُك : ٤٦]، وقال تَعَالَى في الحديث القدسي: «يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»<sup>(١)</sup>، ولو لم يكن إلا أن هداه للحق وللدين القويم وللإيمان لكان هذا كافياً؛ بل هو فوق كل نعمة ولذلك مهما بذل الإنسان من عمل لن يبلغ شكر نعم الله عليه، ولكن يجب عليه أن يذكر ويشكر حتى تدوم تلك النعم وتستمر، وَقَالَ الْعَلَاءِيُّ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إِبْرَاهِيم : ٧].



(١) أخرجه مسلم [٢٥٧٧] من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حَتَّى شَدَدَتْ بِنُورِهَا بُرْهَانِي  
حَتَّى تُقَوِّي أَيْدَهَا إِيْمَانِي  
وَلتَخْدُمَنَّكَ فِي الدُّجَى أَرْكَانِي  
وَلأَشْكُرَنَّكَ سَائِرَ الْأَحْيَانِ  
وَلأَشْكُوَنَّ إِلَيْكَ جَهْدَ زَمَانِي  
مِنْ دُونِ قَصْدِ فُلَانَةٍ وَفُلَانِ  
بِحُسامِ يَأْسٍ لَمْ تَشْبُهْ بَنَانِي  
وَلأَضْرِبَنَّ مِنَ الْهَوَى شَيْطَانِي  
وَلأَقْبِضَنَّ عَنِ الْفُجُورِ عِنَانِي

٢٣- فَوَحِّقْ حِكْمَتَكَ الَّتِي آتَيْتَنِي  
٢٤- لَئِنْ اجْتَبَيْتَنِي مِنْ رِضَاكَ مَعُونَةً  
٢٥- لَأَسْبِحَنَّكَ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً  
٢٦- وَلأَذْكُرَنَّكَ قَائِمًا أَوْ قَاعِدًا  
٢٧- وَلأَكْتُمَنَّ عَنِ الْبَرِيَّةِ خَلَّتِي  
٢٨- وَلأَقْصِدَنَّكَ فِي جَمِيعِ حَوَائِجِي  
٢٩- وَلأَحْسِمَنَّ عَنِ الْأَنَامِ مَطَامِعِي  
٣٠- وَلأَجْعَلَنَّ رِضَاكَ أَكْبَرَ هِمَّتِي  
٣١- وَلأَكْسُوَنَّ عُيُوبَ نَفْسِي بِالتَّقَى

✽ يقسم بصفة الله جَلَّ وَعَلَا التي وهبه بفضله ومنه تلك الحكمة، ويتوسل بحق حكمة الله التي وهبه منها ومن آثارها الطيبة حكمة، وهي الهداية للإيمان والبرهان على أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى هو الإله الحق والمعبود الذي له الأسماء الحسنی والصفات العلی؛ فنور بها قلبه وأنار بها بصيرته ووجهه بها إلى الخير وهداه إلى الصراط المستقيم؛ لأن الحكيم هو الذي يضع الأشياء في مواضعها ومن أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الحكيم وهو يهب الحكمة لمن يشاء من عباده، قَالَ تَعَالَى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

فالحكمة فضل ومنّة من الله، الحكمة في أن نعبد الله وحده ولا نعبد أحداً سواه، الحكمة في تطبيق شرع الله، الحكمة في الدعوة إلى الله على بصيرة، الحكمة في تعاملك مع الآخرين مسلمين كانوا أو كفاراً بحسب ما يقتضيه المقام، ولذلك فإن الحكمة هي وضع الشيء في موضعه الصحيح، ولذلك يُقال لمن يتصف بذلك حكيم، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الحكيم ولكن ليس الحكيم كالحكيم، كما أنه ليس العليم كالعليم، وليس الحليم كالعليم

وليس الرحيم كالرحيم، وإن وجد اشتراك كلي في مطلق الاسم؛ لكن المعنى 'يختلف عند الحقيقة فإن حكمة الإنسان ورحمته وحلمه وعلمه محدود، أما حكمة الله فلا تقف عند حد، ورحمته وسعت كل شيء، وعلمه وسع كل شيء، ولا يحيط أحد بشيء من علمه، فهو يمتن بأن وهبه الله الحكمة حتى صار عنده برهان يفرق به بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال.

وقوله:

٢٤- لَئِنْ اجْتَبَيْتَنِي مِنْ رِضَاكَ مَعُونَةً حَتَّى تُقَوِّيَ أَيْدِيَّ إِيْمَانِي  
 أقسم بصفة الله عَزَّوَجَلَّ، وحكمته التي هي صفة من صفاته، أي: إذا وهبني يارب بفضلِكَ ورضاك عني معونة منك استعين بها على طاعتك وعلى شكر نعمتك وتكون هذه المعونة عظيمة بحيث تحفظني بها من كل سوء.

يسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يعينه وقد جاء بها بصيغة القسم: لئن تفضلت علي بمعونة منك ورضيت عني؛ لأسخرنَّ ذلك في طاعتك وفيما يرضيك يارب.

وقوله:

٢٥- «لَأُسَبِّحَنَّكَ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً وَلَتَتَّخِذُنَنِي فِي الدُّجَى أَرْكَانِي»  
 هذا هو جواب القسم والذي تقدم هو القسم؛ يعني أقسم بحق الله وحكمته لئن تفضل عليه بعونه ورضاه وفضله؛ ليسخرنَّ ذلك في طاعة الله ومن ذلك أن يسبح الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بكرة وعشية؛ ومنه قول الله تَعَالَى: ﴿أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [زمر: ١١]، وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ [الزمر: ٤١]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَذْكُرَنَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الاعراف: ٢٠٥].

والمقصود أنه يَعْدُ بل يُقسم وفيه جواز القسم على 'الأمور المتيقنة أو التي يغلب على الظن فعلها وبخاصة فعل الطاعات، فهو يقسم أن يُكثر من تسبيح الله ليلاً ونهاراً وسراً وجهاً، بكرةً وأصيلاً؛ ثم أقسم أن يسخر جوارحه في ظلام الليل للعمل بما يرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ أي: لأسخرن جوارحي في طاعتك وفيما يرضيك، وجوف الليل من أفضل الأوقات التي يتعبد فيها المرء بحيث لا يراه إلا رب العالمين، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ (٢١٨) وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ ﴿الشُّعَرَاءُ: ٢١٨ - ٢١٩﴾، حينما يهجع الناس وينام المحرومون، يقوم من وقَّفه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يناجي ربه، يتعرَّض لنفحاته، عندما ينزل فينادي عباده، حينما يبقى 'الثالث الأخير من الليل، من يسألني فأعطيه، من يدعوني فأستجيب له، من يستغفري فأغفر له؛ فهو يقسم أن يسخر جميع جوارحه في التسبيح والتهليل والتكبير والصلاة والعبادة، وهي التي عبَّرَ عنها بالخدمة.

وقوله:

٢٦. «وَلَا ذُكْرَنَكَ قَائِماً أَوْ قَاعِداً وَلَا شُكْرَنَكَ سَائِراً أَوْ حَيَّاناً»  
 \* يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في وصف المؤمنين: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلاً سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٩١]. ويقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾ (١١) وَسَبِّحُوهُ بُكْراً وَأَصِيلاً ﴿[الْإِنشَاء: ٤١ - ٤٢].

وتقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه»<sup>(١)</sup>، وجاء في الدعاء الذي يذكر دبر كل صلاة من حديث معاذ: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه مسلم [٣٧٣].

(٢) أخرجه أحمد [٢٢١١٩]، وأبو داود [١٥٢٤]، والنسائي [١٣٠٣] من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



ومن أعظم وصايا النبي ﷺ: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله عزَّ وجلَّ»<sup>(١)</sup>؛ فالمسلم يُكثر من ذكر الله إلى أن يلقى ربه جَلَّ وَعَلَا ما عدا في الأماكن التي يجب أن يُنزه ذكر الله عنها، والمؤمن الذي يلهج بذكر الله يصبح ديدنه ودأبه حتى في أحلك الظروف لا يذكر إلا الله جَلَّ وَعَلَا كما فعل ذو النون عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] بخلاف أولئك الذين يتعلّقون بأصحاب القبور ويذبّحون لها ويستغيثون بأهلها إذا ناب الواحد منهم أمر فزع إلى تلك القبور وأصحابها، ويقول: «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور» - والعياذ بالله - وماذا ينفعك به أصحاب القبور الذين إن كانوا مؤمنين فهم يحتاجون إلى دعائك، وإن كانوا غير ذلك فقد أفضوا إلى ما أفضوا إليه؟! تجد مسلماً يشهد أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويصوم ويحج البيت، ويفعل الطاعات ويجتنب المعاصي، وينقض ذلك كله بكلمة يقولها عند قبر من القبور! مدد يا فلان! إذا قال: مدد يا رسول الله أو مدد يا بدوي، مدد يا نقشبندي يا شاذلي يا مرغني؛ صار كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً نقض وهدم ما بنى.

وقوله: «وَلَا تُشْكِرُنَّ سَائِرَ الْأَحْيَانِ» سائر الأحيان؛ أي: في كل زمان إلى أن أُدفن، وهذا الوعد يلتزم به المؤمن ويجوز القسم على مثل هذا؛ لأنه قسم على مرضاة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَأَن يكون من الذاكرين في جميع الأوقات، والشاكرين في جميع الأحيان، والشكر عبادة المنعم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بفعل أو امره واجتناب نواهيه.

<sup>=</sup> وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» [١٣٦٢].

(١) أخرجه أحمد [١٧٦٨٠]، وأبو داود [٣٣٧٥] من حديث عبد الله بن بسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٧٧٠٠].

وقوله:

٢٧- «وَلَا تُكْتَمَنَّ عَنِ الْبَرِيَّةِ خَلَّتِي وَلَا تُكُونَنَّ إِلَيْكَ جَهْدَ زَمَانِي»

✽ يعني: أستتر بستر الله وإذا أصابتنى فاقة أو فقر؛ أشكو أمري إلى الله الذي إليه المشتكى وهو المستعان.

والمقصود أنه يعد؛ بل ويُقسم أن يضرع إلى الله عَزَّجَلَّ وأن يكتن سرائره وفقره وحاجته وشكواه عن كل أحد إلا الله وحده لا شريك له، وأن لا يستشرف إلى أحد غير الله عَزَّجَلَّ، يسأله قضاء الحاجات وإقالة العثرات وكشف الكربات، يشكو إليه نوائب الدهر، وليس المقصود أنه يشكو الدهر، وإنما يشكو ما يحل به من مصائب إلى الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، قد توجد أساليب - وإن كان الأولى اجتنابها - من هذا القبيل. والمقصود بها أنه يتضرع إلى الله وحده لا إلى أحد سواه، يشكو إليه ويبت إليه أحزانه وأشجانه وأحواله.

وقوله:

٢٨- «وَلَا قَصِدَنَّكَ فِي جَمِيعِ حَوَائِجِي مِنْ دُونِ قَصْدِ فَلَانَةٍ وَفَلَانٍ»

✽ هذا تأكيد لما تقدم من أن المؤمن يجب أن يعلّق حوائجه بالله وحده؛ قال رسول الله ﷺ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِأَمْرِ قَدِ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِأَمْرِ قَدِ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ»<sup>(١)</sup>؛ ولذلك فإنه يعد ويُقسم أن لا يبتُّ شكواه إلا إلى الله، وأن لا يبدي خلته إلا إلى الله، وأن لا يشكو فاقته إلا إلى الله،

(١) أخرجه أحمد [٢٦٦٩]، والترمذي [٢٥١٦] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

وأن لا يطلب قضاء حوائجه إلا من إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يقف أمام قبر ويقول كما يقوله كثير من الناس - والعياذ بالله - : مدد يا فلان أغثنى يا فلان أنقذني يا فلان؛ وإنما يمدُّ يديه إلى من لا تخفى عليه خافية، إلى من يعلم السر وأخفى ولا يسأل فلاناً ولا فلانةً، فسبحان الله العظيم وكأنه قد عايش أو أدرك بعض ما يفعله بعض الناس الآن؛ فتجد بعضهم يستغيث بامرأة ميتة في قبرها، وآخر يستغيث برجل؛ نظرة يا ست فلانة، نظرة يا سيد فلان، مدد يا سيد فلان مدد يا ست فلانة؛ هذا هو الشرك الذي يحبط الأعمال ويفسدها، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤].

وقوله:

٢٩- «وَلَا حُسْمَنَّ عَنِ الْأَنَامِ مَطَامِعِي بِحُسَامٍ يَأْسٍ لَمْ تَشْبُهُ بَنَانِي»  
 ﴿ الأنام الخلق، والحسم هو الكفّ والمنع، وهذا كله أيضاً تأكيد لما سبق من أنه يعلّق رجاءه وحوائجه في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأن لا يلجأ إلى الأنام، أعطوه أو منعه؛ وإنما يلجأ إلى الله عَزَّوَجَلَّ وأن ييأس ممّا في أيدي المخلوقين مقابل أن يطمع فيما عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يقوي رجاءه وطمعه وأمله في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحده دون سواه فهو في معنى ما تقدم.

وقوله:

٣٠- «وَلَا جَعَلَنَّ رِضَاكَ أَكْبَرَ هِمَّتِي وَلَأُضْرِبَنَّ مِنَ الْهَوَى شَيْطَانِي»  
 ﴿ يقول: سأقدم يا رب رضاك على رضا من سواك، فإذا قدم المسلم رضا ربه؛ فاز في الدنيا والآخرة؛ لذلك فإن المؤمن يؤثّر محاب الله ومراضيه على الخلق، وأبشر يا عبد الله فإنك إذا أثرت مراضى الله؛ فسيرضى عنك وسيَرْضِي عنك الناس.

إذا صح منك الودُ فالكل هينٌ وكل الذي فوق التراب تراب<sup>(١)</sup>  
وفي السنن أن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتب إلى عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن اكتبني إلى  
كتابًا توصيني فيه ولا تكثري علي فكتبت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلى معاوية: سلام عليك، أما  
بعد؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من التمس رضا الله بسخط الناس  
كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس  
والسلام عليك»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية: «من التمس رضا الله عنه بسخط الناس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،  
وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط  
عليه الناس».

ثم بعد أن أقسم أن يقدم رضا الله عَزَّجَلَّ على رضا العباد، أكد أيضًا بأنه سيضرب بيد  
من حديد كل ما من شأنه أن يفتح عليه أبواب الأهواء، ونزغات الشيطان وذلك بإقامة  
طاعة الله بهذا يضرب الهوى ويضرب الشيطان، فالشيطان يخنس إذا ذكر الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى،  
بل يدبر ويهرب كما يفعل عند الأذان والإقامة، وإذا شعر أنك تقدم محاب الله ورضاه على  
مراضي الخلق؛ فإنه لن يقربك بإذن الله؛ ولذلك أقسم أنه سيحطم جميع أغلال الهوى  
بأطر النفس على طاعة الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى وسيحطم ويسد طرق الشيطان ومنافذه بطاعة الله  
عَزَّجَلَّ وذكره.

وقوله:

٣١- «وَلَا كُسُوءَ عُيُوبَ نَفْسِي بِالتَّقَى وَلَا قَبْضَنَ عَنِ الْفُجُورِ عِنَانِي»

❁ يقسم أيضًا بأن يستر نفسه ويكبح جماحها بتقوى الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأن التقوى تحجز  
المرء وتحجز النفس الأمارة بالسوء عن هواها، فإذا حجزتها عن هواها؛ تحكمت فيها

(١) «زهر الأكم في الأمثال والحكم» (١/٩٨).

(٢) أخرجه الترمذي [٢٤١٤] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٦٠٩٧].

وقادتها إلى الخير، وإذا أسلمتها قيادك وسلّمها عنانك؛ قادتك إلى الشرّ فهو يقسم أن يتغلّب على هوى النفس بتقوى الله عزّ وجلّ وطاعته، وحقيقة التقوى امتثال الأوامر واجتناب النواهي ثم أكد ذلك بقوله: «وَلَا قَبْضَنَّ عَنِ الْفُجُورِ عِنَانِي» أن يمسك عن الفجور بأن يتحكم في نفسه، ويأطرها على الحق أطراً ويجبرها على الحق جبراً، ويعودها عليه فإنها كالطفل، قال البوصيري:

والنفس كالطفل إن تهمله  
شَبَّ على حبِّ الرضاع وإن تفضمه ينفطم<sup>(١)</sup>  
وقال آخر:

عليك نفسك هذبها فمن ملكت  
قيادته النفس عاش الدهر مذموماً  
فاجتهد يا عبد الله في أن تكبح جماح نفسك؛ كما وعد الشيخ رحمه الله في أن يكبح جماحها بأطرها على طاعة الله تبارك وتعالى.



(١) «ديوان البوصيري» (١/ ٢٣٨).

وقوله:

٣٢- «وَلَا مَنَعَنَّ النَّفْسَ عَنْ شَهَوَاتِهَا وَلَا جَعَلَنَّ الزُّهْدَ مِنْ أَعْوَانِي»

❖ كل هذا تأكيد لما تقدّم بأن يحول بين نفسه وبين شهواتها؛ لأنّ النفس ميّالة إلى كل سوء، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمْنِي﴾ [يُوسُف: ٥٣]، ويقول النبي ﷺ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»<sup>(١)</sup>.

ومن شأن المؤمنين أنهم يمنعون النفوس من اتباع شهواتها بتعويدها على طاعة الله وبالا جتهاد في أن تُربى وتسير دائماً وأبداً فيما يرضي الله سُبحانه وتعالى، وأن تُبعد عنها عن مساخط الله وعن شهواتها ونزواتها وأن تتحكم فيها ولا تجعلها تتحكم فيك، فإذا منعها من شهواتها قادت إلى الخير، وإن حملتك على شهواتها قادتك إلى الردى.

ثم يُبين ما يمكن أن يُستعان به على كبح جماح هذه النفس، وذلك بالزهد في الدنيا والزهد فيما عند الناس، والرغبة فيما عند الله جَلَّ وَعَلَا، والمقصود بالزهد هو القناعة بالحلال والبعد عن الحرام والمغريات، والاجتهاد بالتقرب إلى الله سُبحانه وتعالى والعمل بما يُرضيه، وليس المقصود أن تحرّم على نفسك ما أحل الله سُبحانه وتعالى فإن هذا ليس من الزهد كما تقدم ❖ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ❖ [البقرة: ٨٧ - ٨٨].



(١) أخرجه مسلم [٢٨٢٢] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقوله:

٣٣- «وَلَا تَلُونَّ حُرُوفَ وَحْيِكَ فِي الدُّجَى وَلَا حَرِقَنَّ بِنُورِهِ شَيْطَانِي»

✽ كل هذه أجوبة قسم قطعها الناظم رَحِمَهُ اللهُ عَلَى نفسه، فقال هنا: «وَلَا تَلُونَّ حُرُوفَ وَحْيِكَ فِي الدُّجَى».

والمقصود بذلك تلاوة القرآن الكريم في الدجى، أي: في ظلمة الليل؛ فإنه عاهد الله عَزَّوَجَلَّ أَنْ يَتْلُوهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يقول: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ. وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١]، ويقول تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبْوَءَ ﴿٢١﴾ لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠]، وقد أخبر النبي ﷺ أَنْ فِي كُلِّ حَرْفٍ يَتْلُوهُ الْمُسْلِمُ حَسَنَةً، وَالْحَسَنَةُ بَعْشَرُ أَمْثَالِهَا؛ يَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَقُولُ أَلِفَ حَرْفٍ وَلامَ حَرْفٍ وَمِيمَ حَرْفٍ»<sup>(١)</sup>؛ فَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ مَعَ التَّدَبُّرِ وَالتَّأَمُّلِ مِنْ أَعْظَمِ الْقُرْبِ، وَأَفْضَلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي يُتَوَسَّلُ بِهَا وَتَوْصِلُ إِلَى مَرْضَاةِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وبخاصة القيام به عندما ينام المحرومون الذين يعقد الشيطان على قوافيهم عقدًا ولا يحسُّون باللَّذَّةِ الَّتِي يَجِدُهَا أُولَئِكَ الْمُؤْمِنُونَ التَّالُونَ لِكِتَابِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ.

هو حديث لا يمل منه يا ليتنا لم نلْهُ قطَّ عنه  
وقوله: «وَلَا حَرِقَنَّ بِنُورِهِ شَيْطَانِي»، البيت الذي يُتلى فِيهِ الْقُرْآنُ تَهْرَبُ مِنْهُ الشَّيَاطِينُ الْمُرْدَةُ وَتَتَبَعْدُ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَرْتَاخُونَ لِذِكْرِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، قَالَ ﷺ:

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ [٢٩١٠] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ. وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ». وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» [٦٤٦٩].

«لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينذر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»<sup>(١)</sup>، فهو يُعاهد الله أن يُحرق مردة الشياطين بتلاوة القرآن الكريم والعمل به والإيمان به والوقوف عند حدوده، فتأمل هذا المعنى العظيم يا عبد الله.

فإن القرآن خير حرز يُحترز ويحتَمَى به من شياطين الإنس والجن وليس المراد أن تعلُّقه على جسمك أو في سيَّارتك أو تزخرف به بيتك على المداخل والحيطان، بل كل ذلك لعب بكتاب الله جَلَّ وَعَلَا وعدم تعظيم لشعائر الله ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

وإنما المراد أن تتلوه وتعمل به وتتدبره وتجتهد في تطبيقه على الوجه الذي يرضي الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى فبذلك تُحرق الشياطين وتطمئن به النفوس وتشرح به الصدور وتصلح به الأحوال ويقوى به الإيمان ويزداد به اليقين بإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.





**تفصيل الكلام على أن القرآن من كلام الله عز وجل حقيقة وتقرير**  
**أن الله سبحانه وتعالى متكلم، يتكلم بما شاء إذ شاء كيف شاء**

- ٣٤- أَنْتَ الَّذِي يَا رَبِّ قُلْتَ حُرُوفَهُ      وَوَصَفْتَهُ بِالْوَعْظِ وَالتَّبْيَانِ  
 ٣٥- وَنَظَّمْتَهُ بِبَلَاغَةِ أَرْزَلِيَّةٍ      تَكْيِيفُهَا يَخْفَى عَلَى الْأَذْهَانِ  
 ٣٦- وَكَتَبْتَ فِي اللَّوْحِ الْحَفِيزِ حُرُوفَهُ      مِنْ قَبْلِ خَلْقِ الْخَلْقِ فِي أَرْزَمَانِ

❖ هذا كلام عظيم وهو تأكيد لما تقدم بيانه من أن القرآن كلام الله جل وعلا، لفظه ومعناه، وأنه تكلم به بحرف وصوت.

ويشير بقوله: «أَنْتَ الَّذِي يَا رَبِّ قُلْتَ حُرُوفَهُ» إلى الرد على بعض الطوائف التي تنكر الحرف والصوت أن يكون الرب جل وعلا؛ قد تكلم به، فمنهم من زعم أن القرآن مخلوق خلقه الله كما خلق الأشياء كلها، ومنهم من زعم أن الله خلقه في الهواء ثم سمعه جبريل من الهواء، ومنهم من يقول أن جبريل عبّر عن الله في القرآن؛ فقال: القرآن عبارة عن كلام الله أو حكاية لكلام الله؛ لأن الله لا يتكلم كلاماً حقيقياً عند تلك الطوائف المنحرفة - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً -؛ ولذلك قال: «أَنْتَ الَّذِي يَا رَبِّ قُلْتَ حُرُوفَهُ» وكلمة «قُلْتَ»؛ أي: تكلمت به حقيقة لا مجازاً؛ فالقرآن بألفاظه ومعانيه قد تكلم به الرب جل وعلا.

وقوله: «وَوَصَفْتَهُ بِالْوَعْظِ وَالتَّبْيَانِ»؛ يشير بهذا إلى الآيات التي تدل على أن القرآن فيه موعظة وبيان للناس؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يُونُس: ٥٧] يعني: بذلك القرآن الكريم، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [الْبَقَرَة: ١٢٩]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرَ

أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿[الْأَنْبِيَاءُ: ٥٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الْأَنْبِيَاءُ: ٨٢]؛ ففيه بيان للتوحيد وبيان للحلال والحرام، وبيان لأحكام الله جَلَّ وَعَلَا وبيان لحدود الله وتبيان لكل شيء وموعظة ورحمة للمؤمنين؛ فالقرآن موعظة لمن أراد الموعظة، ولمن أراد الخير، ولمن تدبَّر وتأمل فيه نبأ من قبلنا وخبر من بعدنا فيه الهدى والنور؛ فيه الأحكام العادلة والحدود الرادعة والدعوة إلى الأخلاق الفاضلة والآداب السامية، فيه حياة القلوب والأبدان؛ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشَعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نُضْرِمُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَفْكُرُونَ﴾ [الْحُشُر: ٢١] أنزله الله بالحق؛ ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الْأَنْبِيَاءُ: ١٠٥].

من هنا وجب علينا تدبُّره وتأمله والوقوف عند حدوده والعمل بمقتضاه والاجتهاد في فهمه على وفق فهم سلفنا الصالح الذين نقلوا لنا هذا القرآن غصًّا طريًّا لم يشب كما نزل على نبيِّنا ﷺ.

وقوله:

٣٥- وَنَظَّمْتَهُ بِبَلَاغَةٍ أَزَلِيَّةٍ تَكْثِيفُهَا يَخْفِى عَلَى الْأَذْهَانِ  
 ﴿القرآن أنزله الله بلسان عربي مبين، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يُوسُف: ٢]، وجعل فيه من أسرار البيان والبلاغة ما لا يمكن أن يُحاط به، ولذلك فهو معجز بالفاظه ومعانيه وفصاحته وبيانه وبلاغته وأمثاله ونحو ذلك مما يحتويه، لا يمكن لأحد أن يكيّف تلك البلاغة أو أن يُحيط بها أو أن يأتي بمثلها؛ لأنَّه كلام الله وكلام الله لا نكيّفه، بل نؤمن به ونؤمن بأنَّه من عند الله ولكن كسائر الصفات نكلُّ علم كيفيته إلى الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

والمقصود بخفاء الكيفية خفاء إدراكها على الأذهان، فكيفية تكلم الله به لا يحيط بها أحد ولا يدخل في هذا فهم المعاني، فالقرآن نزل بلسان عربي مبين، واضح الدلالات، بين المعاني، وليس مجردا عن المعاني كما تزعمه المعطلة إذ ليس فيه ألغاز ولا أحاجي، بل هو واضح لأولي الأبواب أصحاب العقول النيرة التي لم تفسدها أدران الفلسفة وأوضار المنطق، وشبهات أهل الكلام؛ فإنها تفهمه وتدبره وتتأمله لكن لا يمكن أن تحيط بجميع أسرارها أو تكيف كيفية تكلم الله تبارك وتعالى به؛ إذ أن مردّ علم ذلك إلى الله سبحانه وتعالى، فيجب أن نفهم أن مراد الناظم هنا ليس هو أن معاني القرآن تخفى على الأذهان، وإنما مراده نفي علم التكيف الذي استأثر الله بعلمه من كيفية تكلم الله به إلى أن وصل إلينا غصّا طريّا، أمّا معناه لمن تدبّر وتأمل فهو واضح جلي لا يحتاج إلى كبير عناء؛ واضح كل الوضوح لمن سلمت فطرته وعقله من العجمة وزبالات علم الكلام ومنطق الهند واليونان.

وقوله:

٣٦- وَكَتَبَتْ فِي اللُّوحِ الْحَفِیْظِ حُرُوفَهُ مِنْ قَبْلِ خَلْقِ الْخَلْقِ فِي أَزْمَانٍ

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ۝١١١ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [النّوح: ٢١ - ٢٢].

الله عزّ وجلّ الذي كتبه في اللوح المحفوظ، هو الذي تكلم به حقيقة، وليس بين تكلمه به وكتابته له في اللوح المحفوظ أي تعارض؛ فالله عزّ وجلّ يتكلم بما شاء، ويكتب ما أراد في اللوح المحفوظ، وليس المراد أن الله خلقه في اللوح المحفوظ ثم نزل من اللوح المحفوظ على النبي ﷺ كما يقول بعض المبتدعة حتى يتخذ ذلك دليلاً على أن القرآن مخلوق.

وهذا فهم ساقط، وتصور فاسد، فلا تعارض في كون الله عَزَّجَلَّ تَكَلَّمَ به وسطَّره في اللوح المحفوظ كما أنَّه تَكَلَّمَ به سُبْحَانَهُ، ونحن نسطره الآن في المصحف؛ فهل تسطينا له في المصحف يغير كونه كلام الله جَلَّ وَعَلَا؟ فالكلام ينسب إلى من قاله ابتداء لا إلى من قرأه أو تلاه أو كتبه؛ فإذا سمعت قارئاً يقرأ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الْقَائِمَةُ: ٢] علمت أن هذا كلام الله، وليس كلام ذلكم القارئ، وإذا سمعت من يقرأ «ألا كل شيء ما خلا الله باطل» علمت بأن هذا كلام لبيد بن ربيعة، لا كلام من قرأه أو أنشده.

وليس المراد أن جبريل أخذه من اللوح المحفوظ لكن الله عَزَّجَلَّ كتبه وكتب جميع الأشياء قبل خلق السماوات والأرض وعلمه تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِلْمٌ أَنَّهُ سَيَتَكَلَّمُ به في وقت كذا وكذا؛ لأنَّ علم الله عَزَّجَلَّ أزلي أبدي لا يحدُّ بابتداء ولا بانتهاء ولا يحيط أحدُ شيءٍ من علمه؛ فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى تَكَلَّمَ به وكتبه في اللوح المحفوظ وأوحاه إلى جبريل وجبريل بلغه إلى النبي ﷺ.



- ٣٧- فَاللَّهُ رَبِّي لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا  
 ٣٨- نَادَى بِصَوْتٍ حِينَ كَلَّمَ عَبْدَهُ  
 ٣٩- وَكَذَا يُنَادِي فِي الْقِيَامَةِ رَبُّنَا  
 ٤٠- أَنْ يَا عِبَادِيَ أَنْصِتُوا لِي وَاسْمَعُوا  
 ٤١- هَذَا حَدِيثُ نَبِيِّنَا عَنْ رَبِّهِ  
 ٤٢- لَسْنَا نُشَبِّهُ صَوْتَهُ بِكَلَامِنَا  
 ٤٣- لَا تَحْصُرُ الْأَوْهَامُ مَبْلَغَ ذَاتِهِ  
 ٤٤- وَهُوَ الْمُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمُهُ  
 ٤٥- مَنْ ذَا يُكَيِّفُ ذَاتَهُ وَصِفَاتِهِ
- حَقًّا إِذَا مَا شَاءَ ذُو إِحْسَانٍ  
 مُوسَى فَأَسْمَعَهُ بِلَا كِثْمَانٍ  
 جَهْرًا فَيَسْمَعُ صَوْتَهُ الثَّقَلَانِ  
 قَوْلَ الْإِلَهِ الْمَالِكِ الدِّيَانِ  
 صِدْقًا بِلَا كَذِبٍ وَلَا بُهْتَانٍ  
 إِذْ لَيْسَ يُدْرِكُ وَصْفُهُ بَعِيَانٍ  
 أَبَدًا وَلَا يَخْوِيهِ قُطْرُ مَكَانٍ  
 مِنْ غَيْرِ إِغْفَالٍ وَلَا نِسْيَانٍ  
 وَهُوَ الْقَدِيمُ مُكُونُ الْأَكْوَانِ

✽ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى متصف بصفة الكلام يتكلم متى شاء إذا شاء، كيف شاء، وليس المراد بالأزلية هنا ما يجري على ألسنة بعض الخطباء تأثراً بعقيدة بعض المبتدعة عندما يريدون أن يقرؤوا آية في الخطبة يقولون: «قال الله تَعَالَى ولم يزل قائلاً علياً»؛ فكأنه يردد هذا الكلام إلى ما لا نهاية، ليس هذا هو المراد بالأزلية فالكلام صفة أزلية أبدية من حيث الأصل والقدرة على الكلام في كل وقت، وصفة فعلية حادثة من حيث وقوعه في وقت معين يشاؤه الربُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولذلك يقول أهل العلم: إنه قديم النوع حادث الآحاد أو الأفراد؛ فمعنى قديم النوع؛ أي: أَنَّ الله عَزَّجَلَّ من صفاته الذاتية الكلام فهو بهذا الاعتبار صفة ذاتية أي إنه قادر على الكلام في أي وقت يريد، وحادث الأفراد أو الآحاد؛ بمعنى أَنَّهُ مثلاً كَلَّمَ آدَمَ في وقت معين، وكَلَّمَ مُوسَى في وقت معين، وكَلَّمَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ في وقت معين، ويكلم من شاء من خلقه في الوقت الذي يشاؤه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ والتوراة والإنجيل والزبور في أوقات أرادها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فهو بهذا الاعتبار صفة فعلية اختيارية؛ أي: يتكلم بها الله عَزَّجَلَّ متى شاء إذا شاء كيف شاء، وباعتبار صفة

الكلام التي هي صفته القادر عليها بلا ابتداء وبلا انتهاء هي صفة ذاتية هذه هي عقيدة السلف في مسألة الكلام، وليس المراد بقوله: «لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا» أنه يردد الكلام؛ فكأنه يقول: يا موسى يا موسى يا موسى إلى ما لا نهاية! هذا لم يقل به إلا مبتدع أو مجنون، وفعلاً قد قالت به بعض الطوائف المنحرفة الذين ابتلوا بنوع من الجنون.

تمنيّت أن تُسمى فقيها مناظرا بغير عناء والجنون فنون

وقوله:

٣٨- «نَادَى بِصَوْتٍ حِينَ كَلَّمَ عَبْدَهُ مُوسَى فَأَسْمَعَهُ بِلَا كِتْمَانٍ»  
 ﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿١٧﴾ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ﴿التَّارِكَاتِ: ١٥ - ١٨﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ، مِنَ الَّذِي نَادَى؟ إنه رب العالمين، ومن المتنادى؟ إنه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النِّسَاءَ: ١٦٤]، سبحان الله، هذه الآية فيها تأكيد على حقيقة الكلام من عدة وجوه:

أولاً- عبّر بالفعل «كَلَّمَ».

وثانياً- أكد بالمصدر المؤكد لفعله؛ بقوله: ﴿تَكْلِيمًا﴾.

وثالثاً- ذكر لفظ الجلالة بالرفع ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النِّسَاءَ: ١٦٤]؛ فهاذا بعد الحقّ إلا الضلال؟ فما موقف المؤولة من مثل هذه الآية؟ لو أرادوا أن يحرفوا أي شيء لا يستطيعون تحريف هذه الآية بالذات؛ اللهم إلا بالتحريف اللفظي وهذا ما وقع فيه عمرو بن عبيد المعتزلي عندما قال لأبي عمرو بن العلاء رَحِمَهُ اللَّهُ أحد القراء السبعة: أريد أن تقرأ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾، بنصب اسم الجلالة؛ ليكون موسى هو المتكلم

لا الله! فقال أبو عمرو: هب أني قرأت هذه الآية كذا، فكيف تصنع بقوله تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٤٣]؟! فبهت المعتزلي! (١).

فما وجه بهته هنا؟ لأن قول الله تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ هنا الفعل قد أخذ مفعوله وهو الضمير المتصل «الهاء» العائد على موسى عَلَيْهِ السَّلَام؛ ثم قال: ﴿رَبُّهُ﴾؛ هذا هو الفاعل قطعاً؛ ثم أضافه إليه؛ أي: إلى موسى، فتحريف هذا لا يمكن بحال ولو بشيء من التكلف، وكل كلامهم متكلف.

قال الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولا تطع قول ذي زيغ يزخرفه من كل مبتدع في الدين متهم

حيران ضل عن الحق المبين فلا ينفك منحرفاً معوج لم يقم (٢)

فالناظم يبين هنا أن موسى عَلَيْهِ السَّلَام سمع نداء الرب وموسى بالوَادِ المقدَّس طوى؛ سمعه سماعاً حقيقياً ليس فيه تأويل ولا تحريف؛ ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ﴾ [التَّوْبَةُ: ١٦] إذ لا يحتمل التأويل بحال من الأحوال؛ لذلك فالأدلة واضحة في دمج عقيدة هؤلاء المعتزلة ومن وافقهم كما سيأتي تفصيله إن شاء الله.

وفي ذلك ألف الإمام السجزي رَحِمَهُ اللَّهُ رسالة الحرف والصوت في الرد على من ينكر أن يكون الله عَزَّ وَجَلَّ يتكلم بحرف وصوت، فقد نادى عبده موسى نداءً حقيقياً سمعه بلا كتمان، سمعه سماعاً ظاهراً؛ فقال له: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا سَعَى ﴿ [طه: ١٤ - ١٥]، سبحان الله! عندما ينادي عبده ويقول له: إني أنا الله؛ فما موقف المتكلمين والمؤولة

(١) انظر: «تلبيس الجهمية» (٢/ ١٢).

(٢) «المنظومة الميمية» للشيخ حافظ الحكمي (١/ ٧).

من مثل هذا؟! ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوَسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [القصص: ٣٠]؛ هل يتصور عاقل أن الشجرة قالت لموسىٰ 'إني أنا الله؟! - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - فهم يقولون كلاماً غريباً؛ قالوا: إن الله خلق الكلام في الشجرة، فسمعه موسىٰ من الشجرة، وهذا دجل وتحريف؛ فلا أدري أين ذهبت عقول بعض الناس الذين وقعوا في هذا التأويل وهم من الذكاء بمكان، فكيف انطلت عليهم هذه الشبهة؟! ولكن كما قال شيخ الإسلام: إنهم أوتوا ذكاء ولم يعطوا زكاء؛ سبحانه الله! قال رسول الله ﷺ: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء»<sup>(١)</sup>، نسأل الله الثبات.

وقوله:

٣٩- «وَكَذَا يُنَادِي فِي الْقِيَامَةِ رَبُّنَا      جَهْرًا فَيَسْمَعُ صَوْتَهُ الثَّقَلَانِ  
٤٠- أَنْ يَا عِبَادِي أَنْصِتُوا لِي وَاسْمَعُوا      قَوْلَ الْإِلَهِ الْمَالِكِ الدِّيَّانِ  
٤١- هَذَا حَدِيثٌ نَبِيْنَا عَنْ رَبِّهِ      صِدْقًا بَلَا كَذِبٍ وَلَا بُهْتَانٍ»

المقصود أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ينادي الخلائق يوم القيامة بعد أن يبعثهم ويحشرهم فيناديهم بصوت يسمعه من بُعد كما يسمعه من قرب، ينادي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الخلائق ويفصل بينهم؛ فيناديهم؛ أي: يكلمهم كلاماً مباشراً ليس بينهم وبينه ترجمان، فيسمعونه ويفهمونه؛ وهذا دليل على إثبات كلام الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأنه يتكلم متى شاء إذا شاء كيف شاء، وسوف يأتي مزيد من الأدلة على ذلك - إن شاء الله تَعَالَىٰ -.

(١) أخرجه مسلم [٢٦٥٤] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



يقول لهم: «أنا الملك أنا الديان»<sup>(١)</sup>، فيسمعونه جميعاً عندما ينادي بهذا النداء العظيم، ولا يفهم منه إلا النداء الحقيقي، إذ لا يمكن أن ينوب عنه أحد سُبْحَانَهُ ولا يمكن أن يتكلم عنه أحد سُبْحَانَهُ، ولا يمكن أن يكون هذا الكلام مجازاً بحال من الأحوال، ومن زعم ذلك فقد أعظم على الله الفرية ويكذب ظاهر القرآن والستة حيث ثبت الدليل على الكلام والنداء والسماع في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.

ينادي المؤمنون نداءً لطيفاً رحيماً رؤوفاً يدل على الرحمة والمحبة ﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ [يٰس: ٥٨]، وينادي الكفار والمشركين نداءً تبكيت وتوبيخ وتقريع ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢]، وينادي الجميع ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]، ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ فلم يجب أحد فيقول سُبْحَانَهُ: ﴿لِلَّهِ الْوَحْدُ الْقَهَّارِ﴾ [اعراف: ١٦]، وينادي: «أنا الملك، أنا الديان»، أبعد هذا البيان نحتاج إلى أن نسمع تأويلات المعتزلة والأشاعرة والماتريدية في تأويل صفة الكلام والنداء؟! فالحق أبلج واضح لكل ذي بصيرة، والباطل لجلج واضح الفساد.

فنداء الله تَعَالَى: «أنا الملك أنا الديان» نص واضح لا يقبل التأويل بحال من الأحوال، فإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، إذ أن التأويل تحريف للكلم عن مواضعه، وتغيير لمداول كتاب الله عز وجل وما دلت عليه الستة النبوية المطهرة في الصحاح والسنن والمسانيد؛ لذلك يجب على المسلم الإيمان بذلك والإذعان له والتسليم أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يتكلم متى شاء إذا شاء كيف شاء بصوت وحرف مسموعين ولا يلزم من ذلك مشابهة

(١) أخرجه أحمد [١٦٠٨٥]، والحاكم [٣٦٣٨]، والضياء [١٠] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وصححه الذهبي. وصححه الألباني في «ظلال الجنة» [٥١٤].

المخلوقين؛ كما يأتي توضيح ذلك عند ذكر بعض شبه المتكلمين والردّ عليها - إن شاء الله - وكما قال الناظم:

٤٢- «لَسْنَا نُشَبِّهُ صَوْتَهُ بِكَلَامِنَا إِذْ لَيْسَ يُدْرِكُ وَضْعُهُ بِعِيَانٍ»  
 \* فمع إيماننا بأن الله يتكلم بصوت وحرف مسموعين، وأنه كلم جبريل وملائكته وكلم موسى وآدم ونبينا محمداً ﷺ، ويتكلم يوم القيامة وتكلم بالقرآن وبالإنجيل وبالزبور والتوراة، مع إيماننا بذلك كله، وأن الله عَزَّوَجَلَّ يتكلم متى شاء إذا شاء كيف شاء، فإنه يجب أن نعتقد أن كلام الله تَعَالَى يليق بجلاله وعظمته ليس ككلامنا، فكلامنا محدود، وكلامه بخلاف ذلك سُبْحَانَهُ، كلامنا يعتريه الخرس والنقص والمرض والنفاد، له ابتداء وله انتهاء، وكلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بخلاف ذلك؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنفِدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

كلامنا بجهد وتعب، والله عَزَّوَجَلَّ لا يناله شيء من ذلك؛ ولذلك، فكما أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يشبه أحداً من خلقه فكذلك صفاته ومنها صفة الكلام لا تشبه صفات المخلوقين، يجب أن نؤمن بذلك حق الإيمان.

فالله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، والمقصود أن صفات الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الثابتة عنه حقيقية، لكن لا ندرك كُنْهَهَا ولا كيفيتها؛ بل نكلّم ذلك إلى الله عَزَّوَجَلَّ مع إيماننا بأنه يتكلم متى شاء إذا شاء كيف شاء؛ وفرق بين الإيمان بالصفة على الوجه اللائق بالله تَعَالَى وبين إدراك الكيفية، فادعاء الإدراك باطل، والإيمان بالصفة واجب ولازم؛ وهذا هو معنى قول السلف: «أمروها كما جاءت بلا كيف».

فالناظم رَحِمَهُ اللهُ نَفْىُ كَلامٍ مِنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّكْيِيفِ؛ فَنَفْىُ أَنْ يَشْبَهَ كَلامُ الرَّبِّ كَلامَ المَخْلُوقِينَ أَوْ أَنْ يَشْبَهَ كَلامَ المَخْلُوقِينَ كَلامُ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَنَفْىُ الإِدْرَاكِ وَالكَيْفِيَةِ، فَمَعَ إِيمَانِنَا بِأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ؛ فَإِنَّا نَكُلُّ العِلْمَ بِالكَيْفِيَةِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، فَلَوْ قَالَ مَتَحَذَلِقُ: كَيْفَ يَتَكَلَّمُ؟ قُلْنَا لَهُ: كَيْفَ هُوَ؟ فَإِنْ قَالَ: لَا يَعْلَمُ كَيْفَ هُوَ إِلَّا هُوَ؛ قُلْنَا لَهُ: وَلَا يَعْلَمُ كَيْفَ يَتَكَلَّمُ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

إِذَا لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَسْتَطِيعَ مَعْرِفَةَ كَيْفِيَةِ ذَاتِهِ، فَإِذَا جَهِلَ كَيْفِيَةِ ذَاتِهِ فَمِنْ بَابِ أَوَّلَى أَنْ يَجْهَلَ كَيْفِيَةَ صِفَاتِهِ، وَإِذَا آمَنَّا بِأَنْ لَهُ ذَاتًا لَا تَشْبَهُ الذَّوَاتِ؛ فَلَنَوْ مِنْ بَأَنَ لَهُ صِفَاتٍ لَا تَشْبَهُ الصِّفَاتِ، عَلِمًا بِأَنْ لَفْظَةُ الذَّاتِ إِنَّمَا تُتَوَسَّعُ فِيهَا عَلَى سَبِيلِ الإِخْبَارِ لَا عَلَى سَبِيلِ الوَصْفِ؛ لِأَنَّ الذَّاتِ لَمْ تَرُدْ ثَابِتَةً فِي حَقِّ اللهِ إِلَّا مِضَافَةً، وَذَلِكَ فِي حَدِيثَيْنِ لَا ثَالِثَ لِهَمَا؛ الْأَوَّلُ فِي قِصَّةِ خُبَيْبِ بْنِ عَدِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الثَّابِتَةِ فِي الصَّحِيحِ، وَفِيهَا أَنَّهُ قَالَ:

وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أَقْتُلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ شَقٍّ كَانَ فِي اللهِ مُصْرَعِي  
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ يَبَارِكُ عَلَى أَوْصَالِ شَلْوٍ مَمْنَعٍ<sup>(١)</sup>؛  
فَقَوْلُهُ: «فِي ذَاتِ الإِلَهِ»؛ أَيُّ: فِي سَبِيلِ اللهِ وَمِنْ أَجْلِ اللهِ.

وَالثَّانِي- فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:  
«مَا كَذَبَ إِبْرَاهِيمُ إِلَّا ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ كُلُّهُنَّ فِي ذَاتِ اللهِ»<sup>(٢)</sup>؛ وَالْمَقْصُودُ بِالكَذِبَاتِ هُنَا  
الْمَعَارِضُ عِنْدَ الضَّرُورَةِ أَوْ الْحَاجَةِ.

وَمَعْنَى «فِي ذَاتِ اللهِ»؛ أَيُّ: مِنْ أَجْلِ اللهِ، إِحْدَاهَا - كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ - قَوْلُهُ عَنْ  
سَارَةَ: إِنَّهَا أُخْتِي؛ لِيَتَخَلَّصَ مِنَ النَّمْرُودِ الطَّاغِيَةِ، وَهِيَ أُخْتُهُ فِي الإِسْلَامِ، وَالثَّانِيَةِ- قَوْلُهُ:

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ [٣٠٤٥] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.  
(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ [٣٣٥٨]، وَمُسْلِمٌ [٢٣٧١] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

بل فعله كبيرهم هذا، وهو يقصد التهكم بهم، لا يقصد أن ينكر ما فعل بها ويسنده إلى كبيرهم؛ وإنما أراد أن يكتبهم وأن يُبينَ فضيحتهم، هم يعلمون أن كبيرهم لن يفعل؛ فلذلك قال لهم تهكمًا: بل فعله كبيرهم ليوقط عقولهم من الغفلة والتقليد؛ لأنه إذا كان الصنم لا يتحرك بإرادة فأحرى به أن لا يضر ولا ينفع، والثالثة قوله: إني سقيم؛ أي: مريض، وهو مريض مما يفعلون من الشرك، هذا مراده عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهذه الثلاث تدخل في المعارض، والمعارض تباح عند الحاجة والضرورة؛ كما ورد في الأثر عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِن فِي الْمَعَارِضِ مَا يَغْنِي الرَّجُلَ عَنِ الْكَذِبِ»<sup>(١)</sup>؛ فالمقصود هنا أنه لا يدرك أحدٌ كيفية ذاته.



(١) أخرجه ابن أبي شيبة [٢٦٠٩٥]، والبيهقي [٢١٣٦٢]. وقال [٢١٣٦٣]: الموقوف هو الصحيح. وصحح الألباني الموقوف في «صحيح الأدب المفرد» [٣٣٩].

بيان أن الله عزَّوجلَّ له ذات عليّة لا يحيط بها أحد  
ولا يدرك كنهها كذلك له الصفات العليّة  
التي لا تدرك كيفيته

٤٣- لَا تَحْصُرُ الْأَوْهَامُ مَبْلَغَ ذَاتِهِ أَبَدًا وَلَا يَحْوِيهِ قُطْرُ مَكَانٍ

وقوله: «لَا تَحْصُرُ الْأَوْهَامُ مَبْلَغَ ذَاتِهِ»؛ أي: لا يمكن أن يحيط أحد بذاته أو أن يدعي أنه يدرك كيفية ذاته، ومن ثم فهو لا يدرك كيفية صفاته.

وقوله: «وَلَا يَحْوِيهِ قُطْرُ مَكَانٍ»، هذا الشطر فيه شيء من الإجمال الذي يحتاج إلى توضيح وبيان، فإنه لا يحويه قطر مكان، ولا يحيط به ولا يدركه أحد من خلقه، لا تحويه السماوات ولا الأرض ولا العرش، ولا يحتاج إلى عرشه مع أنه مستوٍ عليه؛ فهو سُبْحَانَهُ غني عن العرش وعن ما دون العرش، وهو الذي يمسك العرش ويمسك السماوات ويمسك الأرض كما قال الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ [فَاطِمَةُ: ٤١]؛ فالله عزَّوجلَّ لا يحيط به شيء من خلقه، وكل الكون خلقه، فلا يجوز أن يفهم من كلام الناظم في قوله: «ولا يحويه قطر مكان» نفى العلو؛ لأن هناك عبارات قد تصدر عن بعض السلف فيها إجمال قد يكون لبعض أهل الكلام فيه مدخل كما وُجِدَ مثل ذلك عند الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله: «ولا تحده الجهات»، نعم هي لا تحده بمفهوم أهل السنة والجماعة؛ أي: لا تحيط به ولكن لا يعني هذا أن ننفي الجهة وهي العلو، لكن أهل الكلام يرددون هذه الألفاظ، ويعنون بها إنكار صفة العلو، وأما لو صدرت من مثل هذا السَلَفِيِّ السُّنِّيِّ الإمام القحطاني؛ فإنها لا تُحْمَلُ على مفهوم أهل الكلام وإنما تحمّل على مفهوم أهل السنة والجماعة، وهو أنها مع اعتقادنا أن الله في العلو، وأنه مستوٍ على عرشه، عال على جميع خلقه، بائن منهم؛ فإنه لا يحويه ولا يحيط به ولا يحوزه ولا يحده مكان.

## الكلام على إحاطة علم الله عز وجل

وقوله:

٤٤- «وَهُوَ الْمُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمُهُ مِنْ غَيْرِ إِغْضَالٍ وَلَا نِسْيَانٍ»

هذا يوضح ما تقدم من أن الله تعالى محيط بكل شيء علماً؛ ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً﴾ [آل عمران: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ [الزمر: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنْشِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الحجرات: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٩١].

فإن الله تبارك وتعالى لا يغفل ولا ينسى، ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣]، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤]، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [براقة: ٦٤]؛ فهو سبحانه وتعالى محيط بكل شيء، لا يغيب عن علمه، مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض.

فعلم الله تبارك وتعالى لا يحيط به أحد ولا ينفد ولا ينتهي؛ بل هو عالم بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وما تحت الثرى، يعلم دبيب النمل في الليلة المظلمة على صفاة سوداء، يعلم السر وأخفى؛ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُمْ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

ولا تأخذه سنة ولا نوم، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْرَبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ

إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿سَبَا: ٣﴾؛ ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ أَلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلٍ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

والآيات كثيرة في بيان إحاطة علم الله سبحانه وتعالى لكل شيء، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يونس: ٧٦].

وقوله:

٤٥- مَنْ ذَا يُكَيِّفُ ذَاتَهُ وَصِفَاتِهِ وَهُوَ الْقَدِيمُ مُكَوَّنُ الْأَكْوَانِ  
من الذي يستطيع أن يكيّفه وقد استأثر الله بعلم الكيفية، كيفية ذاته وكيفية صفاته؛ فمن ادعى علم الكيفية، كمن قال إن ذاته مثل كذا وكذا؛ كما تقوله المشبهة من الكرامية وغيرهم؛ وكما تقوله المشبهة من الرافضة وغيرهم؛ يقولون: له يد شكلها كذا وكذا، وله جسم شكله كذا وكذا؛ فهذا كله كفر ومروق من الدين، وادعاء لعلم قد استأثر الله به.

وقوله: «وَهُوَ الْقَدِيمُ مُكَوَّنُ الْأَكْوَانِ»؛ هذا اللفظ يحتاج إلى توضيح؛ فكلمة القديم والذات والوجود وواجب الوجود ونحوها لم تكن معروفة عند السلف في الصدر الأول؛ لأن المسلمين في ذلك الوقت كانوا على فطرهم يؤمنون بالله وبأسماؤه وصفاته دون تكلف ودون تحريف أو تعطيل كما قال المقرئزي رَحِمَهُ اللَّهُ في الخطط «لما بعث الله محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الناس، وصف لهم ربهم بما وصف به نفسه، فلم يسأله أحد من العرب بأسرهم، قرويههم وبدويهم، عن معنى شيء من ذلك، كما كانوا يسألونه عن أمر الصلاة، وشرائع الإسلام، إذ لو سأله أحد منهم عن شيء من الصفات لنقل، كما نقلت أحاديث الأحكام وغيرها.

ومن أمعن النظر في دواوين الحديث والآثار عن السلف، علم أنه لم يرد قط لا من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة على اختلاف طبقاتهم، وكثرة عددهم، أنه سأل النبي ﷺ عن معنى شيء، مما وصف الرب سبحانه به نفسه في القرآن وعلى لسان نبيه، بل كلهم فهموا معنى ذلك وسكتوا سكوت فاهم مقتنع، ولم يفرقوا بين صفة وأخرى، ولم يتعرض أحد منهم إلى تأويل شيء منها، بل أجروا الصفات كما وردت بأجمعهم، ولم يكن عند أحد منهم ما يستدل به سوى كتاب الله وسنة رسوله.

ومضى عصرهم رضي الله عنهم على هذا، وحدث القول بنفي القدر في عهد آخرهم. وكان أول من فاه بذلك معبد الجهني، أخذه عن رجل من الأساورة، يقال له: أبو يونس سيسويه، ويعرف بالأسواري، وتبرأ من هذه المقالة الصحابة. ثم خرجت الخوارج، وكفروا بالذنوب، فقاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

وحدث التشيع لعلي، وغلا فيه طائفة بدعوة ابن سبأ اليهودي، فحرقهم بالنار، كما أحدث ابن سبأ القول بالوصية لعلي بالإمامة من بعد الرسول ﷺ والقول بالرجعة، أي رجعة علي بعد موته، وأن فيه جزءاً من الإلهية.

ومن دعوة هذا اليهودي تشعبت الغلاة من الرافضة، كالإمامية الإثني عشرية، والإسماعيلية، والقرامطة، والنصيرية، وغيرهم، وهو الذي أثار الفتنة على أمير المؤمنين عثمان حتى قتل، ولم يزل مذهب الرفض يستفحل حتى ملأ الدنيا فساداً.

ثم حدث مذهب الجهمية، وتعطيل الرب تعالى عن صفاته، والقول بخلق القرآن، وغير ذلك من العظائم، وعربت كتب الفلاسفة في عهد المأمون، فعظمت الفتنة والاضلال.



ثم ظهر الأشعري، وكان أخذ عن الجبائي الاعتزال، ولازمه دهرًا طويلاً، ثم سلك طريق ابن كلاب في الصفات، والقدر، وغير ذلك.

وسلك طريقه جماعة من العلماء، مثل الباقلاني، وابن فورك، والاسفراييني، والشيرازي، والغزالي، والشهرستاني، والرازي وغيرهم، ملأوا الدنيا بتصانيفهم، يحتجون ويدّعون أن طريقتهم هي طريقة أهل السنة والجماعة<sup>(١)</sup>، فانتشر هذا المذهب في البلاد الإسلامية، وجاءت دولة بني أيوب، وكانوا على هذا المذهب، ثم مواليتهم الأتراك، وأخذ ابن تومرت إلى المغرب، ونشره هناك، فصار هذا المذهب هو المعروف في الأمصار، بحيث تُسي ما عداه من المذاهب، أو جهل، حتى لم يبق اليوم مذهب يخالفه، إلا أن يكون مذهب الحنابلة.

حتى جاء تقي الدين - أبو العباس ابن تيمية -، فتصدى للانتصار لمذهب السلف، ورد على الأشاعرة، والرافضة، والصوفية، فافترق الناس فيه فريقان: فريق يقتدي به، ويعول على أقواله، ويرى أنه شيخ الإسلام حقًا، ومن أجل حفاظ أهل الملة الإسلامية.

(١) قال الطرطوشي رَحِمَهُ اللهُ: «شحن أبو حامد «الإحياء» بالكذب على رسول الله ﷺ، فلا أعلم كتابًا على بساط الأرض أكثر كذبًا منه». وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ وهو يتكلم على تفسير الزمخشري: «ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة فصيحًا، ويدس البدعة في كلامه وأكثر الناس لا يعلمون كصاحب الكشاف ونحوه». وقد نظم رَحِمَهُ اللهُ في المحصل للرازي فقال:

من بعد تحصيله علم بلا دين  
فيه فأكثره وحي الشياطين

ومحصل في أصول الدين حاصله  
أصل الضلال والإفك المبين فما

وقد قال ابن القيم في نونيته:

عافاك من تحريف ذي بهتان  
ريف محضاً أبرد الهديان  
أديان حين سَرى إلى الأديان  
لتهدمت منه قُوى الأركان

فاحمد إلهك أيها السني إذ  
هذا هو الاتحاد حقاً بل هو التَّح  
أمثال ذا التَّأويل أفسد هذه ال  
والله لولا الله حافظ دينه

وآخر يبدعه، ويضلله، ويزري عليه إثبات الصفات وغيرها<sup>(١)</sup>؛ فلما جاء أهل الكلام كالجهمية والمعتزلة، جعلوا القديم أخص أسماء الله جَلَّ وَعَلَا والسلف ربما عبروا بذلك مجازاة لهم من أجل إلزامهم بالحجة من خلال ما يؤمنون به، وليس المراد أنهم يعتبرون القديم من أسماء الله، مع أن القديم عليه اعتراض حتى من جهة اللغة؛ لأن القديم هو الذي تقدم غيره وإن كان حادثاً، ومنه قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يَس: ٣٩].

وإن كان قديقول قائل: إنه قد ورد لفظ القديم في وصف سلطان الله جَلَّ وَعَلَا في الحديث الذي يُحْسِنُهُ بعض أهل العلم: «أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم»<sup>(٢)</sup>، وأفضل من ذلك وأسلم أن نعبر بدلاً من كلمة القديم بالأول؛ لأن هذا هو الثابت في القرآن والسنة، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، وجاء تفسير ذلك في حديث مسلم: «أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»<sup>(٣)</sup>؛ فلا يستغرب تعبير السلف أحياناً بالقديم في معرض الحاجة؛ وإلا فليس القديم من أسماء الله كما تقدم. وهم إنما يردون بهذا على الفلاسفة والمتكلمين؛ فقد يذكرون القديم وواجب الوجود والذات والممكن، ونحوها من الألفاظ المنطقية في معرض الحاجة والمجادلة؛ فإذا أرادوا تقرير منهج السلف في أسماء الله وصفاته فإنهم لا يعدون لفظة القديم من أسماء الله تَعَالَى.

(١) انظر: «الخطط»، ص: (٣٠٩ - ٣١٤) ملخصاً.

(٢) أخرجه أبو داود [٤٦٦] من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٤٧١٥].

(٣) أخرجه مسلم [٢٧١٣] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقوله: «مكون الأكوان»؛ أي: خالق المخلوقات، قَالَ الْعَالِي: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يَس: ۸۲]؛ أي: خالق جميع المخلوقات، وقال سُبحَانَهُ: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ تَوْفَكُونُ﴾ [تَعَا: ۶۲]، وقال: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ۶۲].



اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ مَالِكُ الْمَلِكِ، مَسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، بَاطِنٌ مِنْ خَلْقِهِ

٤٦- سُبْحَانَهُ مَلِكًا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى وَحَوَى جَمِيعَ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ

«سُبْحَانَهُ مَلِكًا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»:

﴿«سُبْحَانَهُ»؛ أي: ينزهه ربه عما لا يليق به، وكلمة «سبحان» تعني: التنزيه، ولا يجوز أن تُقال لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأنها تفيد التنزيه المطلق عن جميع النقائص والعيوب التي تعري البشر وسائر المخلوقات.

فالْمَقْصُودُ أَنْ التَّسْبِيحَ خَاصٌ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ وَمِنْ أَضَافِهِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ؛ كَمَا سَيَأْتِي فِي الْمَثَالِ الَّذِي بَيْنَهُ النَّازِمُ رَحْمَةُ اللَّهِ مِنْ قَوْلِهِ: «فَلْيَقُلْ سُبْحَانِي» بَعْدَ قَلِيلٍ، وَهَذَا أَمْرٌ وَقَعَ فِيهِ بَعْضُ الْمُتَصَوِّفَةِ؛ سَيَأْتِي لَهُ مَزِيدٌ بَيَانٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

الْمَلِكُ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾ [الْحَشْرِ: ٢٣].

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الْقَائِمَةِ: ٤]، وَفِي قِرَاءَةِ سَبْعِيَّةٍ ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَلِكُ النَّاسِ﴾ [النَّاسِ: ٢]، وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الْأَنْعَامِ: ٢٦]، وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الْمُلْكِ: ١].

وَالْآيَاتُ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرَةٌ، وَقَدْ يُسَمَّى الْمَخْلُوقُ مَلِكًا، وَلَكِنْ لَيْسَ الْمَلِكُ كَالْمَلِكِ، فَالْمَلِكُ الدِّيَّانُ مُلْكُهُ مُطْلَقٌ، بَلَا ابْتِدَاءَ وَلَا انْتِهَاءَ، وَالْمَلِكُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهُ بَدَايَةٌ وَنَهَايَةٌ وَمُلْكُهُ مُحَدُودٌ وَمَحْصُورٌ وَقَلِيلٌ وَلَا يَعْدُ شَيْئًا بِالنِّسْبَةِ لِلْمَلِكِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ «الْمَلِكُ الدِّيَّانُ» كَمَا يَقُولُ عَنْ نَفْسِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - كَمَا تَقْدَمُ -.

وقوله: «عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»؛ العرش: أعظم المخلوقات على الإطلاق؛ وهو أكبرها، وليس العرش المُلْك كما تقول بعض الطوائف المنحرفة، وليس هو الكرسي كما تقول طوائف أخرى كذلك، بل العرش سقف جميع المخلوقات، وهو سرير المُلْك، ومع عِظَمِهِ وَكِبَرِهِ فإنه مخلوق من المخلوقات، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ يزد بخلق العرش شيئاً، ولم ينقص لو أراد إفناءه بذلك شيئاً؛ لأن الله عَزَّجَلَّ غني عن العرش وعما دون العرش.

ومما يدل على أن العرش أعظم المخلوقات قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التَّوْبَةُ: ١٢٩].

﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الشُّرُوف: ٨٢].

فالعرش عظيم بالنسبة لسائر المخلوقات، وما المخلوقات جميعاً بما فيها من سموات وأرضين في العرش إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة<sup>(١)</sup>؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [النَّبِي: ١٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ [عَاقَر: ١٥].

وقال تَعَالَى في وصف جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التَّكْوِي: ٢٠]؛ أي: عند صاحب العرش وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الرَّعْد: ٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [يُونُس: ٣].

فهذه أدلة واضحة دالة على أن العرش مخلوق وأنه أعظم المخلوقات، وأنه ليس الكرسي وليس السماوات وليس المُلْك، ومما يدل على أن العرش مخلوق قبل القلم؛

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «العرش» [٥٨]، وأبو نعيم في «الحلية» (١/١٦٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» [٢/٦٤٨ - ٦٤٩]، والبيهقي في «الأسماء والصفات» [٨٦١] وللحديث طرق أخرى ذكرها الألباني في «الصحيحة» [١٠٩] وقال: «وجملة القول أن الحديث بهذه الطرق صحيح».

قول النبي ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء»<sup>(١)</sup>؛ أي: قبل ذلك، ولذلك تنازع الناس أيهما خلق أولاً: العرش أم القلم؟ فهناك من يرى أن القلم خلق قبل العرش؛ بدليل قول النبي ﷺ: «أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»، وفي رواية: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ؛ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ؛ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ»<sup>(٣)</sup>.

والصواب: أن العرش مخلوق قبل القلم؛ لقول الله تَعَالَى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [يُونُسُ: ٣]، وهو قول المحققين من أهل العلم.

وأما حديث «أول ما خلق الله القلم» فتوجيهه واضح بحمد الله، وهو أن أول ظرف متعلق بقال؛ أي: قال له اكتب عندما خلقه؛ والمقصود حينها خلق الله القلم قال له: اكتب، وتأييده رواية: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ؛ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ»؛ فليس في هذا دليل على الأولوية وإنما دليل على الظرفية العندية؛ أي: عندما خلق الله القلم وحينها خلق الله القلم؛ قال له: اكتب؛ قال: وماذا اكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء إلى قيام الساعة.

﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [يُونُسُ: ٣].

ونظائر هذا كثيرة كما لو قلت لك: أول ما تصل إلى المكان الفلاني ابدأ بكذا، أول ما تقدم إلى المدينة النبوية ابدأ بالصلاة في المسجد النبوي؛ فأول هنا ظرف والمقصود أنها

(١) أخرجه مسلم [٢٦٥٢] من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أبو داود [٤٧٠٠]، والترمذي [٣٣١٩] من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: حديث حسن غريب. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٢٠١٧].

(٣) أخرجه الطبراني [١٢٥٠٠] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال الهيثمي (٧/ ١٩٠): رجاله ثقات.

معمول لفعل «قال»، أول ما خلق الله القلم قال له اكتب؛ أي: قال له اكتب لما خلقه أو عندما خلقه أو حينما خلقه؛ فبهذا يزول الإشكال ويتضح من هذا أن العرش مخلوق قبل القلم وأنه أعظم المخلوقات.

وقوله: «عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»: هذا جزء آية ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] جاء ذلك في سبعة مواضع من القرآن الكريم.

في سورة الأعراف، ويونس، والرعد، وطه، والفرقان، والسجدة، والحديد؛ فهذه سبعة مواضع من القرآن الكريم نصت على 'صفة الاستواء، وهو مُعْدَى بحرف 'على' الذي لا يفهم منه غير العلو والارتفاع والفوقية.

فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذكر فعل «استوى» ثم عداه بحرف 'على' الذي لا يفهم منه غير العلو.

ثم بَيَّنَّ أن الاستواء على العرش، ومعلوم لدى جميع العقلاء - فضلاً عن جميع المسلمين - أن العرش هو أعلى المخلوقات حتى إن بعض الكفار ليشهدون بهذا.

قال أمية بن أبي الصلت، وهو نصراني جاهلي:

مجدوا الله فهو للمجد أهل	رينا في السماء أمسى كبيراً
بالبناء العالي الذي بهرنا	س وسوى فوق السماء سريراً
شرحنا لا يناله بصر الع	ين ترى حوله الملائك صوراً <sup>(١)</sup>

إذاً الآيات نص في استواء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على عرشه استواءً.

يليق بجلاله وعظمته.

(١) «شرح الفتوى الحموية» (١/٤١٩).

وقد فسر العلماء «استوى» بأربع كلمات كلها متقاربة؛ علا وارتفع وصعد واستقر.

وإن كان هناك من ينازع في لفظة استقر، ولكن لا ينبغي أن ينازع فيها؛ لأنها في معنى 'علا وارتفع وصعد، وليس المقصود الاستقرار الذي يلزم منه حاجة المستقر إلى ما استقر عليه؛ كما يفهمه أهل الكلام الذين أولوا هذه الصفة بسبب هذا التصور الفاسد وهذا المفهوم الكاسد.

وصفة الاستواء من أعظم أدلة علو الله على خلقه؛ لأن الجميع يعترف بأن العرش أعظم وأعلى المخلوقات، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قد استوى على عرشه؛ فهذا دليل على الفوقية والعلو المطلق ذاتاً وقدرًا وقهرًا، وهذا سيأتي له مزيد بيان عند الكلام على صفة العلو مفصلةً إن شاء الله تَعَالَى.

والعجيب في الأمر أن العلو وإن كان أكثر الصفات أدلةً حيث إن أدلته قد تزيد على الألف، ومع هذا فإنه أكثر ما حصل فيه النزاع بين الطوائف! وهذا راجع إلى اعتمادهم على غير المصادر الشرعية، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوْجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾

[النساء: ٨٢]

وقال سُبحَانَهُ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

فعلينا أن نفهم الاستواء على النحو الآتي:

أولاً- ثبت حقيقة الاستواء وأن الله عَزَّجَلَّ متصفٌ بهذه الصفة حقيقة لا مجازاً؛ لأنه هو الذي وصف بها نفسه، وليس هناك أعلم بالله من الله، وليس هناك أعلم بالله بعد الله



من رسول الله ﷺ؛ فهو الذي وصف نفسه بقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، والطوائف المنحرفة تقول: استولى أو قهر أو غلب.

فلو تأمل هؤلاء ما يلزم تفسيرهم هذا من معانٍ فاسدة؛ لو جدوا أنهم يكذبون القرآن من حيث يشعرون أو لا يشعرون.

ثانيًا- أنه استواء يليق بجلاله وعظمته.

ثالثًا- تنزيهه في هذا الاستواء عن مشابهة استواء المخلوقين على عروشهم أو على كراسيهم؛ يعني إثبات ذلك على وجه لا يشبه صفات المخلوقين.

الرابع- أن لا نحرف ولا نؤول هذا الاستواء؛ فلا نقول: استوى بمعنى استولى كما تقول المعطلة والمؤولة.

الخامس- ألا نعطل فلا ننفي حقيقة الاستواء ولا نتوقف فيه كما تفعل الجهمية والمعتزلة.

السادس- ألا نكيف؛ فلا نقول: استوى على شكل كذا وكذا؛ لأن ذلك كله قد استأثر الله بعلمه، ومن رام علمه فقد ادعى ما لا يمكن الوصول إليه، بل نثبت على الوجه اللائق بجلال الله تعالى.

ومن هنا قال السلف في هذا الباب: «أمروها كما جاءت بلا كيف»<sup>(١)</sup>.

فهذه النقاط الست هي المفهومة من نصوص الشريعة؛ كما فهمها السلف جميعًا رَحِمَهُمُ اللَّهُ ومنهم الإمام مالك عندما سأله أحد المبتدعة قائلًا: يا أبا عبد الله يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾؛ فكيف استوى؟ فأطرق الإمام قليلاً حتى علتة

(١) انظر: «شرح أصول الاعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي (٨٧٥ - ٩٣٠)، و«الصفات» للدارقطني، ص: [٧٠].

الرَّحَضَاءُ؛ يعني حتى تفصد من وجهه العرق لشدة غضبه لله عَزَّوَجَلَّ؛ فلما سُريَّ عنه قال: «الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعا وأخرجه من مجلسه»<sup>(١)</sup>.

وقد رُوِيَ أيضًا موقوفًا على أم سلمة، ورُوِيَ مرفوعًا ولكن بسند لا يصح، وأثبت ما فيه أنه مروى عن الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ وهو حق يتفق مع مدلول النصوص الشرعية. وقد روي برواية أخرى بنفس المعنى: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة».

وقد أفرد فضيلة الشيخ الدكتور عبدالرزاق البدر هذا الموضوع يبحث خاص. وهذا القول العظيم من الإمام مالك في الاستواء ينسحب على سائر صفات الله تَعَالَى؛ فنقول مثلاً في قول الله تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [التَجْنِز: ٢٢]: المجيء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عن الكيفية بدعة، وعلى هذا فقس.

والذين قالوا: إن معنى استوى استولى، أو قهر أو غلب كما ورثته الأشعرية والماتريدية عن الجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم من السالمية<sup>(٢)</sup> والواقفة<sup>(٣)</sup>

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٣٩٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٤٠٨ - ٤٠٩) عن ربيعة شيخ مالك وعن مالك رَحِمَهُمَا اللهُ.

وروي عن أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا موقوفًا ومرفوعًا، لكن قال شيخ الإسلام في «الفتاوى» (٥/ ٣٦٥): «روي هذا الجواب عن أم سلمة موقوفًا ومرفوعًا، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه».

(٢) فرقة كلامية، ذات نزعة صوفية، تنسب إلى محمد بن سالم المتوفى سنة ٢٩٧ هـ. انظر: «المعتمد في أصول الدين»، ص: [٣٩٠].

(٣) هم الذين وقفوا في القرآن، فقالوا: لا نقول مخلوق هو، ولا غير مخلوق. انظر: «الرد على الجهمية» - الدارمي، ص: [١٩٣].

والمشبهة<sup>(١)</sup> والكرامية<sup>(٢)</sup> وغيرهم؛ يقولون: استوى بمعنى استولى! فيا سبحان الله! وهل كان له مغالب حتى استولى عليه؟!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهُةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، فلا يمكن أن يكون هناك مغالب له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الملك الواحد الأحد الفرد الصمد؛ فيقال لهم: يا مساكين: استولى عليه مَنْ؟! واستولى على العرش بعد مَنْ؟! وَمَنْ مَنْ؟! وعلى إثر أو على أنقاض مَنْ؟!

لذلك لا يوجد أحد أغبى 'مَنْ يفسر «استوى» بهذا التفسير؛ لأنه بتفسيره هذا انتقل من معنى 'صحيح لا ترتب عليه لوازم فاسدة إلى معنى 'كل لوازمه فاسدة وباطلة.

وكيف ذلك؟ لقد فهموا مِنْ «استوى»، أي: كما تستوي أنت على كرسيك - تعالى الله عما يقول الظالمون والمؤولة والمعطلة والمبتدعة علواً كبيراً - هذا فهمهم؛ فقد وقعوا في التشبيه قبل أن يلجئوا إلى التعطيل؛ لأنهم ما فهموا من صفات الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَّا التشبيه فلما فهموا التشبيه؛ لجئوا إلى التعطيل، فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار.

وقد أَلْجَأْنَا المقام أن نقف عند هذه المسألة طويلاً؛ لأن أكثر العالم الإسلامي اليوم على هذا المنهج - وللأسف - فإن عقيدة الأشعرية وما تفرع عنها تدرّس في معاهد المسلمين ومدارسهم ويقرر عندهم ذلك المنهج الأشعري إلا في مناهج هذه البلاد المباركة، المملكة العربية السعودية - والله الحمد والمِنَّة - وغيرها ممن تمسك بعقيدة السلف.

(١) هم الذين شبهوا الله بخلقه مثل الكرامية والرافضة.

(٢) أتباع أبي عبد الله محمد بن كرام، وهم طوائف كثيرة، ومن اعتقادهم: أن الله عرض وجوهه ومحل للحوادث.

فانظروا يا رعاك الله إلى الكتب التي تدرس هناك: أم البراهين الكبرى وأم البراهين الصغرى والجوهرية وشروح الجوهرية والسنوسية والعقائد النسفية والمواقف للإيجي، فكلها تنطق بهذا المنطق: «استوى» بمعنى: استولى أو قهر أو غلب.

وهذه الابتلاءات ليست جديدة على المسلمين - أعني التأويل في الصفات وما صاحبه من بدع -، فقد ذكر المقرئ في خطه - بعد أن ذكر نشوء البدع وتأثيراتها على الدولة الإسلامية على مرّ عصور الإسلام - والله في خلقه شؤون - إلى أن قال: «ثم ظهر الأشعري، وكان أخذ عن الجبائي الاعتزال، ولازمه دهرًا طويلاً، ثم سلك طريق ابن كلاب في الصفات، والقدر، وغير ذلك. وسلك طريقه جماعة من العلماء، مثل الباقلاني، وابن فورك، والاسفراييني، والشيرازي، والغزالي، والشهرستاني، والرازي وغيرهم، وملأوا الدنيا بتصانيفهم، يحتجون، ويدعون أن طريقته هي طريقة أهل السنة والجماعة، فانتشر هذا المذهب في البلاد الإسلامية، وجاءت دولة بني أيوب، وكانوا على هذا المذهب، ثم مواليهم الأتراك، وأخذ ابن تومرت إلى المغرب، ونشره هناك، فصار هذا المذهب هو المعروف في الأمصار، بحيث نسي ما عداه من المذاهب، أو جهل، حتى لم يبق اليوم مذهب يخالفه، إلا أن يكون مذهب الحنابلة. حتى جاء تقي الدين - أبو العباس ابن تيمية -، فتصدى للانتصار لمذهب السلف، ورد على الأشاعرة، والرافضة، والصوفية وأهل البدع عامة...»<sup>(١)</sup> إلى آخر ما قال في كلام نفيس.

هم فهموا أن الاستواء هو استواء المخلوقين على كراسيهم! فلما فهموا هذا الفهم

(١) «الخطوط» للمقرئ (٣/ ٣٠٩ - ٣١٤)، وقد تقدم النقل عن المقرئ كاملاً عند قول الناظم: من ذا كيف ذاته وصفاته.. الخ.

قالوا: ليس أماننا إلا أن ننفي الاستواء؛ ثم جاءهم الشيطان وقال لهم: النفي لا يجدي، بل لابد من معنى، قالوا: إذا استوى بمعنى استولى.

رادين بذلك نصوص القرآن والسنة في الاستواء، مستغنين ومكتفين عنهما بيت شعر متحل مصنوع منسوب لشاعر نصراني يدعى الأخطل، يقول فيه:

قد استوى بشرٌ على العراق من غير سيفٍ أو دمٍ مهراقٍ<sup>(١)</sup>

وخلاصة القول: أن الواجب على جميع المسلمين العودة إلى منهج السلف المبني على هدي الكتاب والسنة في هذه المسألة وغيرها من مسائل الاعتقاد والأحكام..؛

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداء من خلف

فنؤمن بالاستواء كما جاء في كتاب ربنا سُبحانه وتعالى وسنة رسوله ﷺ استواء يليق بجلاله وعظمته، وهو دليل على علو الله على جميع خلقه.

وقوله: «وَحَوَى جَمِيعَ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ»:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ [النّوح: ٢٠]، الله تبارك وتعالى سلطانه محيطٌ بكل شيء، وعلمه محيط بكل شيء، وهو سُبحانه وتعالى يحيط بجميع المخلوقات قدرةً وعِلماً وسلطاناً وقوةً وجبروتاً، ليس المقصود أن نقول: والله بكل شيء محيط؛ أن الله ظرفٌ للمخلوقات، -أستغفر الله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً-، وإنما المقصود إحاطة العلم والقدرة والسلطان والقهر والعظمة وكل ذلك لله عز وجل.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النّساء: ١٠٨]، وقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ [النّساء: ١٢٦].

فَاللَّهُ عَزَّجَلْ يَحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يُحَاطُ بِهِ، لَا يُحَاطُ بِهِ عِلْمًا وَلَا قُدْرَةً وَلَا سَمْعًا وَلَا بَصَرًا وَلَا إِدْرَاكًا؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

❦ الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ يَسْتَرْدُ فَيَذْكُرُ صِفَةً أَوْ مَسْأَلَةً عَقْدِيَّةً عَرْضًا ثُمَّ يَعُودُ إِلَى مَا كَانَ يَتَكَلَّمُ عَنْهُ قَبْلَ ذَلِكَ؛ وَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّهُ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الْإِسْتِوَاءَ وَإِحَاطَةَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِكُلِّ شَيْءٍ؛ عَادَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى بَيَانِ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّجَلْ؛ فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٧- وَكَلَامُهُ الْقُرْآنُ أَنْزَلَ آيَهُ وَحْيًا عَلَى الْمُبْعُوثِ مِنْ عَدْنَانِ



عودا على بدء في تقرير أن  
القرآن كلام الله حقيقة  
منزل غير مخلوق  
والرد على المخالفين في ذلك

٤٧- وَكَلَامُهُ الْقُرْآنُ أَنْزَلَ آيَهُ وَحِيًّا عَلَى الْمُبْعُوثِ مِنْ عَدْنَانِ

❦ فقوله: «كَلَامُهُ» أي: كلام الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقوله: «الْقُرْآنُ»: يعني أنّ القرآن كلام الله، وقد قدمنا الأدلة على ذلك، والتي من أشهرها وأوضحها قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

فالمقصود بكلام الله هنا القرآن الكريم، وقد تقدمت الأدلة الكثيرة في بيان أن القرآن كلام الله.

وقوله: «أَنْزَلَ آيَهُ»: أنزله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حيث تلقاه جبريل مباشرة عن الله؛ سمعه منه مباشرة؛ ثم نقله جبريل بصدق وأمانة وإخلاص إلى أن بلغه رسول الله ﷺ، والرسول ﷺ بلغه للصحابة، والصحابة بلغوه إلى من بعدهم وهلم جرا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ تحقيقاً لقول الله تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وقوله: «وَحِيًّا» أي: القرآن وحى، وكذلك السنة وحى؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، وقال رسول الله ﷺ: «إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه أحمد [١٧١٧٤]، والطبراني في «مسند الشاميين» [١٠٦١] من حديث المقدم بن معدي كرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «المشكاة»: (١٦٣، ٤٢٤٧).

وَالْمَبْعُوثُ مِنْ عَدْنَانَ: هُوَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْمَقْصُودُ بَعْدَنَانَ: هُوَ جَدُّ الْعَرَبِ الْعَدْنَانِيِّينَ، وَهُوَ مِنْ ذُرِّيَةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ؛ فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْتَهِي نَسَبُهُ إِلَى عَدْنَانَ إِلَى إِسْمَاعِيلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ: الْمَبْعُوثُ؛ أَيُّ: الَّذِي اخْتَارَهُ اللَّهُ وَبَعَثَهُ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَمَيَّزَهُ بِالرَّسَالَةِ مِنْ بَنِي عَدْنَانَ، وَلَمْ يُعْرِفْ أَنَّ أَحَدًا مِنْ بَنِي عَدْنَانَ قَدْ أُرْسِلَ قَبْلَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.





٤٨- صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ خَيْرَ صَلَاتِهِ مَا لَاحَ فِي فَلَكَيْهِمَا الْقَمَرَانِ

✽ الصلاة على النبي ﷺ من أعظم القرب التي تقرب إلى الله عز وجل ولذلك كانت ركناً في الصلاة، لا تصح الصلاة بدونها، فلو أن مصلياً وقف على الشهادتين ولم يذكر الصلاة الإبراهيمية فإنه لا تصح صلاته؛ لأن الذي عليه التحقيق من أقوال أهل العلم أن الصلاة الإبراهيمية ركنٌ من أركان الصلاة لا تصح الصلاة إلا بها.

وقد أمرنا نحن المسلمين أن نُكثِرَ من الصلاة والسلام عليه؛ قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الاحزاب: ٥٦].

ويقول النبي ﷺ: «من صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً»<sup>(١)</sup>، وفي الحديث: «رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ ذُكِرَتْ عَنْهُ فَلَمْ يَصِلْ عَلَيْكَ؛ قُلْ: آمِينَ؛ فَقُلْتُ: آمِينَ»<sup>(٢)</sup>؛ فالصلاة على النبي ﷺ واجبة لا سيما عندما يذكر أو يسمع ذكره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ويتأكد الإكثار من الصلاة عليه في ليلة الجمعة ويومها وفي أوائل الخطب والمواعظ والدروس ونحو ذلك كالدعاء، فإنه أحرى لقبوله، وكل مجلس محترم لحديث «من قعد مقعداً لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضجعاً لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة»<sup>(٣)</sup>، و«الْتَرَةُ»: بكسر التاء المثناة من فوق، وَهِيَ: النقص، وقِيلَ: التَّبَعَةُ.

(١) أخرجه مسلم [٣٨٤] من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أحمد [٧٤٥١]، والترمذي [٣٥٤٦]، وابن خزيمة [١٨٨٨]، والحاكم [٧٢٥٦] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٣٥١٠].

(٣) أخرجه أحمد [٩٥٨٣]، وأبو داود [٤٨٥٨]، والترمذي [٣٣٨٠]، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقوله: «خَيْرَ صَلَاتِهِ»؛ أي: أفضل صلاة.

«صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ»؛ أي: رحمه وبارك فيه وأثنى عليه في الملأ الأعلى.

وقوله: «مَا لَاحَ فِي فَلَكَيْهِمَا الْقَمَرَانِ»؛ أي: بعدد طلوع الشمس والقمر طيلة الحياة الدنيا صلاة دائمة على مَرِّ العصور والأزمان.

والمقصود بالقمرين: الشمس والقمر، وهذا سائغ في اللغة للتغليب كما تقول: الظهريين والعشائين والعمرين لأبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأخزى الله من أبغضهما وقلاهما.

وأفضل صيغة للصلاة والسلام عليه هي الصيغة الإبراهيمية التي شرعت لنا في الصلاة: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»<sup>(١)</sup>.

وتختصر في جملة واحدة، هي جملة: «صلى الله عليه وسلم»، وهو اللفظ الذي استخدمه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين عندما يروون أحاديث المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ يقولون في بدايتها: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحدثنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمر أو نهى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحو ذلك.

بقي أن أنبه على أخطاء وتنبيهات تتعلق بالصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ من تلك الأخطاء:

الخطأ الأول: ما ابتلي به الصحفيون والكتّاب المعاصرون؛ عندما يكتبون مقالات تشتمل على أحاديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنهم يخلون حتى بالحبر وبالورق؛

(١) أخرجه البخاري [٣٣٧١]، ومسلم [٤٠٦] من حديث كعب بن عجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فيكتبون حرف الصاد! وهذا بخل - والعياذ بالله - كيف تبخل بجملة لا تتجاوز نصف سطر؟!

وقد يكتب بعضهم (صلعم) أو (ص س) وكل ذلك لا يجوز ولم يعرف ذلك عن السلف، وإنما تكتب الصيغة كاملة.

**الخطأ الثاني:** أنه قد كثر بين الكتاب المعاصرين ذكر النبي ﷺ مجرداً عن وصف النبوة أو الرسالة؛ فيقولون مثلاً: فعل محمد، وقال محمد، وعبقريه محمد، وحياة محمد، وهذا شأن محمد، وفضل محمد... وما إلى ذلك، ولا يذكرون الصلاة والسلام عليه ولا وصفه بالنبوة والرسالة، وهذا أيضاً من البخل والجفاء فلا بد أن يُذكر مقروناً بوصف الرسالة، ثم يُصلى ويسلم عليه؛ ولم يُذكر اسم النبي ﷺ مجرداً في القرآن، وقد ذكر باسمه أربع مرات كلها مقرونة بوصف الرسالة:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٤٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الْأَحْزَابُ: ٤٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الْفَتْحُ: ٢٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [مُحَمَّدٌ: ٢]؛ فهذه هي الآية الوحيدة التي لم يذكر فيها وصف الرسالة اكتفاءً بدلالة السياق على ذلك، أما بقية الآيات فهي تخاطبه بوصف الرسالة، وفي هذا تعظيم له وتوقير ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ﴾، إلى آخر الآيات الكثيرة التي دائماً تذكره بوصف النبوة أو الرسالة أو بهما معاً.

الخطأ الثالث: يتعلق بالصيغة؛ فهناك دعوى خبيثة، وهي أن صيغة قد وُجِدَتْ أحدثها أحد المتصوفة الطواغيت الذين هم من أكبر عملاء فرنسا قبل نحو قرنين، وسماها «صلاة الفاتح»، وزعم أنه أُوحِيَ إليه بها من قِبَلِ الله، ولم تأتِ بواسطة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ! يعني: أنه تلقاها من الله مباشرة - تعالى الله عما يقول المشركون والمبتدعة علواً كبيراً، وهي قوله: «اللهم صلّ وسلم على محمد الفاتح لما أُغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراط مستقيم...» قد يكون في بعض الكلمات من هذه الصيغة حق من حيث الأوصاف؛ ولكن مع ذلك فإنه ورد في بعض رواياتها لفظة: «الأسقم»، وزعموا أن الأسقم يعني المستقيم، والأسقم هو المريض. وبغض النظر عن نوع الصيغة فإنها باطلة من وجوه:

الوجه الأول: دعوى أنها أنزلت مباشرة من الله على ذلك الطاغوت؛ فهذا باطل؛ لأن الوحي لم ينزل بعد نبينا محمد ﷺ؛ قال رسول الله ﷺ: «لا نبي بعدي»<sup>(١)</sup>؛ اللهم إلا أدعياء النبوة أمثال مسيلمة الكذاب والأسود العنسي ومن نهج نهجه من الدجالين والأفاكين، وما أكثر الدجالين الذين شابهوا مسيلمة، وعلى رأسهم بعض طغاة المتصوفة الذين يدّعون علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه؛ فهذه العبارة التي تسمى صلاة الفاتح، لم تُتلق من الوحي، وإنما تُلقيت من شخص مشرك يدّعي أنه هو الإله، حيث يقول في بعض أشعاره:

«من رآني أو رأى من رآني دخل الجنة بلا بهتان»<sup>(٢)</sup>

(١) أخرجه البخاري [٣٤٥٥]، ومسلم [١٨٤٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومعلوم أن النبي ﷺ رآه من رآه ولم يدخل الجنة، كبعض المشركين والمنافقين من أمثال أبي جهل وعبد الله بن أبي بن سلول ورآه أبو لهب، ورآه أبو طالب، ورآه عتبة وشيبة ابنا ربيعة.

فكيف يأتي مثل هذا الطاغوت بعد نحو مائتين وألف سنة فيدعي هذه الدعوى الباطلة الكاسدة، وهي: أن من رآه أو رأى من رآه دخل الجنة! سبحانك هذا بهتان عظيم. واسمعوا - يارعاكم الله - الطامة الأخرى من هذا الطاغية نفسه، حيث يقول: «إن من قرأ صلاة الفاتح مرة واحدة فكأنما قرأ القرآن ستمائة ألف مرة، وكل مرة تعدل أربعمائة غزوة مع النبي ﷺ، وكل غزوة بألف زوجة من الحور العين»<sup>(١)</sup>، يعني أن الذي يقرأ صلاة الفاتح يحصل على حد زعمه في الجنة على الملايين المملينة من الحور العين، فنسأل الله العافية والسلامة من هذا الهراء والدجل والسفه، وهذا يردده بعض المنتسبين إلى الإسلام في بعض البلاد الإسلامية وكأنه قرآن منزل، فإنهم يعتنون بصلاة الفاتح كما يعتنون بالقرآن بل أشد.

وفي سنة ١٤٠٢ هـ لقيني شاب في بلد ما من بلاد المسلمين تبدو عليه علامة النجابة والذكاء؛ فقلت له: يا بني تحفظ القرآن؟ فقال: لا أحفظ؛ فسألته: ولماذا؟ قال: لأن شيوخ الطرق عندنا يقولون: لا تحتاجون إلى حفظ القرآن؛ لأن القرآن يُحرق ولا تتحملونه، وإنما تكفيكم صلاة الفاتح!

فهل هناك دجل وافتراء أعظم من هذا؟

(١) يراجع في ذلك كتاب «جواهر المعاني».

فانظر - رحمك الله - كيف يجعلون أتباعهم يعرضون عن كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ويكتفون بهذا الدجل، وصدق الله تَعَالَى إذ يقول: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبَحَت بِخَدْرَتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦].

**التنبيه الرابع:** أن بعض الناس يصلون على النبي ﷺ أثناء الصلاة إذا سمعوا الإمام يقرأ قول الله تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، أو سمعوا ذكره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فإن هذا زيادة في الصلاة، إذ أن الصلاة توقيفية وقد قال رسول الله ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي»<sup>(١)</sup>، وقال: «إن في الصلاة لشغلا»<sup>(٢)</sup>، فإن كنت خارج الصلاة فصلِّ وسلم عليه، أما إذا سمعت ذكره ﷺ وأنت في الصلاة فلا تزدد في الصلاة شيئاً، الصلاة لا يزداد فيها ولا ينقص.

**التنبيه الخامس:** بعض الناس في الصلاة الإبراهيمية في التشهد يقولون: «اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم» إلى آخره.

فهذه الصيغة لم تثبت عن النبي ﷺ، ولا شك أنه سيدنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وقائدنا وإمامنا وحبينا وسيد الأولين والآخرين؛ قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»<sup>(٣)</sup>، ولكن العبادات - ومنها التشهد - توقيفية، لا يزداد فيها ولا ينقص، فلو أن قارئاً قرأ آية الفتح: «سيدنا محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم» هل يقرّ على هذه الزيادة في القراءة؟ أم أنه أدخل في القرآن ما ليس منه؟

(١) أخرجه البخاري [٦٣١] من حديث مالك بن الحويرث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [١١٩٩]، ومسلم [٥٣٨] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الترمذي [٣١٤٨]، وابن ماجه [٤٣٠٨] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [١٤٦٨].

ولو أن مؤذنا قال في الأذان: «أشهد أن سيدنا محمداً رسول الله» هل يقرّ على ذلك؟ أم يبطل الأذان بهذه الكيفية؟ لا شك أنه يبطل والحال هذه.

**التنبيه السادس:** في مسألة الصلاة على النبي ﷺ؛ قد تحولت عند بعض المسلمين إلى أغانٍ، فإذا سلم الإمام؛ بدلاً من أن يذكر الأذكار الواردة عن النبي ﷺ بعد الصلوات، بدلاً من هذا، فإنه يأتي بالصلاة الإبراهيمية بصفة غنائية إضافة إلى ما يزدونه عليها من بدع ومنكرات فيرددونها طرباً وأهازيج وترنمات تخرج بالأذكار عن صفتها الشرعية، بل سمعت في بعض مساجد المسلمين تلك الأهازيج مصحوبة بالدف والطبول والمزامير! فكانت حشفاً وسوء كيلة:

فمن قلّد الآراء ضلّ عن الهدى      ومن قلّد المعصوم في الدين يهتد  
فما الدين إلا الاتباع لما أتى      عن الله والهادي البشير محمد



## قال الناظم:

٤٩- هُوَ جَاءَ بِالْقُرْآنِ مِنْ عِنْدِ الَّذِي لَا تَعْتَرِيهِ نَوَائِبُ الْحَدَثَانِ

يذكر الناظم أن النبي ﷺ جاء بالقرآن من عند الله، حيث نزل به الروح الأمين عليه؛ قال الله عز وجل: ﴿وَأَنزَلْنَاهُ لَنَزِيلٍ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٣٠﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٣١﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿الشَّعْرَاءُ: ١٩٢ - ١٩٥﴾، وقال عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَدْءَ فَرِيْقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَأَوْا ظُهُورَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١]؛ فقد جاء بالقرآن من عند الله؛ حيث نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام على قلب نبينا محمد ﷺ، وبلغه النبي ﷺ، كما أنزل، وقد تكفل الله بحفظه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]؛ وكما أن الله تكفل بحفظ كتابه تكفل بحفظ سنة نبيه ﷺ؛ لأنها وحي من الله؛ فالقرآن وحي، والسنة وحي، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ﴿٢﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [الحجرات: ٣ - ٤]، فالقرآن كلام الله الذي جاء به من عند الله بواسطة جبريل عليه السلام الذي أوحاه إلى النبي ﷺ، حيث تلقاه جبريل عن الله، ولا يقال إن جبريل أخذه من اللوح المحفوظ؛ كما هو موجود في بعض أسانيد القراءات؛ فإن ذلك مما وقع فيه بعض القراء من المخالفات على الرغم من جودة السند وتواتره، لكن بعضهم يوصل هذا السند إلى اللوح المحفوظ فقط، وكان الواجب أن يقول عن نبينا محمد ﷺ عن جبريل عن الله عز وجل؛ لأنه كلام الله سبحانه وتعالى الذي تكلم به حقيقة بحرف وصوت سُمع منه سبحانه وتعالى، سمعه جبريل عليه السلام من الرب جل جلاله؛ ثم نزل به على قلب نبينا محمد ﷺ، الذي بلغه للأمة بكل صدق وأمانة وإخلاص؛ فنشهد أنه قد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده؛ حتى أتاه اليقين.



وقوله: «مَنْ عِنْدَ الَّذِي لَا تَعْتَرِيهِ نَوَائِبُ الْحَدَثَانِ»؛ أي: لا يعتريه ما يعترى المخلوقين مما يتناهم من الجوع والعطش والنوم والموت والهلاك والضعف والمرض والفاقة ونحو ذلك؛ فالله عَزَّوَجَلَّ كامل في ذاته، وفي أسمائه، وفي صفاته، وفي أفعاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا تعتريه نوائب الدهر التي تصيب البشر، بل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى منزّه عن ذلك كله؛ لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كامل في كل شيء؛ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال جلّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ف: ٣٨]، وَقَالَ الْعَالِي: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١ - ٢] وغير ذلك من الآيات الدالة على كماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

لكن قد يرد هنا إشكال في قول الناظم: «لَا تَعْتَرِيهِ نَوَائِبُ الْحَدَثَانِ»؛ فمقصود الناظم أولاً نفي النقائص والعيوب التي تعترى المخلوقين عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كما تقدم، فإن صدرت مثل هذه العبارة عن مثل الناظم وغيره من أهل السنة حملت على هذا المحمل الصحيح، أما إن صدرت عن أحد من أهل الكلام كقولهم: إن الله منزّه عن الحوادث فإنهم يعنون بذلك نفي صفات الله الفعلية، فقولهم ظاهره حق لكن أريد به باطل؛ نعم، الله منزّه عن الحوادث التي تتناوب المخلوقين كما تقدم؛ فليس معنى ذلك أنه لا يحدث شيئاً، فالله عَزَّوَجَلَّ يفعل ما يشاء، ويختار يتكلم متى شاء، إذا شاء كيف شاء، ويحيي ويميت وينزل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ويرحم، ويغفر، ويشيب، ويعاقب، ويرضى، ويغضب، ويفرح، ويضحك على ما يليق بجلاله وعظمته، وهكذا فإذا أطلقت مثل هذه الكلمة، وهي أن الله عَزَّوَجَلَّ منزّه عن الحوادث لو أطلقت من قبل أحد من أهل السنة علم يقينا أن مراده صحيح، وهو تنزيه الله عما لا يليق به، وأما إذا أطلقت من أهل الكلام وغيرهم من أهل البدع علم أنهم يريدون نفي الصفات الفعلية، أما أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يحدث شيئاً

ولا يحدث منه فهذا باطل، بل هو يحدث ما شاء متى شاء إذا شاء؛ فقد خلق الخلق، ورزق الرزق، وقدر الآجال، يفعل ما يشاء ويختار، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون.



## ٥٠- تَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَحْيُهُ بِشَهَادَةِ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ

❖ هذا استكمال لبيان أنَّ القرآن كلام الله، وأنه وحي الله عزَّ وجلَّ الذي أنزله وحيًا على نبينا محمد ﷺ، بشهادة جميع الخلق بمن في ذلك الأُحبار والرهبان، والأحبار: هم علماء أهل الكتاب، والرهبان: عبَّادهم، ذلك أن ذكر النبي ﷺ وما يُتلى عليه من الوحي مقررٌ في التوراة والإنجيل قبل أن تُحرَّف؛ بل بقي بعد التحريف ما يدل على ذلك؛ فهو تنزيل رب العالمين، ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿٣٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿٣٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأنعام: ١٥٧]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦]، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كُنُوبٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأنعام: ١٨ - ١٩] ونحو ذلك من الآيات في هذا الباب.

وهذا تقرير لعقيدة السلف بأن القرآن كلام الله غير مخلوق كما تقدم.



٥١- وَكَلَامُ رَبِّي لَا يَجِيءُ بِمِثْلِهِ أَحَدٌ وَلَوْ جُمِعَتْ لَهُ الثَّقَلَانِ

﴿كلام رب العالمين لا يمكن أن يأتي أحد بمثله؛ لا بسورة ولا بعشر سور، بل ولا بآية من مثله؛ قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتِطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هؤلا: ١٣].

﴿وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الأنعام: ٨٨].

تحدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أفصح الناس، وهم العرب الأقحاح، ومنهم الشعراء والخطباء والبلغاء والفصحاء أن يأتوا بمثله فلم يستطيعوا؛ فهو معجزٌ بلفظه ومعناه، تحدى الله به الثقلين؛ فلم يستطيعوا، ولن يستطيعوا أن يأتوا بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا.



٥٢- وَهُوَ الْمَصُونُ مِنَ الْأَبَاطِلِ كُلِّهَا وَمِنَ الزِّيَادَةِ فِيهِ وَالنُّقْصَانِ

❖ تكفل الله بحفظ هذا القرآن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ويرفع من الصدور والمصاحف في آخر الزمان؛ فالله قد صانه وحفظه من الزيادة ومن النقصان، فهو كتاب الله العزيز الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٢].

فهو كلامه بلفظه ومعناه؛ ولذلك صانه وحفظه؛ قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الأنعام: ٩].

فمن ادَّعى أن القرآن ناقص فهو كافر، ومن زاد فيه فهو كافر، ومن حرَّفه عامداً متعمداً بعد بيان الحجة له فهو كافر، ومن اعتقد أن أبا بكر أو عمر أو عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قد أخفوا شيئاً من القرآن مثل سورة كذا وكذا فقد كفر كما تدعيه بعض الطوائف الضالة المارقة، من غلاة الرافضة وغيرهم، ومن اعتقد أن الرسول ﷺ لم يُبلِّغ القرآن كاملاً فهو كافر، ومن اعتقد أنه بقي منه شيء بعد وفاة النبي ﷺ فهو كافر، ومن اعتقد أن وحياً ينزل بعد رسول الله ﷺ فقد كفر، ومن رأى حذف بعض الكلمات من القرآن كما نادى به بعض الملاحدة فهو كافر، حيث قال بعضهم: إنه ينبغي حذف «قل» من سور الإخلاص والمعوذتين والكافرون ونحوها؛ فهو كلام رب العالمين المحفوظ المنزه عن العبث.



- ٥٣- مَنْ كَانَ يَزْعُمُ أَنْ يُبَارِي نَظْمَهُ  
 ٥٤- فَلَيَأْتِ مِنْهُ بِسُورَةٍ أَوْ آيَةٍ  
 ٥٥- فَلْيَنْفِرْ بِاسْمِ الْإِلَهِ وَلْيَكُنْ  
 ٥٦- فَإِذَا تَنَاقَضَ نَظْمُهُ فَلْيَلْبَسْ  
 ٥٧- أَوْ فَلْيُقِرَّ بَأَنَّهُ تَنْزِيلُ مَنْ  
 وَيَرَاهُ مِثْلَ الشَّعْرِ وَالْهَذْيَانِ  
 فَإِذَا رَأَى النُّظْمَيْنِ يَشْتَبِهَانِ  
 رَبَّ الْبَرِيَّةِ وَلْيَقُلْ سُبْحَانِي  
 ثَوْبَ النَّقِيصَةِ صَاحِرًا بِهَوَانِ  
 سَمَاءُ فِي نَصِّ الْكِتَابِ مَثَانِي

❖ ما زال الكلام في بيان أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وفي بيان إعجازه، وتحدي العرب وغير العرب به، وأنه لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله؛ فين هنا أن من زعم - زورًا وبهتانًا، وظلمًا وعدوانًا - بأنه قول شاعر، أو هذيان كاهن، أو قول البشر؛ فلا شك أنه قد كفر؛ كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي وَصْفِ ذَلِكَ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ قَوْلُ الْبَشَرِ؛ حيث بين الحكم عليه في سورة المدثر، عندما افترى وقال: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥]، قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرًا ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ۝ لَا بُدَّيْ وَلَا تَذَرُ ۝ لَوْ آتَتْهُ لُوحَةٌ لِلْبَشَرِ ۝ عَلَيْهَا تَسْعَةٌ ۝ عَشْرٌ﴾ [المدثر: ٢٦ - ٢٩].

أخبر أن ماله جهنم؛ فمن زعم أنه قول البشر، أو أنه شعر، أو أنه كهانة، أو أنه سحر؛ فقد توعّد بهذا الوعيد الشديد؛ ثم قال الناظم: إن كان صادقًا فيما يدّعي؛ فعليه أن يدّعي الألوهية؛ كما ادّعى فرعون، وعليه أن يدّعي أن بيده أزمة الأمور؛ كما ادّعاها مدعوا الألوهية والربوبية، وليدع الناس إلى عبادة نفسه، إن كان صادقًا في مدّعاها.

وهذا الكلام يُقال للتحدي والتعجيز والتهديد، فتحداهم أن يأتوا بآية من مثله، أو سورة، أو عشر سور، وكل هذا محال، لا يمكن أن يأتوا بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

وقال في الآية الأخرى: ﴿قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾ [هُود: ١٣]؛ يعني: لمن زعم أنه مُفترى ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الأنعام: ٨٨].

ثم يبيّن أيضًا إن كان هذا المفترى صادقًا في دعواه فليقم عليها البيّنات؛ والدعواوى إن لم تقيموا عليها بيّنات أبناؤها أدعياء؛ بل وليقل: سبحانه داعيًا إلى عبادة نفسه، بدلًا من سبحانه الله - تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا -؛ كما قال فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [الشعراء: ٢٤]، وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [التقص: ٣٨] كما حكى الله ذلك عنه.

وكما شابه هؤلاء فرعون في دعواه فقد شابههم أيضًا أحد طواغيت هذا العصر حيث قال عن نفسه:

قد خصني بالعلم والتشريف      إن قلت كن يكن بلا تسويف  
لكنني اتخذته وكيلا      تأدبا واختارني خيلا<sup>(١)</sup>  
وخلاصة الأمر: أن هذه الدعواوى 'دعواوى باطلة بدهاة العقول السليمة والفطر  
المستقيمة.

سبحان الله! وكأن الناظم عندما ذكر هذا التحدي لم يعلم بأن هناك من يقول ذلك من غلاة المتصوفة.

فإن ابن عربي، ومن سلك سبيله من أئمة الضلالة وأتباع إبليس من أصحاب وحدة الوجود والاتحادية كابن الفارض والحلاج، وابن سبعين، والفارابي، وابن سينا،

(١) انظر: «كشف الأسرار» لإبراهيم إنياس، «تقديس الأشخاص» (١/ ١٣٥) د. محمد أحمد لوح.

ومن نهج نهجهم، كلهم يدعون هذه الدعوى، ورؤي هذا أيضًا عن أبي يزيد البسطامي، وغيره من زعماء الطوائف المنحرفة؛ فإنهم يزعمون أنهم يصلون إلى درجة يبلغون فيها درجة الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ حيث يمتزجون ويتحدون مع الإله! - تعالى الله عما يزعم هؤلاء الظالمون الملحدون علوًا كبيرًا -، بل قد قال قائلهم:

سبحاني سبحاني ما أعظم شاني...

وما ادعى أحد هذه الدعوى إلا بآء بالوبال والخذلان والخسران المبين.

ورحم الله الشيخ حافظ الحكمي عندما يقول:

ولا تطع قول ذي زيغ يزخرفه      من كل مبتدع في الدين متهم  
حيران ضل عن الحق المبين فلا      ينفك منحرفا معوج لم يقم  
فإذا علم أحدهم انتقاض نظمه أو نثره مع كلام رب العالمين ولو كان أفصح الفصحاء،  
أي: إذا رأى أن النظمين لا يلتقيان، والنظم هنا فيه تجوّز وإلا فالنظم غير النظم، فإذا رأى  
أنهما لا يلتقيان - أي: القرآن والشعر، أو القرآن والكهانة، أو القرآن والسحر، أو القرآن  
وكلام البلغاء والفصحاء - فإن عليه أن يلبس ثوب النقيصة والفضيحة والعار، وهو  
صغيرٌ حقيرٌ محقر؛ لأنه لبس ثوب الخزي ببطلان دعواه هذه، وهي باطلةٌ ابتداءً.

والمقصود أنه سيوء بالخيبة والخسران عندما يقف عاجزًا حائرًا عن مضاهات القرآن  
الكريم ولو بالإتيان بأقصر آية منه.

فالمعارض بين أمرين: إما أن يبوء بالخزي والخسارة والخسران والهوان، وإما أن  
يعترف بأنه كلام رب العالمين، المنزّه عن المعارضة والمحاكاة، والله سبحانه هو الذي سمّاه  
المثاني، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]؛ والمثاني بمعنى: أنه



يؤيد بعضه بعضاً، ويشبه بعضه بعضاً، ويبين بعضه بعضاً في تأييد الأحكام التي جاء بها من تقرير توحيد الله عزَّجَلَّ أو العبادة أو غير ذلك من احكام الشرع؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًى نَقَّشَ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣].

وبعض المفسرين يقول: إن المقصود بالمثاني سورة الفاتحة، وآخرون يرون بأن المثاني: ما يتكرر في القرآن من قصص وأحكام وغيرهما، بحيث لا يملّ القارئ أو السامع هذا الذي ظاهره التكرار، بل كلما قرأ سورة أو آية فكأنه يقرأ حديثاً جديداً، وهذا لون من ألوان الإعجاز في القرآن الكريم.



٥٨. لَا رَيْبَ فِيهِ بِأَنَّهُ تَنْزِيلُهُ وَبِدَايَةُ التَّنْزِيلِ فِي رَمَضَانَ

❖ لَا رَيْبَ: أي لا شك أنه تنزيل رب العالمين، ومن شك في ذلك فقد كفر؛ لأنه كلام رب العالمين، الذي أنزله على رسوله ﷺ؛ ليكون للعالمين نذيرًا، وبدأ نزوله في رمضان، يعني: نزول القرآن كما قال الله عز وجل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

نؤمن بأن بداية نزوله في رمضان، وأن جبريل كان يدارسه النبي ﷺ في رمضان، وأن رمضان هو شهر القرآن، فيؤمن العبد بذلك، وأنه منزل من عند الله، وأن بداية التنزيل كان في هذا الشهر العظيم، في شهر رمضان المبارك، نؤمن بذلك، ونقف عند هذا الحد، أما ما يرويه البعض من الأسانيد التي تنتهي إلى اللوح المحفوظ، ولم ينسبوه إلى الله جلَّ وعلا وأنه تكلم به، فهذه أقاويل باطلة، بل الواجب أن نؤمن بأن الله قد تكلم به حقيقة كما تقدم تفصيله، وجاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بأسانيد يقوي بعضها بعضًا بأن القرآن أنزل في ليلة القدر في رمضان جملة واحدة إلى سماء الدنيا كان بمواقع النجوم فكان الله ينزله على رسوله ﷺ بعضه في إثر بعض<sup>(١)</sup> - ويرى بعض المحققين من أهل العلم أن في هذه الآثار نظرًا لأنها تخالف ما ثبت أن الله يتكلم بها شاء منه ثم ينزله على النبي ﷺ لا إلى بيت العزة - قال عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفقران: ٣٢] - والعلم عند الله تعالى -.

(١) وأخرج الحاكم في «المستدرک» [٥٣١] عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [الفقران: ١]، قال: «أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا، كان بمواقع النجوم، فكان الله ينزله على رسوله ﷺ بعضه في إثر بعض، قال عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفقران: ٣٢]». وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه». وصححه الذهبي. وعزه الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٤/٩) إلى ابن أبي شيبة والبيهقي في «دلائل النبوة»، وقال: إسناده صحيح.

٥٩- اللَّهُ فَصَّلَهُ وَأَحْكَمَ آيَهُ وَتَلَاهُ تَنْزِيلًا بِلَا أَلْحَانِ

❖ الله الذي فصل آياته؛ قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿كَتَبَ أَحْكَمَ آيَتِهِ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [هُود: ١]، وقال سُبحَانَهُ: ﴿حَمْدٌ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿كَتَبَ فَصَّلَتْ آيَتُهُ. قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فُصِّلَتْ: ١ - ٣]، وَقَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشُّرُوح: ٣]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ﴾ [الْعَنْكَبُوت: ٧]، وقال سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزُّمَر: ٢٨]، وَقَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿الرَّحْمَنُ ① عَلَّمَ الْقُرْءَانَ ② خَلَقَ الْإِنْسَانَ ③ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الْحَجَر: ١ - ٤].

فالله عَزَّجَلَّ هو الذي فَصَّلَ آياته، ورتبها على هذا الترتيب الذي نتلوا به الآن، وتلاه بمعنى: أنه تكلم به، بحرف وصوت سمعه جبريل من الله عَزَّجَلَّ، ومن زعم أنه لم يتكلم به؛ فقد حكم عليه بالعجز والخرس - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً -؛ ثم هو يكذب نصوص القرآن التي تنطق بأن القرآن كلام الله جَلَّ وَعَلَا كما قال الله تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التَّوْبَةِ: ٦]؛ فلذلك هو الذي أَنْزَلَهُ، وهو الذي أَحْكَمَهُ وَفَصَّلَهُ، هو الذي بَيَّنَّ حلاله وحرامه، ومحكمه ومتشابهه؛ فعلياً أن نؤمن بهذا كله.

وقوله: «بلا ألحان»: أراد تنزيه الله سُبحَانَهُ عن الألحان التي تشبه ألحان البشر، أما كيفية تكلمه فنكل علمها إليه سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

وكان الناظم يرد على الذين يقرؤون القرآن بالألحان الغنائية التي يسمون بعضها بالمقامات، فيقولون مثلاً: المقامات الحجازية، والمقامات العراقية... وهكذا.



٦٠- هُوَ قَوْلُهُ وَكَلَامُهُ وَخِطَابُهُ بِفَصَاحَةٍ وَبَلَاغَةٍ وَبَيَانٍ

❖ يؤكد الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ مَا تقدم تفصيله من أن القرآن كلام الله حقيقة، لفظه ومعناه، وفصاحته وبيانه... وقد أسهب رَحْمَةُ اللَّهِ فِي بيان هذه المسألة ردًا على من يؤول كلام الله جَلَّ وَعَلَا سواء القائلون بأنه مخلوق، أو أنه خلق في الهواء، أو أن الله خلقه قديمًا منذ الأزل، أو أنه المعنى القائم بالنفس أو نحو ذلك من الأقوال المتضاربة والمتناقضة التي تربو على مائة قول؛ وهذا شأن كل من يترك النصوص الشرعية ويعتمد على عقله المجرد أو على زبالات علم الكلام؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوْجِدُوا فِيهِ آخِذًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

فَاللَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشورى: ٣]، وقال: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [الحج: ١٠٣]، وغير ذلك من الآيات التي تدل على أنه أفصح الكلام وأبينه وأبلغه، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْزَلَهُ بَعْلَمَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ﴾ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا.. الآية [النساء: ١٦٦]، ومن زعم خلاف ذلك فقد أعظم على الله الفرية.



٦١- هُوَ حُكْمُهُ هُوَ عِلْمُهُ هُوَ نُورُهُ وَصِرَاطُهُ الْهَادِي إِلَى الرِّضْوَانِ

﴿ هُوَ حُكْمُهُ: لَأَنَّ الْقُرْآنَ حَكَمَ اللَّهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَتَكَلَّمُ بِتَنكِيمٍ﴾ [الْمُتَجَنِّدُ: ١٠]؛ أَي: مَا أُنْزِلَ فِي الْكِتَابِ.

﴿ أَفَحُكْمُ الْجَهْلِِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [الْمَائِدَةُ: ٥٠].

فالقرآن حكم الله عَزَّجَلَّ بَيْنَ لعباده فيه كل ما يحتاجونه من أحكام الدين عقيدة وعبادة وأحكاما وأخلاقا وآدابا ومعاملات ونحو ذلك من أحكام الشريعة الشاملة لكافة نواحي الحياة؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [الْبَقَرَةُ: ٨٩].

وقوله: هُوَ عِلْمُهُ: أَي أَنَّ الْقُرْآنَ عِلْمُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ بَعْلَمَهُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٦٦].

ولذلك أول ما نزل ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ١ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ٢ ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ ٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿[الْعَلَقُ: ١ - ٥].

فالقرآن علم من الله، أوحى به إلى أمينه ورسوله ونبيه ومصطفاه؛ ليلبغه للناس كافة؛ فهو علم من علوم الله عَزَّجَلَّ التي نفع الله بها عباده.

وقوله: «هُوَ نُورُهُ»: أَي: أَنَّ الْقُرْآنَ أَيْضًا نُورٌ مِنَ اللَّهِ يُضِيءُ لِلْأُمَّةِ طَرِيقَهَا إِنْ عَمِلَتْ بِهِ قَوْلًا وَعَمَلًا وَاعْتِقَادًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشُّورَى: ٥٢]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكَ وَأُنْزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٧٤].

ومن هنا قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ «العلم نور»، ومن لم يستضيء بنور القرآن فلا نور له؛ ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [التَّوْبَةِ: ٤٠].

وقوله: «وَصِرَاطُهُ الْهَادِي إِلَى الرُّضْوَانِ»، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥]، فالقرآن هداية للناس؛ ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٨٩]، كما قال الله عز وجل لرسوله ﷺ الذي جاء بالقرآن: ﴿وَإِنَّكَ لَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ٥٢ صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ؟ [الشورى: ٥٢ - ٥٣]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقال عز وجل: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ١ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿[الفاتحة: ٦ - ٧]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: ١٢].

فالقرآن صراط؛ أي: طريق من سلكه، وسار على نهجه، وطبقه واتبع سبيله فاز في الدنيا والآخرة، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله، ومن بعد عنه أبعد الله.



## ٦٢- جَمَعَ الْعُلُومَ دَقِيقَهَا وَجَلِيلَهَا فِيهِ يَصُولُ الْعَالَمُ الرَّبَّانِي

❖ فاعل جَمَعَ ضمير مستتر يعود على القرآن الكريم؛ فإنه جمع جميع العلوم التي يحتاج إليها المسلمون في أمور دينهم، إما بالتفصيل أو بالإجمال الذي وضحته السنة وبيّنته وفصلته كما قال الله تَعَالَى: ﴿كَتَبَ أَحْكَمَ آيَاتِهِ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [هُود: ١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ فَخُذْهُ وَمَا نَهَكَمْ عَنْهُ فَأَنْهَهُ﴾ [الحشر: ٧].

وثبت عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالنَّمِصَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ». قال: فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب وكانت تقرأ القرآن فأتته فقالت ما حديث بلغني عنك أنك لعنت الواشيات والمستوشيات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات فقال عبد الله وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله فقالت المرأة لقد قرأت ما بين لוחي المصحف فما وجدته فقال: لئن كنت قرأته لقد وجدته قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ فَخُذْهُ وَمَا نَهَكَمْ عَنْهُ فَأَنْهَهُ﴾ (١).

فالمقصود بالعلوم التي حواها القرآن؛ علوم العقائد والأحكام والآداب والأخلاق، بالإضافة إلى ما فيها من ذكر قصص الأنبياء، وأخذ العبرة والعظة مما حل بالأمم السابقة؛ ولذلك قال: «جَمَعَ الْعُلُومَ دَقِيقَهَا وَجَلِيلَهَا».

وقوله: «فَبِهِ يَصُولُ الْعَالَمُ الرَّبَّانِي» أي: يستدل به العالم الرباني الذي لا يتجاوز الكتاب والسنة فيما يحكم به، وفيما يقول، وفيما يعمل، هذا هو العالم الرباني الذي رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً، وامثل هدي الكتاب والسنة قولاً

(١) أخرجه مسلم [٢١٢٥].

وعملًا واعتقادًا ظاهرًا وباطنًا، فيصول به في بيان الحق، والصدع به، والرد على أعداء الحق؛ هذا هو العالم الرباني الذي اتخذ القرآن والسنة منهجًا له في وروده وصدوره، في عسره ويسره، في منشطه ومكرهه، في جميع أحواله، يقف عند النصوص الشرعية، لا يتجاوزها لرأي فلان أو علان؛ وإنما يقف عند حدود الشرع التي جاءت وبينت في الكتاب والسنة، بها يصول، وبها يجول، وبها يحكم، وبها يحلل، وبها يجرم، وبها يؤمن، وبها يوحد الله، وبها يتعد عن الشرك، وبها يصلح بين الناس، وبها يؤدي حقوق الله عزَّجَلَّ وحقوق عباده.

عليك ببكر الفكر إن كنت كفأها  
فمن قلّد الآراء ضلّ عن الهدى  
فما الدين إلا الاتباع لما أتى  
وكما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

واصدع بما قال الرسول ولا تخف  
فالله ناصر دينه وكتابه  
من قلة الأنصار والأعوان  
والله كاف عبده بأمان<sup>(١)</sup>



(١) «النونية» لابن القيم، ص: [١٦].



٦٣- قَصِّصْ عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ قِصَّةُ رَّبِّي فَأَحْسَنَ أَيَّمَا إِحْسَانٍ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾ [يُوسُفُ: ٣]؛ فالقصد بالقصص ليس مجرد قصص الأنبياء فحسب؛ وإنما المراد هذا الكتاب المتلوه بما تضمنه من قصص الأنبياء وغيره.

القرآن سماه الله قصصاً؛ لأن الله قصه على جبريل؛ أي: تلاه عليه، وجبريل قصه على نبينا محمد ﷺ، ونبينا محمد ﷺ قصه على الأمة؛ فالقصص المقصود هنا التلاوة، ويتضمن القصص التي هي قصص الأنبياء والمرسلين وغيرها، فأحسنه تَبَارَكَ وَتَعَالَى أيما إحسان؛ أي: أتقنه في نظمه، وفي إعجازه، وفي أحكامه العادلة، وفي ألفاظه ومعانيه فمعنى «نقص» أي: نتلو؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾ [يُوسُفُ: ٣].



٦٤- وَأَبَانَ فِيهِ حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ وَنَهَى عَنِ الْآثَامِ وَالْعِصْيَانِ

❖ وضح الله في هذا الكتاب المبين - الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد - الحلال من الحرام؛ فلا يجوز لأحد أن يحلل ولا أن يحرم إلا وفق هدي الكتاب والسنة، فلا يهرف أحد بما لا يعرف؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ٣١﴾ مَتَّعْ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿[النحل: ١١٦ - ١١٧]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وكذلك سائر ما حرم الله في كتابه، وما حرمه رسوله ﷺ؛ فالحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله، ولا يجوز لمسلم أن يحلل باجتهاده، فهو لاء الأفاكون الذين يحلون الربا، ويحلون التمثيليات والمسرقيات، ويحلون الغناء والموسيقى، ويحلون اختلاط الرجال بالنساء، ويحلون التصوير لغير ضرورة؛ سيقفون بين يدي الله فيما تحملوا من فتوى بغير دليل، وكذلك الذين يحرمون ما أحل الله كالذين يحرمون على الأمة ما أحل الله لها من الطيبات، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبِيبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿[المائدة: ٨٧-٨٨].

كما أبان في هذا الكتاب العزيز وفي سنة رسوله ﷺ معالم الذنوب والآثام والعصيان؛ ليجتنبها المؤمن الذي وفقه الله للوقوف عند حدوده؛ فلذلك يجب على المسلم أن يتعلم حتى يعرف الحلال من الحرام، ويميز الخبيث من الطيب، والحق من الباطل، ويعبد الله على بصيرة من أمره؛ ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

٦٦- مَنْ قَالَ إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ قَوْلِهِ فَقَدْ اسْتَحَلَّ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ

❖ القائلون بخلق القرآن هم: الجهمية والمعتزلة؛ وأول من تبنى ذلك واصل بن عطاء، ثم تتلمذ عليه تلميذه عمرو بن عبيد، ثم ابن أبي دؤاد، وبشر المريسي، ومن نهج نهجهم من دعاة الضلال، فهؤلاء قالوا: إن القرآن مخلوق، أي: أنه كلام الله الذي خلقه كما خلق الأشياء كلها - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً -، ونحن نقول: القرآن كلام الله الذي تكلم به حقيقة.

وشبهتهم في ذلك كما يزعمون: أننا لو أثبتنا صفة الكلام، للزم أن يكون مشابهاً لكلام المخلوقين كما هو دأبهم في تعطيل أو تأويل سائر الصفات فوقعوا في التشبيه أولاً فلما تصوروا التشبيه اضطروا إلى التعطيل والتأويل فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار، فهذه شبهة المتكلمين النافين للأسماء والصفات زعمًا منهم أنهم لو أثبتوا تلك الصفات للزم منها مشابهة المخلوقين، والواقع أنهم وقعوا فيما فروا منه، حيث لم يفهموا من صفة الكلام لله تَعَالَى إلا صفة المخلوقين، فلما فهموا هذا الفهم السقيم وجدوا أنفسهم مضطرين إلى التعطيل، وهو نفي صفة الكلام الحقيقي، فلما وقعوا في التعطيل قالوا: إنه لا بد لهذه الصفة من معنى إذ لا تعقل صفة بلا معنى فلجأوا إلى التأويل؛ وهو أن يكون الله خلق كلامه كما خلق الأشياء كلها. لذا قال أهل العلم رَحِمَهُمُ اللَّهُ: إنهم شبهوا أولاً وعطلوا ثانيًا وأولوا ثالثًا؛ وهذا الاضطراب نتيجة حتمية لكل من أعرض عن هدي الكتاب والسنة، واستعاض عنها بعلم الكلام الذي عامته من زبالات المنطق وأدران الفلسفة.

ومن شبههم أيضًا:

استدلواهم بآية زعموا أنها تدل على مدعاهم؛ وهي قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿اللَّهُ خَلَقُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزُّمَرُ: ٦٢]، وجه استدلالهم أن «كل» تفيد العموم، وكذلك «شيء» تفيد العموم؛ فيدخل القرآن في عموم «كل»، وفي عموم «شيء».

والرد عليها أن يُقال لهم:

أولاً- من سبقكم إلى هذا التفسير المبتدع؟ فالسلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ فهموا من هذه الآية أن الله خالق كل شيء مخلوق، ولا يدخل في ذلك أسماء الله وصفاته، هذا أمر.

وثانياً- أن «كل» لا تفيد العموم بإطلاق؛ إلا إذا اقتضى السياق ذلك؛ فهي تُقَيَّدُ بحسب ما يقتضيه السياق والسباق؛ يدل لذلك ما حكاه الله عن ملكة سبأ بلقيس في قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الْمُلْكُ: ٢٣]، هل المقصود أن هذه الملكة لم تفتها شاردة ولا واردة؟ ليس الأمر كذلك، بل إنها أوتيت من كل شيء تعارف عليه الناس أنه يكون عند الملوك أمثاله؛ ويُرد عليهم بآية الأحقاف، قَالَ تَعَالَى: ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الْأَحْقَافُ: ٢٥]، هل الريح دمرت الجبال؟ هل دمرت الأرض؟ هل دمرت الأنهار والبحار؟ لم يحصل ذلك.

بل المراد أنها تدمر كل شيء قابل للتدمير قد قدر الله عليه العذاب؛ ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ ٧ ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ [الْبَقَاةُ: ٧-٨]؛ فأصبح المعنى تدمر كل شيء قابل للتدمير. يتضح من هذا أن استدلالهم بالآية باطل، وأن المراد أن الله عَزَّجَلَّ خالق كل شيء مخلوق، ولا يدخل تحت ذلك أسماء الله وصفاته.

وأما شبهتهم الثانية: فهي استدلالهم الباطل بقول الله تَعَالَى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الْبُحُرُونُ: ٣]؛ فقد زعموا أن «جعل» في الآية بمعنى: خلق، فيكون المعنى على حد زعمهم: إنا خلقناه قرآناً عربياً.

والجواب: أنه بالرجوع إلى فهم السلف الصالح، ثم فهم أهل اللغة، العرب الأقحاح، نجد أن هذا المعنى عندهم بعيدٌ كل البعد عن الصواب والحق؛ ذلك أن

لـ «جعل» معنيين؛ فقد تأتي بمعنى: خلق، وفي هذه الحال تنصب مفعولاً واحداً كما في قول الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]؛ أي: وخلق الظلمات والنور، وقد تأتي بمعنى: صيّر، وفي هذه الحال تنصب مفعولين كما في قول الله تَعَالَى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الحج: ٣]؛ أي: صيرناه قرآنًا عربيًّا؛ يعني تكلم به الله قرآنًا عربيًّا، وأنزله قرآنًا عربيًّا؛ فشتان بين الأمرين، ولذلك لا شبهة لهم في هذه الآية الكريمة ولا التي قبلها.

ولهم شبه أخرى لا نجد ضرورة لاستقصائها، ومن أحب أن يستقصيها فليرجع إلى كتب السلف، وعلى رأسها الجزء الخامس والسادس من مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللهُ وغيرهما من كتب السلف؛ ففيها بيان مفصل لشبههم والرد عليها، وفيها ما يروي الغليل ويشفي العليل.

ولكان كما قال الشاعر عبد الرحمن بن الحكم:

لقد أسمعت لونا ديت حياً      ولكن لا حياة لمن تنادي  
ولوناراً نضخت بها أضواء      ولكن أنت تنفخ في رماد<sup>(١)</sup>

فالله عَزَّوَجَلَّ فرق بين الخلق والأمر، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الاعراف: ٥٤]؛ الأمر ما أمر به بكلامه، بقرآنه، بالتوراة، بالإنجيل؛ الأمر الذي يتضمنه كلامه، والخلق هو ما أوجده سبحانه وتعالى، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الاعراف: ٥٤].

وقوله: «فَقَدْ اسْتَحَلَّ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ» كيف استحل عبادة الأوثان؟ وضحت ذلك السنة فيما صح عن النبي ﷺ وإن كان بعض أهل العلم يرى وقفه،

(١) «الأغاني» لأصفهاني (١١٤/٥).

لكن الموقوف صحيح لا مطعن فيه، بل المرفوع يرتقي إلى درجة الحسن، أعني: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ»<sup>(١)</sup>؛ ووجه مشابهتهم للمجوس أن المجوس يعبدون خالقين: النور خالق الخير عندهم، والظلمة خالقة الشر، والقدرية أثبتوا خالقين أيضاً، حيث قالوا: الله خالق العبد، والعبد خالق الفعل فجعلوا العبد خالقاً مع الله، وبهذا يتضح وجه الشبه. وكذا زعموا أن كلام الله الذي هو صفته مخلوقاً فاتضحت مناقضتهم لأنفسهم حيث جعلوا ما ليس مخلوقاً مخلوقاً، وهي صفات الرب سُبْحَانَهُ كما جعلوا المخلوق خالقاً باعتقادهم أن العبد يخلق فعله وأن أفعال العباد ليست مخلوقة لله؛ وهذا يعارض صريح القرآن؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصَّافَّاتِ: ٩٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزُّمَرِ: ٦٢].



(١) أخرجه أبو داود [٤٦٩٣]، والحاكم [٢٨٦]، والبيهقي في «الكبرى» [٢١٣٩١] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين: إن صح سماع أبي حازم من ابن عمر ولم يخرجاه، وذكر له شاهداً. ووافقه الذهبي. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٤٤٤٢].

٦٧- مَنْ قَالَ فِيهِ عِبَارَةٌ وَحِكَايَةٌ فَغَدًا يُجَرِّعُ مِنْ حَمِيمٍ أَنْ

❖ يوضح الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ بِأَنَّ مِنْ حَرَفِ الْقُرْآنِ، واعتقد أنه عبارة أو حكاية عن كلام الله فهو متوعد بالوعيد الشديد؛ لأن قوله هذا يفضي في النهاية إلى قول المعتزلة، أعني: قولهم بخلق القرآن، وهو لازم له لا محالة؛ ولذلك فهو متوعد بهذا الوعيد الشديد؛ وهو شرب الماء الآن الحميم الشديد الحرارة، الذي يشوي الوجوه؛ كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأِنْ يَسْتَعْجِلُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩] - والعياذ بالله -، وهذا شأن الكُفَّار المعارضين والمعاندين، ومن أولئك من تعمَّد تحريف كلام الله عَزَّوَجَلَّ؛ فأوَّل كلامه بأنه مخلوق، أو زعم أن القرآن عبارة أو حكاية عن كلام الله.

وهذا الأمر يحتاج إلى شيء من التفصيل؛ لأن من وجدت عنده شبهة تأويل من عامة المسلمين ولم يتضح له الدليل؛ فلا ينطبق عليه هذا الوعيد الذي ذكر الناظم؛ ولكن هذا ينطبق في حق من تعمَّد بعد أن قامت عليه الحجة، وبعد أن وُضِّحَ له الدليل فأصر، قال ولو قام هذا الدليل؛ فإنه يعتقد إن القرآن حكاية أو عبارة عن كلام الله، وليس هو كلام الله.

أمَّا من لم تقم عليه الحجة، ومن لم يقم عليه الدليل، وقَلَّدَ الآباء والأجداد في هذه العقيدة؛ فلا ينطبق عليه هذا الوعيد؛ لأنه لا يكون كافرًا حينئذٍ، وإنما هو من المبتدعة من المسلمين الذين وُجِدَتْ عندهم هذه البدع.

وكلام الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ كَانَ فِي أَوَّلِ ظُهُورِ مَذْهَبِ التَّأْوِيلِ، وكان جديدًا عليه؛ ولذلك شَدَّدَ عَلَى هَؤُلَاءِ، كما شدد السلف على الجهمية المعاندة، وأطلقوا عليهم الكفر، وهم كذلك إذ أن الكفر محمول على كل من أنكر صفات الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى معانداً ومعارضاً

للأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، وهذا الحكم ينطبق أيضًا على كل من جحد الأسماء والصفات أو بعضها بعد قيام الحجة عليه، وقد أُلّف في ذلك بعض السلف مثل كتاب عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ اللهُ بِعَنوان: «رد عثمان بن سعيد على الكافر العنيد فيما افتري على الله من التوحيد» في رده على بشر المريسي الذي أقيمت عليه الحجة مرارًا فأصر على عناده وكفره.

أما لو وجدنا أحدًا من الأشاعرة والماتريدية يتبنون هذا الأمر، ويقولون: إن القرآن عبارة وحكاية عن كلام الله؛ فإننا لا نعامله معاملة الجاحد المعاند المنكر نُبَيِّنَ له القول الحق بدليله، وأن هذه الشبهة باطلة، فإذا أصرَّ على الرغم من بيان الدليل له وإقامة الحجة عليه، وقال: لو سمعت ألف دليل فأنا لن أحيّد عن هذا الأمر؛ فهذا هو الذي ينطبق عليه مثل هذا الوعيد، وعليه أن يتجرَّع العذاب جزاء تركه لكتاب الله تَعَالَى وسنة رسوله ﷺ، واتباعه أقوال البشر المأخوذة من أوضار الفلسفة وأدران المنطق كما ذكر الله جَلَّ وَعَلَا عن أسلافهم من الكفار منكري كلام الرب تعالى، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا لِلْأَسْحَرِ يُؤْتِرُونَ﴾ (١٤) إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (١٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (١٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ (١٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (١٨) لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ (١٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿ [المائدة: ٢٤ - ٣٠].

فينبغي أن نفهم هذه القضية جيدًا؛ والناظم رَحِمَهُ اللهُ شَدَّدَ على الأشاعرة والماتريدية وإن كان حكم عليهم بمقتضى مذهبهم - فمذهبهم في الأصل مذهب الكلائية - أعني تأويل بعض الصفات وإثبات البعض الآخر على ما في هذا الإثبات من دخن، وليس هو مذهب أبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللهُ الذي مات عليه؛ وإنما هو مذهب محمد بن كُلاب، ونسب إلى الأشعري؛ لأنه كان قد تبناه في طوره الثاني، مع أنه تركه وعاد إلى منهج السلف الصالح رَحِمَهُمُ اللهُ.



فمن زعم أن القرآن عبارة عن كلام الله أو حكاية عن كلام الله وأُقيم عليه الدليل والحجة وأزيلت عنه الشبهة فلم يقبل ذلك وأصر على هذا الكلام؛ فلا شك في كفره، وأنه ينطبق عليه هذا الوعيد.

فلابد من مراعاة هذا التفصيل والتنبيه له حتى لا نتسرع في الحكم بتكفير مسلم، ولعل له عذراً بسبب شبهة انقدحت في ذهنه أو قلد فيها بعض الشيوخ أو ورثها عن الآباء والأجداد، فيوكل أمره إلى ربه.

أما من أقيم عليه الدليل، وقال: لا أريد هذا الدليل، أنا أرفضه، وعاند وكابر ولم يقبل هدى الله، وأصر على التحريف والتأويل، على الرغم من ظهور الحجة وبيانها وقيام الدليل؛ فمثل هذا لا يعذر.

ونقول لمن قال إن القرآن مخلوق أو عبارة أو حكاية عن كلام الله: من الذي عبر عن الله؟ من الذي حكاه عن الله؟ هل الله عاجز عن التعبير - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - ولذلك فإنه يجب على المسلم أن يعتقد أن القرآن كلام الله الذي تكلم به حقيقة؛ لأن الله عز وجل يتكلم بما شاء متى شاء كيف شاء، ولا يُقال أن كلامه هو المعنى القائم بالنفس، ولا يُقال إن كلامه مخلوق، ولا يُقال أنه عبارة أو حكاية عن كلام الله، ولا يُقال أنه تكلم بعد أن لم يكن متكلماً، كما تقول الكرامية، ولا يُقال أنه تكلم بكل هذه الأمور مرة واحدة، ثم لم يعد بعد ذلك متكلماً، ولا يُقال إنها حروف وأصوات خلقها الله في الهواء، وسمعتها الناس من الهواء - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً -؛ بل هو كلام الله عز وجل الذي تكلم به، وسمعه منه جبريل، وبلغه النبي ﷺ، وبلغه الرسول ﷺ إلى أمته.

٦٨- مَنْ قَالَ إِنَّ حُرُوفَهُ مَخْلُوقَةٌ فَالْعَنَهُ ثُمَّ أَهْجُرَهُ كُلُّ أَوَانٍ

❖ الذين زعموا أن حروف القرآن مخلوقة، هم طوائف؛ منهم: الجهمية والمعتزلة الذين صرحوا بأن القرآن مخلوق، ومنهم آخرون؛ قالوا: إن الله خلق الكلام في الهواء، فسمع جبريل حروف القرآن من الهواء؛ فبلغه إلى النبي ﷺ، وكل هذه الطوائف ومن شاكلها ضلّت عن سواء السبيل، واتبعت منطق وفلسفة اليونان والرومان؛ ولذلك تجد جميع كتبهم التي ألّفت في هذا الباب تخلو من «قال الله»، و«قال رسوله ﷺ».

فنحن نلعن الجهمية، ونلعن المعتزلة، ونلعن الطوائف المبتدعة؛ لأن الله لعنهم، ولأن رسول الله ﷺ لعنهم؛ ولكن الشخص المعين من هؤلاء لا يجوز لعنه حتى تقام عليه الحجة وتزال عنه الشبهة، والناظم عندما يقول: «فَالْعَنَهُ كُلُّ أَوَانٍ»؛ أي: في جميع الأوقات، يعني بذلك: من يقول بهذا الأمر بشكل عام، ولا يعني ذلك لعن المعين؛ بل إن النبي ﷺ لما قنت شهراً يلعن رَعْلًا وَذَكَوَان، الذين قتلوا القُرَاء؛ عاتبه ربه سُبحَانَهُ وَتَعَالَى بقوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [الْعَنْزَلُونَ: ١٢٨]؛ فكفّ النبي ﷺ عن لعنهم، وفعلاً بعضهم قد أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه؛ لأن الخواتيم بيد الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ولذلك لا ينبغي لعن المعين.

فنحن نلعن مثلاً أكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه؛ لكن لو وجدت شخصاً معيناً قد وقع في الربا وهو مسلم فلا يجوز لك أن تقول له: تعال أيها الملعون؛ أي: المتوعد باللعنة، فلعل الله أن يتوب عليه في المستقبل، لكن تقول: لعن الله أكل الربا على العموم؛ لأن الله ورسوله لعناه، وعليه قس سائر ما جاء النص بلعنهم على وجه العموم كقوله ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ الْمُصَوِّرِينَ»<sup>(١)</sup>، وقوله: «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَةَ، وَالْمُسْتَوْشِمَةَ وَالْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحَسَنِ»<sup>(٢)</sup>، وقوله: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدِيهِ

(١) أخرجه: البخاري [٢٢٣٨] من حديث أبي حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (٢) تقدم تخريجه في ص: [١٦٩].

ولعن الله من ذبح لغير الله ولعن الله من آوى محدثاً ولعن الله من غير منار الأرض<sup>(١)</sup>، وقوله: «الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»<sup>(٢)</sup>؛ ولذلك فإن القول الراجح عند السلف رَجَهُمُ اللَّهُ لعن تلك الطوائف التي لعنها الله ورسوله بوصفها العام دون لعن المعين كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في غير ما موضع من كتبه؛ ومن ذلك مثلاً قوله: «كره أكثر أهل السنة لعنة أحد بعينه»<sup>(٣)</sup>، وقوله: «وكذلك قصد لعنة أحد منهم بعينه ليس هو من أعمال الصالحين والأبرار. وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «لعن الله الخمرة وعاصرها ومعتصرها وحاملها وساقياها وشاربها وبائعها ومشتريها وأكل ثمنها». وصح عنه: «أنه كان على عهد رسول الله ﷺ رجل يكثر شربها يدعى حمرا وكان كلما أتى به النبي ﷺ جلده فأتى به إليه ليجلده فقال رجل: لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به إلى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله». وقد لعن النبي ﷺ شارب الخمر عموماً ونهى عن لعنة المؤمن المعين»<sup>(٤)</sup>، وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمختار عند الأمة: أنا لا نلعن معينا مطلقاً»<sup>(٥)</sup>.

فكلام الناظم هنا متعلق بعموم الطوائف لا بالأفراد إلا من علم يقينا أنه مات على الكفر كفرعون وهامان وقارون وأبي جهل وأبي بن خلف وأشباههم من الكفار؛ فهؤلاء نلعنهم ولا كرامة.

(١) أخرجه مسلم [١٩٧٨] من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [٣١٧٢]، ومسلم [١٣٧٠] من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) «الفتاوى» (٤٠٩/٣).

(٤) المصدر السابق (٤٧٤/٤).

(٥) المصدر السابق (٤٧٥/٢٧).

## مسألة الهجر

٦٩- لَا تَلَقْ مُبْتَدِعًا وَلَا مُتَزَنِّدًا إِلَّا بِعَبَسَةِ مَالِكِ الْغَضَبَانِ

المبتدع: هو الذي اتخذ البدعة منهجًا له كالانتماء إلى الطوائف المنحرفة عن الدين، وتبنى مناهجها على ذلك الانحراف ولو كانوا يدعون الإسلام، فإن المبتدع ينبغي أن تهجره، وأن تبعد عنه، وأن لا تؤاكله، ولا تشاربه.

وأما من عنده شيء من البدع ولم تكن البدع منهجًا له ولا يدعو إليها، فالأولى عدم هجرانه؛ لأن ذلك يسلمه للمبتدعة المغرقين، أو لأعداء الإسلام. فإذا كان ممن وقع في بعض الأخطاء أو التأويلات أو البدع ولم تكن تلك البدع منهجًا له يتبناه وينافح عنه؛ فلا ينطبق عليه هذا الأمر وهو الهجران والاكفهرار في وجهه، والبعد عنه، وتجنبه وعدم مخالطته.

فالمسألة فيها تفصيل، أما المتزندق فهذا يُهجر قولًا واحدًا، والمتزندق هو المنسلخ من الدين، من الذين يستحلون ما حرم الله، وينكرون بعض ما هو معلوم من الدين بالضرورة، أو تاركي الصلاة، أو نحو ذلك.

والمبتدع ولو لم يكن متزندقًا إذا كانت البدعة منهجه وطابعه ومنهج حياته فالواجب البعد عنه؛ لثلاث تكثر سواده، ولثلاث تتأثر أو تتأذى ببدعته؛ قال غير واحد من السلف: «لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون»<sup>(١)</sup>. عندما جاء بعض المبتدعة إلى محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللهُ قالوا: يا أبا بكر! نريد أن نقرأ عليك آية من كتاب الله؛ قال: لا، ولا آية، قالوا: فحديثًا من أحاديث رسول الله، قال لهم: ولا حديث. إما أن تخرجوا أو أخرج، فقال له بعض الجالسين: يا أبا بكر! هلاً سمعت منهم شيئًا من القرآن أو السنة؟ قال: أخشى أن

(١) انظر: «سنن الدارمي» [٤٠٥]، «البدع» لابن وضاح [١١٩].

أسمع شيئاً من بدعهم فتقرّ في قلبي . يخاف على نفسه من شبههم وهو من هو في الإمامة والتقوى.

وهذا الإمام مالك عندما جاءه مبتدع، قال: الرحمن على العرش استوى فكيف استوى؟ قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. ثم أمر بإخراجه من المجلس.

وأثار السلف في هذا الباب كثيرة، وهذا ينطبق على المبتدعة المؤصلين في البدع. أما الذين وجدت عندهم بعض الأخطاء البدعية، وهي ليست منهجاً لهم؛ فينبغي الترفق معهم والحكمة، لعلهم يتوبون ويرجعون. أما من أصرّ ورفض سماع الكتاب والسنة وأصرّ على بدعه؛ فهذا يُترك ويُهجر ولا كرامة له.

ثم أيضاً يراعى في هذا الهجر المصالح والمفاسد؛ فإن كان هجره قد يوقعه فيما هو أعظم أو يتكثر به سواد أعداء أهل السنة؛ فينبغي عدم الهجر؛ لئلا يتضرر به المسلمون، وإن كان الهجر يؤثر فيه ويكون سبباً في هدايته؛ فإن الأولى هجرانه؛ لعله يرجع.

ولا أدل على هذا من حادثتين:

الأولى- قصة كعب بن مالك وصاحبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فإن ما بدر منه لم يكن نفاقاً ولا جحداً ولا عناداً ولا شيئاً من ذلك؛ وإنما هو التسويف، وكان كل واحدٍ منهم يتمنى أنه شارك في غزوة تبوك، لكن حصل شيء من التسويف والتأخير الذي ندموا عليه -رضي الله عنهم وأرضاهم-، هؤلاء الثلاثة الذين قَبِلَ الله توبتهم، وأمرهم لم يكن مثل شأن بعض أهل البدع، ومع ذلك هجروا؛ لأن فيه نفعاً لهم، وفيه تمحيصٌ لهم، وكان سبباً في أن من الله عليهم بالتوبة.

والثانية- الرجل الذي حصلت منه معصية شرب الخمر، وكان مرارًا يُؤتى به ويُجلد في الخمر، وكان يُضحكُ النبي ﷺ؛ فقال: «لَا تَلْعَنُوهُ، مَا عَلِمْتُ إِلَّا أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»<sup>(١)</sup>؛ وقال: «لَا تَكُونُوا عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ عَلَىٰ أُخْيِكُمْ»<sup>(٢)</sup>. وليس في هذا إيواء لأهل المعاصي والإحداث في الدين، حاشا لله! ولكن تعامل كل حالة بما يناسبها. وأيضًا مثل هذا: تركه ﷺ للمنافقين لئلا يعود أذاهم على المسلمين من ناحية، ولئلا يتذرع بذلك أعداء الإسلام؛ فيقولون: إن محمدًا يقتل أصحابه، مع أنه يعرفهم واحدًا واحدًا، ومع ذلك كان يُداريهم، وفرقٌ بين المداراة وبين المداينة.

فالمداينة: التنازل عن الحق مع وضوحه وظهوره أو التنازل عن الدين لمصلحة دنيوية، وأما المداراة: فهي ترك ما فعله أولى من تركه ولو لوقت، مثل قوله ﷺ لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَلَمْ تَرِي أَنَّ قَوْمَكَ بَنَوْا الْكَعْبَةَ وَاقْتَصَرُوا عَنْ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا تَرُدُّهَا عَلَىٰ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ لَوْلَا حَدِثَانِ قَوْمِكَ بِالْكَفْرِ لَفَعَلْتُ»<sup>(٣)</sup>؛ وهذا أصل عظيم للتعامل مع المخالفين لا بد من تطبيقه لا سيما بين طلاب العلم من باب الفرق الذي لا يكون في شيء إلا زانه وهو عين العقل والحكمة في التعامل مع الأحداث لئلا تلق الأحكام على الناس جزافًا من قبل بعض سرعان الناس الذين ليس لديهم فرقان يفرقون به بين الموالاة والمداينة والمدارة، ولذلك ينبغي لطلاب العلم أن يفهموا هذه القضية فهما جيدًا، فالبعض منهم إذا أخطأ أخوه أو زميله، أو وقع في شيء -وربما أنه كان متأولًا أو ناسيًا أو جاهلًا - قال له: أنا سأهجرَكَ، أو أنت مهجور، لا أسلم عليك، لماذا تمشي مع فلان أو علان؟!.

(١) أخرجه البخاري [٦٧٨٠] من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [٦٧٧٧] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري [١٥٨٣]، ومسلم [١٣٣٣].

وقد وجدنا هذا من صغار الطلبة - وللأسف -، الذين يهرفون بما لا يعرفون، وهذا خطأ فاحش، فقد تقتضي المصلحة عدم الهجر أحياناً، وقد تقتضي الهجر في مسألة أقل منها إذا كان يُؤمل أن يكون سبباً في هداية المهجور. فمسألة الهجر ينظر إليها من زاوية وقاعدة: مراعاة المصالح والمفاسد ولا ينظر إليها بمحض الرأي والعواطف المجردة. فكلام الناظم هنا مقيد كما تقدم بيانه للجمع بين أقوال السلف على ضوء النصوص الشرعية في مسألة المداراة.

وهنا سؤال قد يطرح: أيهما أعظم؛ ما فعله كعب بن مالك وأصحابه - رضي الله عنهم وأرضاهم - من التخلف عن غزوة تبوك أم المنافقون؟ فمعلوم أن المنافقين كفار، ومع هذا داراهم النبي ﷺ، والمداراة ليست مدهانة ولا موالاة، وإنما تأخير ما حقه التقديم أحياناً لمصلحة تعود على الإسلام والمسلمين، فترك المنافقين في عهد النبي ﷺ ليس مدهانة ولا مجاملة ولا موالاة؛ وإنما ذلك لأمرين؛ وهما: أولاً - اكتفاء شرهم وأذاهم، وثانياً - لئلا يُقال إن محمداً يقتل أصحابه، فيراعى الوضع الذي يعيشه المسلمون ويُنظر له بعين الاعتبار؛ لذلك ينبغي لبعض صغار طلاب العلم الذين تأثروا ببعض مناهج الحدادية<sup>(١)</sup> من حيث لا يشعرون أن يفهموا هذه المسألة ويطبقوا هذه القاعدة، والحمد لله أن هذا الفكر قد ضُعب - بفضل الله تعالى - بخروج الحداد وزمرته من دولة التوحيد والسنة، ومع ذلك فإن فكرهم المشين - وهو التسرع في الأحكام

(١) فرقة معاصرة بدعية اشتهرت بالتسرع في الأحكام على الناس دون مراعاة للضوابط الشرعية، سميت بالحدادية نسبة إلى مؤسسها محمود الحداد المصري، وأول ما بدأت هذه الفرقة بالظعن والتشهير بالحافظين النووي وابن حجر رحمهما الله والدعوة إلى إحراق كتبهما، ثم تطور أمرهم إلى أن صاروا يحذرون من كبار علماء الهدى والدين أمثال ابن باز والألباني وغيرهما، بل ينتقدون من يدعو إلى دراسة وتدريس عقيدة السلف.

والهجر! - ما زال موجودا عند بعض الأفراد الذين قلّ علمهم وضعف إيمانهم فنجد أحدهم يقول فلان لا أسلم عليه لأنه يمشي مع فلان الحزبي. فهلا سألت أخاك لماذا مشى معه؟ لعله مشى معه يدعوه، هل رأيت يشاركه في بدعته؟ هل رأيت يمارس طقوسه؟ هل رأيت يقف في ما يقف فيه؟

وقد نحتاج إلى زيارة بعض المراكز التي فيها ما فيها من الدخن، في خارج هذه البلاد، حيث توجد هناك مراكز إسلامية فيها دخن وأمور تعرف منها وتنكر، فالمسلمون في وضع يحتاجون فيه إلى شيء من التألف والمداواة؛ ولا يظن أحد أن المداواة هي التنازل عن المبادئ! بل علينا أن نفهم منهج السلف في التفريق بين المداواة والمداهنة - كما ذكرت آنفا - ففرق بين أن يأتي شخص مداهن ويدوب مع المبتدعة ويطلب معهم ويرقص معهم ويمارس معهم طقوسهم البدعية أو يكثر سوادهم وبين شخص قد يذهب إلى فلان ويدعوه إلى الله، وقد يهديه بعض المال تألفا كما فعل النبي ﷺ مع صفوان بن أمية قبل أن يسلم وغيره من المؤلفلة قلوبهم.

فعلينا أن نفرق بين المداواة وبين المداهنة والموالاة، فبينهما كما بين الثرى والثريا. وقوله: «إلا بعبسة مالك الغضبان»؛ مقصوده أن تلق المبتدعة المغرقين في بدعهم والمؤصلين لها بوجه عبوس مكفهر كحال مالك خازن النار؛ قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَنَادَوْا بِمَلَائِكَةٍ لِّيَقْضِيَ عَلَيْهِمْ تَارُكُكُمْ أَوْ أَن تَبْعَ إِلَهُكُمْ إِلَهُكُمْ﴾ [الزُّمَرُ: ٧٧].

فعليك أن تكره أصحاب البدع، وأن تكفهر في وجوههم، ولكن هذا يخضع إلى التفصيل الذي تقدم بيانه من مراعاة المصالح والمفاسد.



## ٧٠- وَالْوَقْفُ فِي الْقُرْآنِ حُبٌّ بَاطِلٌ وَخِدَاعٌ كُلُّ مُذْنَبٍ حَيْرَانٍ

❖ ما زال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ يتكلم عن القرآن، وأنه كلام الله عَزَّجَلَّ، وأنه يجب على المسلم أن يعتقد أنه كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وقد تكلم به حقيقة، وأوحى به إلى جبريل، وسمعه جبريل بحرف وصوت، وبلغه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلَّغَهُ لِلأُمَّةِ، وكل ذلك قد تقدم تفصيله.

أقول: وما زال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ يحذر من مخالفة هذا المعتقد، ويشير إلى بعض الفرق التي خالفت المنهج الحق في ذلك، وفي هذا البيت يتحدث عن الواقفة الذين هم رأس في التعطيل، بل هم شر المعطلة كما قال الإمام أحمد. فهم الذين يرون التوقف في الأسماء والصفات، فيقولون: نحن نسكت، ولا نقول لها معنى، ولا ليس لها معنى، لا نقول ظاهرها مراد ولا غير مراد، بل نتوقف في ذلك كله، وهذا هو التعطيل بعينه؛ وكأن القرآن عندهم لا يعدو أن يكون ألغازاً وأحاجي لم تُتَّعَبْ بفهمه، - ولو سلمنا جدلاً لهذا المذهب الفاسد - فما معنى قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [مُحَمَّدٌ: ٢٤]، وقوله سُبحَانَهُ: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النَّازِعَاتِ: ٨٢]، وقوله تَعَالَى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]. فما المقصود بذلك إن لم تكن متعبدين بتلاوته وفهم معانيه؟ يقول التابعي الجليل أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «حدثنا الذين كانوا يقرءوننا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل. قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً»<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: «البدع» لابن وضاح، ص: [٩٣].

فالوقوف في القرآن بحيث لا يُعتقد أنه كلام الله الذي تكلم به حقيقة، أو لا يؤمن المرء بمعاني أسماء الله وصفاته على الوجه الذي يرضيه سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، هذا الوقف هو عين التعطيل؛ ولذلك وصفه بالخبث، ووصفه بأنه باطل، ووصفه بأنه من الخيرة والشك - نعوذ بالله من الشك والخيرة -، وهكذا شأن أهل الكلام مصيرهم دائماً إلى الشك والخيرة؛ لأنهم انشغلوا بعلم الكلام عن هدي القرآن والسنة.

نَهَايَةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عِقَالُ وَأَكْثَرُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالُ  
وَأُرَوَّاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا وَأَكْثَرُ دُنْيَانَا أَذَى وَوَيْالُ  
وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طَوَّلَ عُمُرِنَا سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا<sup>(١)</sup>

هكذا يقول الرازي لما حضرته الوفاة في وصف حاله التي كان عليها وحال الذين يشتغلون بعلم الكلام والمنطق، ويتركون كتاب الله وسنة رسوله وراءهم ظهرياً.

ويقول الآخر:

لِعَمْرِي لَقَدْ طُفِتَ الْمَعَاهِدُ كُلُّهَا وَصِيرَتْ طَرْفِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ  
فَلَمْ أَرِ إِلَّا وَاضِعًا كَفَ حَائِرٍ عَلَى ذَقْنٍ أَوْ قَارِعًا سَنَ نَادِمٍ<sup>(٢)</sup>

فانتهى بهم الأمر إلى الخيرة والشك، ومن ثم إلى التوقف الذي هو عين التعطيل؛ ومنهم من يقول: ها أنا أموت على عقيدة أُمِّي، ومنهم من يقول: ها أنا أموت على عقيدة عجائز نيسابور، ومن جَرَّبَ مثل تجربتي عرف مثل معرفتي.

(١) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (٨/ ٩٦)، «القول المفيد على كتاب التوحيد» لابن عثيمين (١/ ٧)

عن عبد الله محمد بن عمر الرازي.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٤/ ٧٣).

٧١- وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ إِلَهِنَا      وَاعْجَلْ وَلَا تَكُ فِي الْإِجَابَةِ وَأَنِي

✽ يبين الناظم في هذا البيت أنه يجب أن تعتقد ولا تتوقف - كما تتوقف المعطلة - أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن تصرح بذلك عاجلاً غير آجل أي: بدون توانٍ، أو تأخير أو تسويف.

والمقصود بالواني: الكسلان المسوف؛ فمتى ما سُئِلت عن القرآن فقل: هو كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى غير مخلوق، ولا تتردد في الإجابة، ولا تكن متشككاً أو متردداً؛ بل قلها بيقين وصدق وأمانة وإخلاص.



٧٢- أَهْلُ الشَّرِيعَةِ أَيْقَنُوا بِنُزُولِهِ وَالْقَائِلُونَ بِخَلْقِهِ شَكَلَانِ  
٧٣- وَتَجَنَّبِ اللَّفْظَيْنِ إِنَّ كِلَيْهِمَا وَمَقَالَ جَهْمٍ عِنْدَنَا سَيِّانٍ

❖ أهل الشريعة، أي: المؤمنون الخالص، الوقفون عند كتاب الله - عز وجل، وسنة رسوله ﷺ، الذين لا يتجاوزون القرآن والحديث فيما يجب لله، وما يجوز عليه، وما يمتنع عليه؛ بل يقفون عند حدود النصوص؛ فالعلم عندهم: قال الله قال رسوله مع فهم الصحابة والسلف الصالح لهذا القول؛ فهم موقنون غير متشككين بأي وجه من وجوه الشك بأنه كلام رب العالمين الذي منه بدأ وإليه يعود، وأنه غير مخلوق.

وبعد أن بين رحمه الله عقيدة السلف الصالح التي يجب أن يعتقدها كل مسلم ولا يحيد عنها قيد أنملة؛ وهو أن القرآن كلام الله غير مخلوق، الذي تكلم به حقيقة، أخذ يبين مواقف الناس في المسألة؛ فإنهم انقسموا إلى قسمين؛ بل إلى أقسام، لكن الناظم يريد أن يذكر أولئك الذين صرحوا بالقول بخلق القرآن، وهم الجهمية والمعتزلة والقسم الآخر هم الذين عبروا بألفاظ أخرى كقولهم: إنه عبارة أو حكاية عن كلام الله أو توقفوا وهم الماتريدية والأشعرية ومن نحنا نحوهم، وكلها تؤول إلى القول بخلق القرآن وتفضي إلى التعطيل.

وقوله:

٧٣- وَتَجَنَّبِ اللَّفْظَيْنِ إِنَّ كِلَيْهِمَا وَمَقَالَ جَهْمٍ عِنْدَنَا سَيِّانٍ

❖ مقصوده بذلك أنه يجب عليك أيها المسلم، المستقيم على الجادة، الوقاف عند الكتاب والسنة، أن تقف عند هذا الحد كما قال الإمام أحمد: «لا نصف الله إلا بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ، لا نتجاوز القرآن والحديث»<sup>(١)</sup>، وإن الكلام الذي قالت به بعض الفرق الضالة لا فرق بينه وبين كلام جهم بن صفوان، الذي صرح

(١) انظر: «أقاويل الثقات» لمربي الكرمي، ص: [٢٣٤].

بالقول بخلق القرآن، سواءً أولئك القائلين بأنه خلقه في الهواء فسُمع من الهواء، أو القائلين بأنه المعنى القائم بالنفس، أو القائلين بأنه تكلم به مرة واحدة ثم لم يعد بعد ذلك متكلمًا، أو القائلين بأنه عبارة أو حكاية عن كلام الله ونحو ذلك من الأقاويل الفاسدة؛ فكلها لا فرق بينها وبين عقيدة جهنم بن صفوان، الذي صرح بالقول بخلق القرآن. ولذلك وصف بعض أهل العلم كل من خرج عن منهج السلف في الأسماء والصفات بالتجهنم.



### كن سلفيا على الجادة

- ٧٤- يَا أَيُّهَا السُّنِّيُّ خُذْ بِوَصِيَّتِي وَأَخْصُصْ بِذَلِكَ جُمْلَةَ الْإِخْوَانِ  
٧٥- وَأَقْبِلْ وَصِيَّةَ مُشْفِقٍ مُتَوَدِّدٍ وَاسْمَعْ بِفَهْمٍ حَاضِرٍ يَقْظَانِ

❁ هنا ينادي ويدعو إخوانه أهل السنة والجماعة، - والمسلم له الشرف بأن يُقال له سُنِّيٌّ، وأن يُقال له سلفيٌّ، وأن يُقال له إنه من أتباع السلف، أو أنه من أهل السنة والجماعة، أو أنه من الجماعة، أو من أهل السنة أو أهل الحديث، أو نحو ذلك من الألقاب الشريفة التي ربما ضاقت بها بعض الأحزاب ذرعاً؛ فعليك أيها السلفي أن تثبت كالطود الأشم، ولا تعباً بنعيق الناعقين، وضجيج الضاجين، وصياح الصائحين؛ فأهل السنة والجماعة، وهم من وافق الحق ولو كنت وحدك كما قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ<sup>(١)</sup>، فالزم السنة وكن سلفيا على الجادة -.

يقول: يا أيها السُّنِّيُّ! الزم السنة، عليك بطريق السنة إذ أنه طريق الجنة، وانصح إخوانك المؤمنين باتباع ذلك الطريق، كل من لقيته أو عرفته أو استطعت الوصول إليه من إخوانك في الله الذين يسرون على هذا المنهج؛ ولذلك أمرنا وطلب منا أن نبين ذلك لكل الإخوان السائرين على هذا المنهج السلفي السني، المتمين له ولا يعنيك من يتبرم أو يتخوف من هذا اللقب، كما أنه لا ينظر إلى من قد يتلقب به وهو لا يمثله؛ فالعبرة بالحقائق لا بالدعاوى والبهرجة.

فالناظم رَحِمَهُ اللَّهُ الموجه النصوص الشفوق المتودد الذي يجب لإخوانه المسلمين من أهل السنة ما يجب لنفسه من الخير ويكره لهم ما يكره لنفسه من الشر يوجه المسلمين أهل السنة إلى الأخذ بهذا المعتقد، والعرض عليه بالنواجز؛ وهو أن القرآن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ

(١) «جامع الحديث» للسيوطي (٧٨/٨)، و«إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشرار الساعة» للشيخ حمود التويميري (١/٢٦٥).

وأن يتعد عن كل من يخالف هذا المعتقد من الطوائف المنحرفة بغض النظر عن مسمياتها أو ألقابها، أو دعاويها التي تدعيها.

وَكُلٌّ يَدْعِي وَضْلاً لِّلَّيْلِ وَلَيْلَى لَا تُقَرُّ لَهُمْ بِذَاكَ

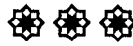
فالعبرة بصحة الدليل على صدق تلك الدعوى؛

وَالدَّعَاوَى إِن لَّمْ تَقِيمُوا عَلَيْهَا بَيِّنَاتٍ أَبْنَاؤُهَا أَذْعِيَاءُ

كما يوصي إخوانه أهل السنة بأن يفهموا منهج أهل السنة والحق فهم أهل اليقظة،

حاضرو الذهن قولاً وعملاً واعتقاداً؛ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَةٌ﴾

[الأنعام: ٩٠]



٧٦- كُنْ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا مُتَوَسِّطًا عَدْلًا بِلاَ نَقْصٍ وَلَا رُجْحَانٍ

❖ يوجه رَحْمَةُ اللَّهِ بِأنه يجب على المسلم أن يتوسط في الأمور كلها دونما زيادة أو نقصان، فخير الأمور أوسطها؛

عليك بأوسط الأمور فإنها نجاة ولا تتركب ذلولا ولا صعبا

وقد وصف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى هذه الأمة بالوسطية؛ فقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ قال أهل العلم: ﴿وَسَطًا﴾ أي: عدلاً خياراً، وهذا هو شأن التوسط، فهم وسط بين الأمم: بين تفريط اليهود وإفراط النصارى؛ ولذلك أمرنا الله تَعَالَى أن نسلك هذا السبيل الوسط؛ بقوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ① صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿[الفاتحة: ٦ - ٧]؛ أي: الطريق المستقيم، الذي لا إفراط فيه ولا تفريط غير طريق المغضوب عليهم، وهم اليهود، ولا طريق الضالين، وهم النصارى؛ لأن اليهود ضلوا على علم فصاروا مغضوباً عليهم، والنصارى ضلوا على جهل؛ فصاروا ضالين حيث أضلهم شاوول اليهودي المسمى بولس الذي حرّف لهم دين المسيح، واخترع لهم هذه الأناجيل المحرفة التي تقوم على التثليث؛ الأب والابن وروح القدس - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً -؛ فاتبعوه بعد نحو ثلاثة عقود من رفع المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقال الله تَعَالَى أمراً بالوسطية والاستقامة على الدين الحق، والبعد عن الطرق المنحرفة الضالة؛ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأحزاب: ١٥٣].

وفسر النبي ﷺ ذلك؛ فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «خط لنا رسول الله ﷺ خطاً فقال: «هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن



شماله» ثم قال: «وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»، ثم تلا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ إلى آخر الآية<sup>(١)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ - أمراً إيانا بالوسطية -: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَيَسِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا»<sup>(٢)</sup> وقال: «إِنَّ الدِّينَ يَسْرُوتُنْ يَشَادُ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدَدُوا وَقَارِبُوا - أي: اسلكوا الطريق الوسط - وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»<sup>(٣)</sup>.

وكما أن أمة الإسلام وسط بين الأمم فإن أهل السنة وسط بين الفرق الضالة المنحرفة التي ظهرت بين المسلمين، ففي باب أسماء الله وصفاته، وسط بين الجهمية المعطلة وبين الكرامية المُشَبَّهة، وفي باب الوعد والوعيد وسط بين الخوارج الغلاة والمعتزلة، وبين المرجئة المفرطة المستحجلة أو المتساهلة في المحرمات، وفي باب الصحابة والخلفاء وسطاً أيضاً بين الخوارج وبين الرافضة، وهكذا فإن الأمة وسط بين الأمم وإن أهل السنة وسط بين سائر الفرق التي ظهرت في الإسلام؛ ولذلك بيّن الناظم أن عليك أيها السني أن تسلك الطريق الوسط الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، وأن تباعد عن كل ما يخالفه بغلو أو تقصير بزيادة أو نقصان وهذا معنى قوله: «بلا نقص ولا رُجْحَانٍ»؛

**خير الأمور الوسط الوسيط وشرها الإفراط والتفريط**

(١) أخرجه أحمد [٤١٤٢]، والدارمي [٢٠٨]، والحاكم [٣٢٤١] وقال: هذا حديث صحيح الإسناد

ولم يخرجاه. وصححه الألباني في «المشكاة» [١٦٦].

(٢) أخرجه البخاري [٦٩] ومسلم [١٧٣٤] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري [٦٩] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

## الأمْر بالبَدْء بالتَوْحِيد الذي هو حق الله على العبيد

- ٧٧- وَاعْلَمَ بِأَنَّ اللَّهَ رَبٌّ وَاحِدٌ      مُتَنَزَّهٌ عَنْ ثَالِثٍ أَوْ ثَانٍ  
٧٨- الْأَوَّلُ الْمُبْدِي بِغَيْرِ بَدَايَةٍ      وَالْآخِرُ الْمُفْنِي وَلَيْسَ بِضَانٍ

❖ يُوجِّهُ رَحْمَةُ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَعْلَمُوا عِلْمَ يَقِينٍ وَيَعْتَقِدُوا اعْتِقَادًا لَا يَعْتَرِيهِ شَكٌّ وَلَا رَيْبٌ وَلَا مَرِيةٌ، بِأَنَّ اللَّهَ رَبٌّ وَاحِدٌ: وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ، وَاحِدٌ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَاحِدٌ فِي أَعْمَالِهِ، وَاحِدٌ فِي أَلُوْهِتِهِ وَعِبَادَتِهِ؛ وَلِذَلِكَ فَإِنْ هَذَا التَّنْبِيْهُ يَشْمَلُ أَنْوَاعَ التَّوْحِيدِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي ثَبَّتَتْ بِاسْتِقْرَاءِ النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ.

لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا شَرِيكَ لَهُ: لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رَبُوبِيَّتِهِ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي أَعْمَالِهِ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي ذَاتِهِ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ وَأَلُوْهِتِهِ؛ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّهَا تَشْمَلُ مَعَانِيَ التَّوْحِيدِ الثَّلَاثَةِ، أَيْ: أَنْ نُؤْمِنَ بِأَنَّهُ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيْكُهُ، وَأَنْ نَثْبِتَ لَهُ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتَ الْعُلَى، الَّتِي أَثْبَتَهَا لِنَفْسِهِ أَوْ أَثْبَتَهَا لَهُ رَسُولُهُ ﷺ، وَأَنْ نَفْرُدَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْعِبَادَةِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ: «مُتَنَزَّهٌ عَنْ ثَالِثٍ أَوْ ثَانٍ».

فَقَوْلُهُ: «مُتَنَزَّهٌ عَنْ ثَالِثٍ»: رَدًّا عَلَى النَّصَارَى الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ ثَالِثٌ ثَلَاثَةٌ، أَوْ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَرْكَبٌ مِنَ الْأَقَانِيمِ الثَّلَاثَةِ: الْأَبُ، وَالْإِبْنُ، وَرُوحُ الْقُدُسِ، كَمَا أَنَّ فِيهِ رَدًّا عَلَى الْيَهُودِ الَّذِينَ قَالُوا عَزِيزٌ ابْنُ اللَّهِ، وَالنَّصَارَى الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، وَالثَّانَوِيَّةَ مِنَ الْمَجُوسِ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ لِلْخَلْقِ خَالِقِينَ: النُّورُ خَالِقُ الْخَيْرِ، وَالظُّلْمَةُ تَخْلُقُ الشَّرَّ، وَكَذَا مِنْ شَابَهَهُمْ أَوْ نَهَجَ نَهَجَهُمْ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ الْقَائِلِينَ: إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ الْعَبْدِ وَالْعَبْدُ خَالِقُ فَعْلِهِ بِغَيْرِ تَقْدِيرٍ مِنَ اللَّهِ كَمَا تَقْدُمُ - تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُشْرِكُونَ وَالظَّالِمُونَ وَالْمُلْحَدُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا -.

ولذلك فإن الله تبارك وتعالى قد عاب من جعل له ثانياً أو ثالثاً، فهو سبحانه منزّه عن ذلك كله؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال عز وجل: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]؛ فالواجب على العبد إفراده تبارك وتعالى بكل ما تحمله كلمة التوحيد والإفراد من معنى، في الربوبية، والألوهية والأسماء والصفات؛ قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٢].

وقد ثبت في القرآن اسم الأول والآخر في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

فهو الأول الذي ليس لأوليته بداية، والآخر الذي ليس لآخريته نهاية، وصح عن رسول الله ﷺ تفسير ذلك في حديث طويل مما يقال عند النوم: «أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء»<sup>(١)</sup>، فالرسول ﷺ قد فسّر المقصود بالأولية والآخرية في هذا الحديث؛ فهو سبحانه الأول الذي خلق الخلق وليست له بداية، يخرع على غير مثال سابق، يخلق من العدم إلى الوجود، يخلق بكلمة: «كُنْ فيكون» ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وهو الذي يُفني الناس؛ أي: يميتهم بعد أن أحياهم: ﴿قُلْ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْعَلُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَارِبَ فِيهِ﴾ [الحج: ٢٦]؛ ولذلك قال: «المُفْنِي وَلَيْسَ بِفَانٍ»: ﴿كُلٌّ مِنْ عَلَيْهَا فَإِنْ ۝ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾

[التحريم: ٢٦ - ٢٧]

(١) أخرجه أحمد [٨٩٦٠]، ومسلم [٢٧١٣] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ: «لا يفنى ولا يبيد ولا يكون إلا ما يريد»<sup>(١)</sup>، وهكذا عبارات السلف تجدها متقاربة ويوضح بعضها بعضاً، فكلام السلف مؤتلف وعليه نور؛ لأنه يستند إلى نصوص الكتاب والسنة، وكلام أهل الكلام من الخلف مختلف وعليه ظلمة؛ لأنه يستند إلى أوضاع الفلسفة وأدران المنطق، التي تعلقوا بها وتركوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ورأىهم ظهرياً، وهو سبب فُرْقَتِهِمْ، وَبُعْدِهِمْ عن الله، يبحثون عن سبب الخلاص، وهو بين أيديهم لو وفقوا للأخذ به.

ومن العجائب والعجائب جملة      قرب الحبيب وما إليه وصول  
كالعيس في البداء يقتلها الظما      والماء فوق ظهورها محمول



(١) «العقيدة الطحاوية»، ص: [١٧].

إيضاح أن وصف الله بالكلام صفة مدح وكمال

لا نقص فيه بوجه من الوجوه

٧٩- وَكَلَامُهُ صِفَةٌ لَهُ وَجَلَالَةٌ مِنْهُ بِلاَ أَمَدٍ وَلَا حِدْثَانٍ

❖ أي: إن الكلام صفة لله جَلَّ وَعَلَا يتكلم متى شاء إذا شاء كيف شاء.

وللناس في الكلام أكثر من مائة قول أشهرها أربعة:

القول الأول: قول السلف؛ وهو أن الله عَزَّجَلَّ يتكلم متى شاء بما شاء إذا شاء كيف شاء، بصوت وحرف مسموع على ما تقدم تفصيله؛ قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وَقَالَ الْعَالِي: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وَقَالَ الْعَالِي: ﴿لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ [الكهف: ٢٧]، وقال تَعَالَى أيضًا: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قُلُوبَ أَنْ نَفَذَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، ويقول الرسول ﷺ: من حديث خولة بنت حكيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «من قال حينما ينزل منزلاً: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك»<sup>(١)</sup>، وثبت أن الله كَلَّمَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكَلَّمَ نَبِيَنَا مُحَمَّدًا ﷺ، وكَلَّمَ موسى تَكْلِيمًا، وكَلَّمَ من شاء من أنبيائه ورسله، وتكَلَّمَ بالقرآن، وتكَلَّمَ بالتوراة، وتكَلَّمَ بالإنجيل، وتكَلَّمَ بالزبور؛ فهو يتكلم بما شاء متى شاء إذا شاء كيف شاء، وهذا هو مذهب السلف أهل السنة والجماعة.

القول الثاني: مذهب المعتزلة؛ وهو أن كلام الله مخلوق، وأن الله يخلق الكلام ثم يُسَمِّعُ على خلاف بينهم: هل يُسَمِّعُ من الهواء أو يُسَمِّعُ من أي مكان؟ فقالوا - على سبيل المثال -: لما كلم الله موسى خلق الله الكلام في الشجرة، وبعد أن خلق الكلام في الشجرة سمعه موسى من الشجرة.

(١) أخرجه مسلم [٢٧٠٨].

القول الثالث: قول الأشاعرة والماتريدية؛ وهم متفقون على أن الكلام هو المعنى القائم بالنفس، لكن اختلفوا في العبارة، فمن قائل: إن القرآن عبارة عن كلام الله عزَّجَلَّ وقائل: إنه حكاية عن كلام الله، وليس هو كلام الله الحقيقي، وهذا يفضي إلى موافقة المعتزلة بأن القرآن مخلوق لأن العبارة والحكاية مخلوقتان، وهو تحريف للكلم عن مواضعه.

القول الرابع: قول الكَرَامِيَّة؛ وهي التي زعمت أن الله تكلم بكل ما أراد بجميع الكلام جملة واحدة ثم لم يعد متكلمًا بعد ذلك. فهذه أشهر الأقوال في مسألة كلام الله الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

هذي مقالات لهم فانظر ترى  
لكن أهل الحق قالوا إنما  
ألقاه مسموعاً له من ربه  
وقال أيضاً:

من قال إن كلامه سبحانه  
أو قال إن كلامه سبحانه  
هذا الذي قد خالف المعقول والد  
أما الذي قد قال إن كلامه  
وكلامه بمشيئة وإرادة  
فهو الذي قد قال قولاً يعلم الـ

وصف قديم أحرف ومعان  
معنى قديم قام بالرحمن  
منقول والفظرات للإنسان  
ذو أحرف قد رتبت ببيان  
كالفعل منه كلاهما سيان  
عقلاء صحته بلا نكران

وقوله: «وَجَلَالَةٌ» إشارة أن المتكلم أجَلُّ وأعظم وأكمل من غير المتكلم، وهو بهذا ينبه إلى أن الاتصاف بالكلام مدح وعدمه ذم. ولذلك قال: «صِفَةٌ لَهُ وَجَلَالَةٌ» أي: إن صفة الكلام صفة كمال وجلال لله جَلَّ وَعَلَا، والوصف بعدم الكلام صفة نقص.

والله جَلُّ جلاله متكلم      بالنقل والمعقول والبرهان  
قد أجمعت رسل الإله عليه لم      ينكره من أتباعهم رُجُلان  
فكلامه حقا يقوم به وإلا      لم يكن متكلمًا بقرآن  
والله موصوف بذاك حقيقة      هذا الحديث ومحكم القرآن

❖ أما قول الناظم: «مِنْهُ بِلَا أَمَدٍ وَلَا حَدَثَانٍ»؛ فهذا يحتاج لشيء من التوضيح، ويقصد رَحْمَةُ اللَّهِ بهذا أن الكلام غير مخلوق وإلا فكلام الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد يكون نوعه في أمد معين ووقت معين، يفعله متى شاء إذا شاء؛ فالناظم يعني أن الله قادر على الكلام أبداً وأزلاً.

وقوله: «وَلَا حَدَثَانٍ» يعني: أنه غير حادث حدوث المخلوق؛ أي: غير مخلوق. يوضح هذا ما قرره السلف من أن كلام الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى صفة ذاتية باعتبار فعلية باعتبار، والفرق بين الصفة الذاتية والفعلية أن الصفة الذاتية هي الملازمة للموصوف أبداً وأزلاً، والصفة الفعلية هي التي نوعها يصدر منه في وقت معين إذا أراد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وجنسها صفة دائمة يوصف بها دائماً.

فصفة الكلام صفة ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار آخر؛ صفة ذاتية باعتبار وصف الله بالتكلم أبداً وأزلاً، بلا ابتداء وبلا انتهاء، وصفة فعلية باعتبار ما يتكلم به سُبْحَانَهُ في أوقات معينة؛ لأنه يتكلم متى شاء إذا شاء كيف شاء؛ فقد كلم آدم في وقت معين، وكلم

موسى في وقت معين، وكلم نبينا محمداً ﷺ في وقت معين، ويكلم المؤمنين يوم القيامة في وقت معين وتكلم بالقرآن في وقت معين وكذلك بالتوراة والإنجيل؛ كل ذلك متعلق بمشيئته وإرادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَالكلام بهذا الاعتبار صفة فعلية.

ولهذا يقول السلف: «الكلام قديم النوع حادث الآحاد»<sup>(١)</sup>، يقولون ذلك تنزلاً مع الخصم، فهو قديم النوع؛ أي: بالصفة الذاتية بلا ابتداء وبلا انتهاء، حادث الآحاد؛ أي: لا ينتهي اتصافه بالكلام إذا شاء، ويعني ذلك أن أفراد الكلام تقع كما شاء في أوقات معينة؛ فهو بهذا الاعتبار حادث؛ وهذا هو المراد بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] مُّحَدَّثٌ؛ أي: مُنْزَلٌ في وقت معين، أنزله الله وتكلم به في وقت معين؛ وليس المراد بمحدث أي المخلوق.

فيجب أن نتنبه لمثل هذا البيت؛ لأنه قد يكون فيه ملتبس لبعض الناس. فإذا وجدت عبارة لأحد السلف توهم غير الحق حملت على ما قرره من الحق في العبارات الواضحة عملاً بالقاعدة الأصولية: المجمل يحمل على المبين؛ ويشبه هذا ما قرره السلف في باب العقيدة والتفسير من رد المتشابه إلى المحكم.



(١) انظر: «شرح الطحاوية» (١/ ١٧٤).



القدر: منزلته ومراتبه وكمال حكمته الله فيه

ووجوب الإيمان بذلك

- ٨٠- رُكْنُ الدِّينَانَةِ أَنْ تُصَدَّقَ بِالْقَضَا  
٨١- اللَّهُ قَدْ عَلِمَ السَّعَادَةَ وَالشَّقَا  
٨٢- لَا يَمْلِكُ الْعَبْدُ الضَّعِيفُ لِنَفْسِهِ  
٨٣- سُبْحَانَ مَنْ يُجْرِي الْأُمُورَ بِحِكْمَةٍ  
٨٤- نَفَذَتْ مَشِئَتُهُ بِسَابِقِ عِلْمِهِ  
٨٥- وَالْكُلُّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ مُسْطَرٌّ  
٨٦- فَاقْصِدْ هُدَيْتَ وَلَا تَكُنْ مُتَغَالِيًا
- لَا خَيْرَ فِي بَيْتٍ بِلَا أَرْكَانٍ  
وَهُمَا وَمَنْزِلَتَاهُمَا ضِدَّانِ  
رَشْدًا وَلَا يَقْدِرُ عَلَى خِذْلَانِ  
فِي الْخَلْقِ بِالْأَرْزَاقِ وَالْحِرْمَانِ  
فِي خَلْقِهِ عَدْلًا بِلَا عُذْوَانِ  
مِنْ غَيْرِ إِغْضَالٍ وَلَا نُقْصَانِ  
إِنَّ الْقُدُورَ تَضُورُ بِالْغَلِيَانِ

❖ بدأ الناظم رَحِمَهُ اللهُ يتكلم عن ركن عظيم من أركان الإيمان الستة التي لا يصح الإيمان إلا بها، ألا وهو الإيمان بالقضاء والقدر؛ والقدر: هو ما قَدَّرَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وكتبه على البشر قبل خلق السموات والأرض؛ والقضاء تنفيذ ذلك القدر، فلو آمن المرء بأركان الإيمان الخمسة التي هي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ولم يؤمن بالقضاء والقدر فلا إيمان له؛ لأنه ركن، والركن في الاصطلاح هو جانب الشيء الأقوى، أو هو: ما يلزم من وجوده الوجود، ومن عدمه العدم وإذا سقط الركن سقط البناء.

والبیت لا یُتِنُّ إِلَّا لَهُ عِمْدٌ وَلَا عِمَادٌ إِذَا لَمْ تُرْسَ أَوْتَادُ<sup>(١)</sup>

كما يقول الأفوه الأودي الشاعر المعروف، وقبل هذا وذاك يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَتَاهَا بِيَهُ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ١٠٩]، فلا بد من تحقيق هذه الأركان الستة؛ ولذلك جاء

(١) انظر: «شرح الطحاوية» (١/ ١٧٤).

في «صحيح مسلم» من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة مجيء جبريل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسؤاله له عن الإيمان والإسلام والإحسان، وفيه: «قَالَ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؛ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَقْدِرَ كُلَّهُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ»<sup>(١)</sup>.

والإيمان بالقضاء والقدر يتضمن الإيمان بأربعة أمور؛ وهي التي يسميها العلماء مراتب القدر:

المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله الشامل للأبدى الأزلي؛ فإنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، علم الأشياء قبل كونها؛ وهذه المرتبة قلَّ من يخالف فيها إلا الدهريَّة القدامى، ومن شايعهم من الماديين المعاصرين؛ والمزدكيين واللينيين الاستاليين الماركسيين؛ الذين يقولون لا إله والحياة مادة، وسبقهم إخوانهم الدهريون الذين يقولون: نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر، وهؤلاء قلة، فعلم الله الأبدى الأزلي أمرٌ مركوز في الفطر.

والثانية: الكتابة؛ فقد كتب الله مقادير جميع الأشياء قبل خلق السموات والأرض؛ كما قال الله تَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الجن: ٢٢].

وقال عز وجل: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ عِنْدَهُ أُمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

ويقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء»<sup>(٢)</sup> وقال في حديث آخر: «إِنَّ أَوَّلَ

(١) أخرجه مسلم [٨].

(٢) أخرجه البخاري [٢٦٥٣] من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ؛ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ؛ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؛ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»<sup>(١)</sup>.

المرتبة الثالثة: المشيئة من الله لإيجاد الشيء واعتقاد العبد بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يخرج عن مشيئته شيء؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]؛ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ﴾ [الروح: ١٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]؛ فالمشيئة العامة النافذة؛ هي أنه لا يخرج شيء عن مشيئة الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، وقال: ﴿مَنْ يَشَاءِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَاءِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩]؛ فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يفعل ما يشاء ويختار، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه.

والمرتبة الرابعة: الخلق وفق تلك المشيئة وذلك القدر، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدِيرًا﴾ [الفقان: ٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرحمن: ١٦]، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾<sup>(٢)</sup> وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ [الحجر: ٤٩ - ٥٠].

فالخلق يجري وفق تلك المشيئة، ووفق ذلك القدر، ووفق تلك الكتابة، ووفق ذلك العلم، وكما نبّه الناظم أن الإتيان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإتيان، لا يصح الإتيان إلا به؛ ولذلك سمى النبي ﷺ منكري القدر مجوس هذه الأمة؛ فقال: «التقديرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه أحمد [٢٢٧٠٥] وأبو داود [٤٧٠٠]، والترمذي [٢١٥٥] من حديث عباد بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه. وصححه الشيخ الألباني. انظر: «صحيح الجامع» [٢٠١٧].

(٢) أخرجه أبو داود [٤٦٩١] والحاكم [٢٨٦] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الحاكم: «هذا حديث =

وقد تقدم ذكر وجه مشابهة القدرية للمجوس، ومما جاء في التغليظ على منكري القدر ما ثبت عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لما أخبر عن ظهور معبد الجهني وغيلان الدمشقي وغيرهما من القدرية؛ قال: إذا لقيتهم فأخبرهم أن ابن عمر بريء منهم؛ ثم ذكر حديث جبريل الطويل في الإييان بالقدر، ثم أخبر ابن عمر أنهم لو أنفقوا مثل أحد ذهباً ما تُقْبَلُ منهم؛ حتى يؤمنوا بالقدر<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن غيلان أو معبد: «لئن ظفرت به لأدقن أنفه».

وصح عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال:

وما شئت إن لم تشأ لم يكن	ما شئت كان وإن لم أشأ
ففي العلم يجري الفتى والمسن	خلقت العباد على ما علمت
وهذا أعنت وذا لم تعن	على ذا مننت وهذا خذلت
ومنهم قبيح ومنهم حسن	فمنهم شقي ومنهم سعيد
وكل بأعماله مرتهن	ومنهم فقير ومنهم غني

ونص الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ على أن الله تَعَالَى قد جعل السعادة لأهل الإييان ومنزلتهم الجنة، والشقاوة لأهل الكفر ومنزلتهم النار، يشير الناظم هنا إلى العلم؛ علم الله الكامل؛ وهي المرتبة الأولى من مراتب القدر التي أشرنا إليها؛ فالله عالم بأن هذا شقي وهذا سعيد قبل أن يخلق السموات والأرض، وقدّر للنار أهلاً وللجنة أهلاً، وعلم ما هم عاملون؛ فيجب الإييان بذلك والتسليم له والإذعان له، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩].

<sup>=</sup> صحيح على شرط الشيخين إن صح سماع أبي حازم من ابن عمر. ووافقه الذهبي.

(١) أخرجه مسلم [١] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

«وَهُمَا وَمَنْزِلَتَاهُمَا ضِدَّانِ» «هُمَا» أي: الشقاوة والسعادة، «مَنْزِلَتَاهُمَا»؛ أي: الجنة والنار؛ فالسعادة ضد الشقاء، والجنة ضد النار؛ ولذلك أخبر أنها «ضِدَّانِ» والضدان لا يجتمعان.

فإذن لابد من الإيمان بذلك، وأن الله كتب الشقاوة والسعادة على جميع البشر، وعَلِمَ ما هم عاملون إلى يوم القيامة؛ كما جاء ذلك في النصوص الصحيحة الصريحة، وإذا بلغ أربعة أشهر، أُرْسِلَ إليه ملك فكتب أربعة أشياء: رزقه، وأجله، وشقي أو سعيد<sup>(١)</sup> يكتب هذه الكلمات الأربع ذلك الملك؛ وهي مكتوبة في الأزل في القدر العام، ولكن هذه كتابة مأخوذة من الكتابة السابقة، فما من نفس منقوسة إلا قد علم الله أجلها وسعادتها أو شقاوتها ورزقها.

ولو قال قائل من المتحذلقة: مادام ذلك قد كتب وعلم فما فائدة العمل؟ ولماذا نعمل؟ إبليس قد يأتي للإنسان ويقول له ذلك الكلام؛ ويمكن أن يحتج به - مع أنه ليس له حجة على الله - لو أنه يعلم ما قُدِّرَ له، أما وأن القدر سر الله في خلقه؛ فإن الواجب على العبد العمل، وكلُّ مُيسر لما خلق له، وقد أعطاه الله عقلاً واختياراً يميّز به بين الأشياء، ويعرف به الخير من الشر، والخبيث من الطيب، وأعطاه قدرة على العمل، ويَبِّنُ له الطريق المستقيم من الطريق المعوج، فإذا عصى عصى باختياره على بصيرة، وإذا أطاع أطاع باختياره على بصيرة، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٦]؛ ولذلك فإن

(١) أخرجه البخاري في كتاب «بدء الخلق»، [٣٣٣٢]، ومسلم [٢٦٤٣]، من حديث عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ: «إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة من ذلك ثم يبعث الله إليه ملكاً ويؤمر بأربع كلمات، يقال له اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد...» الحديث.

القدر سر الله في خلقه. فعلى المسلم أن يكون قويَّ الإيمان بالقدر، وكثرة الخوض فيه تؤدي إلى المزالق التي لا تحمد عقباها؛ يقول وهب بن منبه: «نظرت في القدر فتحيرت، ثم نظرت فيه فتحيرت، ثم نظرت فتحيرت، ثم نظرت فوجدت أكثر الناس إيماناً به أقلهم خوفاً فيه، وأكثرهم شكاً فيه أكثرهم خوفاً فيه»<sup>(١)</sup>. ومهما فكرت سيعود البصر خاسئاً وهو حسير؛ لكن المؤمن الذي انشرح صدره بالإيمان إذا وسوس له الشيطان؛ قال: آمنتُ بالله؛ ثم ألق، والشيطان قد يوسوس للإنسان حتى يقول له من خلق الله؟ كما جاء ذلك في الصحيح عن النبي ﷺ قال: «إن أحدكم يأتيه الشيطان فيقول: من خلقك؟ فيقول الله، فيقول من خلق الله؟ فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله، فإن ذلك يذهب عنه»<sup>(٢)</sup>، ولذلك لما قال الصحابة على فضلهم إنا نجد في أنفسنا ما لا نستطيع أن نتكلم به؛ فقال النبي ﷺ: «ذَلِكَ مَحْضُ الْإِيمَانِ»<sup>(٣)</sup>، والمقصود محض الإيمان خالص الإيمان وصريحه وهو كونك تستعظم أن تتكلم به وترتعد فرائصك إذا حدثتك نفسك ووسوست لك بسوء؛ فتقول: آمنتُ بالله، وتعود إلى الله عَزَّوَجَلَّ وتتوكل عليه، وتكلُّ أمورك إليه، وتقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك؛ فإن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

وقول الناظم:

٨٤- نَضَدَتْ مَشِيئَتُهُ بِسَابِقِ عِلْمِهِ فِي خَلْقِهِ عَدْلًا بِلاَ عُدْوَانٍ

(١) انظر: «شرح الفقه الأكبر» للقراري، ص: [٦٩]، و«شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي (١٤٧/١).

(٢) أخرجه أحمد [٢٦٢٤٦]، وقال المنذري إسناده جيد، وأبو يعلى [٤٧٠٤]، وقال الهيثمي رجاله ثقات.

(٣) أخرجه مسلم [١٣٣] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❖ هذا متعلق بالمسألة السابقة؛ وهي الإيمان بالقضاء والقدر؛ وهو أننا جميعاً ملكٌ لله عَزَّوَجَلَّ، والله عَزَّوَجَلَّ يفعل في ملكه ما يشاء لا رادَّ لقضائه، ولا معقَّبَ لحكمه؛ فالمنصور من نصره الله، والمخذول من خذله الله، والقويُّ من قوّاه الله، والضعيف من أضعفه الله، وهذا لا يتعارض مع كون المسلم يجتهد في فعل الأسباب التي تقويه وتبعده عن الضعف و«المؤمن القوي خير وأحب إلي الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير»<sup>(١)</sup>.

وقال رسول ﷺ: «والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله أعطاه أو منعه»<sup>(٢)</sup>.

والمقصود أننا جميعاً ملك لله والله عَزَّوَجَلَّ يتصرف في ملكه كيف يشاء، قَالَ تَجَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ سَيِّدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٢٦]، ويوم القيامة ينادي الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى عباده الأولين والآخرين قائلاً؛ فيقول لمن الملك اليوم؟ فيقول سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لِلَّهِ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ﴾، ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُوقٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ﴾ [بَقَاةُ: ١٦]، فإذا آمنت بذلك ووعيته، فلا تحزن إذا فاتك شيء من لعاعة الدنيا وأمورها، ولا تفرح إذا أعطاك شيئاً منها، وأعلم أن الذي أغناك اليوم قادرٌ على أن يفقرك غداً، والذي أفقرك اليوم قادر أن يغنيك غداً، وربما كان صلاحك في الفقر، من الناس من يكون صلاحه في الفقر وآخر يكون صلاحه في الغنى، قَالَ تَجَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [الْقَصَصُ: ٧٦]، وَقَالَ تَجَالَى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الْحَزْنُ: ٢٣].

(١) أخرجه مسلم [٢٦٦٤] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم [١٤٧٠] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالمسلم عليه أن يرضى بقضاء الله وقدره ولا يعترض على حكم الله الذي قدّر عليه بفقد محبوب أو فوات مرغوب أو حصول مكروب بل عليه أن يرضى ويسلم بقضاء الله وقدره ويصبر إن الله مع الصابرين، قال الله عزَّ وجلَّ

وَقَالَ تَجَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٦].

وقول الناظم: «سبحان من يجري الأمور بحكمة في الخلق بالأرزاق والحرمان»؛ يُواصل رَحْمَةُ اللَّهِ الكلام عن مسألة الأقدار والحكمة الإلهية المتعلقة بذلك، فهو ما زال ولا يزال يُجري الأمور على 'مقتضى' حكمته النافذة؛ فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى مقدر الآجال ومقدر الأرزاق، ومقدر الشقاوة والسعادة وفق ما علمه في الأزل، وفق ما قدّرها قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وعلمها قبل ذلك بلا ابتداء.

فهو يُجري الرزق والخلق والأجل والعطاء والمنع، والحرمان، كل ذلك يجري عنده لحكمة بالغة ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨]، قال جلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَوْ سَـَّطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لعبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [التوراة: ٢٧ - ٢٨].

فهو سُبْحَانَهُ: لا يُسأل عما يفعل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ما فعل شيئاً إلا لحكمة، وليس من اللازم حتى 'نعبد الله أن نعرف الحكمة في الأمر المعين، ويكفي أن نعلم أننا خلقنا لعبادته مع إيماننا أن كل شيء خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أو شرعه لحكمة بالغة، فلا يسعنا حينئذ إلا الامتثال والتسليم؛ قَالَ تَجَالَى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ



يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾ [التَّوْبَةُ: ٥١ - ٥٢].

وبناءً على ذلك فإن من رزقه الله غنى وسعة رزق، فليحمد الله على ذلك وليشكره بأداء حقوق تلك النعم من الإنفاق في وجوه الخير، وأداء الزكاة ونحو ذلك، وأن يصبر إذا ابتلي بضيق سواء كان ذلك بقلّة ذات اليد أو شظف العيش أو ضيق في الرزق أو مصائب يبتلي بها العبد ويختبر، فليرض بقضاء الله وقدره، وليعلم أنه لن يموت؛ حتى يستكمل رزقه وأجله في هذه الحياة، ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الْإِنْفَاق: ٣٤]، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هُود: ٦]، وقال ﷺ: «لا تستبطئوا الرزق، فإنه لم يكن عبد ليموت حتى يبلغ آخر رزق هو له، فأجملوا في الطلب: أخذ الحلال وترك الحرام»<sup>(١)</sup>.

فإذا أيقن المسلم بذلك، رضي وسلم للقضاء وانقاد، ورضي بما قسم الله له؛ بل يُسلم ويرضى ولا يكن ممن قال الله فيهم: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ [الشُّعَرَاءُ: ١٥] وأما إذا ما ابْنَلَهُ فَقَدَرَهُ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿[الْقَبَر: ١٥ - ١٦].

فإذا علمت أن الرزق بيد الله، والله خير الرازقين، لا رازق لمن منع ولا مانع لمن رزق، إذا أيقنت بذلك سلّمت من آفات كثيرة؛ ومنها: القلق وضيق النفس الذي ينتاب من لم يتحلوا بالصبر عند البلاء والشكر عند النعماء، فإن عنوان السعادة التي يجب أن

(١) أخرجه ابن حبان [٣٢٣٩]، والحاكم [٢١٣٤]، والبيهقي [١٠١٨٤]، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٥٦) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين». ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في «الصحيحة» [٢٦٠٧].

يتحلى بها المؤمن أنه إذا أُعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، هذا هو شأن المؤمن الحق المحسن الذي بلغ درجة الإحسان، جعلني الله وإياكم منهم.

قوله: «نَضَدْتُ مَشِيئَتُهُ بِسَابِقِ عِلْمِهِ»؛ بمعنى: أن الدرجة الثالثة من مراتب القدر؛ وهي: المشيئة بحدوث ما قدره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الأزل وعلمه قبل أن يُقَدَّرَ وقبل أن يكتبه، هو قدره في سابق علمه كما ذكر الشيخ وكما دل على ذلك القرآن والسنة ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ﴾ [القصص: ٤٩]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

فكل شيء يجري بقضاء الله وقدره، فإذا آمنت بالعلم ثم آمنت بالقدر، لزمك أن تؤمن بالدرجة الثالثة؛ وهي مشيئته للأشياء التي تجري وفق ذلك القدر السابق في علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإنه بكل شيء عليم، علم أزلّي أبدي لا يعتريه نقص بحال من الأحوال.

ولذلك فإن كل ما يجري إنما يجري بما كان في علم الله، وما قدره الله في الأزل، وما كتبه في اللوح المحفوظ من المصائب والفقر والغنى والحياة والموت وفقد محبوب وحصول مرغوب، كل ذلك يجري بقضاء الله وقدره، فما يجري من الأقدار وفق مشيئته سُبْحَانَهُ إِنَّمَا هُوَ عَيْنُ الْعَدْلِ، حيث إنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يسأل عما يفعل، بل يفعل ما يشاء ويختار، فهو عَزَّ وَجَلَّ لا يفعل إلا عدلاً، ولا يخلق إلا بالعدل، ولم يُقَدَّرْ إلا العدل؛ إذ أنه هو الحكم العدل سُبْحَانَهُ، لا يمكن أن يُوصف بغير ذلك؛ ولذلك ذكر المصنف إن تلك الأقدار وتلك المشيئة تجري عدلاً منه بلا عدوان؛ أي: بلا ظلم؛ لأن ضد العدل هو الظلم والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى منزّه عن الظلم؛ بل هو الحكم العدل الذي يعدل في الأمور كلها

لا يظلم مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. قال رسول الله ﷺ في الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا...»<sup>(١)</sup>.

فإذا علمنا أنه حكمٌ عدلٌ وأنه منزّهٌ عن الظلم ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فُطِّلَتْ: ٤٦]، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الْحَجَّال: ٣٣] أيقنا أن كل ما يجري وكل ما يقدر الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى هو عدلٌ وحكمةٌ بالغةٌ حتى لو بدا لنا في ظاهره شر فإنه شر نسبي؛ ولذلك لا يُنسب الشر إلى الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى مباشرة، وإنما ينسب إليه قدراً، فيقال كما قال رسول الله ﷺ: «والخير كله في يديك والشر ليس إليك»<sup>(٢)</sup>، ويقول تَعَالَى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النِّسَاء: ٧٨]، وقال: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ [النِّسَاء: ٧٩]، فمشيئة الله النافذة تجري وفق عدله وحكمته، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، يخلق ما يشاء، يرحم من يشاء فضلاً منه ومِنَّةً، ويُعَذِّبُ من يشاء عدلاً منه وقسطاً.

ما للعباد عليه حق لازم      كلا ولا سعي لديه ضائع  
إن عذبوا فبعدله أو نعموا      فبفضله وهو الكريم الواسع

وقوله: «كل في أم الكتاب...»؛ أم الكتاب هي: اللوح المحفوظ؛ كما يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَمَحُوْا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتْهُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرَّحْمَٰن: ٣٩]، فقد أودع في أم الكتاب مقادير كل الأشياء، كما قال جلَّ وَعَلَا: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الْأَنْعَام: ٣٨]، وكما قال الله تَعَالَى: ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الْإِسْرَاء: ٥٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحَدِيد: ٢٢].

(١) أخرجه مسلم [٢٥٧٧]، هو طرف من حديث طويل.

(٢) أخرجه مسلم [٧٧١] من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لذلك فإن كل ما يجري إنما يجري وفق ما سطره الله عَزَّجَلَّ في أم الكتاب؛ خلق الجنة وخلق لها أهلاً ويسر أهلها ليسرى، وخلق النار وخلق لها أهلاً ويسرهم للعسرى، خلق كل شيء، وما دام الأمر كذلك فنحن - أيها العبيد - مطالبون بأن نُدْعِن وأن نَسْلَم لقضاء الله وقدره، وأن نرضى بما قسم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لنا.

وقوله: «فَاقْصِدْ هُدَيْتَ»؛ أي: الزم الطريق الوسط الذي لا اعوجاج فيه، في كل شيء ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْظُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩].

والقسط: هو العدل والطريق الوسط الذي لا اعوجاج فيه ولا أمتا؛ وهو طريق الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وقوله: «ولا تكن متغالياً...» فيه النهي عن الغلو. وقد ضرب لذلك مثلاً عربياً في الخروج عن القصد، «وكل شيء بلغ الحد انتهى»؛ ولهذا نُهِنَا عن الغلو في كل شيء من أمر ديننا ودنيانا، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١].

ويقول النبي ﷺ وهو يرمي الجمرة بمثل حصي الخذف: «يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»<sup>(١)</sup>، ويقول الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»<sup>(٢)</sup>، ويقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «يسروا

(١) أخرجه أحمد [٣٢٤٨]، والنسائي [٣٠٥٧]، وابن ماجه [٣٠٢٩]، والحاكم [١٧١١]، والضياء [٢٢] من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين». وصححه الألباني في «الصحيحة» [١٢٨٣].

(٢) أخرجه البخاري [٣٩] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا»<sup>(١)</sup>، ويقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «هلك المتنطعون»<sup>(٢)</sup>؛ أي: الغلاة المتجاوزون لحدود الله، في أي شيء، ورأى النبي ﷺ رجلاً يوماً ضاحياً في الشمس فسأل عن حاله قالوا: إنه نذر أن يصوم ضاحياً؛ فقال النبي ﷺ: «مره فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه»<sup>(٣)</sup>.

فالغلو في كل شيء محرم كما أن الإفراط والتفريط ممنوع، والمسلم الحق دائماً يسير في الطريق الوسط بعيداً عن غلو الغلاة وإفراطهم، وعن تفريط العصاة وتقصيرهم، فلذلك حذر هنا من الغلو وبين ذلك بمثل ضربه في أن القدور تفور بالغليان؛ يعني تأتيها نار هادئة ثم لم تلبث أن تصل إلى درجة الغليان، فإذا وصلت إلى درجة الغليان ربما تنفجر وتخرج عن وضعها الطبيعي، وهكذا شأن من يغلو في دين الله، ومن منهج أهل السنة والجماعة أنهم وسط بين إفراط المفرطين الغلاة الجهلة، وبين تفريط المفرطين العصاة الفجرة الفسقة.



(١) أخرجه البخاري [٦٩]، ومسلم [٤٥٤٩] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم [٢٦٧٠] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري [٦٧٠٤] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

## الشرعة كاملة تامّة وشاملة

٨٧- دِنٌ بِالشَّرِيعَةِ وَالْكِتَابِ كِلَيْهِمَا فَكِلَاهُمَا لِلدِّينِ وَاسِطَتَانِ

❦ قوله: دِنٌ: فعل أمر من دان يدين ديانة، أي: ذل وخضع وامتلأ وانقاد؛ بمعنى أنه يجب على المرء أن يدين لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى باتباع الكتاب والسنة، والمقصود بالشرعة هنا: السنة، والكتاب: القرآن.

«فَكِلَاهُمَا لِلدِّينِ وَاسِطَتَانِ»؛ أي: لا يُعرف الدين، ولا يؤخذ الدين، ولا تستنبط الأحكام، ولا تفهم العقيدة، ولا الأخلاق ولا الآداب ولا العبادات إلا من كتاب الله عزَّ وجلَّ وسنة رسوله ﷺ؛ لأنها وحيٌّ من الله عزَّ وجلَّ والدين لا يؤخذ إلا من الوحي، والوحي كتابٌ وسنة، قال النبي ﷺ: «إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»<sup>(١)</sup>؛ فكلاهما وحيٌّ؛ وحيٌّ مُتَعَبِدٌ بتلاوته، وهو القرآن، ووحيٌّ يُعْمَلُ بِهِ وإن لم يُتَعَبَد بتلاوته، وهو ما صح من الأحاديث عن رسول الهدى ﷺ؛ ولذلك بيّن أنها واسطتان للدين؛ أي: إنها أساس الدين كله الذي يقوم عليه ويرتكز عليه بناؤه، ولا يصح أن يؤخذ الدين من غيرهما؛ فإذا دنت بهما - يا عبد الله! - وطبقت أحكامهما، ووطئت نفسك لأمر الله وأمر رسوله، الذين ثبتا في الكتاب والسنة؛ فهذا هو الدين الحق، وهو الشرع، وهو الإسلام الذي لا يقبل الله دينا سواه، قال ﷺ: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»<sup>(٢)</sup>.

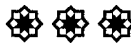
(١) تقدم تخرجه في ص: [٥٩].

(٢) أخرجه الدارقطني [١٤٩]، والحاكم [٢٩١]، والبيهقي في «الكبرى» [٢٠٨٣٤] من حديث أبي هريرة رَوَاهُ اللَّهُ عَنْهُ.

## ٨٨- وَكَذَا الشَّرِيعَةُ وَالْكِتَابُ كِلَاهُمَا بِجَمِيعِ مَا تَأْتِيهِ مُحْتَظَانِ

❖ يؤكد في هذا البيت: أَنَّ الكتاب والسنة مُحْتَظَانِ بجميع مسائل الدين قولاً وعملاً واعتقاداً، وَمِنْ فضل الله عَزَّوَجَلَّ على هذه الأمة أَنْ حَفِظَ لها الكتاب والسنة خلافاً لما حصل من التحريف في كتب الأمم السابقة، قَالَ عَجَّالِي: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فجميع العلوم الدينية التي يحتاج إليها العبد؛ من أمور العقيدة والحلال والحرام والمعاملات والأخلاق والآداب والأحكام العادلة، أو ما يسمى بالأحوال الشخصية في هذا الزمان: كل ذلك شاملٌ له كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله ﷺ؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ أكمل لنا الدين قبل أن ينتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى؛ قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ومن ابتغى الهدى من غير هذا الطريق فقد خسر خسراناً مبيناً، ومن سلك هذا الطريق فقد فاز فوزاً عظيماً، فلنعص عليهما بالنواجذ، ولنجتهد في بناء جميع أمور ديننا عليهما، وبناء عليه فإن ما خرج عن هدي الكتاب والسنة لا يعدو أن يكون بدعة من البدع التي أحدثها الناس، قال النبي ﷺ: «مَنْ أَخَذَتْ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»<sup>(١)</sup>.



(١) أخرجه البخاري [٢٦٩٧]، ومسلم [١٧١٨] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

## وجوب الإيمان بالغيب كله،

## ومن ذلك الإيمان بالكتب الكرام

- ٨٩- وَلِكُلِّ عَبْدٍ حَافِظَانِ لِكُلِّ مَا يَقَعُ الْجَزَاءُ عَلَيْهِ مَخْلُوقَانِ  
 ٩٠- أَمْرًا بِكُتُبِ كَلَامِهِ وَفِعَالِهِ وَهُمَا لِأَمْرِ اللَّهِ مُؤْتَمِرَانِ

✽ يشير بهذين البيتين إلى وجوب الإيمان بالملكين؛ وهم الكرام الكاتبون، الذين قال الله فيهم: ﴿كَرَامًا كَتِبِينَ ۖ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الأنفال: ١١ - ١٢]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ جَلِّ الْوَرِيدِ ۖ﴾ [الذيل: ١٣]، ﴿إِذْ يُلْقَى الْمُتَلَقَّانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۖ﴾ [ما يلفظ من قول: إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ] [ق: ١٦ - ١٨]؛ الملكان: أحدهما عن اليمين يكتب الحسنات، والآخر عن الشمال يكتب السيئات، ولا يفارقان العبد حتى يلقي ربه؛ فيجب الإيمان بهما وهما: الحافظان، والكاتبان: أربعة من الملائكة، كاتبان وحافظان، كاتبان عن اليمين وعن الشمال، والحافظان من الأمام ومن الخلف؛ والذي يعنيه الناظم هنا هما الكاتبان اللذان يكتبان الأعمال؛ لأنه أشار إلى ذلك بأنها يحصيان على العبد ما يفعله وما يقوله، ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.

ولذلك فإن الواجب على العبد الإيمان بذلك حق الإيمان، وإن لم نرهم، وإن لم نرى الحافظين أو الكاتبين فإننا متعبدون بالإيمان بالغيب فنحن لا نرى الروح التي تتردد بين جوانحنا وبين جنيننا، ولا نرى بعض المخلوقات مثل الجن والملائكة؛ لأن الله عز وجل أراد أن لا نراهم؛ إلا من أراد الله رؤيته في بعض الحالات كما رأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام على صورته، وراه النبي ﷺ وبعض الصحابة وهو في صورة رجل يتنزل على النبي ﷺ بالوحي.



والإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان، فلو لم يؤمن بهم العبد وآمن بجميع الأركان الأخرى فإنه لا يصح إيمانه قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ويقول النبي ﷺ في حديث عمر الذي في مسلم حيث جاء فيه: «أَخْبَرَنِي عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ: الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»<sup>(١)</sup>.

وقوله:

٩٠- «أَمْرًا بِكُتُبِ كَلَامِهِ وَفِعَالِهِ وَهُمَا لِأَمْرِ اللَّهِ مُؤْتَمِرَانِ»  
 أمر الله الملكين بكتب أعمال العباد وهو أعلم بها وهم مؤتمنون على ذلك؛  
 ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [الحجرات: ٦]، فهم يكتبون ما يأمرهم الله به،  
 ويتركون ما لم يؤمروا به، لا يزيدون ولا ينقصون، أمناء على بني آدم وعلى ما يصدر  
 منهم، بل يكتبون القول أو الفعل كما صدر من صاحبه ويتقيدون بأمر الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:  
 ﴿لَا يَسِفُّونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧].



٩١- وَاللَّهُ صِدْقٌ وَعْدُهُ وَوَعِيدُهُ مِمَّا يُعَايِنُ شَخْصَهُ الْعَيْنَانِ

❖ يقرر الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ مَا يَجِبُ أَنْ يَعْتَقِدَهُ كُلُّ مُسْلِمٍ مِنْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى صَادِقٌ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ، فَكُلُّ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ وَاقِعٌ لَا مُحَالَةٌ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ [الْعَنْكَبُوتُ: ٩٥]، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى بِشَأْنِ مَا وَعَدَهُ بِهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ [النُّورُ: ٢٠]، وَقَالَ تَعَالَى بِشَأْنِ وَعِيدِ الْكُفَّارِ ﴿لَتَرْوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ ❶ ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ❷ ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿[الْبَقَرَةُ: ٦ - ٨]، فَكُلُّ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ أَوْ أَخْبَرَ بِهِ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سُنَّتِهِ مِمَّا سَيَقَعُ مِنْ وَعْدٍ أَوْ وَعِيدٍ يَجِبُ التَّصَدِيقُ بِهِ وَالتَّسْلِيمُ لَهُ وَالْإِيقَانُ بِحَصُولِهِ إِذْ أَنْ مِنْ أَعْظَمِ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ الْإِيْمَانُ بِالْغَيْبِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البَقَرَةُ: ٣].



٩٢- وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَنْ تُحَدَّ صِفَاتُهُ أَوْ أَنْ يُقَاسَ بِجُمْلَةِ الْأَعْيَانِ

• يبين المصنف رَحْمَةُ اللَّهِ بِأَنْ اللَّهُ عَزَّجَلَّ أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ تُحَدَّ صِفَاتُهُ كَحَدِّ صِفَاتِ المخلوقين وهو أعظم من أَنْ يُقَاسَ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإِخْلَاق: ٤]، وَقَالَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشُّورَى: ١١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [زَمَرْ: ٦٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَةُ: ٢٢]، فَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ، لَا الْقِيَاسَ الشَّمُولِيَّ وَلَا الْقِيَاسَ التَّمثِيلِيَّ وَلَا يَسْتَعْمَلُ فِي حَقِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَّا الْقِيَاسَ الْأَوَّلِيَّ، فَالْقِيَاسُ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: الْقِيَاسَ الشَّمُولِيَّ، وَالْقِيَاسَ التَّمثِيلِيَّ وَالْقِيَاسَ الْأَوَّلِيَّ.

١- الْقِيَاسُ الشَّمُولِيَّ: هُوَ مَا يَعْرِفُ بِالْعَامِ الشَّامِلِ لَجَمِيعِ أَفْرَادِهِ، بِحَيْثُ يَكُونُ كُلُّ فَرْدٍ مِنْهُ دَاخِلًا فِي مَسْمُومِ ذَلِكَ اللَّفْظِ وَمَعْنَاهُ، فَمَثَلًا: إِذَا قُلْنَا: الْحَيَاةُ، فَإِنَّهُ لَا تَقَاسُ حَيَاةُ اللَّهِ تَعَالَى بِحَيَاةِ الْخَلْقِ مِنْ أَجْلِ أَنْ الْكُلَّ يَشْمَلُهُ اسْمُ (حَي).

٢- الْقِيَاسُ التَّمثِيلِيَّ: هُوَ أَنْ يَلْحَقَ الشَّيْءُ بِمِثْلِهِ، فَيَجْعَلُ مَا ثَبَتَ لِلْخَالِقِ مِثْلَ مَا ثَبَتَ لِلْمَخْلُوقِ.

٣- الْقِيَاسُ الْأَوَّلِيَّ: هُوَ أَنْ يَكُونَ الْفَرْعُ أَوَّلِيًّا بِالْحُكْمِ مِنَ الْأَصْلِ، وَهَذَا يَقُولُ الْعُلَمَاءُ: إِنَّهُ مُسْتَعْمَلٌ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [الْحَجَّ: ٦٠]، بِمَعْنَى كُلِّ صِفَةٍ كَمَالٍ، فَلِلَّهِ تَعَالَى أَعْلَاهَا، وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْعِلْمُ وَالْقُدْرَةُ وَالْحَيَاةُ وَالْحِكْمَةُ وَمَا أَشْبَهَهَا مَوْجُودَةٌ فِي الْمَخْلُوقَاتِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَعْلَاهَا وَأَكْمَلُهَا.

ولهذا أحيانًا نستدل بالدلالة العقلية من زاوية القياس بالأولى، فمثلاً: نقول العلو صفة الكمال في المخلوق، فإذا كان صفة كمال في المخلوق، فهو في الخالق من باب أولى<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: «شرح العقيدة الواسطية» لشيخ محمد بن صالح العثيمين (١/ ١٢٩ - ١٣٠).

الإيمان بما يحصل في القبر من نعيم أو عذاب، وأنه أول منازل الآخرة، وأن من مات قامت قيامته، ووجوب الإيمان بكل ما صح مما يكون يوم القيامة وأنه حق وصدق

٩٣- وَحَيَاتُنَا فِي الْقَبْرِ بَعْدَ مَمَاتِنَا حَقٌّ وَيَسْأَلُنَا بِهِ الْمَلَكُ

❖ المقصود: أَنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدَّرَ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنَّهُ كَانَ مَيِّتًا قَبْلَ خَلْقِهِ ثُمَّ يَحْيِيهِ ثُمَّ يَمِيتُهُ ثُمَّ يَحْيِيهِ، فَالْإِنْسَانُ تَمَرُّبُهُ أَطْوَارٌ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ كَمَا قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَحْمِلُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الحجرات: ٢٦]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا أَثْنَتَيْنِ﴾ [نساء: ١١]، يريدون الموتة الأولى وما بين النفختين على ما قيل أو العدم المحض قبل إيجادهم، وأماتهم بعدما أوجدهم، والحياة الدنيا والحياة الآخرة، فإنه كان مَيِّتًا قَبْلَ أَنْ يُخْلَقَ وَتَنْفَخَ فِيهِ الرُّوحُ، ثُمَّ يَحْيِيهِ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعْدَ ذَلِكَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، بَعْدَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ، بَعْدَ أَنْ يَبْلُغَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَكُونُ الْمَوْتُ الَّذِي هُوَ حَيَاةٌ بَرْزَخِيَّةٌ خَاصَّةٌ يُوَكِّلُ عِلْمَ كَيْفِيَّتِهَا إِلَى اللهِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ الْحَيَاةُ الْآخِرِيَّةُ الْأَبَدِيَّةُ، الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا؛ لِذَلِكَ فَإِنْ الْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُؤْمِنَ بِهَذِهِ الْحَيَاةِ، أَنْ يُؤْمِنَ بِأَنَّ تِلْكَ الْحَيَاةَ الَّتِي تَعْقِبُ الْمَوْتَ؛ هِيَ تَعْلُقُ الرُّوحَ بِبَدَنِ الْمَيِّتِ بِكَيْفِيَّةٍ وَصِفَةٍ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِأَنَّ الرُّوحَ لَا تَفْنَى وَلَا تَبِيدُ حَيْثُ إِنَّ لَهَا بِالْبَدَنِ أَرْبَعَةَ تَعْلُقَاتٍ؛ لِأَنَّا قَبْلَ نَفْخِهَا فِي الْجَسَدِ لَا نَعْلَمُ حَالَهَا:

التعلق الأول: بالبدن في أثناء الحمل وقبل الولادة؛ أي: بعد نفخ الروح بعد مضي أربعة أشهر، وقبل أن يولد الطفل.

التعلق الثاني: تعلقها بالبدن في الحياة الدنيا.

التعلق الثالث: تعلقها بالبدن في البرزخ؛ حيث تعاد إليه بعد دفنه بكيفية لا يعلمها إلا الله، ويُسأل على ما سنبينه إن شاء الله، وهو الذي يشير إليه هنا.

التعلق الرابع: تعلق أبدي سرمدِيٍّ وهو تعلقها بالبدن بعد البعث؛ وهذا تعلق لا ينتهي سواء كان الشخص من أهل الجنة، أو من أهل النار كما جاء في «الصحيح» أنه «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم ينادي يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح ثم يقول يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت»<sup>(١)</sup>، وفي حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المشهور أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت عَلَيْهِ السَّلَام، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان. قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها، فلا يمرون، يعني بها، على ملا من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء

(١) أخرجه البخاري [٤٧٣٠]، ومسلم [٢٨٤٩] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

التي تليها، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، فيقول الله عزَّ وجلَّ: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى. قال: فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فأمنت به وصدقت، فينادي مناد في السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه له الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة. قال: فيأتيه من روحها، وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره. قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي، ومالي، قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأن تن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملام من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾

وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سِرِّ الْحَيَاطِ ﴿٤٠﴾ [الْأَعْرَافُ: ٤٠] فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحاً. ثم قرأ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الْمَلْع: ٣١] فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء أن كذب، فافرشوا له من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها، وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة»<sup>(١)</sup>.

ثم الله أعلم بمستقر الأرواح بعد ذلك كل ما ورد في الأمر: «إنما نسمة المؤمن طائر في شجر الجنة حتى يبعثه الله عَزَّوَجَلَّ إلى جسده يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>، وأما ما عدا ذلك من الأقاويل فإنه لا يُلْتَفَت إليه من أن مستقر أرواح المؤمنين بئر زمزم، وأرواح الكفار بئر برهوت ونحو ذلك، أو أرواح المؤمنين في كذا وأرواح الكفار في كذا، كلُّ هذا لا دليل عليه؛ وإنما هو تحرُّصٌ.

(١) أخرجه أحمد [١٨٥٥٧]، وأبو داود [٤٧٥٣]، والطيالسي [٧٥٣]، والحاكم [١٠٧] وقال صحيح على شرط الشيخين، والبيهقي في «شعب الإيمان» [٣٩٥] وقال صحيح الإسناد، انظر: «الجامع الكبير» للسيوطي.

(٢) أخرجه أحمد (١٥٧٧٢ - الرسالة)، والنسائي [٢٠٧٣]، والترمذي [١٦٤١]، وابن ماجه [٤٢٧١]، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في «المشكاة» [١٦٣٢].

أَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - فَإِنَّهُ - كَمَا بَيَّنَّا فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ مِنْ أَنَّهُ تَتَفَرَّقُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ لَا تَرِيدُ الْخُرُوجَ؛ لِأَنَّهَا تَعَايِنُ الْعَذَابَ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ -؛ فَيَأْتِي مَلِكُ الْمَوْتِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْزَعُ السَّقُّودُ مِنَ الصَّوْفِ الْمَبْلُولِ، تَفَكَّرُوا فِي الْعُودِ الَّذِي لَهُ شَعْبٌ مَتَعَرِّجَةٌ، وَقَدْ لُفَّ عَلَيْهِ صُوفٌ مَبْلُولٌ هَلْ يُمْكِنُ إِخْرَاجُهُ مِنْ ذَلِكَ بِسَهُولَةٍ؟ الْجَوَابُ: أَنْ إِخْرَاجَهُ فِي غَايَةِ مِنَ الصَّعُوبَةِ.

وَمِمَّا وَرَدَ فِي وَصْفِ الْمَلَكَيْنِ حَدِيثٌ: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَرْزِقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَالْآخَرُ: النَّكِيرُ»<sup>(١)</sup>، هَذَا هُوَ حَالُ حَيَاةِ الْبَرْزَخِ؛ إِمَّا نَعِيمٌ وَرُوحٌ وَرِيحَانٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى نَعِيمٍ أَعْظَمَ، وَإِمَّا سَمُومٌ وَحَرٌّ مِنْ سَمُومِ جَهَنَّمَ إِلَى أَنْ يَنْتَقِلَ إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي حَقِّ آلِ فِرْعَوْنَ ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [نَحْلُوقُ: ٤٦].

وهذه الأدلة برهان واضح على نعيم القبر وعذابه خلافاً لمن أنكر ذلك من المعتزلة والعقلانيين المعاصرين. وهؤلاء العقلانيون الذين ينكرون بعض أشراف الساعة ونعيم القبر وعذابه، وبعض المغيبيات لا يلتفت إلى أقوالهم؛ فسلفهم في ذلك المعتزلة وأهل الكلام ممن يُحَكِّمُونَ الْعَقْلَ فِي الشَّرْعِ، وَيَقْدَمُونَ الْعَقْلَ عَلَى النُّقْلِ، وَيَخْضَعُونَ النُّصُوصَ الشَّرْعِيَّةَ لِعُقُولِهِمُ الْفَاسِدَةِ وَأَرَائِهِمُ الْكَاسِدَةِ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. شَاهِدُنَا مِنْ هَذَا أَنَّ مَعْنَى كَلَامِ النَّازِمِ أَنَّ الْجِسْمَ حَيَاةً بَرْزَخِيَّةً، لَا تُقَاسُ بِحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَوَامِيسِهَا وَأَوْضَاعِهَا الدُّنْيَوِيَّةِ؛ وَإِنَّمَا هِيَ حَيَاةٌ خَاصَّةٌ لَا يَعْلَمُ كُنْهَهَا وَكَيْفِيَّتُهَا إِلَّا اللَّهُ سِوَاهُ كَانَ فِي ذَلِكَ حَيَاةُ السَّعْدَاءِ أَمْ حَيَاةُ الْأَشْقِيَاءِ.

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ [١٠٧١]، وَابْنُ حِبَانَ [٣١١٧] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ غَرِيبٌ. وَحَسَنَةُ الْأَلْبَانِيِّ فِي «الصَّحِيحَةِ» [١٣٩١].



٩٤- وَالْقَبْرِ صَحَّ نَعِيمُهُ وَعَذَابُهُ وَكِلَاهُمَا لِلنَّاسِ مَدَّخَرَانِ

❖ هذا هو ما تقدم بيانه وتفصيله في شرح البيت السابق من ثبوت نعيم القبر وعذابه، ومما يدل على كل منهما مستقلاً: قول النبي ﷺ في حق جعفر بن أبي طالب بالنسبة للنعيم: «رأيت جعفر بن أبي طالب ملكاً يطير في الجنة مع الملائكة بجناحين»<sup>(١)</sup>، وذكره خشخشة رجلي بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الجنة<sup>(٢)</sup>، وبشارته عن كثير من الشهداء عما عوضهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى به من الخير.

وأما ما يخص العذاب؛ فمن ذلك - إضافة إلى ما تقدم - الحديث المتفق عليه حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مر بقبرين؛ فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير وكان أحدهما لا يستتر من البول، وأما الآخر كان يمشي بالنميمة فأخذ جريدة رطبة فشققها نصفين فغرز في كل قبر واحدة» فقالوا: يا رسول الله لم فعلت هذا؟ فقال: «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا»<sup>(٣)</sup>.

وغرز جريدتين على القبرين من أجل أن يخفف على صاحبيهما العذاب خاص بالنبي ﷺ، ولا دليل لما يراه بعض فقهاء المذاهب المتأخرين من القياس على هذا الفعل بعد رسول الله ﷺ، وأما ما يفعله بعض الناس اليوم من تطبيق ذلك على القبور فهذا رجم بالغيب، فالرسول ﷺ أخبر عن طريق الوحي أنها يعذبان، وأما نحن فلا ندري ما إذا كان الذين في القبور مُنعمين أو مُعذبين، وأما وضع أكاليل

(١) أخرجه الترمذي [٣٧٦٣]، وأبو يعلى [٦٤٦٤]، وابن حبان [٧٠٤٧]، والحاكم [٤٩٣٥] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: «غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن جعفر وقد ضعفه يحيى بن معين وغيره»، وقال الحاكم: «صحيح الإسناد».

(٢) أخرجه البخاري [٢٤٥٧] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري [٦٠٥٢]، ومسلم [٢٩٢] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الزهور والورود على القبور فهذا تقليد للكفار ومن تشبه بقوم فهو منهم. فعلينا أن نبتعد عن مثل هذه الأعمال الخرافية والبدعية.

والشاهد مما تقدم: أن نعيم القبر وعذابه حق، سواء كان الشخص المُنعم أو المُعذب بقي جسده أو لم يبق، وسواء كان جسده تراباً أو عظاماً، أو تحلل في البحر، أو في بطون السباع، أو في التراب؛ فإننا نؤمن بأن فريقاً في نعيم، وفريقاً في جحيم، ويكفي أننا لا نعلم كنه ولا كيفية الروح التي بين جنيننا وهي تتحرك وتتنقل، بينما يراها صاحبها عندما تخرج منه ويتبعها بصره كما ثبت في الحديث. فمن سمات المؤمنين أنهم يؤمنون بالغيب الذي أخبر الله به أو أخبر به رسوله ﷺ، ونعيم القبر وعذابه من هذا القبيل، والذين ينكرونه إنما ينكرون أموراً متواترة، ولو لم يكن لذلك حقيقة لما استعاذ النبي ﷺ من عذاب القبر، وأمرنا أن نقول بعد الفراغ من التشهد الأخير: «اللهم إنا نعوذ بك من عذاب القبر، وعذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»<sup>(١)</sup>.



(١) تقدم تخريجه [٦٢].

## الإيمان بالبعث

٩٥- وَالْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَعَدُّ صَادِقٌ بِإِعَادَةِ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَبْدَانِ

✽ يقرر الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ هُنا ما يدين الله به ويعتقده من اعتقاد وجوب الإيمان بالبعث وإعادة الأرواح إلى الأجساد، حيث يقوم الناس من قبورهم لرب العالمين، فالبعث حق، بل الإيمان به هو الركن الخامس من أركان الإيمان، وإن مما يقع في اليوم الآخر البعث بعد الموت، وحقيقته أنه بعث للأجساد والأرواح معاً وليس بعثاً للأرواح فقط كما تزعمه الفلاسفة. ومن نهج نهجهم، فتعاد الأجساد بعينها وتعاد إليها أرواحها ويزيد الله فيها ما يشاء حتى ولو كانت رماداً أو متحللة في بطون السباع أو في قاع البحار، حيث يفنى جميع الجسد إلا عجب الذنب كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ: «ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة»<sup>(١)</sup>، فنفس الأجساد تعاد وتعاد إليها أرواحها، فيقومون لرب العالمين في ذلك اليوم العظيم كما قال الله تَعَالَى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿الطَّافِقِينَ: ٤ - ٦﴾، وقال سُبحَانَهُ: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿النبأ: ١٨﴾، وقال تَعَالَى: ﴿ثُمَّ نُفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَظْطَرُونَ ﴿الزمر: ٦٨﴾، وقال تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّيْنَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿الأنعام: ٧﴾، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿قَالُوا يَنْوَلِّنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿يس: ٥٢ - ٥٣﴾؛ أي: أحيانا بعدما أماتنا، فيبين الله لهم أن هذا ما جاءت به الرسل من عند الله عزَّ وجلَّ وأخبرت به ها هو يتحقق عياناً بياناً، وقال سُبحَانَهُ: ﴿أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿قت: ١٥﴾، وهذه الآية من أعظم الإلزامات لمنكري البعث؛ فإن الذي خلق

(١) أخرجه البخاري [٤٩٣٥]، ومسلم [٢٩٥٥] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الخلق من العدم أقدر على الإعادة من مادة موجودة مع أنه كان خلقها من العدم فهو قادر على إعادتها بعد الوجود وبعد الموت، وَقَالَ الْعَالِي: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ؟ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَنَ الَّذِي يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿[يَس: ٨١ - ٨٣]، وقال عَزَّجَلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الرَّؤْفَاءُ: ٢٧]، فلا يشك في البعث إلا كافر أما المسلم فإنه يعلم أن الذي خلقه من العدم قادر على أن يعيده إلى الحياة مرة أخرى بعد الموت ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الْحَاجَاتِ: ٢٦].

فالبعث بعد الموت حق وصدق لأجل الجزاء، ومن ثم النعيم أو الجحيم، وَقَالَ الْعَالِي: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [الزَّكَاةُ: ٣٠].

فإذا آمن العبد أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً لم يعد يشك في البعث، بل ولا في كل ما أخبر الله به من المغيبات التي استأثر الله بعلمها: ﴿لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [النَّاسُ: ٨٧].



### الإيمان بالصراط

- ٩٦- وَصِرَاطُنَا حَقٌّ وَحَوْضُ نَبِيْنَا صِدْقٌ لَهُ عَدَدُ النُّجُومِ أَوَانِي  
٩٧- يُسْقَى بِهَا السُّنِّيُّ أَعْدَبَ شَرِيَةٍ وَيُذَادُ كُلُّ مُخَالِفٍ فَتَّانٍ

❖ ذكر الناظم هنا مسألتين عظيمتين مما يقع بعد البعث يجب الإيمان بهما: الأولى- مسألة الإيمان بالصراط، وهو الجسر الذي يُنصب على متن جهنم، فيمر عليه جميع الناس على حسب أعمالهم؛ «الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرَّيْحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَتَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا»<sup>(١)</sup>، وجاء عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَسْعَى نُّورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الحَزْدِيدُ: ١٢] قال: «على قدر أعمالهم يمرون على الصراط، منهم مَنْ نوره مثل الجبل، ومنهم مَنْ نوره مثل النخلة، ومنهم مَنْ نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نورًا مَنْ نوره في إبهامه يَتَقَدَّرُ مرة ويطفأ مرة»<sup>(٢)</sup>.

وهو المراد بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾<sup>(٣)</sup> ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَّتًا ﴿[مريم: ٧١ - ٧٢]، وقد ورد بيان ما في هذه الآية في حديث أم مبشر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حيث قالت: سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا»، قالت: بلى يا رسول الله فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ ﴿[مريم: ٧١]، فقال النبي ﷺ: «قَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَّتًا﴾ ﴿[مريم: ٧٢]»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري [٧٤٣٩]، ومسلم [١٨٣] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.  
(٢) أخرجه ابن أبي شيبه [٣٥٧٠٠]، والطبري في «التفسير» (١١/ ٤٨١)، والحاكم [٣٧٤٣]. وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وقال الذهبي: «على شرط البخاري».  
(٣) أخرجه مسلم [٢٤٩٦].

فهذا هو أصح تفسير لقوله: ﴿وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، لكن المؤمن لا يؤذيه، بل يمر به بسلام، ومع هذا فذلك المرور عظيم وخطر؛ كلُّ يهابه ويخافه حتى الأنبياء والرسل؛ ولهذا ثبت أن دعاء الأنبياء على الصراط: اللهم سلم سلم كما تقدم؛ لأنهم يرون الناس يتساقطون يميناً وشمالاً تحطفهم الكلايب والحسك المنسوب على جنبتيه، فترمي بهم في قعر جهنم - والعياذ بالله -.

ومما ورد في وصف الصراط: أنه: «مَدْحَضَةٌ مَرِيَّةٌ عَلَيْهِ خَطَاطِيفٌ وَكَالَإِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفْلَطْحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقِيْفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ»<sup>(١)</sup>، وأنه «أَدْقُ مِنَ الشَّعْرَةِ وَأَحَدُ مِنَ السَّيْفِ»<sup>(٢)</sup>.

فيجب الإيمان بالصراط وأنه حق حقيقة، ولا نلتفت إلى المعتزلة وغيرهم من أصحاب المدارس العقلية والأهواء المردية الذين أنكروه، وأنكروا الميزان والحوض أو أولوهما وغيره من الغيبيات التي دلت عليها نصوص الكتاب والسنة، وأجمع عليها سلف الأمة، ولا يكاد يخلو كتاب من كتب السنة والعقيدة والأحكام نظماً ونثراً من ذكر وجوب الإيمان بهذه الأصول الغيبية العظيمة، وبيان الخطر على من حاد عن الإيمان بها أو ردها، فالحجة قائمة وأنوار أدلتها ساطعة وأعدار مخالفه داحضة؛ ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

وما أظرف ما قاله شيخ الإسلام في لاميته المختصرة في بيان مذهبه وعقيدته التي قرر فيها بعض اعتقاد السلف، حيث قال:

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري وقد تقدم.

(٢) أخرجه مسلم [١٨٣] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأقرب بالميزان والحوض الذي أرجو بأنني منه رياء أنهل  
وكذا الصراط يمد فوق جهنم فمسلم ناج وآخر مهمل



هذا اعتقاد الشافعي ومالك وأبي حنيفة ثم أحمد ينقل  
فإن اتبعت سبيلهم فموفق وإن ابتدعت فما عليك معول  
والذي يظهر أن المرور على الصراط يقع بعد الحوض وبعد الشفاعة، ولكن قدّمه  
الناظم لأهميته - وكل مهم -.



### الإيمان بحوض نبينا محمد ﷺ

ثم ذكر الناظم رَحِمَهُ اللهُ المسألة الثانية، وهي: الإيمان بالحوض الذي جعله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لنبيه مكرمة، وهو أعظم أحواض الأنبياء، طوله مسيرة شهر وعدد آنيته عدد نجوم السماء كما جاء في الأحاديث الصحاح والحسان التي بلغت حد التواتر، وقد نظم أحدهم ذلك في الآيات التالية:

مما تواتر حديث من كذب      ومن بنى لله بيتاً واحتسب  
ورؤية شفاعته والحوض      ومسح خفين وهذي بعض

وهنا وقفة وهي أن علماء المصطلح لما قسموا الحديث إلى متواتر وأحاد كان قصدهم صحيحاً، وفيه فوائد منها: أنه عند وجود ما ظاهره التعارض يقدم المتواتر على الأحاد؛ لأنه أقوى وأثبت لتعدد مخرجه، وغير ذلك من أوجه الترجيح، وإلا فكل ما ثبت بالسند الصحيح المتصل إلى النبي ﷺ من غير علة ولا شذوذ فإنه يجب قبوله والعمل به، سواء كان ذلك في العقيدة أو الأحكام، وسواء كان متواتراً أو أحاداً، وإنما أخذ هذا التقسيم أهل الأهواء من المتكلمين وغيرهم لمقصدهم السيئ، وهو أن الأحاد لا يعمل بها في العقائد؛ لأنها لا تفيد العلم على حد زعمهم، فردوا بذلك وحرفوا كثيراً مما ثبت بالقرآن والسنة مما يجب الإتيان به.

وهذه المسألة لها نظائر مما يقعده بعض العلماء قديماً لغرض صحيح فيتحذه أهل الأهواء سبيلاً إلى تحريف الكلم عن مواضعه، وما مسألة المجاز عنا ببعيد؛ ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ [التجسس: ٢٣].

فهذا التقسيم ونحوه حادث لم يكن موجوداً على عهد الرعيل الأول الذين هم أعلم وأحكم وأسلم - والله المستعان -.



وكما وضح الناظم فحوض نبينا ﷺ أشد بياضاً من اللبن وأبرد من الثلج وأحلى من العسل من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً، وقد قال ﷺ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ لَيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالُ مَنْكُم حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتُمْ لَنَا وَلَهُمْ اخْتَلَبُوا دُونِي فَأَقُولُ أَيُّ رَبِّ أَصْحَابِي يَقُولُ: لَا تَدْرِي مَا أَخَذْتُوا بَعْدَكَ»<sup>(١)</sup>، وفي رواية في الصحيح «فَأَقُولُ: سُخْقًا سُخْقًا لِمَنْ غَيْرَ بَعْدِي»<sup>(٢)</sup>؛ والفرط هو الذي يسبق غيره إلى الماء، ومنه سُمِّيَ الطفل الميت فرطاً؛ أي أنه سبق والديه إلى الجنة بإذن الله، لذلك فإن هؤلاء أصحاب الأهواء الذين غيروا وبدلوا، فغيروا في السنة وفي معالمها وغيروا في أحكام الله عزَّ وجلَّ هم أولى الناس بأن يُردوا ويذادوا عن حوض النبي ﷺ ويحرموا منه ولا يذوقوه؛ لأنهم ليسوا أهلاً لذلك. أسأل الله أن يسقيني وإياكم منه شربة لا نظماً بعدها أبداً، وأن يرزقنا جميعاً التمسك بالسنة؛ فإنه طريق الجنة.

وأشار الناظم إلى أن الشرب من حوض النبي ﷺ قاصرٌ على أهل السنة والجماعة الذين يؤمنون بالحوض، أمّا من أنكره فهو قَمِينٌ وحرِيٌّ أن لا يشرب منه؛ فأهل السنة والجماعة هم الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا على الحق إلى أن لقوا ربهم سُحْبَانَةً وَتَعَالَى، وهم الذين حكموا الكتاب والسنة واعتقدوا وعملوا بما دلا عليه ظاهراً وباطناً، وأيقنوا بأن الكل من عند الله، فآمنوا وعملوا وردوا ما تشابه منه إلى محكمه، وغيرهم ممن انحرف عن السنة والجماعة وابتدع في دين الله ما ليس منه، وآمن ببعض الكتاب وكفر ببعض كما قال الله عنهم: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [الأنعام: ٧]، وحكم عقله القاصر وهواه الفاسد؛ فهؤلاء لا نصيب لهم في هذا الحوض،

(١) أخرجه البخاري [٧٠٤٩]، ومسلم [٦١١٨] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [٦٥٨٣]، ومسلم [٢٤٩] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وإن كان النبي ﷺ ذكر أن عليهم آثار الوضوء ومع ذلك يجرمون لأنهم أحدثوا في دين الله ما ليس منه - وما أكثر المحدثين في هذه الأزمنة المتأخرة - فيحرم منه كل مبتدع ويكون خاصا بأهل السنة الذين هم أتباع نبينا محمد ﷺ قولاً وعملاً واعتقاداً.



## الإيمان بالميزان والجزاء على الأعمال،

إن خيراً فخيئراً وإن شراً فشرّاً

٩٨- وَكَذَلِكَ الْأَعْمَالُ يَوْمَئِذٍ تُرَى مَوْضُوعَةً فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ

❖ أيضاً مما يقع يوم القيامة: نَصَبُ الموازين فتوزن الأعمال، فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه، فتثقل موازينك - يا عبد الله! - بالأعمال الصالحة المستمدة من الكتاب والسنة؛ لتكون لك ذخراً عند الله سُبحانه وتعالى.

والعمل الصالح هو ما بُني على أصليين أصيلين: الإخلاص لله وحده، والمتابعة لرسوله ﷺ، فتلك الأعمال توزن؛ فتؤمن بأنها توزن، وتؤمن بالميزان، توزن فيثقل ويخف بحسبها؛ يدل لذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الانبيا: ٤٧]، وقول الله تعالى: ﴿ وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن: ٧]، وقوله سُبحانه: ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ ① فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ② وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۖ ③ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ④ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ⑤ نَارُ حَامِيَةٍ ⑥ ﴾ [القلعة: ٦ - ١١]، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ⑦ ﴾ [المؤمن: ١٠٢ - ١٠٣]، وقول النبي ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»<sup>(١)</sup>، وقوله ﷺ: «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ»<sup>(٢)</sup>، وصح عنه ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ سَجًّا كُلُّ سَجٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ

(١) أخرجه البخاري [٦٦٨٢]، ومسلم [٢٦٩٤] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم [٢٢٣] من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هَذَا شَيْئًا أَظْلَمَكَ كَتَبْتِي الْحَافِظُونَ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُذْرٌ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولُ: اخْضُرْ وَزَنَكَ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ قَالَ: فَتَوْضَعُ السَّجَلَاتُ فِي كَفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ فَطَاشَتْ السَّجَلَاتُ وَثَقَلَتْ الْبِطَاقَةُ فَلَا يَنْثُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»<sup>(١)</sup>.

فهذه أدلة صريحة صحيحة على أن الميزان حق، ومن قال من المعتزلة القدامى وأفراخهم من العقلانيين المعاصرين: إن الميزان لا يحتاج إليه إلا الفوال والبقال، ويردون هذه النصوص الثابتة، فهو لاء وأولئك يصدق عليهم قول الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥]، وقول النبي ﷺ: «وَأَنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»<sup>(٢)</sup>.

فعلينا أن نؤمن بذلك حق الإيمان، وأن نجتهد في تثقيل الموازين بالأعمال الصالحة التي تُقرب إلى الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن نبتعد عن كل ما يخففها.

وثبت أن الميزان له كفتان كما دل على ذلك حديث صاحب البطاقة المتقدمة، وتوزن به الأعمال حقيقة على الوجه الذي يعلمه الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، والله يعلم وصفه وكيفية ذلك الوزن، وهل هو ميزان أو موازين؟ كل هذا نرد علمه إلى الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

وثبت أن الذي يوزن ثلاثة: الأعمال وصحائف الأعمال وصاحب العمل.

(١) أخرجه الترمذي [٢٦٣٩]، وابن ماجه [٤٣٠٠]، والحاكم [١٩٣٧] من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: حسن غريب. وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

(٢) أخرجه البخاري [٦٤٧٨] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فمن أدلة وزن الأعمال: حديث «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ»، وقد تقدم قريباً.  
ومن أدلة وزن صحائف الأعمال حديث البطاقة، وقد تقدم أيضاً.

ومن أدلة وزن صاحب العمل ما ورد في قصة لابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أنه كان يجتز لرسول الله ﷺ سواكا من أراك، وكان في ساقيه دقة، فضحك القوم، فقال النبي ﷺ: «مَا يُضْحِكُكُمْ؟ مِنْ دَقَّةِ سَاقِيهِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ»<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ: «إِنَّهُ لِيُؤْتَى بِالرَّجُلِ الْعَظِيمِ السَّمِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ»، وقال: «اقْرَأُوا ﴿فَلَا تَقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]»<sup>(٢)</sup>.

والذي يظهر من حيث الترتيب أنه بعد البعث يكون الحوض، ثم الميزان، ثم الشفاعة، ثم الصراط. أما من قال إن الحوض بعد الصراط فهذا بعيد؛ والله أعلم.



(١) أخرجه أحمد [٣٩٩١]، والطيالسي [٣٥٥] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحسنه الألباني في «غاية المرام» [٤١٦].

(٢) أخرجه البخاري [٤٧٢٩]، ومسلم [٢٧٨٥] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٩٩- وَالْكَتُبُ يَوْمَئِذٍ تَطَايُرُ فِي الْوَرَى بِشَمَائِلِ الْأَيْدِي وَبِالْإِيمَانِ

❖ بَيْنَ النَّاظِمِ رَحْمَةُ اللَّهِ حَالِ تَطَايُرِ الْكُتُبِ إِلَى أَصْحَابِهَا، فَأَخَذَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وَأَخَذَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ؛ فَهَذَا الْكِتَابُ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا، وَلَا يَظْلِمُ فِيهِ الْعَبْدَ شَيْئًا؛ وَإِنَّمَا تُحْصَى عَلَيْهِ أَعْمَالُهُ وَتُسَطَّرُ فِي هَذَا الْكِتَابِ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلَزَمْتَهُ طَلْعَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [الْإِنشَاء: ١٣ - ١٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الْكَهْف: ٤٩]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ﴾ ٧ ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ ٨ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ٩ ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ ١٠ ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ ١١ وَيَصِلُ سَعِيرًا ١٢ [الْإِنْشَاق: ٧ - ١٢]، وَقَالَ عَزَّجَلَّ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ﴾ ١٣ ﴿فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْنِيبُ﴾ ١٤ ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِي﴾ ١٥ ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ ١٦ ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ ١٧ ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ ١٨ ﴿كُلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ ١٩ ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِشِمَالِهِ﴾ ٢٠ ﴿فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَرَأَوْتُ كِتَابِي﴾ ٢١ ﴿وَلَمْ أَذِرْ مَا حِسَابِي﴾ ٢٢ ﴿يَلَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾ ٢٣ ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِي﴾ ٢٤ ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ [الْمُقَاتِلَةُ: ١٩ - ٢٩].

والجمع بين قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِشِمَالِهِ﴾ وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ أنه يُؤْتَى كِتَابُهُ بِشِمَالِهِ مَغْلُولَةً مِنْ وَرَاءَ ظَهْرِهِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ -.

وَأَمَّا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾، مَعَ أَنَّهُ يَأْخُذُ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَمَعَ أَنَّ ثَمَّةَ حَدِيثًا يَقُولُ: «مَنْ نَوَقَشَ الْحِسَابَ هَلَكَ» أَوْ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى: «عَذَّبَ» فَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ فَقَالَ: «إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ؛ يُقَالُ لَهُ: عَمِلْتُ فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْضُهَا لَكَ الْيَوْمَ، وَمَنْ نَوَقَشَ الْحِسَابَ هَلَكَ» (١).

(١) أخرجه البخاري [١٠٣]، ومسلم [٢٨٧٦].

فالحساب حسابان: حساب مناقشة، وحساب عرض؛ فمن نوقش الحساب عُدَّ بَ، ومن عُرِّض عليه الحساب عَرْضًا نَجَا؛ لأنه من أهل اليمين الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم؛ قَالَ تَجَالَى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ (٢٧) فِي سِدْرِ مَحْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَنضُودٍ (٢٩) وَظِلِّ مَمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفُكْهِفٍ كَثِيرٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُشٍّ مَرْفُوعَةٍ ﴿[الواقعة: ٢٧-٣٤]﴾ إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ (٤١) فِي سَمُورٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلِّ مَن يَحْمُومٍ (٤٣) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿[الواقعة: ٤١-٤٤]﴾ - نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ - فَهَذَا هُوَ مَصِيرُ جَمِيعِ النَّاسِ كُلُّ يُنْشَرُ لَهُ كِتَابُهُ وَيُسَلَّمُ إِيَّاهُ، وَيُقَالُ لَهُ: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإنشَاء: ١٥] فَالْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي.



## وصف الله سُبحَانَهُ بالمجيء والرد على المخالف

١٠٠- وَاللَّهُ يَوْمَئِذٍ يَجِيءُ لِعَرَضِنَا مَعَ أَنَّهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ دَانٍ

✽ يشير بهذا البيت إلى ما دل عليه قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الجن: ٢٢]، وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وقوله تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

والمقصود: أَنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يجيء للفصل بين الخلائق يوم القيامة، يجيء مجيئاً حقيقياً يليق بجلاله وعظمته، ومنهجنا في المجيء هو منهجنا في سائر الأسماء والصفات، كما دلَّت عليه النصوص الشرعية؛ وهو إثبات المجيء على ما يليق بجلال الله وعظمته؛ لأنه هو الذي أخبر بذلك عن نفسه، وهو الذي يعلم ما ثبت له، وما يجب أن يوصف به، وما يجب أن يُنفى عنه؛ إذ لا أعلم بما يجب لله من الله، ولا أعلم بما يجب لله بعد الله من رسول الله ﷺ.

وما دام المجيء قد ثبت في الكتاب والسنة فالواجب التسليم له دون أن نشبهه بمجيئنا أو إتياننا أو حركاتنا أو سكناتنا فالله عَزَّجَلَّ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير؛ ليس كمثله شيء في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله؛ فالواجب التسليم لهذه الأمور التي دلت عليها نصوص الكتاب والسنة وإن قصرت عقولنا عن إدراك كيفيتها فإننا خلقنا للتعبد، وعلينا أن نعلم أننا أمرنا بأن ننقاد ونسلم لكل ما أخبر الله به سواء استوعبته عقولنا أم لا.

وكان السلف إذا جاءتهم آيات الصفات أو غيرها من المغيبات؛ انقادوا وأذعنوا وسلموا وقالوا: آمنا به كل من عند ربنا؛ لذلك يقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عندما سمع



رجلاً ارتعد وارتجف واهتز واضطرب لما سمع بعض آيات الصفات؛ فقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «ما بال هؤلاء يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه»<sup>(١)</sup>؛ أي: ما بالهم يستسلمون عند المحكم؛ ما فَرَّقُوا هؤلاء؟! يعني: ما خوفهم؟ وما الذي أدى بهم إلى هذا الحال؟ يجدون رقة عند محكمه ويهلكون عند متشابهه! يعني: لماذا يسلمون بالبعض ولا يسلمون بالبعض الآخر والكل قد جاء من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟!

والمسلم إذا أشكل عليه أمر؛ آمن وأذعن بما جاء، ووكل ما لم يعلم علمه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلا ينفي بناء على كونه لم يفهم ذلك، أو لم يعلم كيفيته، أو أن عقله يستبعده، أو أن علم الكلام والمنطق لا يقره، كما قد يتبادر إلى ذهنه أو نحو ذلك، مما قد يخطر بباله من الأوهام الشيطانية؛ بل إنه يذعن ويسلم؛ يقول الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «آمنا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنا برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله جَلِيلُ اللَّهِ عَلِيٌّ مَبِينٌ»<sup>(٢)</sup>، وبنحوه عن الإمام أحمد وقال: «لا نتجاوز القرآن والحديث»<sup>(٣)</sup>.

وأما قوله: «مَعَ أَنَّهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ دَانَ» فيشير بهذا إلى نزوله إلى السماء الدنيا في كل ليلة، أو يشير إلى قربته من خلقه سُبْحَانَهُ، فالبيت محتمل للأمرين؛ بل يشملهما، فإذا حملنا الدنو على النزول فإنه ثابت، دلت عليه الأحاديث المتواترة التي رواها نحو سبعين صحابياً، «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا، فيسأل عباده: من يسألني فأعطيه؟ من يستغفري فأغفر له؟ من يدعوني فأستجيب له؟»<sup>(٤)</sup> فلا يجوز تأويل أو إنكار ذلك، ولا القول

(١) أخرجه عبد الرزاق [٢٠٨٩٥]، وابن أبي عاصم في «السنة» [٤٨٥].

(٢) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية»، (٣/ ٤٥٢)، «ذم التأويل» لابن قدامة، ص: [١١]، ص: [٤٤].

(٣) انظر: «أقاويل الثقات» ص: [٢٣٤].

(٤) أخرجه البخاري [١١٤٥]، ومسلم [٧٥٨] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بأنه نزول أمره سُبْحَانَهُ أو رحمته؛ وإنما ينزل نزولاً حقيقياً يليق بجلاله وعظمته ولا يشك في هذا إلا جاهل؛ لأنه إذا جاء الخبر من عند الله أو عن رسول الله ﷺ؛ فحسبك به، إذا سمعت قال الله تَعَالَى، أو قال رسوله ﷺ؛ وجب عليك أن تدعن، وأن تسلم لما جاء في كتاب الله؛ فنزوله نزول يليق بجلاله وعظمته، ومجيئه مجيء يليق بجلاله وعظمته.

والذي أوقع كثيراً من الناس في الشبه: هو تعلقه بكلمة: (كيف؟ ولم؟)؛ لأنه يدخل نفسه حينئذ فيما لم يكلفه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بطلبه، وما لم يتعبده الله به، فلسنا متعبدین بالعلم بالكيفيات؛ وإنما نحن متعبدون بالإذعان والاستسلام والانقياد لما أمر الله به، والبعد عن كل ما نهى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عنه.

ويحتمل أيضاً حمله على دنوه في علمه، فمع كونه فوق جميع خلقه مستوياً على عرشه استواءً يليق بجلاله وعظمته، فإنه في الوقت نفسه لا تخفى عليه خافية؛ بل يعلم كل شيء؛ فعلينا أن ندعن لذلك وأن نستسلم له وأن نؤمن بصفتي المجيء والنزول الذين جاء بيانهما في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.



- ١٠١- وَالْأَشْعَرِيُّ يَقُولُ يَأْتِي أَمْرُهُ وَيَعِيبُ وَصَفَ اللَّهِ بِالْإِتْيَانِ  
١٠٢- وَاللَّهُ فِي الْقُرْآنِ أَخْبَرَ أَنَّهُ يَأْتِي بِغَيْرِ تَنْقُلٍ وَتَدَانٍ

بعد أن قرّر الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ أَنْ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ يَجِيءُ مجيئاً حقيقياً يليق بجلاله وعظمته، كما دلت على ذلك النصوص من كتاب الله تَعَالَى وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أخذ يُبين هنا مذهب المخالفين في إثبات مجيئ الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فالمجِيءُ صفةٌ فعلية، من الصفات الاختيارية التي يفعلها الرب متى شاء إذا شاء كيف شاء على ما يليق بجلاله وعظمته.

وشأنه شأن سائر الصفات التي تُمرُّ كما جاءت بلا كيف، فيقال فيها كما قال الإمام مالك رَحْمَةُ اللَّهِ فِي الاستواء فيقال: «المجِيءُ معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة».

وذكر الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ أَنَّ مذهب الأشعري في مسألة مجيئ الرب جَلَّ وَعَلَا أنه مجيئ أمره أو رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيكون معنى قوله تَعَالَى عنده: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ أي: وجاء أمر ربك أو وجاءت رحمة ربك؛ وهذا قولٌ باطل.

وقبل أن أبين وجه بطلانه يُطرح سؤالٌ هنا: هل ما نسبته الناظم إلى الأشعري هو مذهبه الذي استقر عليه أمره؟ والجواب أن الأشعري رَحْمَةُ اللَّهِ قد مرّت به أطوار؛ فقد نشأ في أول حياته ربيعاً لزوج أمّه (أبي علي الجبائي المعتزلي) فاعتنق مذهب زوج أمّه الذي تربى في كنفه، وهو مذهب الاعتزال.

وقد تقدم أن المعتزلة يثبتون الأسماء مجردة ويؤوّلون الصفات أو ينفونها، وحتى إثباتهم للأسماء لا قيمة له؛ لأنهم يثبتون أسماء جوفاء مجردة عن المعاني، وهي عقيدة جهيم

التي يقول فيها: إن الله سميعٌ بلا سمعٍ، بصيرٌ بلا بصرٍ، عليمٌ بلا علمٍ، خيرٌ بلا خبر...  
كما قال ابن القيم:

وقضى على أسمائه بحدوثها      وبخلقها من جملة الأكوان  
فانظر إلى تعطيله الأوصاف والـ      أفعال والأسماء للرحمن  
ماذا الذي في ضمن ذا التعطيل من      نفي ومن جحد ومن كفران  
لكنه أبدى المقالة هكذا      في قالب التنزيه للرحمن  
وأتى إلى الكفر العظيم فصاغه      عجا ليفتن أمة الثيران

وقد ذكر الألوسي في كتابه: «جلاء العينين في محاکمة الأحمدين» قصة مفادها أن  
أعرابياً مرّ على جهنم بن صفوان وهو يقرر عقيدته لتلاميذه، يقول لهم فيها: إن الله سميع  
بلا سمع، بصير بلا بصر، عليم بلا علم إلى آخره؛ فاستنكر هذا الأعرابي كلامه هذا  
المخالف للعقل والفطرة، إذ لا يعقل أن يسمى 'سميعاً' إلا إذا كان يسمع، وبصيراً إلا إذا  
كان يبصر وهكذا، فقال على البدية هاجيا جهما ومن شاكلة:

ألا إن جهما كافر بان كفره      ومن قال يوماً قول جهنم فقد كفر  
لقد جن جهنم إذ يسمي إلهه      سميعاً بلا سمع بصيراً بلا بصر  
عليماً بلا علم رضيعاً بلا رضا      لطيفاً بلا لطف خبيراً بلا خبر  
أيرضيك أن لو قال يا جهنم قائل      أبوك امرؤ حُرٌّ خطير بلا خطر  
مليح بلا ملح بهي بلا بها      طويل بلا طول يخالفه القصر  
حليم بلا حلم وفي بلا وفا      فبالعقل موصوف وبالجهل مشتهر  
جواد بلا جود قوي بلا قوى      كبير بلا كبير صغير بلا صغر  
أمدحا تراه أم هجاء وسبة      وهزء كفاك الله يا أحمق البشر

فإنك شيطان بعثت لأمة تُصيرهم عما قريب إلى سقر

أعود فأقول: نشأ أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللهُ أربعين سنة على هذا المذهب، ثم فكر وعرف أنه عقيدة فاسدة فأخذ يبحث عن الحق، فانتقل إلى عقيدة أبي محمد عبد الله بن كُلاب؛ وهي تأويل بعض الصفات وإثبات سبع منها، وحتى إثبات هذه السبع محل نظر، حيث يقول مثلاً: إن السمع هو إدراك المسموعات، والبصر إدراك المبصرات، وهكذا في باقي السبع، فيؤول كلامه في النهاية إلى عقيدة المعتزلة، ثم لم يلبث أبو الحسن الأشعري وهو يبحث عن الحق أن اهتدى إلى منهج السلف، وبخاصة في باب الأسماء والصفات - وإن كان قد بقيت عنده بعض الشبه في مسألة الإيمان وفي مسألة الكسب، - وهذا هو الذي استقر عليه أمره رَحِمَهُ اللهُ -، وصنّف في ذلك كتاباً سماه: «الإبانة في أصول الديانة» قرر فيه مذهبه الأخير، وذكر فيه أنه على مذهب إمام أهل السنة أحمد بن حنبل، فهل كلام الناظم هنا ينطبق على الأشعري أم على الأشاعرة؟ وهل هناك فرق بين الأشعري والأشاعرة؟ ألم ينتسبوا إليه؟

بل، إنهم انتسبوا إليه في طوره الأوسط الاعتزالي، ولم ينتسبوا إليه في الأمر الذي استقر عليه حاله، أعني منهج السلف الذي قرره في الإبانة.

ومن الغريب والعجيب أن الحافظ ابن عساكر رَحِمَهُ اللهُ وهو أشعري العقيدة، ثبت نسبة كتاب: «الإبانة» إلى أبي الحسن الأشعري، ومع هذا بقي على المنهج الذي عليه سائر الأشاعرة، ولم يرجع إلى مذهب أبي الحسن الأخير، الذي هو منهج السلف.

فلا يُوافق الناظم هنا، ولعله لم يبلغه رجوع أبي الحسن عن المذهب الكلابي إلى منهج السلف.

والمتبوع لمنظومة القحطاني هذه يلحظ أنه من أهل الأندلس والمغرب الأقصى، وأنه عاش ما بين القرن الخامس والسادس الهجري تقريباً، ولعله لم يتضح لأهل المغرب الأقصى يوماً ما استقر عليه أمر أبي الحسن الأشعري؛ فأخذوا بقوله الأوسط، وإن كان وجد بينهم في الحقيقة أناس وفقوا لمنهج السلف، وعلى رأسهم الإمام ابن أبي زيد القيرواني، وكذلك ابن أبي زمنين، وأبو عمر الطلمنكي، والحافظ ابن عبد البر القرطبي أبو عمر النمري، ومع ذلك فقد بقي الأكثر منهم على 'مذهب الأشاعرة المعهود.

ويبدو من شدة القحطاني على الأشعري والأشاعرة أن مذهب الأشاعرة قد دخل بلاد الأندلس والمغرب الأقصى متأخراً، ولعله دخل مع المهدي بن تومرت الذي أدخل بعض العقائد الفاسدة إلى تلك البلاد وقضى على دولة أهل السنة دولة المرابطين التي يقودها علي بن يوسف بن تاشفين، وقد مات ابن تومرت سنة ٥٢٤هـ.

وكان ابن تومرت هذا سمى دولته بدولة الموحدين وهو اسم على غير مسمى.

وكان أهل الأندلس والمغرب الأقصى آنذاك على فطرتهم لم يغيروا ويبدلوا في العقيدة وخاصة في باب الأسماء والصفات؛ ولهذا حمل عليهم بشدة، وسمى الإمام أبا الحسن، بل ذكره بكنيته ولقبه في غير ما موضع من هذه المنظومة النافعة الماتعة، والذي يظهر، بل يُجزم به أنه يعتقد أن الأشعري رَحِمَهُ اللهُ ما زال على منهج أبي محمد عبد الله بن كُلاب.

والتحقيق: أنه ترك هذا المذهب إلى مذهب السلف في الجملة كما تقدم بيانه، وتُراجع رسالة نفيسة لشيخنا الشيخ: حماد بن محمد الأنصاري رَحِمَهُ اللهُ في ترجمته لأبي الحسن الأشعري.

وعودا على بدء، فقد ذم الناظم المؤولة عموماً، والأشعرية منهم خصوصاً الذين يقولون في مثل: ﴿وَجَاءَ﴾؛ أي: وجاء أمره أو رحمته؛ لأنَّ ذلك مخالفٌ لظاهر القرآن والسنة، مخالف للشرع واللغة، بل ومخالف للعقل السليم والفطرة المستقيمة؛ لأنه يلزم منه لازمٌ فاسدٌ، فكأنهم ينسبون الله تَعَالَى بتأويلهم هذا إلى عدم القدرة على المجيء والإتيان، وهذا معلوم البطلان من الدين بالضرورة، ونحن مأمورون أن نأخذ بظاهر القرآن والسنة، وأن لا نلجأ إلى التأويل بأي شكل من أشكاله إلا فيما دلَّ الدليل على ضرورة تأويله، ولا دليل هنا، وما أفسد قاعدة المؤولة التي قعدوها ويعولون عليها في باب الأسماء والصفات، وهي قولهم:

وكل نص أوهم التشبيهاً      أوله أو فوض ورم تنزيهاً  
وما جاء في معناه مثل قول الناظم المؤول:

وكل ما جاء بلفظ يوهم      أوله أو قل فيه ربي أعلم  
ولو قال:

وكل ما جاء بلفظ يعلم      أثبتته وفي الكيف ربي أعلم  
لكان أحسن، مع العلم أنه لا يوجد نص في باب الأسماء والصفات يوهم التشبيه البتة، وإنما أوتي القوم من قبل عقولهم القاصرة وأفهامهم الفاسدة والتي قلدوا فيها أمثال جهنم وبشر المريسي ومن شاكلهم من المبتدعة المارقين وأهل الكلام الضالين، وما أحرى بهؤلاء وأولئك بما دل عليه قوله جلَّ شأنه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِيَرِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُواْ أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَنْ سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

وقوله: «ويعيبُ وصف الله بالإتيان» بمعنى: ينكر، ويرى أنَّه صفةٌ نقصٍ في حق الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ونسي ابن كلاب ومن تبعه وقبلهم المعتزلة أنَّ الله هو الذي وصف نفسه بذلك، وهو أعلم بنفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ولذلك يقال لهم ما قاله الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ في الإستواء، وقد مرَّ قريباً أن جواب الإمام مالك هذا قاعدة في سائر الصفات.

فالله تَعَالَى يقول: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾، وهم يقولون: وجاء أمر ربك! فكأنهم يقولون: لا، يا ربِّ! نحن أعلم بك منك، والصواب ما جئنا به ووصفناك به - تعالى الله عما يقول المؤولة علواً كبيراً -.

وهم لا يقصدون تكذيب الرب سُبْحَانَهُ - حاشا لله أن ننسب إليهم ذلك -، لكن هذا هو مدلول كلامهم من حيث لا يشعرون؛ ولذلك لو عومل الأشعرية بلازم مذهبهم لقليل إنهم حلولية بقولهم: «إن الله في كل مكان»، لكن نحن لا نُلزمهم بهذا، لأنهم لم يتصوروا ما يلزم على كلامهم، ولازم المذهب ليس بمذهب، وإن كان من حيث الواقع يلزمهم، بيد أننا لا نُلزمهم ديانة، وإنما نُلزمهم ذلك سياقاً ولغة وحجةً.





١٠٢- وَاللَّهُ فِي الْقُرْآنِ أَخْبَرَ أَنَّهُ يَأْتِي بِغَيْرِ تَنْقُلٍ وَتَدَانٍ

✽ الله هو الذي أخبر أنه يجيء، وقصد الناظم بقوله: «بِغَيْرِ تَنْقُلٍ وَتَدَانٍ»: أي: بغير كيفية، أمّا كلمة بغير تنقل وتدان فهذا نكل علمه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فنحن نؤمن بأنه يجيء على ما يليق بجلاله وعظمته، ونحمل كلام الناظم على هذا المعنى.

أمّا قوله: «بِغَيْرِ تَنْقُلٍ، بِغَيْرِ تَدَانٍ، بِغَيْرِ قَرَبٍ، بِغَيْرِ حَرَكَةٍ أَوْ بِحَرَكَةٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ» فهذا لم نكلّف بالبحث فيه، ولم نُتَعَبِدْ بِإِنْكَارِهِ أَوْ إِقْرَارِهِ، بَلْ تُعَبَّدُنَا بِالْإِيْمَانِ بِأَنَّهُ يَجِيءُ سُبْحَانَهُ، وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ نَكْلُ عِلْمِهِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لِأَنَّهُ عِلْمٌ غَيْبِيٌّ.

والصفات عموماً لها جانب ظاهر يجب الإيْمَانُ بِهِ، وَلَهَا جَانِبٌ غَيْبِيٌّ يَجِبُ أَنْ نَكْلُ عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَبِالنَّسْبَةِ لِلْعِلْمِ بِالصِّفَةِ وَإِثْبَاتِ مَعَانِيهَا لِلَّهِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ هَذَا مُحْكَمٌ يَجِبُ الْإِيْمَانُ بِهِ، وَالتَّسْلِيمُ لَهُ وَالْإِذْعَانُ، وَالْإِنْقِيَادُ لَهُ حَتَّى وَلَوْ لَمْ تَسْتَوْعِبْهُ عَقُولُنَا. وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْكَيْفِيَّاتِ وَالْعِلْمِ بِكَيْفِ يَجِيءُ وَكَيْفِ يَتَنَقَّلُ وَكَيْفِ يَتَحَرَّكُ، فَهَذَا نَكْلُ عِلْمِهِ إِلَى عَالَمِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَا نَتَطَرَّقُ إِلَى كَيْفِيَّتِهِ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ.

وَمَا أَجْمَلَ مَا نَظَّمَهُ الشَّيْخُ حَافِظُ الْحَكَمِيِّ مِنْ عِبَارَاتٍ لِلشَّيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذَا الْمَعْنَى حَيْثُ قَالَ:

كَذَلِكَ الْعُلُوُّ وَالْفَوْقِيَّةُ	عَلَى عِبَادِهِ بِلَا كَيْفِيَّةٍ
وَمَعَ ذَا مُطْلَعٍ إِلَيْهِمْ	بِعِلْمِهِ مُهَيِّمٌ عَلَيْهِمْ
وَذِكْرُهُ لِقُرْبٍ وَالْمَعِيَّةُ	لَمْ يَنْفِ لِلْعُلُوِّ وَالْفَوْقِيَّةِ
فَإِنَّهُ الْعَلِيُّ فِي دُنُوهِ	وَهُوَ الْقَرِيبُ جَلٌّ فِي عُلُوِّهِ
حَيٌّ وَقَيُّومٌ فَلَا يَنَامُ	وَجَلٌّ أَنْ يُشَبِّهَهُ الْأَنَامُ
لَا تَبْلُغُ الْأَوْهَامُ كُنْهَ دَاتِهِ	وَلَا يُكَيِّفُ الْحُجَا صِفَاتِهِ <sup>(١)</sup>

(١) انظر: «معارج القبول» لحافظ الحكمي، (١/١٣٦).

## الإيمان بعرض الخلق على الله عَزَّجَلَّ لا تخفى عليه منهم خافية

قال الناظم:

١٠٣- وَعَلَيْهِ عَرَضُ الْخَلْقِ يَوْمَ مَعَادِهِمْ لِلْحُكْمِ كَيْ يَتَنَاصَفَ الْخَصْمَانِ

❦ أي: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يجمع الأولين والآخرين يوم القيامة، وتعرض أعمالهم عليه، فيُنْصَفُ للمظلوم من الظالم؛ ودواوين الظلم ثلاثة: ديوان لا يغفر الله لمن مات عليه، وهو: الإشرak بالله عَزَّجَلَّ، وديوان لا يترك الله منه شيئاً، وهو ظلم العباد فيما بينهم، حتى إنه ليقْتَص للجلحاء من القرناء من الحيوانات، والثالث ظلم العبد نفسه، فيما بينه وبين ربه؛ وهذا تحت المشيئة، إن شاء الله غفر لصاحبه بفضله وإن شاء عذبه بعدله، ولا يظلم ربك أحداً، فهو سُبْحَانَهُ حكم عدل؛ ❦ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَعْفُهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ❦ [النساء: ٤٠]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ❦ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ❦ [الحاقة: ١٨]، فتعرض جميع الأعمال على الله فيُجازي كل بحسب عمله؛ ❦ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ❦ [فصلت: ٤٦].



## إثبات رؤية الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة وأنه سبحانه لا يرى في الدنيا

١٠٤- وَاللَّهُ يَوْمَئِذٍ نَرَاهُ كَمَا نَرَى قَمَرًا بَدَأَ لَيْسَتْ بَعْدَ ثَمَانِ

✽ قرر الناظم في هذا البيت إثبات رؤية المؤمنين لربهم كما يرون القمر ليلة البدر لا يُضامون في رؤيته، وهو الذي قصده بقوله: «قمر ابدأ لست بعد ثمان»، ويشير بذلك إلى الأحاديث المتواترة في الرؤية ومنها قول النبي ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ»<sup>(١)</sup>؛ أي: لا تضارون، والتشبيه هنا للرؤية بالرؤية وليس تشبيها للمرئي بالمرئي، فكما أن رؤية القمر ليلة البدر - أي: ليلة أربعة عشر أو خمسة عشر منه ثابتة لا يشك فيها - فكذلك رؤية المؤمنين لربهم عزَّ وجلَّ يوم القيامة، فالمؤمن ينال هذا الفضل العظيم من الله يوم القيامة؛ وهو النظر إلى وجهه الكريم، نظراً حقيقياً ليس مجازياً، بدون إحاطة ولا إدراك.

وقد ثبت أنه أعظم نعيم لأهل الجنة كما في حديث صهيب رضي الله عنه عند مسلم<sup>(٢)</sup> أن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ»، والآيات الدالة على ثبوت رؤية المؤمنين ربهم كثيرة منها قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۖ (٢٢) إِلَيْنَا نَاظِرَةٌ﴾ [الْقِيَامَةِ: ٢٢ - ٢٣]؛ قال المفسرون: أي: تنظر إلى ربها نظراً، ووجه الدلالة من هذه الآية على المقصود من ثلاثة وجوه:

(١) أخرجه البخاري [٥٥٤]، ومسلم [٦٣٣] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) برقم [١٨١].

أولاً- أنه قد عبّر بالوجه التي هي محل الرؤية؛ ففي الوجه العينان، والعينان هما محل البصر.

وثانياً- تعديته بحرف (إلى)، ونَظَرَ يتعدى 'ب' (إلى)، ويتعدى 'ب' (في)، ويتعدى بنفسه.

فإذا عدي 'ب' (إلى) كان معناه النظر إلى الشيء حقيقة، تقول: نظرت إلى زيد أي: وجهت نظري إليه، ونظرت إليه بعيني - والله المثل الأعلى -.

وإذا عدي 'ب' (في) كان المقصود منه التفكير والتدبر، كما في قول الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَنَظَرْنَا فِي النُّجُومِ﴾ [الصافات: ٨٨]؛ أي: نظر تفكر، ومنه قوله تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأنعام: ١٨٥]؛ أي: نظر تفكر وتدبر.

وإذا عدي بنفسه، فالمقصود منه التمهّل والانتظار؛ ومنه قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَنْظُرُونَا نَقْتَضِ مِنْ ثَوْرِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣].

الثالث- خلو السياق من قرينة تصرف عن هذا المعنى الظاهر إلى معنى آخر. فالمقصود: أنه متى خلا السياق من قرينة تصرف الكلام عن معناه الظاهر إلى معنى آخر؛ فلا يمكن أن يوجّه النظر إلى غير النظر الحقيقي، ويؤيد ذلك قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقد فسر النبي ﷺ الزيادة هنا بالنظر إلى وجه الله الكريم كما في حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم وغيره.

فما دام النبي ﷺ هو الذي فسر الآية الكريمة بهذا المعنى وأنهم ينظرون إلى ربهم فماذا بعد الحق إلا الضلال.

وقد استنبط السلف من قول الله تَعَالَى في حق الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥] أن المؤمنين يرونه بمفهوم المخالفة كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في نونيته:

ولقد أتى في سورة التطهيف أن القوم قد حجبوا عن الرحمان  
فبدل بالمفهوم أن المؤمني من يرونه في جنة الحيوان  
وبذا استدل الشافعي وأحمد وسواهما من عالمي الأزمان  
وهذا أمر قد أجمع عليه أهل السنة والجماعة، وليس فيه بينهم نزاع أو خلاف إلى  
أن ظهرت المعتزلة والجهمية ومن تفرع عنهم من المبتدعة فأوجدوا فيه خلافاً، وهم أهل  
الخلاف والشقاق، لذا فإن خلافهم مطّرح، والخلاف لا يعتبر إلا إذا كان مبنياً على نص  
من كتاب أو سنة؛

وليس كل خلاف جاء معتبراً إلا خلاف له حظ من النظر  
وأيضاً فإن النظر والرؤية صفة كمال، والذي لا يرى يُعَدُّ معدوماً، وبهذا ألزمت  
المعتزلة الأشعرية عندما أثبتوا الرؤية، بينما نفاها المعتزلة، فيقول المعتزلة للأشاعرة: إنه  
يلزمكم إنكار الرؤية كما أنكرناها، لأنكم تنفون العلو، علو الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي  
تطلقون عليه الجهة، إذ لا يتصور مرئي إلا في جهة، فما دتم تنفون العلو فيلزمكم أن تنفوا  
الرؤية؛ ولذلك فقد وقع منهم من وقع كأبي المعالي الجويني قبل رجوعه، فأنكر الرؤية بناء  
على إنكار العلو والاستواء.

ولهذا فإن الأشاعرة بين أمرين: إما أن يرجعوا إلى أهل السنة والحق فيثبتون  
كلًا من العلو والرؤية، أو يكونوا مع المعتزلة فينفون الرؤية بناء على نفيمهم العلو الذي  
يعبرون عنه بالجهة.

والمعتزلة ومن نهج نهجهم نفوا رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، فحكّموا عقولهم الفاسدة وآراءهم الكاسدة، وجعلوا الرؤية مستحيلة، لأنها على حد زعمهم لا تكون ولا تناسب إلا المخلوق، وتمسكوا بدليلين ظنوا أنها لهم وهما في حقيقة الأمر عليهم.

الدليل الأول: قول الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى حكاية عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبِّ ارِنِّي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٤٣]؛ وجه الاستدلال بهذه الآية عندهم من وجهين:

أولاً- أنه نفى للرؤية، وأن الله لم يُجب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ سؤاله.

وثانياً- يقولون إن لن تفيد التأييد، وهي التي يسمونها (لن الزخشرية)؛ لأن الزخشري، وهو من منظرهم، ادّعى أنها تفيد التأييد في جميع الأحوال بدون استثناء، والحق أن هذا باطل من وجوه:

الأول- أنه لا يُظن بكليم الله موسى أن يسأل أمراً مستحيلاً، وإنما سأل أمراً مشروعاً ممكنًا عندما قال: ﴿رَبِّ ارِنِّي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾.

وثانياً- أن الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى لم ينكر على موسى هذا السؤال، بينما أنكر على نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ سؤاله نجاه ابنه الذي أراد الله أن يكون من الغاوين.

وثالثاً- أن الله عَزَّجَلَّ لم يقل إنني لا أرى أولن يراني أحد؛ وإنما قال: ﴿لَنْ تَرَنِي﴾، أي: وأنت على وضعك الحالي في خلقك الدنيوية. ويؤيد هذا قول النبي ﷺ: «لن تروا ربكم حتى تموتوا»<sup>(١)</sup>.

ورابعاً- أنه لم ينقل عن أحد من السلف نفى الرؤية.

(١) أخرجه أحمد [٢٢٧٦٤]، وأبو داود [٤٣٢٢] من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٢٤٥٩].

وأخيراً: أن النصوص من الكتاب والسنة متضافرة في إثبات الرؤية، فإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل.

وأما كون (لن) تفيد التأيد مطلقاً، فهذا غير صحيح، وإنما ينظر إليها بحسب السياق؛ فقد تقتضي التأيد من دون ذكر قيد التأيد معها، وقد تقتضي التأيد بقيد ذكر التأيد، وقد لا تقتضي التأيد مع وجود قيد التأيد.

وبيان ذلك من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ ومن لغة العرب.

فإنها لم تفد التأيد مع أنها قد قرنت به، كما في قول الله سبحانه وتعالى في وصف اليهود في سورة البقرة: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٥]، بينما يتمنونه عندما يعاينون العذاب، كما قال الله: ﴿وَنَادُوا بِمَلَكٍ لِّيَقْضِ عَلَيْنَا رَيْكُ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّكُمْ﴾ [الزحزح: ٧٧]؛ فهنا مع وجود التأيد دلت الآية الأخرى على أنهم يتمنون الموت في وقتٍ من الأوقات.

وكذلك وجدناها أيضاً قد أُقْتِتَ بزمن، وهي داخلة على الفعل المضارع في قول الله عز وجل: ﴿فَلَنْ أُنْزِلَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِیَ أُنْزِلَ﴾ [يوسف: ٨٠].

ولذلك يقول ابن مالك في الكافية:

ومن رأى النفي بـ «لن» مؤبداً فقوله اردد وسواه فاعضداً  
وأما استدلالهم الآخر على نفي الرؤية بقول الله عز وجل: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وهذا أيضاً مردود بأمرين:

الأمر الأول: أن المقصود بالإدراك هنا هو الإحاطة، فالمنفي بقول الله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ هو الإحاطة؛ أي: لا تحيط به وإن رآته كما قال الله عن

بني إسرائيل: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُونٌ ﴿٦٦﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٧﴾﴾ [الشعراء: ٦٦].

فقد اعتقدوا أنهم سيحاط بهم، لأنهم تراءى بعضهم لبعض، فمجرد الرؤيا لا يلزم منه الإدراك والإحاطة.

والأمر الثاني: أن الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى ذكر هذه الآيات على سبيل التمدح؛ لأن النفي المحض لا يصح أن يوصف به الرب سُبحَانَهُ وَتَعَالَى -، إذ أنه لا يفيد مدحاً ولا كمالاً، ولا تترتب عليه فائدة كطريقة الذين يصفون الله بالسلوب، ويقولون: بأن الله لا موجود ولا معدوم، ولا متصل ولا منفصل، ولا داخل العالم ولا خارجه، ولا ولا... إلى آخره - تعالى الله عما يقول الظالمون والمليحون والمؤولون علواً كبيراً -، بل كل أمر جاء نفيه عن الله عَزَّجَلَّ في الكتاب والسنة، فإنه متضمن لثبوت اتصافه بضده، فنفي السَّنة والنوم مثلاً يستلزم القيومية وكمال الحياة، ونفي اللغوب أو العجز يستلزم كمال القدرة، ونفي الوالد والولد يستلزم كمال الغنى، فلا يوصف الله تَعَالَى بالنفي المحض لذلك، لكن يوصف بنفي يترتب عليه الاتصاف بضده، فالله سُبحَانَهُ قَالَ: ﴿لَا تَذَرِكُهُ إِلَّا بَصَرٌ﴾ وذلك لعظمته، وهذا على سبيل التمدح؛ والمقصود بذلك أنه لا يحيط أحد به. فنفي الإدراك؛ هو: نفي الإحاطة.

ويجدر بنا في ختام الكلام عن الرؤية أن ننقل كلام الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ (الرؤية حق لأهل الجنة، بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، وتفسيره على ما أراد الله تَعَالَى وعلمه، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قال، ومعناه على ما أراد، لا ندخل



في ذلك متأولين ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عزَّ وجلَّ ولرسوله ﷺ. ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه<sup>(١)</sup>.



(١) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية»، ص: (٢٠٣ - ٢٠٤)، وانظر: «مجموع الفتاوى» (٦ / ٤٠١).

## أوصاف يوم القيامة وما يكون فيه من أهوال

- ١٠٥- يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَوْ عَلِمْتَ بِهِوْلَهُ لَفَرَرْتَ مِنْ أَهْلِ وَمِنْ أَوْطَانِ  
١٠٦- يَوْمٌ تَشَقَّقَتِ السَّمَاءُ لِهَوْلِهِ وَتَشِبُّ فِيهِ مَفَارِقُ الْوُلْدَانِ  
١٠٧- يَوْمٌ عَبُوسٌ قَمَطِرِيرٌ شَرُّهُ فِي الْخَلْقِ مُنْتَشِرٌ عَظِيمُ الشَّانِ

✽ يشير بهذا إلى الأهوال والعظائم التي تقع يوم القيامة: من حشر الناس على صعيد واحد حفاةً عراةً غرلاً بهماً، لا يُكَلِّمُ أَحَدٌ أَحَدًا، ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الرَّءُفُ مِنْ أَخِيهِ﴾ (٣٦) وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ﴿وَصَحْبُهُ وَبَنِيهِ﴾ (٣٦) لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَذِ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿عَنْ: ٣٤ - ٣٧﴾، كُلُّ مُشْغُولٍ بِنَفْسِهِ، وَكُلُّ يَقُولُ: نَفْسِي نَفْسِي، لَا يَسْأَلُ وَالِدٌ عَنْ وَلَدٍ وَلَا مَوْلُودٌ عَنْ وَالِدٍ، وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا، وَلَكِنْ كُلُّ مُشْغُولٍ بِنَفْسِهِ ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَذِ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الزُّمَرُ: ١٠١]، وَقَالَ الْجَلِّي: ﴿وَلَا يَسْتَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ (١) يُبْصَرُونَهُمْ يَوْمَذِ الْمَجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمَذِ بَنِيهِ (١) وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٧) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيِّدُ (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿

[المعارج: ١٠ - ١٤]

يوم يجعل الولدان شيباً وتذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد.

ويقول عنه تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَيُزَلُّ الْمَلَكُ تَنْزِيلًا﴾ (٥) أَلَمَلِكٌ يَوْمَذِ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابًا ﴿[الْقُرْآن: ٢٥ - ٢٦]، وَقَالَ الْجَلِّي: ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَذِ وَاهِيَةٌ﴾ [الْحَاقَّةُ: ١٦]، وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ﴾ [الْأَنْشِقَاقُ: ١]، وَيَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ [الْأَنْفَاطَارُ: ١]، فَيَوْمُ الْقِيَامَةِ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ وَتَنْفَطِرُ، وَتَخْرُ الْجِبَالُ هَدًّا، كُلُّ شَيْءٍ يَزُولُ ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [الْمُلْكُ: ٨٨]، ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [الْبَقَرَةُ: ٥].

وقال عَزَّجَلَّ: ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ﴾ [الأنبياء: ١٠]؛ أي: كثيرُ الأهوال والأُمور العظام، لا يمكن تصورُ ما فيه من أهوالٍ، فالواجب الاستعداد له بالأعمال الصالحة التي تقربنا إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، والنبى ﷺ لما سُئِلَ عن الساعة قال للسائل: وما أعددت لها فلم يذكر كبيرًا، قال: ولكني أحب الله ورسوله قال: «فأنت مع من أحببت»<sup>(١)</sup>.



(١) أخرجه مسلم [٢٦٣٩] من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

## الجنة والنار مخلوقتان موجودتان لا تفتيان ولا تبيدان

١٠٨- وَالْجَنَّةُ الْعُلْيَا وَنَارُ جَهَنَّمَ دَارَانِ لِلْخَصْمَيْنِ دَائِمَتَانِ

❦ بين الناظم رحمه الله في هذا البيت بأن الجنة والنار مخلوقتان دائمتان موجودتان الآن، وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وهي أن كلاً من الجنة والنار مخلوقتان موجودتان يزيد الله فيهما ما يشاء، وأنها لا تفتيان ولا تبيدان؛ فيجب على المسلم أن يعتقد ذلك؛ أي: بأن الجنة مخلوقة الآن وموجودة، وأنها لا تفتنى ولا تبدي؛ بل كتب الله لها ولأهلها الخلود، وأن النار كذلك مخلوقة الآن لا تفتنى، وأن الكفار من أهلها خالدون مخلدون فيها، وأما من دخلها من العصاة من الموحدين فيخرجون منها برحمة أرحم الراحمين.

ومن أدلة وجود الجنة الآن قول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَعَدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: ٢١]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزمر: ١٣٣]، وقول الله سبحانه وتعالى في وصف سدرة المنتهى ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۚ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ [النجم: ١٣-١٥].

وقول النبي ﷺ: «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَقْرَأُ أَمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيَعَانٌ وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»<sup>(١)</sup>، وقوله ﷺ: «أَطْلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَأَطْلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»<sup>(٢)</sup>، وصح عنه ﷺ أنه قال بعدما صلى بالصحابة صلاة الكسوف: «لَقَدْ

(١) أخرجه الترمذي [٣٤٦٢] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال: «حديث حسن غريب».

(٢) أخرجه البخاري [٣٢٤١] من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

جِيءَ بِالنَّارِ وَذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ مَخَافَةَ أَنْ يُصِيبَنِي مِنْ لَفْحِهَا وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ الْمِخْجَنِ يَجْرُ قُضْبُهُ فِي النَّارِ كَانَ يَسْرِقُ الْحَاجَّ بِمِخْجَنِهِ فَإِنْ فُطِنَ لَهُ قَالَ إِنَّمَا تَعْلَقُ بِمِخْجَنِي وَإِنْ غُفِلَ عَنْهُ ذَهَبَ بِهِ وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَةَ الْهَرَّةِ الَّتِي رَبَطْتُهَا فَلَمْ تُطْعَمْهَا وَلَمْ تَدْعُهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا ثُمَّ جِيءَ بِالْجَنَّةِ وَذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَقَدَّمْتُ حَتَّى قُمْتُ فِي مَقَامِي وَلَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَتَنَاوَلَ مِنْ ثَمَرِهَا لِنَنْظُرُوا إِلَيْهِ ثُمَّ بَدَأَ لِي أَنْ لَا أَفْعَلَ فَمَا مِنْ شَيْءٍ تُوَعِدُونَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلَاتِي هَذِهِ»<sup>(١)</sup>.

وقوله ﷺ في حديث نعيم القبر وعذابه: «ويمد له في قبره ويأتيه روح الجنة وريحها»<sup>(٢)</sup>، وفيه أيضًا أنه عندما «تفيض روحه يكفن بحنوط من الجنة»؛ وهي درجات أعلاها الفردوس وجنة الخلد، وهي التي كان فيها آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ على الصحيح من أقوال أهل العلم.

وقوله ﷺ: «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٣)</sup>، وغير ذلك من الأدلة الصحيحة الصريحة الدالة على أن الجنة مخلوقة موجودة الآن، وأن الله يزيد فيها ما يشاء بحسب ما يعمل به بنو آدم؛ بل إنه يبقى فيها فضل بعد أن يدخلوا الجنة - كما سيأتينا - فيخلق الله لها أقوامًا فيدخلهم إياها كما قال ﷺ.

(١) أخرجه مسلم [٩٠٤] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.  
(٢) أخرجه أحمد [١٨٥٣٤]، والحاكم [١٠٧] من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال الذهبي: «على شرطهما». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [١٦٧٦].  
(٣) أخرجه مالك [٥٦٨]، أحمد [١٥٧٧٨]، والنسائي [٢٠٧٣]، وابن ماجه [٤٢٧١] من حديث كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٢٣٧٣].

أما الأدلة على وجود النار الآن فهي كثيرة؛ منها قول الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [التَّوْبَةُ: ١٣١]؛ يعني هُيئت من الآن، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِلطَّاعِينَ مَنَابًا﴾ [النَّبَا: ٢١ - ٢٢]، وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [يَا قَوْم: ٤٦]؛ الشاهد: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾، وإخباره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن عذاب القبر، وأنه يُفتح له بابٌ من النار - أي: الكافر - فيأتيه من حرها وسمومها إلى يوم القيامة - والعياذ بالله -، وكونه إذا خرجت روحه توضع في المسوح - وهو كفن من النار - والعياذ بالله - كما تقدم ذلك قريبا في حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وتفهُقُرُ النبي ﷺ عندما حصل الكسوف؛ وقال: إنه رأى عُثْقًا من النار قد امتد، وإخباره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ليلة أُسري به عن بعض مشاهد المعذبين، وإخباره ﷺ عن صاحبي القبرين أنها ليعذبان وما يعذبان في كبير، وفي رواية: بلى، إنه كبير، وإخباره ﷺ عن الرجل الذي غلَّ شملة من الغنيمة وأنها تشتعل عليه الآن نارا؛ فهذه أحاديث في الصحيح واضحة الدلالة على أن النار مخلوقة وموجودة الآن.

وأما كونهما لا تفنيان فمن أدلة ذلك قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ قاله في معرض ذكر أهل الجنة، وقاله في معرض ذكر أهل النار، وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا ذَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝ خَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُوزٍ﴾ [هُود: ١٠٦ - ١٠٨]؛ أي: إلا ما شاء من مكثهم قبل الدخول، أو لربط ذلك بمشيئة الله جَلَّ وَعَلَا قاله أيضًا في معرض ذكر الجنة والنار.

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى في حق الجنة: ﴿أَكْثَلُهَا دَائِمٌ وَظُلْمًا﴾ [الرَّحْمَٰنُ: ٣٥]، وقال تَعَالَى عن أهل النار: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التَّوْبَةُ: ٦٨]؛ أي: لا ينتهي أبدًا، وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في حق أهل النار: ﴿لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النَّبَا: ٢٣]؛ أي: دهورًا لا نهاية لها، وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ [فَاطِلٌ: ٣٦]، وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في الجنة: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحَجَر: ٤٨]، وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَقَادُوا يَمْكُنُكَ لِيَقْضَىٰ عَلَيْكَ نَارُكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكْنُوتٌ﴾ [الْجُود: ٧٧].

وفي الحديث الصحيح أنه يُؤْتَى بالموت بين الجنة والنار على هيئة كبش؛ فيذبح بين الجنة والنار، ثم ينادي: «يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت»<sup>(١)</sup>، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّهِينٍ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفْرَغُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الْجُود: ٧٤ - ٧٥]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى في تبشير أهل الجنة: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التَّوْبَةُ: ٢١]؛ ومعنى 'مقيم' أي: سرمدى لا ينتهي أبدًا.

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة، دالة على القول بأن الجنة والنار لا تفنيان أبدًا، وقالت بعض الطوائف المنحرفة - ومنهم طوائف من الجهمية والمعتزلة - : «إن النار تفنى، أو إن أهلها يتجمدون فيها حتى يصبحوا فيها جهنمين لا يتأثرون بعذابها، أو إنها تفنى بعد طول عذاب، أو نحو ذلك» فتلك أقاويل باطلة، لأنها لا تستند إلى دليل البتة؛ بل كل ما يستدلون به في هذا الباب إمّا أحاديث لا تصح، أو نصوص يلوون أعناقها؛ ولذلك يجب على المسلم أن يعتقد ما بيّنت وأشرت إليه من عقيدة السلف من أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن وأنها لا تفنيان ولا تبدان أبدًا<sup>(٢)</sup>.

(١) تقدم تخريجه في ص: [٢٢٣].

(٢) للوقوف على تفصيل ذلك يراجع «شرح العقيدة الطحاوية»، من ص (٤٢٠ - ٤٣٢).

### الجنة دار إكرام لأهلها، والنار دار هوان لأهلها

- ١٠٩- يَوْمَ يَجِيءُ الْمُتَّقُونَ لِرَبِّهِمْ      وَفَدًا عَلَى نُجْبٍ مِنَ الْعُقَيَانِ  
١١٠- وَيَجِيءُ فِيهِ الْمُجْرِمُونَ إِلَى لُظَى      يَتَلَمَّظُونَ تَلَمَّظَ الْعَطْشَانِ

✽ يشير بهذا إلى الآية الكريمة في سورة مريم: ﴿يَوْمَ نَخْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا﴾ [مريم: ٨٥]. والتعبير بالوفد يشعر بالتكريم.

وقوله: «عَلَى نُجْبٍ مِنَ الْعُقَيَانِ»؛ العقيان: هي اليواقيت والذهب والفضة، والنُجْب: هي المركوبات، أي: ما يُركَب من الدواب أو ما يشبهها. وفي الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، و«ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء»<sup>(١)</sup>، كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ فكل ما يتصور من النجب والمركوبات فما في الجنة فوقه وأجّل.

والعقيان: هي اليواقيت والذهب وما أشبه ذلك من الأحجار الكريمة والجواهر الثمينة؛ ولكن لا تُقارن بها هو موجود في الدنيا.

فهم يُخْشَرُونَ إلى الرحمن وفدًا؛ والوفد يُشعر بالتكريم وبحسن الضيافة والوفادة، يَضِيفُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حين ما تفيض أرواحهم؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا نَنْزِلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٢٠) نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ (٢١) تَزَلَّجَ مِنْ عَفْوَ رَحِيمٍ ﴿[فصلت: ٣٠-٣٢] يعني: ضيافة عظيمة؛ فيكرم هذا الوفد بأعظم كرامة، ويضيف بأعظم ضيافة.

(١) أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» [٣٢٢]، وابن عساكر في معجمه [١١٩٤]، والضياء في «المختارة» [٦] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وصححه الألباني في «الصحيحة» [٢١٨٨].



ومن سمات الوفد: الهدوء والطمأنينة حتى عند دخولهم الجنة عندما يؤتى بهم،  
يُحْشَرُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ الْجَنَّةِ وَفَدًا، ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ  
زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا  
خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]، فالواو في قوله: ﴿وَفُتِحَتْ﴾ تشعر بالطمأنينة والهدوء والسكينة  
والتكريم، فالجنة لا يدخلها أهلها حتى تفتح أبوابها، وأول من يستفتح باب الجنة نبينا  
محمد ﷺ. وأما النار فهي مفتوحة تنتظر أهلها، وفي حق أهل النار يقول تَعَالَى: ﴿فُتِحَتْ﴾  
بدون واو ليهووا هويًا فيها - والعياذ بالله -، بخلاف أهل الجنة؛ لأنهم وفد  
الرحمن، والوفد قَمْنٌ وحرى بالتكريم، ويكفي أنهم ضيوف الرحمن، وهم وفوده الذين  
يكرمهم بألوان من الكرامات، وألوان العطاء غير الممنون، هذا في حق أهل السعادة،  
أما أهل الشقاء - والعياذ بالله - فيجيء في ذلك اليوم المهول المجرمون من الكافرين  
والعصاة والمبتدعة، على اختلاف في نهاية أمرهم، يخيئون إلى لظى، ولظى اسم من أسماء  
النار، كناية عن شدة حرها، ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأُظْلَىٰ ۖ نَزَاعَةٌ لِّلشَّوَىٰ﴾ والشوى هي جلدة الوجه  
- والعياذ بالله -، إذا أقبل عليهم الحميم نزع جلد وجوههم، ﴿نَزَاعَةٌ لِّلشَّوَىٰ﴾ تدعوهم  
أَذْبَرَوْنَكَ ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾ [المعارج: ١٦ - ١٨]، ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ  
بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]، فهم يأتون وردًا بخلاف الذين يأتون وفدًا.  
﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرْدًا﴾ [برئ: ٨٦] ومعنى وردًا: أي: مجيئهم بسرعة فائقة  
غير منضبطة مثل ورود الإبل العطاش عندما تأتي إلى الماء، تأتي بسرعة هائلة متراحة،  
ولربما وقع بعضها من شدة الزحام، كذلك الكفار يساقون وردًا إلى النار، ﴿وَبِئْسَ الْوَرْدُ  
الْمُورُودُ﴾ [هود: ٩٨]، يوردون إلى جهنم، ولا يدخل في هذا قول الله تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مَنَعَكُمْ

إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ [مَرْيَمَ: ٧١] كما تقدم توجيهه بأن ذلك المرور على الصراط المنصوب على متن جهنم.

وقوله: «يَتَلَمَّظُونَ تَلَمُّظَ الْعَطْشَانِ»؛ يتلمظون: أي يحركون ألسنتهم وشفاههم لما يجدون من الألم والظنك والعطش والهلاك والشعور بالأسى - والعياذ بالله - في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.



## الشفاعة

- ١١١- وَدُخُولُ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ جَهَنَّمَ  
 ١١٢- وَاللَّهُ يَرْحَمُهُمْ بِصِحَّةِ عَقْدِهِمْ  
 ١١٣- وَشَفِيعُهُمْ عِنْدَ الْخُرُوجِ مُحَمَّدٌ  
 ١١٤- حَتَّى إِذَا طَهَّرُوا هُنَالِكَ أَدْخَلُوا  
 ١١٥- فَاللَّهُ يَجْمَعُنَا وَإِيَّاهُمْ بِهَا  
 بِكَبَائِرِ الْأَثَامِ وَالطُّغْيَانِ  
 وَيُبَدِّلُوا مِنْ خَوْفِهِمْ بِأَمَانٍ  
 وَطَهُورُهُمْ فِي شَاطِئِ الْحَيَوَانِ  
 جَنَّاتِ عَدْنٍ وَهِيَ خَيْرُ جَنَّاتٍ  
 مِنْ غَيْرِ تَعْذِيبٍ وَغَيْرِ هَوَانٍ

✽ يقرر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ هنا موقف أهل السنة والجماعة من مرتكب الكبيرة غير المستحل، والكبيرة هي ما دون الشرك والكفر من الذنوب.

والكبائر: جمع كبيرة وقد تعددت أقوال أهل العلم في الفرق بين الصغيرة والكبيرة، ولعل الأولى في ذلك أن يقال: الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب أو رتب عليه حداً في الدنيا أو وعيداً في الآخرة كما قال ابن عباس (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)<sup>(١)</sup>، ورجحه شيخ الإسلام.

ومرتكب الكبيرة غير المستحل لها إذا مات قبل أن يتوب منها تترتب عليه أربعة أمور: الأمر الأول: أنه مسلم لا يخرج من ملة الإسلام، ويدل لذلك أن الله قد سمى الطائفة الباغية مؤمنة في قوله تَعَالَى: ﴿وَلَنْ طَافَيْنَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَفَنَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَفُتِنَا أَلَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَقَى إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الجزء: ٩] إلى أن قال ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الجزء: ١٠]، وكذلك سمى الله القاتل أخاً للمقتول المؤمن مع أن جريمة القتل من أعظم الذنوب بعد الشرك بالله، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ﴾ [البقرة: ١٧٨].

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٢٤٦).

الأمر الثاني: أنه لا يُعطى اسم الإيمان بالكلية ولا يُسلب مطلق الإيمان، وهذا معنى قول السلف: «لا يُسلب مطلق الإيمان ولا يوصف بالإيمان المطلق» بمعنى أنه لا يوصف بأنه كامل الإيمان كما تزعم المرجئة ولا يُسلب مطلق الإيمان كما تزعم الخوارج، وإنما يُقال عنه: إنه مؤمن ناقص الإيمان، أو يُقال: مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، أو يُقال: إنه مؤمن فاسق، أو عاص. والآيات المتقدمة تدل على ذلك أنه لا يُسلب مطلق الإيمان ولكنه لا يوصف بالإيمان الكامل الذي قال الله في أهله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]، وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]؛ فهؤلاء هم المؤمنون الخالص.

الأمر الثالث: أنه إذا وافى بكبيرته ولم يتب منها قبل الموت فإنه تحت مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: إن شاء غفر له بفضله، وإن شاء عذبه بعدله. ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]. لكنه إذا عذب لا يخلد كما يخلد الكافر، يدل لذلك قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فبين أن الشرك لا يغفر، وأن ما دون الشرك تحت المشيئة، ولا يصح تنزيل ذلك على من تاب كما تزعم الخوارج بأن قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي: إذا تاب، لأنه لو كان قد تاب لا يحتاج إلى أن يُقال: إنه تحت المشيئة، ولا يحتاج ذكر المغفرة؛ لأن الله قد غفر له، «فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له»<sup>(١)</sup>، ولذلك لا يلتفت إلى تأويل الخوارج الفاسد - وما أكثرهم في هذا الزمان، لا أكثرهم الله، الذين يستحلون الحرامات ويستبيحون دماء المسلمين. وأما الذي يُحمل

(١) أخرجه ابن ماجه [٤٢٥٠]، والقضاعي في «مسند الشهاب» [١٠٨] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٣٠٠٨].

على التوبة فهو قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ٥٣]، فهذه الآية هي التي تُحمل على التائب، ولذا لم يعلقها بالمشيئة وإنما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾، وقد قال سُبْحَانَهُ في سورة الفرقان بعد أن ذكر عددا من الذنوب والمعاصي وعلى رأسها الشرك: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿١٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿١٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠]، فهذه لم تعلق بالمشيئة لأن التوبة تجب ما قبلها، فالمعلق بالمشيئة هي تلك الذنوب التي دون الشرك والتي يوافي بها صاحبها ولم يتب منها وكانت دون الكفر والشرك وهذا واضح لمن فتح الله على قلبه وجمع بين النصوص الشرعية.

الأمر الرابع: أن مرتكب الكبيرة إذا أدخله الله النار فإنه لا يُخلد فيها، بل يخرج منها بعد تمحيص وتطهير بإذن الله، فيعذب بقدر ذنوبه التي ارتكبها ثم يخرج برحمة الله - عَزَّوَجَلَّ. قال رسول الله ﷺ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ»<sup>(١)</sup>، وفي حديث آخر أنه «يُدْخِلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ - يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ - وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ: انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مِنْهَا حُمَمًا قَدْ امْتَحَشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ - أَوْ الْحَيَا - فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ إِلَى جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً؟»<sup>(٢)</sup>؛ وقد امتحشوا: يعني اسوددوا وتفحشوا،

(١) أخرجه الترمذي [٢٥٩٨] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال: «حسن صحيح».

(٢) أخرجه البخاري [٢٢]، ومسلم [١٨٤] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فيلقون في نهر الحياة، فينبتون فيه كما تنبت البقلة في حميل السيل، ثم بعد أن يستكملوا خلقهم فإن الله يمنُّ عليهم ويدخلهم الجنة.

وقول الناظم: إنهم يدخلون نار جهنم، لا يقصد جميع مرتكبي الكبيرة، وإنما يقصد من شاء الله دخوله، كمن استوجب النار وليس عنده ما يكفر ذنوبه ولم ينل رحمة الله عَزَّجَلَّ بالمغفرة له ابتداءً.

وخلاصة القول أن مرتكب الكبيرة إذا وافى بها ترتبت عليه أمور أربعة:

الأول- أنه لا يخرج من ملة الإسلام خلافا لمذهب الخوارج والمعتزلة.

الثاني- أنه لا يُعطى اسم الإيمان الكامل كما تقول المرجئة، ولا يُسلب مطلق الإيمان

كما تقول الخوارج؛ وكلا الطائفتين قد ضلتا عن الجادة، وحادتَا عن سواء السبيل.

الثالث- أنه تحت مشيئة الله عَزَّجَلَّ إن شاء الله غفر له بفضلُه، وإن شاء عذبه بعدله،

ولا يظلم ربك أحداً.

الرابع- أنه إن دخل النار فإنه لا يخلد فيها بل يخرج برحمة الله وفضله بعد تمحيص

وتطهير.

وقوله:

- |   |   |
|---|---|
| وَيُبَدِّلُوا مِنْ خَوْفِهِمْ بِأَمَانٍ | ١١٢- «وَاللَّهُ يَرْحَمُهُمْ بِصِحَّةِ عَقْدِهِمْ |
| وَطُهُورُهُمْ فِي شَاطِئِ الْحَيَوَانِ  | ١١٣- وَشَفِيعُهُمْ عِنْدَ الْخُرُوجِ مُحَمَّدٌ    |
| جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَهِيَ خَيْرُ جَنَّاتٍ  | ١١٤- حَتَّى إِذَا طَهُرُوا هُنَالِكَ أُدْخِلُوا   |

❖ قوله: «وَاللَّهُ يَرْحَمُهُمْ بِصِحَّةِ عَقْدِهِمْ» أي: عقد الإيمان، فمن دخل في الإيمان

بيقين لا يُخرج منه إلا بيقين، وذلك بارتكاب ناقض من نواقض الإيمان، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَى

يرحمهم بما معهم من أصل التوحيد، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، والمقصود بالظلم في الآية: الشرك. وقد تقدم لنا الحديث قبل قليل «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ» وكذلك الحديث الآخر الذي فيه خروجهم وجعلهم في نهر الحياة حتى يدخلوا الجنة، فيبدلهم الله بعد الخوف والعذاب بأمان بدخول الجنة، فمنهم من يدخل الجنة ابتداءً بفضل الله ورحمته، فيبدل الله خوفه أماناً ابتداءً، وهو من رجحت كفة حسناته ومن وجدت عنده مكفرات تكفر سيئاته، وبأسباب أخرى يهبوها الله له كشفاة الأنبياء والملائكة والصالحين والولدان الذين ماتوا صغاراً كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثم يشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون والمؤمنون فيشفعهم الله قال ثم يقول الله: أنا أرحم الراحمين فيخرج من النار أكثر مما أخرج من جميع الخلق برحمته»<sup>(١)</sup>، ومنهم من يدخل الجنة بعد تمحيص وتطهير كما وضحه البيت الآتي.

ويشير بقوله: «وَشَفِيعُهُمْ عِنْدَ الْخُرُوجِ مُحَمَّدٌ» إلى شفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأهل الكبائر من أمته حيث قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»<sup>(٢)</sup> وفي رواية: «إني ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>، فهو يشفع لهم بعد أن يأذن الله له ولمن يشاء ويرضى. وهذه ليست خاصة به وسيأتي الكلام عن الشفاة

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» [٩٧٦١]، والحاكم [٢٢] من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

(٢) أخرجه أحمد [١٣٢٢٢]، وأبو داود [٤٧٤١]، والترمذي [٢٤٣٥] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه».

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرک» [١٨١٩]، والبيهقي في «شعب الإيمان» [١١٣٣]، وأبو يعلى في مسنده [٥٨١٣]، والطبراني في «المعجم الأوسط» [٥٩٤٢].

مفصلاً إن شاء الله تَعَالَى، ولكن هذه من أنواع الشفاعة التي يشترك فيها هو وغيره من المؤمنين والملائكة والصالحين والأطفال ونحو ذلك، ولا بد أن يكون مع المشفوع له أصل الإيمان، ولا يُتصور أنهم لم يعملوا خيراً قط بأنهم لم يعملوا شيئاً وإنما لم يعملوا خيراً يؤهلهم لدخول الجنة، وإنما قَصُرَ عملهم بهم حتى دخلوا النار ثم يخرجهم الله برحمته وفضله ومنه وكرمه سُبحَانَهُ وَتَعَالَى بسبب إيمانهم.

وهذه المسألة في غاية من الأهمية والخطورة لأنه زلت فيها أقدام وتحيرت فيها أفهام وكثرت فيها الأوهام بين المفرطين والمفرطين، أما المسلم الذي يستنير بالنصوص الشرعية ويجعلها مورده ومصدره، واتبع مذهب السلف الذين جمعوا هذه النصوص وبينوا مدلولها ومحتزاتها، فإنه جدير بأن يُوفق للحق ويلهم الصواب.

وقوله:

١١٤- «حَتَّى إِذَا طَهَرُوا هُنَالِكَ أُدْخِلُوا جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَهِيَ خَيْرُ جَنَّاتٍ»

❖ تقدم أن الذين يخرجون من النار يلقون في نهر الحياة، ثم يدخلون جنة عدن، جنة إقامة، جنة لا يفنى من دخلها ولا يموت ولا يشيب ولا يهرم، وإنما يبقى شباباً في سن عيسى عليه السلام عمره ثلاث وثلاثون عاماً؛ قال ﷺ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْءًا، مُرْدًّا، بَيْضًا، جُعْدًا، مُكْحَلِينَ، أَبْنَاءُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ، عَلَى خَلْقِ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي عَرْضِ سَبْعَةِ أذْرُعٍ»<sup>(١)</sup>، وَقَالَ الْجَلَالِيُّ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۖ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۖ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [النَّبَا: ٣١ - ٣٦].

(١) أخرجه عبد الرزاق [٣٥١٤٠]، وأحمد [٨٥٠٥] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال أحمد شاكر: إسناده حسن. وحسنه الألباني في «تخريج المشكاة» [٥٦٣٤].



وقوله:

١١٥- «فَاللَّهُ يَجْمَعُنَا وَإِيَّاهُمْ بِهَا مِنْ غَيْرِ تَعْذِيبٍ وَغَيْرِ هَوَانٍ»

✽ يدعو الناظم في هذا البيت أن يتغمده الله وإياهم - أي من وافوا بمعاصيهم - وهم من أهل التوحيد في الجنة بمنّ وكرمه وفضله وجوده ورحمته، كما وعد أن يدخل من يشاء برحمته الجنة. فنسأل الله أن يشملنا وإياهم برحمته ابتداءً وأن يجمعنا جميعاً في دار كرامته.



## المسارعة إلى الفرائض والواجبات

١١٦- وَإِذَا دُعِيتَ إِلَىٰ أَدَاءِ فَرِيضَةٍ فَانْشَظْ وَلَا تَكُ فِي الْإِجَابَةِ وَإِنِّي

✽ يحث الناظم المسلم على المسارعة بأداء الفرائض بكل نشاط واحتساب وجدّ وبعد عن الكسل والتواني كما قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿فَاسْتَيْقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾ [الْمَائِدَةُ: ٤٨]، ويقول: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٣٣]؛ لأن الفرائض هي أساس هذا الدين، فإذا تكاسل عن أدائها المسلم ترتب على ذلك أمور لا تُحمد عقباها، والكسل عن الفرائض وعلى رأسها الصلاة بعد توحيد الله عزَّجَلَّ من سمات المنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النِّسَاءُ: ١٤٢]، وقال تَبَارَكَوَتَعَالَى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [١٥] الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿[البَقَرَةُ: ٤٥-٤٦] ويقول - جل شأنه -: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (١٣٨) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرَجًا لَا أَوْرَكِبَا فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿[البَقَرَةُ: ٢٣٨-٢٣٩].

ويقول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تَضِيعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحِمَةً بِكُمْ مِنْ غَيْرِ نَسِيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا» (١)، ويقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيما يرويه عن ربه جَلَّوَعَلَا كما رواه الإمام

(١) أخرجه الدارقطني [٤٢]، والحاكم [٧١١٤] من حديث أبي ثعلبة الخشني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحسنه السمعيان والدارقطني كما في «جامع العلوم والحكم» ص: [٢٧٦]، والنووي في «رياض الصالحين» [١٨٤١]، وحسنه بمجموع طرقه الألباني في تحقيقه لكتاب «الإيمان» لابن تيمية، ص: [٤٤].

البخاري رَحِمَهُ اللهُ: «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه»<sup>(١)</sup>، ويقول: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا»<sup>(٢)</sup>، وقال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف»<sup>(٣)</sup>؛ فإياك أن تتوانى في أداء الفرائض من صلاة وزكاة وصوم وحج وبر للوالدين وأمر بمعروف ونهي عن منكر وكف للسان وجهاد في سبيل الله إذا توافرت شروطه ومقوماته ونحو ذلك من الفرائض التي يجب أداؤها على الوجه الذي يرضي الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

ويُحذَّر من التواني وهو التكاسل في الفرائض والواجبات؛ لأن الكسل والتكاسل من علامات المنافقين المرائين قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۝﴾ [الماعون: ٤ - ٧].



(١) أخرجه البخاري [٦٥٠٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [٦١٥]، ومسلم [٤٣٧] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم [٦٥٤].

## أهمية الصلاة المفروضة إجمالاً

## وأن الصلاة قرينة الزكاة وتحريم منع الزكاة

١١٧- قُمْ بِالصَّلَاةِ الْخَمْسِ وَاعْرِفْ قَدْرَهَا فَلَهُنَّ عِنْدَ اللَّهِ أَعْظَمُ شَانٍ

✽ الصلوات الخمس أعظم الفرائض بعد الشهادتين، فالفرض الأول عقيدة التوحيد قال رسول الله ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»<sup>(١)</sup>، وفي حديث عمر عند مسلم في مجيء جبريل إلى النبي ﷺ وسؤاله عن أركان الإسلام، وفيه: «أخبرني عن الإسلام، قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت»<sup>(٢)</sup>.

فالصلاة أهم الأمور بعد التوحيد وأعظم شأنًا، لهذا تجدد أكثر الذين يتركون الصلاة غالبًا أو يتكاسلون عنها يكون في توحيدهم خللٌ، وتجدد أن مرد ذلك أنهم لم يحققوا التوحيد، فعلينا أن نعظمها وأن نؤديها في أوقاتها وفي جماعة؛ لأن التخلف عنها من سمات المنافقين، بل تواعد صاحبها بالإحراق، قال النبي ﷺ: «لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها ثم أمر رجلاً فيؤم الناس ثم أخلف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم والذي نفسي بيده لو يعلم أحدكم أنه يجد عرقاً سميناً أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء»<sup>(٣)</sup>.

ومن دلائل فرضية صلاة الجماعة أنه لا يُعذر بها حتى في حال الحرب والمسايفة كما قال الله تَعَالَى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فِرَاجًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمْنْتُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم

(١) أخرجه البخاري [٤٥١٣]، ومسلم [٦٥٤] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) تقدم ص: [٢٠٤].

(٣) أخرجه البخاري [٦٤٤]، ومسلم [٦٥١] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ٢٣٩﴾، وقوله ﷺ: «من سمع النداء فلم يأتيه فلا صلاة له إلا من عذر»<sup>(١)</sup>؛ فعلينا أن نُعَظِمَ قدر الصلاة.

وقد أجمع العلماء على أن من جحد وجوبها كفر، كما أن القول الراجح أيضًا من أقوال أهل العلم أن من تركها تهاونًا كافر، والنصوص دالة على ذلك، من ذلك: أن الله قرنها مع توحيده ويين أن أكثر أسباب تعذيب الكافرين لتركهم الصلاة ﴿يَسْأَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۖ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۚ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۚ وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ۚ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَافِضِينَ ۚ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بَيَّوْمَ الدِّينِ ۚ حَتَّىٰ آتَانَا الْيَقِينَ ۚ فَمَا نَعْفُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ۚ﴾ [المائدة: ٤٠ - ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفُصْلُ الْأَبْتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ١١]، وقول النبي ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»<sup>(٢)</sup>، وقال عبد الله بن شقيق التابعي الجليل: «كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة»<sup>(٣)</sup>؛ فدل هذا على أن الصحابة مجمعون على ذلك.

فالصلاة عماد الدين، وعمود الإسلام، قال ﷺ: «أولاً أدلك على رأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ أما رأس الأمر: فالإسلام، فمن أسلم سلم، وأما عموده: فالصلاة، وأما ذروة سنامه: فالجهاد في سبيل الله»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه ابن ماجه [٧٩٣]، والطبراني [١٢٢٦٥]، وابن حبان [٢٠٦٤]، والحاكم [٨٩٤] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٦٣٠٠].

(٢) أخرجه الترمذي [٢٦٢١]، والنسائي [٤٦٣]، وابن ماجه [١٠٧٩] من حديث بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

(٣) أخرجه الترمذي [٢٦٢٢]. وقال النووي في «رياض الصالحين» (٢٣/٢): «رواه الترمذي في كتاب الإيمان» بإسناد صحيح.

(٤) أخرجه أحمد [٢٢٠٦٨]، والحاكم [٢٣٦٧] من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في «الإرواء» [٤١٣].

١١٨- لَا تَمْنَعَنَّ زَكَاةَ مَا لَكَ ظَالِمًا فَصَلَاتُنَا وَزَكَاتُنَا أَخْتَانِ

كثيراً ما تذكر الصلاة وتُقرن معها الزكاة في كتاب الله عزَّ وجلَّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، بل وتقرنان مع توحيد الله كما قال تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥].

والزكاة جزء يسير لا تنقص المال، بل تزيده بركة ونماء وطهراً، وتدفع الشح عن صاحبها، قَالَ تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣]، قَالَ ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال»<sup>(١)</sup>، فالزكاة أخت الصلاة كما ورد عن بعض السلف أنه قال: «الصلاة والزكاة أختان مقرونتان؛ فمن صلى ولم يزك فكأنه لم يصل ومن زكى ولم يصل فكأنه لم يزك»، فلا بد من أداء الزكاة وهي حق المال الذي افترضه الله على عباده كما ثبت من حديث عبد الله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قصة بعث معاذ إلى اليمن: «فإن هم أطاعوك لذلك» يعني للصلاة «فأخبرهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم»<sup>(٢)</sup>. والمقصود: أن الزكاة في غاية الأهمية، وقد قاتل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مانعي الزكاة وقال: «والله لأقاتلن من فرق بين الزكاة والصلاة والله لو منعوني عناقاً وفي رواية: «عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه»<sup>(٣)</sup>، فإنها أختها في كتاب الله عزَّ وجلَّ، ومن منع زكاة ماله فهو ظالم لنفسه، وظالم لمن وجبت له، والظلم ظلمات يوم القيامة، قَالَ تَعَالَى: ﴿هَآتَيْتُمْ هَؤُلَاءَ نَدْعَوْنَكُمْ لِئَنْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلْ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [محمد: ٣٨].

(١) أخرجه مسلم [٢٥٨٨] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد [٢٠٧١]، وأبو داود [١٥٨٦] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه الترمذي [٢٦٠٧] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٣٩١ - ١٣٩٣).

## الوتر والجمعة والعيدان

١١٩- وَالْوُتْرُ بَعْدَ الْفَرَضِ أَكْثَرُ سُنَّةٍ وَالْجُمُعَةُ الزَّهْرَاءُ وَالْعِيدَانِ

❖ ذكر الناظم أربع مسائل:

أولاً- الوتر وذكر أنه أكد السنن، وهو قول الجمهور، ويرى الحنفية أنه واجب؛ لأن النبي ﷺ لم يكن يتركه حضراً ولا سفراً، والراجح أنه سنة مؤكدة بدليل الحديث في قصة الأعرابي، وفيها: «... خمس صلوات في اليوم والليلة» فقال: هل علي غيرها، قال: «لا إلا أن تطوع»<sup>(١)</sup>.

وقد كثر تهاون الناس به، والأفضل أن يؤدي في البيوت هو وسائر الرواتب والنوافل إلا من قام مع الإمام في رمضان فالأولى أن يوتر معه، لأن النبي ﷺ قال: «من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة»<sup>(٢)</sup>.

والشرع قد حث عليه ورغب فيه، قال النبي ﷺ: «الوتر حق على كل مسلم»<sup>(٣)</sup>، وقال ﷺ: «أوتروا يا أهل القرآن إن الله وتر يحب الوتر»<sup>(٤)</sup>، وأقله ركعة، وأكثره إحدى عشرة ركعة؛ لأنه غالب فعل النبي ﷺ، وإن زاد فالأمر فيه سعة لأن النبي ﷺ قال: «صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خشي أحدكم الصبح فليصلي واحدة توتر له ما قد صلى»<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه البخاري [٤٦]، ومسلم [١١] من حديث طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي [٨٠٦]، والنسائي [١٦٠٥]، وابن ماجه [١٣٢٧] من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٣) أخرجه أبو داود [١٤٢٤] من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» [١٢٧٨].

(٤) أخرجه أبو داود [١٤١٨]، والترمذي [٤٥٣] من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال: حديث علي حديث حسن. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٢٥٣٨].

(٥) أخرجه البخاري [٩٩٠]، ومسلم [٧٤٩] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ولا يصح وتران في ليلة، فمن صلى الوتر أول الليل ثم يسّر الله له أن يقوم في آخر الليل، فإنه لا يوتر لحديث «لا وتران في ليلة»<sup>(١)</sup>، ومن غلب على ظنه أنه يتمكن من القيام آخر الليل فالأولى له تأخير الوتر لحديث: «اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا»<sup>(٢)</sup>، وإلا فيقدمه لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى أموت: صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، ونوم على وتر»<sup>(٣)</sup>، ومن نام عن وتره أو نسيه فليقضه شفعا كما فعل النبي ﷺ، فقد قضاه ثنتي عشرة ركعة.

**والمسألة الثانية:** الجمعة، فقد سمي النبي ﷺ يوم الجمعة عيدا، فيصبح عندنا في الإسلام ثلاثة أعياد: عيد الأضحى، وعيد الفطر، وعيد الأسبوع الذي هو يوم الجمعة، وصلاة الجمعة فرض عين على كل مسلم ذكر مستوطن حر قادر مكلف، وقد قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في حقها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَوَدَّى لِّلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩]. وقد أقسم الله بها في قوله: ﴿وَشَهِدْ وَمَشْهُودٌ﴾ [البقرة: ٣]، وتجب المبادرة إليها، وقد حذر النبي ﷺ من ترك الجمعة أو التهاون بها حتى قال: «من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه»<sup>(٤)</sup>، وقال: «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين»<sup>(٥)</sup>.

- (١) أخرجه أبو داود [١٤٤١]، والترمذي [٤٧٠]، والنسائي [١٦٧٩] من حديث طلق بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٧٥٦٧].
- (٢) أخرجه البخاري [٩٩٨]، ومسلم [٧٥١] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
- (٣) أخرجه البخاري [١١٧٨]، ومسلم [٧٢١].
- (٤) أخرجه أبو داود [١٠٥٤]، والنسائي [١٣٦٩]، وابن خزيمة [١٨٥٨]، والحاكم [١٠٣٤] من حديث أبي الجعد الضمري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٦١٤٣].
- (٥) أخرجه مسلم [٨٦٥] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



ويسنّ التبكير لصلاة الجمعة، فإن النبي ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر»<sup>(١)</sup>.

ويسنّ أن يستعدّ المسلم لها بالاغتسال والتطيب والسواك والمشي إليها.

وهنا تنبيهان:

الأول- أن بعض المسلمين يتهاونون في صلاة الجماعة ولا يشهدونها إلا في الجمعة؛ ومثل هؤلاء يخشى عليهم، وبعضهم يظن أن الجمعة تكفي عن غيرها من الصلوات المفروضة.

والثاني- أن من أعظم الحكم لاجتماع المسلمين في هذا اليوم تعارفهم وتفقد بعضهم أحوال بعض في كلّ أسبوع إضافة إلى ما يستفيده المسلم من خطبتي الجمعة من علم ومواعظ.



(١) أخرجه البخاري [٨٨١]، ومسلم [٨٥٠] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

١٢٠- مَعَ كُلِّ بَرٍّ صَلَّاهَا أَوْ فَاجِرٍ مَا لَمْ يَكُنْ فِي دِينِهِ بِمُشَانِ

❖ يبيِّن الناظم وجوب صلاة الجماعة والعيد والجمعة خلف كل بر وفاجر من أئمة المسلمين، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة خلافاً للخوارج ومن شاكلهم. والصحابة - رضوان الله عليهم - منهم من صلى خلف الحجاج، ومنهم من صلى خلف الوليد بن عقبة، ممن صدر منه بعض الفسوق والعصيان. وهذا لا يمنع أن يُجتهد في تغييره ما أمكن، بدون إحداث فتن تضر بالإسلام والمسلمين. والقاعدة عند بعض أهل العلم أن من صحت صلاته لنفسه صحت صلاته بغيره لاسيما إذا كان ولي أمر.

وليس المقصود بالإمام الفاجر الذي تصح الصلاة خلفه هو من يتعلق بالقبور بالذبح والنذر لها، والاستغاثة بأهلها والإقسام بهم ونحو ذلك من أنواع الشرك الذي يقع عند القبور، فهذا ليس مجرد فاجر أو فاسق، بل هو مشرك لا تصح صلاته ومن ثم لا تصح الصلاة خلفه.



## وجوب صيام رمضان وسنيتة قيامه والإنكار على من أنكر التراويح

- ١٢١- وَصِيَامُنَا رَمَضَانَ فَرَضٌ وَاجِبٌ      وَقِيَامُنَا الْمَسْنُونُ فِي رَمَضَانَ  
١٢٢- صَلَّى النَّبِيُّ بِهِ ثَلَاثًا رَغْبَةً      وَرَوَى الْجَمَاعَةُ أَنَّهَا ثِنْتَانِ  
١٢٣- إِنَّ التَّرَاوَحَ رَاحَةٌ فِي لَيْلِهِ      وَنَشَاطٌ كُلُّ عُوَيْجٍ كَسَلَانِ  
١٢٤- وَاللَّهِ مَا جَعَلَ التَّرَاوَحَ مُنْكَرًا      إِلَّا الْمَجُوسُ وَشِيعَةُ الصُّلْبَانِ

✽ ما زال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ يتحدث عن أركان الإسلام، فبين هنا أن الصيام في رمضان فرض واجب على كل مسلم ومسلمة بشروط وضوابط مشهورة عند أهل العلم، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لِمَلَّكُمْ تَنَفُّونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وقال النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت»<sup>(١)</sup>، وأجمعت الأمة على أنه ركن من أركان الإسلام ومبانيه العظام، وهو صوم شهر رمضان المبارك، شهر واحد في كل عام. وهو سر بين العبد وبين ربه، لا يعلم حقيقة الصوم إلا الله، يقول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه جَلَّ وَعَلَا: «كل عمل بن آدم يضاعف الحسنه عشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف قال الله عز وجل إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي»<sup>(٢)</sup>. إذا علم هذا فعلينا أن نعلم أن الصوم ليس مجرد طقوس تؤدي أو تركا للطعام والشراب والشهوة وإحضاراً لموائد الطعام عند المغرب وعند السحور كما هو فهم البعض لهذا الصوم. الصوم أسمى من ذلك وأعظم، نعم، يسن تعجيل الإفطار وتأخير السحور، ولكن ليس بملء البطون

(١) تقدم تخريجه في ص: [٢٧٨].

(٢) أخرجه مسلم [١١٥١] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حتى التخمّة، مما ينتج عنه الكسل عن العبادة التي هي الغاية من الصيام والقيام، كما نبه الناظم على سنية القيام في رمضان، وهو سنة مؤكدة من قول رسول الله ﷺ وفعله، فقد قال: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»<sup>(١)</sup>، وكان ﷺ يقوم حتى تتفطر قدماه.

وللصوم أحكام وآداب لا بد من مراعاتها والعمل بموجبها مذكورة في مظانها من كتب الفقه والحديث.

وهنا تنبيهات:

منها: وجوب كف اللسان عما لا يليق، فقد قال رسول الله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: الاجتهاد في العبادة وتلاوة القرآن لأن رمضان شهر القرآن كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ومما يلاحظ أيضاً أن البعض إذا دخل في الصوم تجده مغتماً محزوناً مهموماً، لا يتكلم إلا بنفس غاضبة، لا يقوم بأعماله على الوجه الصحيح، وكان الذي ينبغي هو العكس، أن يكون وقت صومه أكثر نشاطاً وطمأنينة وفتحاً وسروراً وإيماناً وقرباً من الله عَزَّجَلَّ وقرباً من الخير، ما الذي يدعوك يا عبد الله إلى الحزن وأنت صائم لعل البعض حزن لأنه حرم من الدخان الذي ابتلي به؛ إذا فاعزم واتركه الله، لأنه خبيث من الخبائث ومحرم بلا شك ولا ريب، والشيطان يغريك بأن تستمر عليه إلى درجة أن منهم من يفطر على سيجارته قبل أن يفطر بتمرات كما هو هدي رسول الله

(١) أخرجه مسلم [٧٥٩] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [١٩٠٣] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو مضر ديناً وصحة ومالاً وأذى للآخرين، والمال الذي تنفقه فيه اجعله في مصالحك ومصالح أهلِكَ وأمتك أو تصدق بها على فقير مسكين محتاج.

والبعض يتخذ من رمضان وقتاً للسهر والسمر على ما حرم الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا دليل على غفلته وضعف إيمانه والبعض وخصوصاً من كان عنده إجازة أو ليس عنده عمل إذا جاء آخر الليل ملأ بطنه من خيرات الله ونعمه ثم نام عن الفجر والظهر والعصر وربما صلى المغرب تقليداً ومجارات للناس، لا يرى الشمس ذلك الشهر، فإذا ما أفطر وملأ بطنه توجه إلى مقاهي الإنترنت أو الفضائيات وأخذ ينظر إلى ما حرم الله أو ذهب إلى مجالس أقرانه جلساء السوء وفيها ما فيها من منكرات، فيعيش تعيشاً ينال في النهار ومحروم من طاعة الله بالليل ويسمي نفسه صائماً، فهذا النوع من الناس لا صام ولا صلى، أتعب نفسه، لأن من ترك الصلاة فقد كفر ولو كان تركه لها تهاوناً على الصحيح كما تقدم. فانتبهوا يا أولى الأبصار، فقد كان السلف رَجَّهْمُ اللَّهُ يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم لما وفقهم الله له فيه من عمل صالح.

قد هيئوك لأمر لو فطنت له      فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

لقد خلقت يا عبد الله لعبادة الله وحده، لم تخلق لترتع كالأنعام وراء شهواتك ونزواتك، ثم تبارز ربك بالمعاصي والعياذ بالله، فاتق الله، واستغل هذا الموسم الكريم موسم التجارة الرباحة، التجارة التي لن تخسر إذا وفقت فيها للعمل الصالح ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَى تَحَرُّقٍ تُشِجِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۝ تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف: ١٠ - ١٢]، فيا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر اقصر وعد إلى

ربك وأعلم أن الله تواب رحيم: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [التَّوْبَةُ: ٢٥].

فارجع إلى ربك واستغفره من تفریطك في أمر الله ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [التَّوْبَةُ: ٥٣].

ويشير الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ بقوله: «صَلَّى النَّبِيُّ بِهِ ثَلَاثًا رَغْبَةً...» إلى صلاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التراويح؛ وفيها حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلى في المسجد ذات ليلة فصلّى بصلاته ناس، ثم صلى من القابلة فكثرت الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما أصبح قال: «قد رأيت الذي صنعتكم، فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم قال وذلك في رمضان»<sup>(١)</sup>؛ وقد بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث سبب التأخر، وهو أنه خشي أن تفرض على أمته، فلا يستطيعونها؛ لأنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رحيم بأمته - بأبي هو وأمي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - . وقد وصفه الله عَزَّ وَجَلَّ بالرحمة والرأفة فقال جل من قائل: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التَّوْبَةُ: ١٢٨]؛ فمن رحمته بأمته أنه خشي أن تفرض عليهم صلاة التراويح فترك إقامتها في المسجد، ثم استمر هذا الحال إلى ما بعد وفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخلافة أبي بكر و شطر من خلافة عمر - رضي الله عنه وأرضاه وأخزي الله من أبغضه وقلاه - ثم إن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاء ورأى الناس أوزاعا، هذا يصلي وحده، وهذا يصلي بصلاة أخيه، فأمر أبي بن كعب أن يصلي بالناس جماعة، وإنما أحيا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة ثابتة، ولم يأت بشيء جديد كما زعم الزاعمون، فلما رأى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الناس يصلون

(١) أخرجه مسلم [٧٦١].

خلف إمام واحد سرّه ذلك، فلما قال له من قال: إنها بدعة، قال: نعمة البدعة هذه، والتي ينামون عنها خير.

ومقصوده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البدعة اللغوية لأنه لم يفعل بدعة محدثة في الشرع، وإنما باعتبار أنها لم تكن موجودة في عهد أبي بكر، وإلا فقد فعلها رسول الله ﷺ.

وأيا ما كان الأمر فإنها سنة، يضاف إلى هذا أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو أحد الخلفاء الراشدين الذين أمرنا باتباع سنتهم، قال رسول الله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»<sup>(١)</sup>، وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا جلوسا عند النبي ﷺ فقال: «إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم فاقتدوا بالذين من بعدي» وأشار إلى أبي بكر وعمر<sup>(٢)</sup>.

وقوله:

١٢٣- إِنَّ التَّارَوَاحَ رَاحَةٌ فِي لَيْلِهِ . وَنَشَاطُ كُلِّ غُويْجَزٍ كَسْلَانِ  
 ﴿ إِنَّ التَّارَوَاحَ رَاحَةٌ ۚ هَذَا فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْبَدِيعِ وَالْجِنَاسِ ، وَالْمَقْصُودُ بِأَنَّ التَّارَوِاحَ  
 مَعَ كَثَرَةِ الرُّكْعَاتِ وَقِصْرِ الْقِرَاءَةِ فِيهِ حِفْزٌ لِمَنْ وَصَفَهُ النَّازِمُ بِالْعُويْجَزِ الْكَسْلَانِ ،  
 أَمَّا الَّذِي يَرِيدُ إِطَالََةَ الْقِيَامِ وَالرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ ، فَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا خَيْرٌ وَفَضْلٌ عَظِيمٌ ،  
 وَسُمِّيَتِ التَّارَوِاحُ بِذَلِكَ لِأَنَّ الْمُصَلِّيَ قَدْ يَرَاوِحُ بَيْنَ رَجْلَيْهِ عِنْدَ التَّعَبِ ، لَا سِيَّمَا عِنْدَ طَوْلِ  
 الْقِيَامِ ، أَوْ لِاسْتِرَاحَتِهِمْ بَيْنَ التَّسْلِيَمَاتِ ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ حَافِزًا وَتَشْجِيعًا لِمِثَالِنَا مِنَ الْكَسَالِ ۚ

(١) أخرجه أحمد [١٧١٤٤]، وأبو داود [٤٦٠٩]، والترمذي [٢٦٧٦]، وابن ماجه [٤٢] من حديث العرياض ابن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: «هذا حديث صحيح». وصححه الألباني في «الإرواء» [٢٤٥٥].

(٢) أخرجه أحمد [٢٣٣٨٦]، والترمذي [٣٧٩٩]، وابن ماجه [٩٧] من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٢٥١١].

على الاستمرار في أدائها مع الإمام. أين الذين يقفون حتى 'تتفطر أقدامهم تأسيا بالنبي ﷺ؟ أين الذين يقومون ثلث الليل؟

ثم عرج الناظم على 'منكري صلاة التراويح من الجهال وأشباه الجهال، فقال:

١٢٤- وَاللَّهِ مَا جَعَلَ التَّارَاحَ مُنْكَرًا إِلَّا الْمَجُوسُ وَشِيعَةُ الصُّلْبَانِ

❁ وشبههم بالمجوس وعبدية الصليب، ويبدو - والله أعلم - أنه وُجد في عصره من ينكرها ومن لم يرفع بها رأساً، فلذلك شبهه بعبدية الصليب وعبدية النار وهم المجوس لأن من أنكرها من الفرق الضالة، وقد لا يصل الأمر به إلى هذه الحال، ولكن لا شك أن إنكارها إذا كان عن هوى 'فيُخشى' أن تزلَّ قدمه فينكر السنة، وأما إذا كان عن اجتهاد أو شبهة، فمثل هذا يعلم وتبين له السنة، وتزال عنه الشبهة.





## وجوب الحج على من توفرت فيه شروطه

١٢٥- وَالْحَجُّ مُفْتَرَضٌ عَلَيْكَ وَشَرْطُهُ أَمْنُ الطَّرِيقِ وَصِحَّةُ الْأَبْدَانِ

❖ بعد أن ذكر الناظم رَحِمَهُ اللهُ الصلوة والزكاة والصوم بعد توحيد الله جَلَّ وَعَلَا ها هو يذكر الحج، وقد نصَّ على أنه مفترض، ودليل ذلك قول الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [الْعَنْكَبُوتُ: ٩٧]، وقول النبي ﷺ: «أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا»<sup>(١)</sup>.

ويجب في العمر مرة واحدة، فقد سئل النبي ﷺ أفي كل عام يا رسول الله؟ فقال: «لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم»<sup>(٢)</sup>، وقد أجمعت الأمة على فرضيته، وجاء عن بعض السلف أن امرءً تمضي عليه خمس سنين ولم يحج مع القدرة إنه لمحروم، وقال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ليمت يهوديًا أو نصرانيًا - ثلاث مرات -؛ رجل مات ولم يحج وجد لذلك سعة وخلت سبيله، فحجة أحجها وأنا ضرورة»<sup>(٣)</sup> أحب إلى من ست غزوات أو سبع»<sup>(٤)</sup>، فهذا كله دليل على فرضية الحج، وهو كسائر بقية الأركان من حيث بناء الدين عليها كما تقدم في حديث: «بني الإسلام على خمس» وذكر في آخره «وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلًا».

وهو شعيرة من شعائر التوحيد بل هو من أعظم مظاهر التوحيد، فمجيء المسلمين في وقت واحد وفي مكان واحد والتنقل من مكان إلى مكان كل ذلك مظهر من مظاهر وحدة المسلمين وأنهم يعبدون إلها واحدًا لا إله إلا هو.

(١) أخرجه مسلم [١٣٣٧] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) جزء من الحديث السابق. (٣) الضرورة: الذي لم يؤد فريضة الحج.

(٤) أخرجه البيهقي في «الكبرى» [٨٤٤٤]، والفاكهي في «أخبار مكة» [٨٠٧]. وصححه الحافظ في

«التلخيص الحبير» (٢/ ٤٨٨)، وقال الألباني في «الضعيفة» (١٠/ ١٦٦): «وإنما ثبت ذلك من قول عمر ابن الخطاب موقوفًا عليه».

وفيه فوائد عقديّة عظيمة، منها: أنه يبدأ فيه بكلمة التوحيد وهي التلبية، فقد جاء في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فأهل بالتوحيد»<sup>(١)</sup>، ومنها ما يقوله الحاج ويفعله من التكبير والتهليل والتسبيح ونحو ذلك من الذبح والنحر لله عَزَّجَلَّ.

وذكر الناظم شرطين من شروط وجوب الحج، وهما: أَمْنُ الطريق، وصحة البدن، وهذان داخِلان في الاستطاعة المنصوص عليها في قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، فأَمْنُ الطريق بأن يكون آمناً غير مخوف، أي: لا يكون هناك عدو يترصد بالحجاج الدوائر. وهذا الأَمْن - والله الحمد - أصبح منقطع النظير، بعد قيام دولة التوحيد، فبعد مضي قرون وقرون والحجاج يعيشون خوفاً ورعباً وخطراً، حتى إنهم يغادرون بلادهم مع غلبة ظنهم أنهم لا يرجعون من تلك الرحلة، أو لا يعود منهم إلا القليل لما يعرض لهم من قطاع الطرق الذين يتشرون في كل مكان أو من الوحوش والسباع والأمراض الفتاكة والجوع والعطش ونحو ذلك من الأخطار والعوائق. أما الآن والله الحمد والمنة فطريق الحج أَمْنٌ وأمان، والحاج يعيش آمناً منقطع النظير في ظل دولة التوحيد التي قيَّضها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لخدمة الحرمين في هذا العصر بعد أن ران الجهل والخوف مئات السنين، فله الحمد أولاً وآخراً وجزى الله القائمين على ذلك خير ما يجزي به عباده الصالحين.

فلو وجد الزاد والراحلة، ولم يتحقق الأَمْنُ فالمسلم معذور في ترك الحج حتى يزول المحذور.

والقدرة البدنية شرط، فمن عجز بدنياً حُجَّ عنه إن كان مستطيعاً من ماله أو يُتبرع له وإلا سقط عنه الحج، وليس هناك داعٍ أن يكلف المسلمون أنفسهم من مكان

(١) أخرجه مسلم [١٢١٨].

بعيد، فيأتون بالمشلولين والعجزة غير القادرين على الظعن ومن في حكمهم، فإن ذلك قد يدخل في الحرج، والله عز وجل يقول: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، ويقول: ﴿مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [العنكبوت: ٩٧]، وهذا غير مستطيع.

وبقية شروط الحج التي لم يذكرها الناظم هي: الإسلام والعقل والبلوغ، وهي متعينة لصحة سائر العبادات. ويضاف شرط آخر، وهو: القدرة المالية، وهي داخلة في الاستطاعة الواردة في الآية والحديث.

ونخلص من ذلك إلى أن الاستطاعة تشمل الأمن والقدرة البدنية والمالية؛ أعني: النفقة، فإن عجز عن الزاد والراحلة ونفقته ونفقة عياله حتى 'عودته فإنه لا يلزمه الحج، وليس له أن يسأل من أجل ذلك. فإن تُبرع له طوعاً فلا بأس.

وتزيد المرأة على الصحيح شرطاً آخر وهو وجود المحرم فإذا لم تجد محرمًا تؤخره إلى وجود المحرم، فإن تعذر وجوده أنابت من يحج عنها، وإن كان بعض أهل العلم له رأي أنها إن وجدت الرفقة المأمونة وكانت بين مجموعة نساء تحج وتعتمر ولكني أرى أن هذا القول مرجوح والقول الصحيح المؤيد بالأدلة أنه يؤجل ولا يسقط عنها، بدليل أن النبي ﷺ حرم أن تسافر المسلمة بدون محرم وهذا مطلقاً في الحج وفي غير الحج، بل إن النبي ﷺ لما جاءه رجل وقال: إني اكتتبت في غزوة كذا وكذا، في الجهاد وانطلقت امرأتي حاجة، فأمره أن يترك الجهاد معه ويحج مع امرأته قال: «اذهب فحج مع امرأتك»<sup>(١)</sup>، مع أنها كانت مع جماعة الحجاج، فالصحيح أن المرأة لا تحج بدون محرم البتة مهما كان الأمر ومهما وجدت من النفقة والزاد والراحلة.

(١) أخرجه البخاري [٣٠٠٦]، ومسلم [١٣٤١] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وهنا أنبه في المحرمية على مسألة تكررت في بعض البلاد وسئل عنها غير مرة؛ وهو أن بعض النساء الأراامل أو العازبات تتفق مع رجل على عقد مؤقت حتى تعود من الحج ليكون محرما لها، وهذه هي المتعة المحرمة بالإجماع وحتى لو اشترطت عدم قربانها، فإنه عقد باطل ولا يصير محرما بهذا العقد الباطل، ولا أدري ما مستند من يفعل ذلك اللهم إلا الهوى والجهل وقلة البصيرة في العلم.



## صلاة الجنائز وحكمها وصفتها

- ١٢٦- كَبُرَ هُدَيْتَ عَلَى الْجَنَائِزِ أَرْبَعًا      وَاسْأَلْ لَهَا بِالْعَضْوِ وَالْغُضْرَانِ  
١٢٧- إِنَّ الصَّلَاةَ عَلَى الْجَنَائِزِ عِنْدَنَا      فَرَضُ الْكِفَايَةِ لَا عَلَى الْأَعْيَانِ

✽ ذكر الناظم هنا صلاة الجنائز لأن هذه النونية شاملة للعقيدة والفقه، فبعد أن فرغ من أركان الإسلام بيّن صلاة الجنائز. وحكمها فرض كفاية إذا قام بها البعض سقطت عن الباقين، وإن تركوها جميعاً أثموا جميعاً.

ولصلاة الجنائز أربع تكبيرات وتسليمة واحدة وإن سلم مرتين فالأمر فيه سعة لوجود الدليل على الأمرين، لكن على المسلم أن يأخذ بها عليه أهل البلد الذي هو فيه حتى لا يحدث فتنة ما لم يخالف السنة، فتكبر التكبير الأولى وتقرأ سورة الفاتحة، وإن أمكن زيادة سورة فحسن؛ لأنه سنة كما ثبت عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا<sup>(١)</sup>، ثم تكبر التكبير الثانية وتصلي على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقرأ الصلاة الإبراهيمية التي تقولها في التشهد، ثم تكبر التكبير الثالثة فتدعو للميت، إن استطعت أن تحفظ الدعاء المأثور فهذا أولى وإلا فاسأل الله له المغفرة والعافية، وذلك مجزي ومما ورد: «اللهم اغفر لحينا وميتنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنثانا وشاهدنا وغائبنا اللهم من أحييته منا فأحيه على الإيمان ومن توفيته منا فتوفه على الإسلام اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفلنا بعده»<sup>(٢)</sup>، و«اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس وأبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجه وأدخله الجنة

(١) أخرجه البخاري [١٣٣٥].

(٢) أخرجه أبو داود [٣٢٠٣]، والترمذي [١٠٢٤] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال: حسن

وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار»<sup>(١)</sup>، وإن كان طفلا زاد بعد حديث ابن عباس: «اللهم اجعله لنا فرطا وسلفا وذخرا»<sup>(٢)</sup>، وفي التكبيرة الرابعة تسكت قليلا ثم تسلم. فينبغي أن نحصر عليها على الوجه الشرعي، وأن لا نتهاون بها، وأن نبتعد عن بعض الطقوس التي أضافها بعض الخرافيين من التجوال بالجنائز في القرية أو المدينة ورفع الصوت معها بالتهليل والتكبير وبعض الأدعية المبتدعة. ومما ينكر أيضا وضع الأعلام وأكاليل الزهور على الجنائز أو على المقابر، وفي هذا تقليد للكفار، وقد قال رسول الله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»<sup>(٣)</sup>.

وقد حث الشارع على الصلاة على الميت، ورتب عليها أجرا عظيما، قال رسول الله ﷺ: «من صلى على جنازة ولم يتبعها فله قيراط فإن تبعها فله قيراطان قيل وما القيراطان قال أصغرهما مثل أحد»<sup>(٤)</sup>.

والناظم رَحِمَهُ اللهُ ذكر حكم الصلاة على الميت، وأنه فرض كفاية ومثله غسله وتكفينه ودفنه، وكل هذا من فروض الكفايات التي يجب الاهتمام بها. وللجنازة أحكام وآداب مفصلة في كتب السنة والفقه يرجع إليها في مظانها.



(١) أخرجه مسلم [٢٢٧٦] من حديث عوف بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البيهقي في «الكبرى» [٧٠٤٢] من فعل أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة [١٩٤٠١]، وأبو داود [٤٠٣٣]، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. وصححه ابن حبان كما في «البلوغ».

(٤) أخرجه مسلم [٩٤٥] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

## الأهلة وطريق ثبوتها ودخول شهر رمضان

### والفطر وما يتعلق بذلك

- ١٢٨- إِنَّ الْأَهْلَةَ لِلْأَنَامِ مَوَاقِيتُ  
وَبِهَا يَقُومُ حِسَابُ كُلِّ زَمَانٍ
- ١٢٩- لَا تُفْطِرَنَّ وَلَا تَصُمْ حَتَّى يَرَى  
شَخْصَ الْهِلَالِ مِنَ الْوَرَى إِثْنَانِ
- ١٣٠- مُتَثَبَّتَانِ عَلَى الَّذِي يَرِيَانِهِ  
حُرَّانِ فِي نَقْلِيهِمَا ثِقَتَانِ
- ١٣١- لَا تَقْصِدَنَّ لِيَوْمٍ شَكَّ عَامِدًا  
فَتَصُومَهُ وَتَقُولَ مِنْ رَمَضَانَ

❦ يقول الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ❦ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾

[البَقَرَةُ: ١٨٩]، فهي مواقيت يعرف بها المسلمون ابتداء الشهر وانتهاءه، ويعرفون بها منازل القمر ليستفيدوا في بعض أمور دنياهم كالزراعة ونحو ذلك، كما يعرفون بها التاريخ وتسجيل الوقائع والحوادث والديون والمواعيد ونحو ذلك، ففيها فوائد عظيمة لا تُعد ولا تُحصى. والشهر العربي يتراوح بين تسع وعشرين وثلاثين، لذلك ينبغي تحري الهلال ليلة الثلاثين فإن رُئي وإلا أكمل الشهر، وبخاصة شهر رمضان وشهر شوال وشهر ذي الحجة، هذه الأشهر الثلاثة لا بد أن يُعنى بها المسلمون أيما عناية ولا يعتمدوا على مجرد التقويم أو الحساب الفلكي، نعم قد يُستعان به للتحري، وأما مناط الحكم، فهو رؤية الهلال، كما قال النبي ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَصُومُوا وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا فَإِنْ غَمَ عَلَيْكُمْ فَأَقْدِرُوا لَهُ»<sup>(١)</sup>، وفي رواية: «صُومُوا لِرُؤْيَيْهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَيْهِ فَإِنْ غُبِيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمَلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ»<sup>(٢)</sup>.

وهل يلزم الناس الصوم برؤية بلد واحد؟ الذي يظهر أن لكل بلد رؤيته لقصة كريب مع ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند مسلم<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري [١٩٠٠]، ومسلم [٢٥٥٠] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري [١٩٠٩] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) (٢/١٠٨٧، ١٠٨٧) ولفظه: عن كريب - مولى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - «أن أم الفضل بنت الحارث

ويمكن أن يُتحرى عما قبلها ليُنَيَّ عليه التحري في هذه الأشهر الثلاثة، فالأهلة  
نعمة من الله عزَّ وجلَّ يعرف بها المسلمون الحساب ومواقيت الصوم والحج والعيدين.

وقوله:

١٢٩- «لَا تُفْطِرَنَّ وَلَا تَصُمْ حَتَّى يَرَى شَخْصَ الْهَلَالِ مِنَ الْوَرَى إِثْنَانِ»

✽ الأمر فيه تفصيل، فبالنسبة لابتداء الصوم، الصحيح أنه يكتفى فيه برؤية شاهد  
واحد ثقة عدل، وقد صام النبي ﷺ برؤية رجل واحد من الصحابة؛ لأنه يحتاج  
للفطر ما لا يحتاج للصوم، أما الفطر فلا بد فيه من شاهدين عدلين يشهدان بأنها رأيا  
هلال الشهر، لأن العيد فيه تفطير، فقد يبقى عليهم يوم، والفطر محل تهمة فيتأكد فيه  
أكثر.

ويوم الشك هو يوم الثلاثين من شعبان، وقد نهى رسول الله ﷺ عن  
صومه كما قال عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «من صام يوم الشك فقد عصي أبا القاسم  
ﷺ» (١).



بعثته إلى معاوية بالشام قال فقدمت الشام فقضيت حاجتها واستهل علي رمضان وأنا بالشام فرأيت  
الهلال ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة في آخر الشهر فسألني عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ثم ذكر الهلال  
فقال متى رأيتم الهلال فقلت رأيناه ليلة الجمعة فقال أنت رأيته فقلت نعم وراه الناس وصاموا وصام  
معاوية فقال لكننا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه فقلت أو لا تكتفي  
برؤية معاوية وصيامه فقال لا هكذا أمرنا رسول الله ﷺ.

(١) أخرجه أبو داود [٢٣٣٤]، والترمذي [٦٨٦]، وابن ماجه [١٦٤٥]، وابن خزيمة [١٩١٤]، وابن  
حبان [٣٥٧٧]. وقال الترمذي: «حسن صحيح».



## الرافضة من شر الخلق والخليقة،

## وبيان فضل آل النبي ﷺ وصحبه

- ١٣٢- لَا تَعْتَقِدْ دِينَ الرِّوَافِضِ إِنَّهُمْ  
 ١٣٣- جَعَلُوا الشُّهُورَ عَلَى قِيَاسِ حِسَابِهِمْ  
 ١٣٤- وَلَرُبَّمَا نَقَصَ الَّذِي هُوَ عِنْدَهُمْ  
 ١٣٥- إِنَّ الرِّوَافِضَ شَرُّ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى  
 ١٣٦- مَدَحُوا النَّبِيَّ وَخَوَّنُوا أَصْحَابَهُ  
 ١٣٧- حَبُّوا قَرَابَتَهُ وَسَبُّوا صَحْبَهُ
- أَهْلُ الْمُحَالِ وَحِزْبَةُ الشَّيْطَانِ  
 وَلَرُبَّمَا كُمُلًا لَنَا شَهْرَانِ  
 وَافٍ وَأَوْفَى صَاحِبُ النُّقْصَانِ  
 مِنْ كُلِّ إِنْسٍ نَاطِقٍ أَوْ جَانٍ  
 وَرَمَوْهُمْ بِالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ  
 جَدَلَانِ عِنْدَ اللَّهِ مُنْتَقِضَانِ

✽ بدأ الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ بتوضيح العقيدة ثم عرض لمذاهب بعض الفرق كالجهمية والأشعرية والمعتزلة ثم تكلم على أركان الإسلام الخمسة ثم كرر مرة أخرى يحذّر من العقائد الفاسدة والمناهج المنحرفة، لأن النبي ﷺ تركنا على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فكل نحلة ابتدعت بعده فهي مردودة على أصحابها أيا كانت تلك النحلة ولو سموها بدعة حسنة، فإنه لا يوجد في الإسلام ما يسمى بالبدعة الحسنة بل لا يوجد إلا سنة أو بدعة، ولذا وجب التحذير من كل فرقة تخالف هدي المصطفى ﷺ، ومنهج أهل السنة والجماعة. وهذا لا يتأتى إلا بأن يعرف المسلم منهج أهل السنة وفق فهم السلف الصالح ثم يتعرف على المناهج التي خالفت هذا المنهج ليتجنبها، فإن معرفة الشر مطلوبة لتجنبه، كما قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني»<sup>(١)</sup>، قال الشاعر:

عَرَفْتُ الشَّرَّ لَا لِشَرٍّ      لَكِنْ لِتَوَقُّيهِ  
 وَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ الشَّرَّ      مِنَ النَّاسِ يَقَعْ فِيهِ

(١) أخرجه البخاري [٣٦٠٦]، ومسلم [١٨٤٧].

وقد حذر الناظم رَحِمَهُ اللهُ هُنا من عقيدة الروافض، فكل من كفر أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو كفر أزواجه، أو اتهمهم بالإفك أو ردَّ السنة، أو اعتقد نقص القرآن الكريم الذي بين أيدينا، أو قال على 'الله البداء - وهو أنه لا يعلم الأشياء قبل وقوعها-، أو عبد القبور من دون الله، أو اعتقد لأئمتته درجة تفوق أو تساوي درجة الأنبياء والمرسلين، أو أجاز رواية الأحاديث المكذوبة والموضوعة والمختلقة على 'رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو اعتقد أن أحدا يتصرف في الكون مع الله عَزَّجَلَّ، فكل من اعتقد واحدا من هذه الأمور فقد مرق من الدين، فكيف إذا اجتمعت؟ سواء كان هؤلاء من الروافض أو من غلاة المتصوفة أو من غيرهم من الفرق المارقة، وقد جمعت الروافض هذه المخازي كلها؛

مساوٍ لو قُسمن على الغواني لما أمهرن إلا بالطلاق<sup>(١)</sup>

من اعتقد هذه المعتقدات يجب أن نفارقه، والواجب على المسلمين أن يعتقدوا عقيدة أهل السنة والجماعة وأن ينأوا بأنفسهم عن هذه العقائد الفاسدة المفسدة التي فرقت المسلمين وجعلتهم شذرا مذرا؛ والتي هي عقيدة حزب الشيطان؛ لأنها عقائد شيطانية لا يعتقدوها إلا حزب الشيطان؛ ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

ولهذا خالفوا أهل السنة في دخول الأشهر وخروجها لاسيما شهر الصوم فإنهم لا يصومون إلا بعد المسلمين، ولا يفطرون إلا بعدهم، بل لا يعتمدون الرؤية التي هي مناط الصوم والفطر، وقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غبي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين»<sup>(٢)</sup>؛ فهم يعملون بالحساب بقياس

(١) بيت للشاعر ابن زيدون الأندلسي، ختم بها مقامة هجاها الشاعر ابن عبدوس.

(٢) تقدم تحريجه في ص: [٢٩٧].

خاص بهم تبعاً لأهوائهم كما خالفوا التاريخ الهجري؛ وإنما خالفوا في التاريخ الهجري لأن أول من سنّ ذلك هو الفاروق عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأشار النازم بقوله: «وَلَرَيْمًا كَمَلًا لَنَا شَهْرَانِ» إلى أن كمال الشهر أو نقصانه راجع للرؤية، فربما توالى شهران كاملان أو ناقصان أو أحدهما كامل والآخر ناقص؛ كل ذلك بحسب الرؤية.

فلبغضهم الصحابة - وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وغيرهما التاريخ، فربما أرخوا بالبعثة، وربما رجعوا إلى التاريخ الفارسي المتعلق بأعياد النيروز وغيره، كل ذلك لعداوتهم وانشاققهم عن المسلمين.

ثم وصف الرافضة بأنهم شر من وطئ الحصى من إنس أو جنّ نظراً لما تقدم من ذكر بعض عقائدهم الفاسدة.

وقوله: «مَدَحُوا النَّبِيَّ وَخَوَّنُوا أَصْحَابَهُ...»

لا ينفع مدح النبي مع سب أصحابه، لأن الصحابة هم الذين نقلوا لنا هذا الدين، فمن خَوَّنهم فقد ألغى الإسلام كله. من خَوَّن الخلفاء الراشدين أو غيرهم من الصحابة فإنه يطعن في الدين كله لأن الإسلام إنما وصلنا عن طريق الصحابة، فالقدح فيهم قدح في أصل الدين، ولذلك لا ينفع مدحهم للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع اعتقادهم هذا إذ إنه مناقض لدعواهم الإسلام، ومدحهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقية وإلا فهم يبغضونه؛ لأن من أبغض أصحابه فقد أبغضه ولا بد.

قال أبو زرعة الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا رأيت الرجل يتقص أحداً من أصحاب رسول الله فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول حق والقرآن حق، وإنما نقل إلينا هذا

القرآن والسنن أصحاب رسول الله، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة»<sup>(١)</sup>.

والذي يظن أنه يجب قرابة النبي ﷺ ويعادي بقية الأصحاب متناقض، بل وقع في منتهى التناقض؛ لأن الواجب محبة جميع الصحابة بدون تفريق، آل بيته وغيرهم من الصحب الكرام رضي الله عن الجميع.



(١) انظر: «الكفاية»، ص: [٤٩].

- ١٣٨- فَكَانَ مَا آلَ النَّبِيِّ وَصَحْبُهُ رُوحٌ يَضُمُّ جَمِيعَهَا جَسَدَانِ  
١٣٩- فِئْتَانٍ عَقْدُهُمَا شَرِيعَةُ أَحْمَدٍ بِأَبِي وَأُمِّي ذَانِكَ الْفِئْتَانِ  
١٤٠- فِئْتَانٍ سَالِكَتَانِ فِي سُبُلِ الْهُدَى وَهُمَا بِدِينِ اللَّهِ قَائِمَتَانِ

✽ الله أكبر، يشبه الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ الصحابة وتمامسكهم وتكاتفهم وتعاونهم وتضامنهم بمن فيهم آل البيت وسائر الأصحاب كروح في جسدتين، وهذا لبيان قوة العلاقة بينهما، فهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. الصحابة رَحْمَةُ اللَّهِ عَنْهُمْ بمن فيهم آل البيت هم صفوة هذه الأمة وقطب رحاها بعد نبينا ﷺ، ونقله الإسلام، وحمله القرآن والسنة.

وقوله: «فئتان» تجوزا وإلا فهم فئة واحدة، والقصد بالفئتين آل البيت والصحابة، نعم، المؤمنون من آل البيت لهم حرمتهم وحقوقهم ومكانتهم الخاصة - ومن أنفس ما كتب في ذلك رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ فِي «حقوق أهل البيت» -، وكذا بقية الصحب لهم حرمتهم ومكانتهم وحقوقهم الخاصة.

فهم سائرون على درب الهدى وعلى طريق السنة، وكلهم كما قال الناظم في طريق الهدى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْدَهُ﴾ [الأنعام: ٩٠] أولئك أصحاب محمد ﷺ الذين بهم قام القرآن وبه قاموا، وبهم نطق القرآن وبه نطقوا، أثنى عليهم الله في كتابه؛ ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالَّذِينَ تَبَعُواهُمْ يَأْتُونَ بِنُصْرَةٍ مِّنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَمِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَمِنْ دُونِهِمُ الْمُحْسِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فلا نسمع لناحق ينال منهم أو يسبهم أو يحط من قدرهم، نسأل الله أن يحشرنا في زميرتهم، وأن يبعدنا عن منهج أعدائهم الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].



خيرية النبي ﷺ وأفضليته على جميع الخلق،

وفضل صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

والتنويه بمنزلة عائشة وحفصة رضي الله عنهما

١٤١- قُلْ إِنَّ خَيْرَ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٌ وَأَجَلٌ مَنْ يَمْشِي عَلَى الْكُتُبِ

❖ يبين الناظم رحمه الله أن أفضل الأنبياء والرسل، بل والخلق أجمعين على الصحيح هو نبينا محمد ﷺ، ختم الله به النبوات والرسالات واختص رسالته بأن كانت عامة للثقلين؛ الإنس والجن، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فنبينا ﷺ له خصائص عظيمة لا يمكن حصرها في مثل هذا المقام، فمنها على سبيل المثال لا الحصر: أنه عليه الصلاة والسلام سيد الأولين والآخرين، قال عليه الصلاة والسلام: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»<sup>(١)</sup>، ومنها أنه أول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، وأول مشفع، وصاحب الحوض المورود، وهو صاحب المقام المحمود الذي اختص به دون سائر الأنبياء.

ولا ينافي أحد في فضل نبينا على سائر الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً، وإظهار فضله وتفضيله وما خصه الله به أشهر من أن يذكر، وليس ذلك بالإطراء والغلو في المدائح، والترنم بالقصائد مع الموسيقى، والمعاذف المحرمة كما يفعله بعض أهل البدع والانحراف في هذه الأزمنة، وإنما يكون بمحبته فوق محبة النفس والنفس وتطبيق سنته ﷺ قولاً وعملاً واعتقاداً - بأبي هو وأمي ﷺ - .



(١) أخرجه مسلم [٢٢٧٨] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

- ١٤٢- وَأَجَلَ صَاحِبِ الرُّسُلِ صَاحِبُ مُحَمَّدٍ  
 ١٤٣- رَجُلَانِ قَدْ خُلِقَا لِنَصْرِ مُحَمَّدٍ  
 ١٤٤- فَهُمَا اللَّذَانِ تَظَاهَرَا لِنَبِيِّنَا  
 ١٤٥- بِنْتَاهُمَا أَسْنَى نِسَاءِ نَبِيِّنَا  
 ١٤٦- أَبَوَاهُمَا أَسْنَى صَحَابَةِ أَحْمَدٍ  
 ١٤٧- وَهُمَا وَزِيرَاهُ اللَّذَانِ هُمَا هُمَا  
 ١٤٨- وَهُمَا لِأَحْمَدَ نَاضِرَاهُ وَسَمْعُهُ  
 ١٤٩- كَانَا عَلَى الْإِسْلَامِ أَشْفَقَ أَهْلِهِ  
 وَكَذَلِكَ أَفْضَلُ صَاحِبِهِ الْعُمَرَانِ  
 بِدَمِي وَنَفْسِي ذَانِكَ الرَّجُلَانِ  
 فِي نَصْرِهِ وَهُمَا لَهُ صِهْرَانِ  
 وَهُمَا لَهُ بِالْوَحْيِ صَاحِبَتَانِ  
 يَا حَبِّدَا الْأَبْوَانَ وَالْبِنْتَانِ  
 لِفَضَائِلِ الْأَعْمَالِ مُسْتَبِقَانِ  
 وَبِقُرْبِهِ فِي الْقَبْرِ مُضْطَجِعَانِ  
 وَهُمَا لِدِينِ مُحَمَّدٍ جَبَلَانِ

﴿نعم، أَجَلُ صَاحِبِ الرُّسُلِ صَاحِبُ مُحَمَّدٍ ﷺ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَعْتَدُّ بِإِجْمَاعِهِمْ، بَلْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ شُهَدَاءَ عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالِ لِأَمَمِهِمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرُّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ اللَّهَ ﷺ قَالَ: «يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى هَلْ بَلَغْتَ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ فَيَقُولُ لِأَمَّتِهِ: هَلْ بَلَغْتُمْ فَيَقُولُونَ لَا مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ وَهُوَ قَوْلُهُ جَلْ ذَكَرَهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ وَالْوَسْطُ الْعَدْلُ»<sup>(١)</sup>.

وَقَدْ زَكَاهُمْ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُمْ، وَتَوَفَّى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُهِجَرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

(١) أخرجه البخاري [٣٣٣٩] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالصحابة هم صفوة أتباع الرسول، ومما يؤسف له أن يقع في الطعن في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بعض المنسويين لأهل السنة، فقد وقع بعض الكتاب والشعراء في هذا العصر ممن يوصفون بأنهم كتاب إسلاميون بل يوصف بعضهم بأنه شهيد، وأنه.. وأنه..، والشهادة لا يجوز الجزم بها إلا لمن شهد له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك، وقع هؤلاء - عن هوى أو جهل وقلة بضاعة في العلم والهدى - في النيل من الصحابة، وسيأتي مزيد بيان لهذه الوقاحة وقلة الحياء عند ذكر فضائل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، وأخزى الله من أبغضه وقلاه.

وبعد أن بين أن أفضل الناس بعد الرسل هم الصحابة بين أن أفضلهم العمران: يعني أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أبو بكر الذي قال فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر ولكن أخي وصاحبي»<sup>(١)</sup>، وهو الذي نزلت فيه الآيات الكريمة من سورة الليل كما ذكر أهل العلم ﴿وَمَا لَاحِدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ۖ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾<sup>(٢)</sup> وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿[البقرة: ١٩ - ٢١]، وهو الذي ذكر الله صحبته للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القرآن ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا لَنَنبِئُكَ اللَّهُ مَعْنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وآيات ذكر أهل العلم أنها في فضائل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو الذي استخلفه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صلاته وأعطى كثيراً من الإشارات والدلالات على أفضليته وأنه الخليفة بعده، يدل لذلك حديث جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أتت امرأة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأمرها أن ترجع إليه قالت أرايت إن جئت ولم أجدك كأنها تقول الموت قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن لم تجديني فاتي أبا بكر»<sup>(٣)</sup>، وقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «يَأْبَى اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أبا بكر»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري [٣٦٥٦] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري [٣٦٥٩]، ومسلم [٢٣٨٦].

(٣) أخرجه مسلم [٢٣٨٧] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.



ثم يليه في الفضل عمر بن الخطاب الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي فرَّق الله به بين الحق والباطل، فهو ثاني الخلفاء الراشدين، الذي قال فيه النبي ﷺ: «إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب»<sup>(١)</sup>، ومعنى 'محدثون' أي: ملهمون للحق والصواب، وفعلًا كثيرًا ما ألهم وجاء الوحي مطابقا لرأيه، كما في موافقاته المعروفة والمشهورة - رضي الله عنه وعن أبي بكر وأرضاهما، وأخزى الله من أبغضهما وقلاهما؛ فهما وزيرا رسول الله ﷺ كما قال زيد بن علي بن الحسين - عليه رحمة الله -، فمناقبهما لا تستقصى لبعدها أن تحصى.

فهما نصيرا رسول الله ﷺ، وهما صاحباه، وأخص خواصه، فكثيرا ما كان يقول: جئت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وأبو بكر وعمر (٢)، وهما مستشاراه، فله درهما ما أعظم منزلتهما في الإسلام، وما أقبح وأردى من يحط من شأنهما، ولذلك أثنى عليهما الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ بهذا الشاء العطر الذي هما أهل له.

ومعنى «تظاهرا»، أي: تعاوننا معه وتناصرا، وكانا ظهيرين له؛ ومن هذا المعنى قوله تَعَالَى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤]. وكلاهما تزوج النبي ﷺ ابنته، فلهما شرف الصحبة والمناصرة وشرف الاستشارة وشرف الوزارة، ولهما شرف المصاهرة والرحم؛ حيث زوج أبو بكر النبي ﷺ ابنته عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كما زوجه عمر ابنته حفصة أم المؤمنين أيضا - رضي الله عنها وأرضاها - فنعم النسب ونعمت المصاهرة ونعمت الصحبة.

(١) أخرجه البخاري [٣٤٦٩] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم [٢٣٨٩] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقوله: «بنتاهما أسنى»، أي: أفضل وأكمل، وهذا بعد خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ فعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كان يرى في المنام أنها زوجته - ورؤيا الأنبياء حق - فيقول: «إن يك هذا من عند الله يمضه»<sup>(١)</sup>، وحفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما طلقها أمر بإرجاعها وقيل له: «إنها صَوَّامة قَوَّامة، وإنها زوجتك في الجنة»<sup>(٢)</sup>، فكلتاها صاحبته بالوحي.

وقوله: «أبواهما» إلخ، يعني: أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فأبواهما أفضل الصحابة وهما أفضل أمهات المؤمنين بعد خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهما من خيرة نساء المؤمنين وهن أمهات المؤمنين.

وقوله: «يا حبذا»، أي: نعم البنتان ونعم الأبوان، ولو وُجد فوق هذه الكلمة من أساليب المدح لقالها الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ ويكفي أن الله قد أشاد بعائشة في كتابه، وكذلك أزواجه الطاهرات المطهرات جميعاً.

وقوله: «هما هما» تكرار الضمير للتأكيد وللتعظيم ولبيان فضلها الذي لا يعدله فضل بعد رسول الله ﷺ، ولذلك فهما لهما سابقة الإسلام، ولهما سابقة المصاهرة، ولهما سابقة الخلافة، ولهما سابقة الملازمة لرسول الله ﷺ، - رضي الله عنهما وأرضاها -.

وقوله «وَهُمَا لِأَحْمَدَ نَاضِرَاهُ وَسَمْعُهُ»، أي: ملازمان للنبي ﷺ في جميع أحواله، ويؤازرانه في جميع أموره، إلى أن انتقل إلى ربه تَعَالَى، وهما ضجيعاه بعد الموت، أي: دفنا بقربه وجواره ﷺ في حجرة عائشة.

(١) أخرجه البخاري [٣٨٩٥]، ومسلم [٢٤٣٨] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه الطبراني [٩٣٤]، والبخاري [١٤٠١] من حديث عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الهيثمي (٩/ ٢٤٥):

«رجال رجال الصحيح». وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٤٣٥١].

وقوله:

١٤٩- «كَانَا عَلَى الْإِسْلَامِ أَشْفَقَ أَهْلِهِ وَهُمَا لِدَيْنِ مُحَمَّدٍ جَبَلَانِ»

❁ أي: كانا أشفق الأمة والصحابة على الإسلام، وأحرصهم على نشره، ولذلك يسر الله من الفتوح في عهدهما الشيء العظيم، فلم تكد تنقضي خلافة أبي بكر وعمر حتى وصل الإسلام إلى تخوم الهند وإلى بلاد المغرب حتى تم فتح المغرب في عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كل هذا في أقل من ربع قرن. فهما يحملان هم الإسلام في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعد وفاته ومؤتمنان عليه وقد ألبيا فيه وفي الذب عنه بلاءً حسناً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ثم بعد ذلك جعلهما الله خليفتين بعد نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نعم إنهما جبلان رداءن للإسلام؛ ولذلك انفتحت بوفاتهما على الإسلام ثغرة عظيمة لن تسد، وبمقتل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كسر باب الفتن كما في الصحيح، وبمقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وضع السيف في الأمة، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا وَضَعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يَرْفَعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>.



(١) أخرجه أبو داود [٤٢٥٤]، والترمذي [٢٢٠٢]، وابن ماجه [٣٩٥٢] من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

- ١٥٠- أَصْفَاهُمَا أَقْوَاهُمَا أَخْشَاهُمَا  
 ١٥١- أَسْنَاهُمَا أَرْكَاهُمَا أَعْلَاهُمَا  
 ١٥٢- صَدِيقُ أَحْمَدَ صَاحِبُ الْغَارِ الَّذِي  
 ١٥٣- أَعْنِي أَبَا بَكْرٍ الَّذِي لَمْ يَخْتَلِفْ  
 ١٥٤- هُوَ شَيْخُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ وَخَيْرُهُمْ  
 ١٥٥- وَأَبُو الْمُطَهَّرَةِ الَّتِي تَنْزِيهَهَا  
 أَتَقَاهُمَا فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ  
 أَوْفَاهُمَا فِي الْوَزْنِ وَالرُّجْحَانِ  
 هُوَ فِي الْمَغَارَةِ وَالنَّبِيِّ اثْنَانِ  
 مِنْ شَرَعْنَا فِي فَضْلِهِ رَجُلَانِ  
 وَإِمَامُهُمْ حَقًّا بِلَا بُطْلَانِ  
 قَدْ جَاءَنَا فِي النُّورِ وَالضُّرْقَانِ

❖ بعد أن ذكر الناظم فضل الشيخين إجمالاً بدأ يذكر ميزة كل واحد منهما، فبين أن أتقاهما وأرفعهما وأصفاهما وأنقاهما وأفضلهما أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهذا بنص حديث رسول الله ﷺ: «فهل أنتم تاركوا لي صاحبي»<sup>(١)</sup>، وقال: «ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»<sup>(٢)</sup>، وقال: «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً»<sup>(٣)</sup>، هو أفضل الاثنين، وليس في تفضيله حط من شأن عمر، ولكنه فضل الله يؤتيه من يشاء.

ثم بين أن من ميزاته أنه كان الصاحب في الغار مع رسول الله ﷺ كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِلَّا نُنْصِرُهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّكَ اللَّهُ مَعَنَا﴾ [التَّوْبَةُ: ٤٠]؛ سبحانه الله لما وصل المشركون إلى الغار قال أبو بكر: يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا. قال: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما»<sup>(٤)</sup>، فحفظ الله نبيه وحفظ صديق نبيه أبا بكر - رضي الله عنه وأرضاه -.

(١) أخرجه البخاري [٣٦٦١] من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) تقدم ترجمته في ص: [٣٠٦].

(٣) رواه مسلم [٢٣٨٣] من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري [٤٦٦٣]، ومسلم [٢٣٨١] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقوله:

١٥٣- «أَعْنِي أَبَا بَكْرٍ الَّذِي لَمْ يَخْتَلِفْ مِنْ شَرَعِنَا فِي فَضْلِهِ رَجُلَانِ»  
 \* أبو بكر الصديق أول من أسلم من الرجال، صاحب الهجرة، وصاحب الوزارة،  
 وصاحب الذب عن النبي ﷺ، كان يذب عن النبي ﷺ وكانوا يضربونه  
 عند الكعبة يوم أن كان الإسلام ضعيفا حتى يُغمى عليه وهو يقول: أقتلون رجلا أن  
 يقول ربي الله - فرضي الله عنه وأرضاه -.

وقوله: «... لَمْ يَخْتَلِفْ... مِنْ شَرَعِنَا فِي فَضْلِهِ رَجُلَانِ»، أي: من أهل السنة  
 والجماعة، أما من شذ من شذاذ الآفاق فلا يُعبأ بخلافهم.

وَمَنْ شَذَّ مِنَ النَّوَادِرِ فَالْعِبْرَةُ بِالكَثْرَةِ لَا بِالنَّادِرِ  
 وقوله:

١٥٤- «هُوَ شَيْخُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ وَخَيْرُهُمْ وَإِمَامُهُمْ حَقًّا بِلَا بُطْلَانٍ»  
 \* نعم، هو شيخ الصحابة جميعا، أقدمهم إسلاما، وأفضلهم درجة، وأكثرهم  
 صحبة وملازمة للمصطفى ﷺ، فهو إمامهم بعد رسول الهدى ﷺ  
 بلا منازع كما تقدم. قال رسول الله ﷺ: «ما طلعت الشمس ولا غربت بعد  
 النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر»<sup>(١)</sup>

وقوله:

١٥٥- «وَأَبُو الْمُطَهَّرَةِ الَّتِي تَنْزِيهُهَا قَدْ جَاءَنَا فِي النُّورِ وَالْفُرْقَانِ»

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٢٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٥٧٦)، رقم الحديث [١٢٢٤]، قال الألباني أخرجه جمع من المحدثين منهم عبد بن حميد والخطيب وغيرهما وقد حسنه بعضهم، انظر: «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (٣/ ٥٣٤).

❖ الله أكبر! أي أبو عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أم المؤمنين التي برأها الله من الإفك من فوق سبع سماوات، عندما تولى كبرها المنافقون وتناقل ذلك قلة قليلة من سرعان الناس فثبتها الله وبرأها، قَالَ تَجَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَبِيرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِنِّمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١١﴾ أَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ١٢﴾ أَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَاءِ فَأَوَّلَتْ يَتِّكِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ ١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا مِهْنٌ عَظِيمٌ ١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ١٧﴾ وَيَسِّنُّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَّحِيمٌ ٢٠﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢١﴾ وَلَا يَأْتِلْ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٢٤﴾ يَوْمَ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ٢٥﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿[النُّور: ١١ - ٢٦]، ويكفي أن الله شَرَّفَهَا بهذه البراءة - رضي الله عنها وأرضاها - في سورة تتلى إلى يوم القيامة وهي سورة النور.

- ١٥٦- أَكْرَمَ بِعَائِشَةَ الرِّضَا مِنْ حُرَّةٍ  
 ١٥٧- هِيَ زَوْجٌ خَيْرُ الْأَنْبِيَاءِ وَبِكْرُهُ  
 ١٥٨- هِيَ عَرْسُهُ هِيَ أُنْسُهُ هِيَ إِلْفُهُ  
 ١٥٩- أَوْلَيْسَ وَالِدُهَا يُصَافِي بَعْلَهَا  
 بِكْرٍ مُطَهَّرَةٍ الْإِزَارِ حَصَانٍ  
 وَعَرُوسُهُ مِنْ جَمَلَةِ النِّسْوَانِ  
 هِيَ حُبُّهُ صِدْقًا بِلَا إِذْهَانٍ  
 وَهُمَا بِرُوحِ اللَّهِ مُؤْتَلِفَانِ

❖ أي: أنعم وأكرم بها من أم للمؤمنين الصديقة بنت الصديق عرس رسول الله ﷺ وإلفه وحييته والتي توفي عليه الصلاة والسلام، وهو بين حاققتها وذاققتها، بين سحرها ونحرها، مستند على صدرها الطاهر الطيب المبارك.

حصان رزان ما تزنّ بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل  
 كما قال حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهي الطاهرة المطهرة، المبرأة من فوق سبع سماوات - رضي الله عنها وأرضاها، وأخزى الله ولعن من أبغضها وقلاها -، قال الله تَعَالَى في حقها: ﴿أُولَئِكَ مَبْرُوءَاتٌ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النِّسَاءُ: ٢٦].

فهي البكر الوحيدة التي تزوجها عليه الصلاة والسلام، حيث تزوجها بنت ست وبنى بها وهي بنت تسع، وكانت من أكثر الصحابة حديثاً، وأحفظ نساء النبي ﷺ على الإطلاق، بل أحفظ النساء من الصحابة.

وهي عروسه من جملة النسوان، أي: من ضمن أزواجه التسع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، وكلهن طاهرات مطهرات غير أن عائشة أفضلهن بعد خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فيجب الترضي عنها واعتقاد أنها أم المؤمنين، واعتقاد طهارتها وبراءتها، ومن اتهمها بالإفك فهو كافر؛ لأنه يكذب القرآن، ومن كذب القرآن فقد كفر، فاتهم عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في عرضها تترتب عليه أربعة محاذير:

الأول- أنه تكذيب للقرآن. الثاني- أنه كفر.

الثالث- أنه اتهام للنبي ﷺ في أعز الأشياء، وهو العرض، وحاشاه ذلك بأبي هو وأمي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

الرابع- أنه مخالف لما أجمعت عليه أمة محمد ﷺ من براءتها وطهارتها. فأخزى الله من نال منها أو من منزلتها، ولذا قال بعض السلف: «إن من يتكلم في عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فليست بأمه، وهي أم المؤمنين، فأحرى ألا يكون مؤمناً».

وقوله:

١٥٨- هِيَ عَرْسُهُ هِيَ أَنْسُهُ هِيَ إِلْفُهُ هِيَ حِبُّهُ صِدْقًا بَلَا إِذْهَانِ  
فهذه الأوصاف العظيمة: عرسه، إلفه، أنسه، حبه، صدقا بلا بهتان، تليق بأم المؤمنين، عائشة الرضا - رضي الله عنها وأرضاها - تلك الصفات منطبقة على الصديقة بنت الصديق وعلى سائر أزواج النبي ﷺ، لكن مزية كونها حُبَّ رسول الله دون سائر زوجاته، ثبتت في الصحيح لما سأل عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: من أحب الناس إليك؟ قال: «عائشة»، قال: من الرجال؟ قال: «أبوها»<sup>(١)</sup>.

وقوله:

١٥٩- «أَوْلَيْسَ وَالِدُهَا يُصَافِي بَعْلَهَا وَهُمَا بِرُوحِ اللَّهِ مُؤْتَلِفَانِ»  
والدها أبو بكر وبعلها رسول الله ﷺ وَهُمَا بِرُوحِ اللَّهِ، أي: برحمة الله، وبفضل الله، وتوفيقه وأمره، عَزَّوَجَلَّ متآلفان متحابان في الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.



(١) أخرجه البخاري [٣٦٦٢]، ومسلم [٢٣٨٤].



- ١٦٠- لَمَّا قَضَىٰ صَدِيقُ أَحْمَدَ نَحْبَهُ دَفَعَ الْخِلَافَةَ لِلْإِمَامِ الثَّانِي  
 ١٦١- أَعْنِي بِهِ الْفَارُوقَ فَرَّقَ عَنُوَّةَ بِالسَّيْفِ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ  
 ١٦٢- هُوَ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ بَعْدَ خَفَائِهِ وَمَحَا الظَّلَامَ وَيَاحَ بِالْكِتْمَانِ

❖ بدأ الناظم بذكر بعض فضائل ومزايا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهو الإمام بعد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد عهد إليه أبو بكر بالخلافة بعده، وذلك مصداقاً للرؤيا التي رآها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بيننا أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع بها ذنوباً أو ذنوبين وفي نزعها ضعف والله يغفر له ضعفه ثم استحالت غريباً فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقرياً من الناس ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن»<sup>(١)</sup>؛ وقد فسر ذلك بزمن الخلافة والفتوح في عهدهما. ففي عهد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وطد الإسلام بعد وفاة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقاتل المرتدين وفتح الله عليه بعض الأمصار، وفي عهد عمر فتح الفتوح ووسع رقعة الإسلام.

وقوله: «أَعْنِي بِهِ الْفَارُوقَ ...»؛

لما أسلم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شهر سيفه وهاجر أمام الملائكة وقال من أراد أن تشكله أمه فليلقني خلف هذا الوادي. فإن أكثر الناس قد هاجروا خفية وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هاجر علناً معلناً، وقد سُمي الفاروق لأن الله فرق به بين الحق والباطل، وكثيراً ما كان الوحي ينزل موافقاً لرأيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فقبل إسلام عمر كان الناس يتخفون، فأظهر الله الإسلام ونصره بإسلام عمر؛ مصداقاً لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك؛ بعمر بن الخطاب وأبأي جهل بن هشام»<sup>(٢)</sup>؛ وقويت شوكة المسلمين ومحا الله به الظلام، أي:

(١) أخرجه البخاري [٣٦٦٤]، ومسلم [٢٣٩٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد [٥٦٩٦]، وعبد بن حميد [٧٥٩]، والترمذي [٣٦٨١] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الخوف من المشركين وكذا محاطا بظلام وجبروت فارس والروم، فقد قصر قيصر وكسر  
كسرى، وأنفقت كنوزهما في سبيل الله على يده، وانتشر ضياء الإسلام والتوحيد،  
واضمحلّ ظلام الكفر والشرك.



### فضل عثمان بعد أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

١٦٣- وَمَضَى وَخَلَّى الْأَمْرَ شُورَى بَيْنَهُمْ فِي الْأَمْرِ فَاجْتَمَعُوا عَلَى عُثْمَانَ  
١٦٤- مَنْ كَانَ يَسْهَرُ لَيْلَةً فِي رَكْعَةٍ وَتَرَا فِيكُمْ خَتَمَةَ الْقُرْآنِ

ثم ذكر أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الفاروق لما مضى، أي: شعر بدنو أجله حيث طعنه الخبيث أبو لؤلؤة المجوسي، فحقق الله له الشهادة وكان قد دعا بدعوتين مباركتين قد استجيبتا فكان يدعو: اللهم ارزقني شهادة في سبيلك وموتا في بلد رسولك ﷺ<sup>(١)</sup>، وقد تحقق له الأمران.

ترك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الأمر شورى لاختيار خليفة من ستة، ممن توفي رسول الله ﷺ عليه وسلم وهو راض عنهم، وكان قد بشرهم بالجنة، وكلهم من العشرة؛ عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة والزبير، فهؤلاء الستة هم كبار أهل الحل والعقد، تشاوروا فيما بينهم أيهم أحق بالخلافة ثم اجتمعوا - كما ذكر الناظم - على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولهذا قال الإمام الجليل أيوب بن أبي تميمة السختياني: «من لم يقدم عثمان على علي فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار»<sup>(٢)</sup>، وعلق شيخ الإسلام على هذا بقوله: «فإنه إن لم يكن عثمان أحق بالتقديم وقد قدموه كانوا إما جاهلين بفضله وإما ظالمين بتقديم المفضول من غير ترجيح ديني، ومن نسبهم إلى الجهل والظلم فقد أزرى بهم»<sup>(٣)</sup>.

ومن فضائل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الرسول ﷺ قال فيه: «ألا أستحيي ممن تستحيي منه الملائكة»<sup>(٤)</sup>، وقال لما جهز جيش العسرة: «ما ضر عثمان ما عمل بعد

(١) «كشف الخفاء ومزيل الألباس» للعجلوني، ص: [١٨١].

(٢) أخرجه ابن حنبل في «فضائل الصحابة» [٣٠٩].

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٤/٤٢٨)، «منهاج السنة» (٢٢٥/٨).

(٤) أخرجه أحمد [٢٥٢١٦]، ومسلم [٢٤٠١] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

اليوم مرتين»<sup>(١)</sup>، وهو الذي أوقف بئر رومة على المسلمين، اشتراها من يهودي. وهو ذو النورين، صهر رسول الله ﷺ حيث زوجه ابنته رقية وأم كلثوم، وقال له لما ماتت الأخيرة: «لو كانت عندي ثالثة لزوجتها عثمان»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: أن الرسول ﷺ بشره بالجنة على بلوى تصيبه، وقد حصل ما أخبر به ﷺ، وكان تالياً لكتاب الله، متدبراً له، معتنياً بفهمه والعمل به، قال أبو عبد الرحمن السلمي: «حدثنا الذين كانوا يقرءوننا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل. قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً»<sup>(٣)</sup>.

وقد جمع القرآن الكريم في مصحف واحد وأرسل به إلى الآفاق، وكان سخيّاً صواماً قواماً، بكاء من خشية الله.

وله فضائل كثيرة لا تعد ولا تحصى، وقد توفي شهيداً كما أخبر النبي ﷺ، قتله البغاة المعتدون، الخوارج الفجرة.

وأراد الله له أن ينال هذه الشهادة؛ مصداقاً لقوله ﷺ: «اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان»<sup>(٤)</sup>، فسلم عثمان لأمر الله وقضائه، وانتقل إلى ربه شهيداً، ثم انتقلت الخلافة بعده إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) أخرجه الترمذي [٣٧٠١]، والحاكم [٤٥٢٩] من حديث عبد الرحمن بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الترمذي: «حديث حسن غريب من هذا الوجه». وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». وحسنه الألباني في «المشكاة» [٦٠٦٤].

(٢) انظر: «الطبقات» لابن سعد (٣٨/٨)، «البداية والنهاية» (٣٤٦/٥ - ٣٤٧).

(٣) انظر: «البدع» لابن وضاح، ص: [٩٣].

(٤) أخرجه البخاري [٣٦٧٥] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

منزلة علي وفضله بعد الخلفاء الثلاثة قبله رضي الله عن الجميع

- ١٦٥- وَلِي الْخِلَافَةَ صَهْرُ أَحْمَدَ بَعْدَهُ      أَعْنِي عَلِيَّ الْعَالِمَ الرَّبَّانِي  
١٦٦- زَوْجُ الْبَتُولِ أَخَا الرَّسُولِ وَرُكْنُهُ      لَيْثُ الْحُرُوبِ مُنَازِلَ الْأَقْرَانِ

نال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شرف الصحبة وشرف التزوج من بنت رسول الله ﷺ، بل تربى في حجره ﷺ، وكان ابن عمه وعضده؛ يمثل رسول الله ﷺ وينوب عنه في كثير من أعماله لقربته وأهليته.

وهو الشجاع الذي لا يبارى ولا يجارى - وكذلك الأئمة قبله شجعان لا يبارون ولا يجارون -، وهو الذي بات في فراش رسول الله ﷺ ليلة الهجرة وهو الذي قال فيه النبي ﷺ عشية فتح خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»<sup>(١)</sup>.

وهو أول من أسلم من الغلمان - رضي الله عنه وأرضاه - وأخزى الله من أبغضه وقلاه من الخوارج الذين تقربوا بدمه، ومن غلاة الرافضة الذين أهّوه وعبدوه، فهو خير الناس بعد الشيخين وعثمان، وأشجعهم وأقواهم عزيمة وفضلاً وقوة وإيماناً.



(١) أخرجه البخاري [٣٦٧٥] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

## الكلام على الإمامة والخلافة ومنزلتها من الدين

- ١٦٧- سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْخِلَافَةَ رُتْبَةً      وَبَنَى الْإِمَامَةَ أَيْمًا بُنْيَانٍ  
١٦٨- وَاسْتَخْلَفَ الْأَصْحَابَ كَيْ لَا يَدَّعِي      مِنْ بَعْدِ أَحْمَدَ فِي النَّبُوءَةِ ثَانِي

✽ الخلافة جعلها الله من أمور الإسلام ورتبه ليتنظم بها حال المسلمين في أمر دينهم ودنياهم، سواء كانت تلك الخلافة اختيارا وإجماعا من أهل الحل والعقد كما حصل لأبي بكر، أو وصية وعهدا كما حصل لعمر، أو شورى بين أهل الحل والعقد كما حصل لعثمان، أو إجماعا من المسلمين كما حصل لعلي بعد استشهاد عثمان رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ أو من حصل عليها بالغلبة وانقاد الناس له كما حصل لعبد الملك بن مروان رَحِمَهُ اللهُ. فهي رتبة عظيمة في الدين:

الدين بالملك يقوى      والملك بالدين يبقى  
وقال الآخر:

لا يصلح الناس فوضى لا سُراة لهم      ولا سُراة إذا جهَّالهم سادوا

فلا بد من أمر يقيم للمسلمين حياتهم، واستمرت الخلافة الراشدة ثلاثين عاما ثم أصبحت ملكا عضوضا كما أخبر النبي ﷺ في حديث سفينة مولى رسول الله ﷺ أنه قال: «خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك من يشاء»<sup>(١)</sup>، ومع ذلك أوجب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ فِي الْمُنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ وَأَثَرَهُ عَلَيْهِمْ، وَأَلَّا يَنْزَعُوا الْأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ يَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عَنْهُمْ مِنْ اللَّهِ فِيهِ بَرَهَانٌ كَمَا فِي حَدِيثِ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «بَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ

(١) أخرجه أحمد [٢١٩١٩]، وأبو داود [٤٦٤٧]، والترمذي [٢٢٢٦]. وقال: «هذا حديث حسن». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٣٢٥٧].

والطاعة في المنشط والمكره وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم»<sup>(١)</sup>.

وكون الملك بعد ذلك وراثياً أو غير وراثي وسواء كان ذلك الأمير أو الخليفة ممن اختير أو ممن تغلب على الأمة وحكمهم بشرع الله أو ممن اختاره المسلمون أو نحو ذلك فيجب له السمع والطاعة كما سيأتي إن شاء الله.

وليست الخلافة والإمامة ركنا من أركان الإسلام كما تزعم الروافض، أو ليست لازمة كما تقوله الخوارج والمعتزلة، فلا إفراط ولا تفريط فيها؛ إنما هي أمر من أمور الإيمان لا بد منها بحسب ما يقتضيه الحال، فإن وُجد خليفة للمسلمين جميعاً فذلك المطلوب والمرغوب والمحبوب وإن لم يوجد وصار المسلمون أقطاراً وبلداناً كما هو الحال بعد انتهاء الخلافة الإسلامية، فإنه يجب كذلك السمع والطاعة لمن ولاه الله أمرنا من أولياء المسلمين، ما أقاموا الصلاة فينا.

فالصحابة رضوان الله عليهم أجمعين اختاروا الخلفاء الراشدين واحداً بعد واحد حتى لا يدعي مدع النبوة، وقد قال ﷺ: «لا نبي بعدي»، وقال علي رضي الله عنه لما قال له بعض القوم: هل خصكم رسول الله ﷺ - أي: أهل البيت - رسول الله ﷺ بشيء؟ قال: «لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أعلمه، إلا فهم يعطيه الله رجلاً في القرآن وما في هذه الصحيفة، قلت - أي أبو جحيفة - وما في الصحيفة قال العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري [٧١٩٩]، ومسلم [١٨٤٠].

(٢) أخرجه البخاري [٣٤٥٥]، ومسلم [١٨٤٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

### فضل فاطمة الزهراء وابنيها الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

- ١٦٩- أَكْرَمَ بِفَاطِمَةَ الْبَتُولِ وَبَعْلَهَا      وَبِمَنْ هُمَا لِ مُحَمَّدٍ سِبْطَانِ  
١٧٠- غُضْنَانِ أَصْلُهُمَا بِرَوْضَةِ أَحْمَدٍ      لِلَّهِ دُرُّ الْأَصْلِ وَالْغُضْنَانِ

❖ فاطمة البتول هي فاطمة بنت محمد ﷺ، سيدة نساء الجنة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاه -، أم الحسن والحسين سبطي رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا. وقد توفيت بعد النبي ﷺ بستة أشهر، وكانت من خيرة النساء المؤمنات زهدا وكرما وورعا - رضي الله عنها وأرضاه -، وبعلها هو علي بن أبي طالب - ابن عمها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -.

وقد تقدم الكلام على 'بعض فضائل علي وشيئله - رضي الله عنه وأرضاه -.

ويعني الناظم بالغصنين: الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ومناقبهما جمّة، وفضائلهما كثيرة، وهما ممن ثبت أيام حصار الخوارج البغاة لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فثبتا مدافعين عنه حتى قضى الله أمرا كان مفعولا، فأما الحسن فقد أصلح الله به الأمة، وجمع به كلمة المسلمين؛ مصداقا لقول النبي ﷺ: «إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»<sup>(١)</sup>، ولا شك أن الحق مع علي وأنه هو صاحب الخلافة، ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم ينازعه في الخلافة، وإنما يطلب تسليم قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لإقامة الحد عليهم، وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يتمكن من تسليمهم؛ ولكن الفتنة قد حصلت ثم إن الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تنازل عام واحد وأربعين من الهجرة لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فجمع الله المسلمين عليه، فسمي ذلك العام بعام الجماعة.

ومعاوية ابن أبي سفيان الأموي - رضي الله عنه وأرضاه - كاتب وحي رسول الله ﷺ، وخال المؤمنين؛ لأنه أخو أم حبيبة: رملة بنت أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعن جميع الصحابة ولو كره الحاقدون، ولو كره المبتدعون، ولو كره الكافرون.

(١) أخرجه البخاري [٢٧٠٤] من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



يقول الميموني رَحِمَهُ اللهُ: «سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما لهم ولمعاوية؟، نسأل الله العافية! وقال لي: يا أبا الحسن: إذا رأيت أحدًا يذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء، فاتهمه على الإسلام»<sup>(١)</sup>.

وأما الحسين رضي الله عنه وأرضاه - فقد بقي ما شاء الله له أن يبقى، ثم إنه خرج إلى العراق لوعده من تخلي عنه بعد ذلك لَمَّا حصل ما حصل، وكان قد نصحه بعض الصحابة كابن عباس بعدم الخروج، ولكن ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً.

فالحسن والحسين غصنا شجرة أصلها نبي الهدى، نبينا محمد ﷺ، فنعم الأصل، ونعم الفرع.



(١) انظر: «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٣٩٧).

## الكلام على فضل بقية العشرة وأهل بيعة رضوان

- ١٧١- أَكْرَمَ بَطْلَحَةَ وَالزُّبَيْرَ وَسَعْدِيهِمْ      وَسَعِيدِيهِمْ وَبِعَابِدِ الرَّحْمَنِ  
١٧٢- وَأَبِي عُبَيْدَةَ ذِي الدِّيَانَةِ وَالتَّقَى      وَأَمْدَحُ جَمَاعَةَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ

هنا بدأ رَحِمَهُ اللهُ يَعدد بقية العشرة المبشرين بالجنة، فقال: أَكرم بسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الزهري، خال النبي ﷺ، وقائد فتح القادسية وغيرها، والذي فداه النبي ﷺ بأبيه وأمه.

وأكرم بطلحة بن عبيد الله التيمي الذي وقى النبي ﷺ بيده يوم أحد حتى شلت كما في البخاري<sup>(١)</sup>.

وأكرم بالزبير بن العوام الأسدي، حواري رسول الله ﷺ، وزوج أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ذات النطاقين.

وأكرم بسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي، أحد الكبار وفضلاء الصحابة، ومن السابقين الأولين البدرين.

وأكرم بعبد الرحمن بن عوف الزهري، من كبار الصحابة وأسخيائهم، أحد الستة أهل الشورى، وأحد السابقين البدرين، وأحد الثمانية الذين بادروا إلى الإسلام.

وأكرم بأبي عبيدة عامر بن الجراح الفهري القرشي، أمين هذه الأمة، وأحد قوادها العظام؛ فهو لاء العشرة نشهد لهم بالجنة؛ لأن النبي ﷺ قد شهد لهم بها<sup>(٢)</sup>، ولا نشهد لأحد من أهل القبلة ولو كان من أتقى الأبرار، فما دونه بجنة ولا نار، وإنما

(١) البخاري [٣٧٢٤].

(٢) أخرجه الترمذي [٣٧٤٨]، والحاكم [٥٨٥٨] من حديث سعيد بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٥٠].

نرجو للمحسن الثواب، ونخشى على المسيء العقاب، ونكل الخواتيم إلى رب الأرباب  
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فنشهد للعشرة بالجنة، ونشهد لثابت بن قيس بن شماس، ولعبد الله بن مسعود، ولبلال بن رباح، ولجعفر بن أبي طالب، ولعكاشة بن محصن وغيرهم ممن شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، ونترضى عن جميع الصحابة، ونشهد لهم بالفضل والخير والتقوى والصلاح، وأنهم خير هذه الأمة، وأبرها قلوبًا، وأصدقها لهجة، وأكثرها علمًا، وأقلها تكلفًا، وخصوصًا أهل بيعة الرضوان الذين قال الله فيهم: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]، وقال في الصحابة أجمعين: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ يُغْفَرُ لَهُمْ أَسْأَفَتُهُمْ بِالَّذِينَ لَا يَحْمِلُونَ الْبُرْءَانَ أَثَمًا وَلَوْلَا ذَلِكَ لَفَسِدَتِ الْعَالَمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال في المهاجرين والأنصار: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يُنْفَقُونَ فَمِنْ صَرَفَهُمْ فَقَدْ عَدَّ وَبَعْدَ خِزْيَانِهِمْ هُنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَهُمْ أَجْرٌ ثَلَاثُونَ وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَإِنَّ أَجْرَهُ ثَلَاثِينَ مِائَةً مِمَّنْ سَبَقَهُمْ خِيَارًا وَقَدْ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [التوبة: ٩-٨].

ونسأله سُبْحَانَهُ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَى أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ قَالِ فِيهِمْ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الْحُشُرُ: ١٠].



أفضل الصحابة على الإطلاق حيث جمعوا بين الهجرة والنصرة، ثم مدح بقية الصحابة بمن فيهم من أسلم قبل الفتح وبعده بقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، وذكر في سورة الحديد من أسلم قبل الفتح ومن أسلم بعده، وأن الكل قد وعدهم الله تبارك وتعالى الحسن، قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٍ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلِهِمْ وَكَذَلِكَ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١٠]، وقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُهِجَرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، كل هذا يدل على فضل الصحابة أجمعين بدون استثناء.

ويحرم سبهم أو شتمهم، ومن كفرهم فهو الكافر، ومن وصفهم بالردة فهو المرتد، ومن انتقصهم فهو الناقص الخائب. فهم حملة هذا الدين عن رسول الله ﷺ ولذلك يقول النبي ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»<sup>(١)</sup>.

وقد أجمع المسلمون على عدالتهم وأنهم صفوة هذه الأمة بعد نبيها عليه الصلاة والسلام، وقرنهم خير القرون، وأن الله قد خصهم بخصائص عظيمة جليلة؛ ولهذا ألف السلف كتباً في فضائل الصحابة، منها: «فضائل الصحابة» للإمام أحمد، وفضائل الصحابة للبلغوي ولا تكاد تجد كتاباً من كتب العقيدة إلا وفيه بيان فضائل الصحابة، فانظر مثلاً: «شرح العقيدة الطحاوية»، و«عقيدة أهل الحديث» للصابوني، و«السنة» للإمام أحمد،

(١) أخرجه البخاري [٣٦٧٣]، ومسلم [٢٥٤١] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

و«السنة» لابنه عبد الله بن الإمام أحمد - وهو أجملها في «التنويه بالفضائل» -، و«السنة» للخلال، و«شرح السنة» للبرهاري، و«شرح السنة» للبغوي، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي، و«الشرعية» للأجري، والكتب الكثيرة المعنونة بالإيمان، كالإيمان لابن أبي شيبه، والإيمان لابن مندة، والإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام والإيمان لشيخ الإسلام بن تيمية وكتب السنة والحديث؛ ففيها ما تقر به أعين أهل السنة، ويدفع فيه باطل أهل البدعة؛ فماذا بعد الحق إلا الضلال، وقد تقدم بعض ما يدل على فضل آل النبي ﷺ ونسائه.

ومذهب السلف هو الكف عما شجر بينهم، أي: ما حصل بينهم من بعض الخلاف، مثل ما حصل في الجمل وصفين بسبب كيد وحنق بعض المندسين والمغرضين بينهم من أعداء الملة والدين؛ أمثال عبد الله بن سبأ اليهودي وغيره، -فرضي الله عنهم وأرضاهم-.

قال الحافظ أبو بكر ابن الإمام أبي داود رَحِمَهُ اللهُ في حائيته:

قل خير قول في الصحابة كلهم ولا تك طعانا تعيب وتجرح  
فقد نطق الوحي المبين بفضلهم وفي الفتح أي في الصحابة تمدح

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في لاميته:

حب الصحابة كلهم لي مذهب ومودة القريب بها أتوسل  
ولكلهم قدر علا وفضائل لكنما الصديق منهم أفضل

وقد أجاد الحافظ أبو بكر ابن العربي المالكي رَحِمَهُ اللهُ في رد كثير من الروايات الزائفة والشناعات الساقطة عن الصحابة في كتابه الموسوم «العواصم من القواصم»، فإنه قد

وُفِق فيه أيما توفيق. ومن أحسن وآخر ما كتب في هذا الباب، في عصرنا الحاضر، كتاب الرد على المالكي المفتون المسمى 'فرحان، لشيخنا الشيخ عبد المحسن العباد البدر حفظه الله، وكتاب أخينا الشيخ إبراهيم الرحيلي بعنوان: «الانتصار للصحاب والآل في الرد على السماوي الضال».

فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ معذورون فيما شجر بينهم؛ وكل منهم مأجور غير مأزور؛ فمن كان مصيبا منهم فله أجران، ومن كان مخطئا معذورا فله أجر.

وآل بيت النبي ﷺ يشمل آل جعفر وآل علي وآل عقیل وآل العباس وأزواجه ﷺ. بل إن أزواجه من أهل البيت بنص القرآن كما في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]؛ فالخطاب لأزواج النبي ﷺ، والذي عليه المحققون أنهم من آل بيت النبوة، والرسول ﷺ قال: «أنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي»<sup>(١)</sup>، وقال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في البخاري: «ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته»<sup>(٢)</sup>، وفضائل الآل كثيرة وظاهرة.

فيجب الكف عما شجر بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والواجب في ذلك ما قاله الخليفة عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إمام الهدى والدين، عندما ذكر عنده شيء من ذلك قال: «تلك فتنة طهر الله منها سيوفنا، فلا نقدر بها أنسنتنا»، وقال الشافعي: «تلك فتنة

(١) أخرجه مسلم [٢٤٠٨] من حديث زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [٣٧١٣].

قد طهر الله منها أيدينا، أفلا نظهر منها ألسنتنا»<sup>(١)</sup>، هذا وما يجب التنبيه له أن ما شجر بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لا يدخل في حديث: «إِذَا التَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ»<sup>(٢)</sup>؛ لأن كلا الطائفتين مجتهدة - كما سبقت الإشارة إليه - وإن كان الحق مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إلا أن المجتهد مأجور غير مأزور على كلا الحالتين.

وقوله:

١٧٦- «وَاللَّهُ يَوْمَ الْحَشْرِ يَنْزِعُ كُلَّ مَا تَحْوِي صُدُورُهُمْ مِنَ الْأَضْغَانِ»  
 ❦ يشير بهذا إلى أن الصحابة أولى بهذه الآية الكريمة وأحق ممن دونهم ❦ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ❦ [الحجرات: ٤٧].

وروي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: أرجو أن أكون، أنا وعثمان وطلحة والزبير ممن قال الله فيهم: ❦ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ❦ [الحجرات: ٤٧]<sup>(٣)</sup>.



(١) انظر: «مناقب الشافعي» للرازي (١/ ٤٤٩)، «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٣).

(٢) أخرجه البخاري [٣١]، ومسلم [٢٨٨٨] من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البيهقي [١٦٤٩١]، والطبراني [١١١]، وأبو نعيم في «الفتن» [١٩٤]، وابن أبي عاصم في «السنة» [١٢١٥].



## حكم الخوارج الذين قتلوا عثمان وكذا قتلت الحسين

### واعتقاد أهل السنة في مرتكبي الكبيرة

- ١٧٧- وَالْوَيْلُ لِلرَّكْبِ الَّذِينَ سَعَوْا إِلَىٰ  
عُثْمَانَ فَاجْتَمَعُوا عَلَىٰ الْعِصْيَانِ  
١٧٨- وَيْلٌ لِّمَنْ قَتَلَ الْحُسَيْنَ فَإِنَّهُ  
قَدْ بَاءَ مِنْ مَوْلَاهُ بِالْخُسْرَانِ  
١٧٩- لَسْنَا نَكْضُرُ مُسْلِمًا بِكَبِيرَةٍ  
فَاللَّهُ ذُو عَضْوٍ وَذُو غُفْرَانِ

❖ بعد أن ذكر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ فضل الخلفاء الراشدين وخلافتهم وبعض حقوقهم نبه هنا على خطورة التعدي عليهم وعلى أولياء الله جميعاً، وبخاصة ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه، الذي كانت تستحيي منه الملائكة، والمبشر بالجنة، ومجهز جيش العسرة وغير ذلك من الفضائل الكثيرة والمناقب العظيمة.

وويل كلمة عذاب وتهديد، فذكر أن ذلك الركب متوعد بذلك، نعم! فويل لهم مما كسبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون، حيث اجتمعوا وتألّبوا على أبشع جريمة بعد الشرك بالله وهي قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأية نفس تلك؟ إنها أنفـس وأشرف وأطهر نفس بعد النبي ﷺ وصاحبيه، نفس أمير المؤمنين، وخليفة رسول رب العالمين، الخليفة الراشد، وأحد السابقين الأولين، إلى غير ذلك من مناقبه رضي الله عنه وأرضاه، وأخزى الله ولعن من أبغضه وقلاه.

وإنه لجدير بي هنا أن أنبه إلى أمر جليل رافق استشهاده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو تجمع الغوغائيين والمفتونين والخوارج ورعاع الناس والجهلة وضعاف الإيـان ومن شايـعهم من المندسين والمنافقين، حيث اجتمعوا على الباطل في شكل أول تظاهرة ابتدعت في الإسلام ورددوا كثيراً من الشائعات التي في عامتها كذب وافتراء وتأويلات باطلة والزلمات فاسدة، وقد فند عثمان نفسه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كل دعاوى هؤلاء وافتراءاتهم، ولكن

ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، وليتحقق ما أخبر به الصادق المصدوق: «بشره بالجنة على بلوى تصيبه»<sup>(١)</sup>.

### المظاهرات والاعتصامات دخيلة على الإسلام والمسلمين

وما أشبه الليلة بالبارحة! فإنه لا بد من لفظة حول حكم المظاهرات والغوائية في الشرع؛ لأنه وجد من الجهلة والمتعالمين في هذا العصر من يدعو إليها ويشيد بها على أنها السبيل الأنجع للمطالبة بالحقوق المهضومة كما يزعمون، وأنه لا بد منها لتحسين الأوضاع الاجتماعية وإصلاح الأمور، والواقع أن هذا كله من باب: ودأوني بالتي كانت هي الداء؛ فالتظاهرات والإضرابات والاعتصامات وما يسمى بالعصيان المدني دخيل على الإسلام، بل هو إفساد لا إصلاح؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۖ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١ - ١٢].

والتأمل في نصوص الشريعة يجد أن هذه الأعمال ليست من دين الله في شيء لوجوه: الأول- أنه قد جرت أحداث جسام في عهد رسول الله ﷺ، مثل استشهاد سمية أم عمار بن ياسر وزوجها ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم وتعرض المسلمين لألوان الأذى قبل الهجرة إلى المدينة وإخراجهم من ديارهم بغير حق، فهل أمر النبي ﷺ بالخروج إلى الشارع أو نحو ذلك؟ بل حاشاه من ذلك ﷺ!

الوجه الثاني: قول النبي ﷺ: «يا أيكم والجلوس في الطرقات»<sup>(٢)</sup>، فإن كان النهي منصبا على مجرد الجلوس في الطرقات فكيف إذا كان ما يفعله أولئك سدا لطرقات المسلمين، مما يعرقل سيرهم ويضيع مصالحهم؟

(١) تقدم تخريجه في ص: [٣١٨].

(٢) أخرجه مسلم [٢١٢١] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الثالث- قوله ﷺ: «إياكم وهيشات الأسواق»<sup>(١)</sup>، أليس هذا التجمهر أشد من هيشات الأسواق المنهي عنها فتنة وأعظم ضررًا؟

الرابع- ما يفضي إليه ذلك من مفاسد عظيمة من أشنعها الاختلاط عند التزاحم مما قد يؤدي إلى انتهاك الأعراض، وما ينتج عن ذلك أيضا من تدمير وتخريب وإضاعة للممتلكات العامة والخاصة.

الخامس- أن تلك الأفعال دخيلة على المجتمع المسلم كما تقدم، فهي مستوردة من اليهود والنصارى، بل إنها من مبادئ الماسونية الصهيونية التي دعا إليها الصهاينة في مخططاتهم الشريرة المشتهرة بـ «بروتوكولات حكماء صهيون» بقصد إفساد العلاقة بين الراعي والرعية في بلاد المسلمين.

السادس- أن هذه الغوغائية والفوضى لا يستفيد منها إلا أعداء الإسلام وأعداء السنة؛ لذا فإن الذين يقفون وراءها ست فئات: الكفار على اختلاف مللهم، والرافضة، والخوارج، والليبراليون، وطلاب الحكم والكراسي، والمصطادون في الماء العكر من الرعاع وطغام الناس الذين يهرفون بما لا يعرفون، أتباع كل ناعق وغيرهم من شذاذ الآفاق.

فجدير بالمسلمين أن ينأوا بأنفسهم عن الوقوع في هذه الأحوال، وأن لا يكونوا إمعاءات «لا تكونوا إمعاء تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا»<sup>(٢)</sup>، بل عليهم سلوك

(١) أخرجه مسلم [٤٣٢] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وهيشات الأسواق: بفتح الهاء وإسكان الياء وبالشين المعجمة، أي: اختلاطها والمنازعة والخصومات وارتفاع الأصوات واللغط والفتن التي فيها.

(٢) أخرجه الترمذي [٢٠٠٧]، والبخاري [٢٨٠٢] من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: حسن غريب. وصح وقفه على ابن مسعود كما قال الألباني في «المشكاة» [٥١٢٩].

منهج السلف الصالح في الإصلاح. قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»<sup>(١)</sup>.

وإني لا أعجب ممن يفتری علی عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وغيره من أصحاب رسول الله ﷺ من الرافضة وأشباههم، وإنما العجب كل العجب أن يعمد أناس محسوبون على أهل السنة من بعض الكتاب المعاصرين الذين وصفوا عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالمحاباة والظلم وأن خلافته فجوة بين خلافتين، وأن الثورة عليه تمثل روح الإسلام، تولى كبر أولئك صاحب كتاب «العدالة الاجتماعية» و«كتب وشخصيات» بل إن هذا الكاتب ومن على شاكلته لم يسلم منهم حتى الأنبياء، فقد قال بناء على فهمه السقيم عند قول الله تَعَالَى في تفسيره المسمى في ظلال القرآن والذي فيه كل شيء إلا التفسير، بل إن فيه تعطيل صفات الله تَعَالَى والقول بوحدة الوجود وتكفير المسلمين بدون استثناء والنيل من الأنبياء ونحو ذلك مما شحنته به من الغناء والأباطيل، من ذلك فهمه؛ لقول الله تَعَالَى: ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾: إن موسى عصبي المزاج.

وقوله:

١٧٨- «وَيْلٌ لِّمَن قَتَلَ الْحُسَيْنَ فَإِنَّهُ قَدْ بَاءَ مِنْ مَوْلَاهُ بِالْخُسْرَانِ»

❖ الويل كل الويل لمن قتل سبط رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا، الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ولد فاطمة الزهراء رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، عندما استدرجه

= والإمعة: هو الذي لا رأى له ولا عزم.

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» [٣]، ونقله عن القاضي عياض في «الشفاء» (٢/ ٨٧)، وقال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١/ ٣٥٣) الثابت المنقول عنه - يعني: مالك - بأسانيد الثقات من كتب أصحابه.

البغاة إلى العراق ثم تخلوا عنه وخذلوه وتركوه يقتل، قاتلهم الله! - فرضي الله عنه وأرضاه وأخزي قتلته ومن عاداه-.

وقوله:

١٧٩- «لَسْنَا نَكْفُرُ مُسْلِمًا بِكَبِيرَةٍ فَاللَّهُ ذُو عَفْوٍ وَذُو غُفْرَانٍ»

✽ بين فيه الناظم مذهب السلف، وهو عدم تكفير مرتكبي الكبيرة غير المستحل، وقد تقدم تفصيل ذلك عند قول الناظم:

«ودخول بعض المسلمين جهنماً بكبائر الآثام والطغيان»

✽ مما يغني عن إعادته هنا.



## التواريخ وأهميتها وما يقبل منها ويرد

١٨٠- لا تَقْبَلَنَّ مِنَ التَّوَارِيخِ كُلَّ مَا جَمَعَ الرُّوَاةُ وَخَطَّ كُلُّ بَنَانٍ

يحذر رَحِمَهُ اللهُ من الاعتماد على الروايات التاريخية المجردة؛ لأن فيها الغث والسمين، والصدق والكذب، ولا سيما تاريخي المسعودي واليعقوبي الرافضيين، وكذا ما يوجد في بعض كتب الأدب من الحكايات والأغاليط والقصص الذي لا أصل له كما في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني الرافضي، وخاصة فيما يتعلق بما جرى بين الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، واستغلال تلك الأحداث للقدح فيهم والنيل منهم، ومثل ذلك ما وجد من بعض التشويه والتشويش على عصر دولتي بني أمية وبني العباس؛ ولهذا قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: ثلاث لا أصل لها وعدّ منها التاريخ، إشارة منه إلى ما انطوت عليه تلك الروايات من مغالطات وكذب وتلبيس.

ومن أمثل كتب التاريخ: تاريخ الأمم والملوك والأمرء والسلاطين لابن جرير الطبري، والبداية والنهاية لابن كثير، وتاريخ الإسلام للذهبي.

والمسلم يستفيد من كتب التاريخ بعد أن يتحصّن ويتسلّح بفهم العقيدة الصحيحة والعلم الشرعي المبني على هدي الكتاب والسنة حتى يميز الخبيث من الطيب؛ وقد أنشدوا في فضل تعلّم علم التاريخ قول الشاعر:

ومن جمع التاريخ إلى صدره أضاف أعمارا إلى عمره  
وقول الآخر:

إذا علم الإنسان أخبار من مضى توهمته قد عاش أول دهر  
قد عاش كل دهر من كان عالما حليما كرميا فاغتتم أطول الدهر



## فضل الحديث وأهله والتنويه بفضل بعضهم

- ١٨١- اِرْوِ الْحَدِيثَ الْمُنتَقَى عَنْ أَهْلِهِ      سِيَمَا ذَوِي الْأَحْلَامِ وَالْأَسْنَانِ  
١٨٢- كَابِنِ الْمُسَيَّبِ وَالْعَلَاءِ وَمَالِكٍ      وَاللَّيْثِ وَالزُّهْرِيِّ أَوْ سُفْيَانَ  
١٨٣- وَاحْفَظْ رَوَايَةَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ      فَمَكَانُهُ فِيهَا أَجَلُ مَكَانٍ

❖ بعد استعراض الناظم سير الصحابة - وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون - وحثه على أداء المفروضات واجتناب المنهيات والحرص على التطوعات، نبه إلى أمر يعتبر أهم المهمات بعد كتاب الله عز وجل، ألا وهو الحديث النبوي الشريف. والله سبحانه وتعالى هو الذي تكفل بحفظ هذا الدين كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ولا شك أن ذلك يشمل حفظ الكتاب والسنة اللذين هما وحي من الله عز وجل، «إلا إني أوتيت القرآن ومثله معه»<sup>(١)</sup>.

فالقرآن نقل إلينا بالتواتر، بلفظه الذي أنزل على نبينا محمد ﷺ، والسنة قد يكون شيء منها حفظ بالمعنى، ولكنها حفظت كاملة، قال الإمام الشافعي رحمه الله: «السنة لا يحيط بها رجل من الأمة، ولا تحفى على مجموعها» والله الحمد والمنة.

ولا أدل على حفظ الله لها من تهيئته الطريقة التي تحفظ بها، ألا وهي علم الإسناد، والعلم بأحوال الرجال حفظاً وضبطاً، جرحاً وتعديلاً، إتقاناً وتوثيقاً.

قال الإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله كما أورده مسلم في مقدمة صحيحه: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»<sup>(٢)</sup>، وفعلاً لقد قال من شاء ما شاء، ولكن الله قد حفظ لنا الدين بعلم الإسناد. وما من دين قبل الإسلام إلا وقد دخله

(١) تقدم تخريجه في ص: [٥٩].

(٢) انظر: «مقدمة صحيح مسلم» (١/١٥).

التحريف والتبديل إلا الإسلام، فقد تكفل الله بحفظه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ومن هنا حث الناظم رَحِمَهُ اللهُ عَلَى 'العناية بالحديث رواية ودراية؛ رواية أي: حفظاً وسبراً لتلك الأسانيد وعناية بها، ومعرفة صحيحها من سقيمها، ودراية: أي فقها؛ لذا فإن الواجب على' المسلمين العناية بها رواية ودراية، وهذا ما عني به السلف من عهد الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، ولكنه لم يظهر علماً قائماً إلا في نهاية القرن الثاني، وإن كانت الملاحظات ونقد الرواة موجوداً قبل ذلك.

فقال: عليك أن تُعْنَى بروايات الأثبات الثقات، ذوي الديانة والأمانة، والحفظ والرشاد والسداد، الذين يجعلون نصب أعينهم - إذا أرادوا أن يرووا حديثاً - قول النبي ﷺ: «نضر الله امرأً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه؛ فرب مبلغ أوعى من سامع»<sup>(١)</sup>، وقوله ﷺ: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(٢)</sup>.

فهم بحق كما قال الشاعر:

كانوا جَمالاً في الحياة وهم      بعد الممات جَمال الكتب والسِير  
وذكر منهم:

✽ سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي، الإمام العلم، عالم أهل المدينة، مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين.

✽ العلاء بن المسيب بن رافع الكاهلي ويقال التغلبي الكوفي ثقة ربها وهم.

(١) تقدم تخريجه في ص: [٨٣].

(٢) أخرجه البخاري [١١٠]، ومسلم [٣] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.



✽ مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي، إمام دار الهجرة (ت: ١٧٩هـ).

✽ الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي أبو الحارث المصري ثقة ثبت فقيه إمام مشهور مات سنة خمس وسبعين ومائة.

✽ محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب أبو بكر القرشي الزهري المدني نزيل الشام. الإمام العلم، حافظ زمانه.

✽ سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي، أبو محمد الكوفي، ثم المكي. ثقة حافظ فقيه إمام حجة. (ت: ١٩٨هـ).

✽ سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي. ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة. (ت: ١٦١هـ).

✽ جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، المعروف بالصادق. صدوق فقيه إمام. (ت: ١٤٨هـ).



أهل السنة يعرفون لأهل البيت حقهم،

ومنهجهم في ذلك المنهج الوسط

- ١٨٤- وَأَحْفَظُ لِأَهْلِ الْبَيْتِ وَاجِبَ حَقِّهِمْ      وَأَعْرِفُ عَلِيًّا أَيْمًا عِرْفَانِ  
١٨٥- لَا تَنْتَقِضُ وَلَا تَزِدُ فِي قَدْرِهِ      فَعَلَيْهِ تَصَلَّى النَّارَ طَائِفَتَانِ  
١٨٦- إِحْدَاهُمَا لَا تَرْضِيهِ خَلِيفَةً      وَتَنْصُصُهُ الْأُخْرَى إِلَهًا ثَانِي

❁ في هذه الآيات عود من النازم إلى العناية والتنبيه على وجوب حفظ حقوق أهل البيت، وعلى رأسهم أمير المؤمنين، الخليفة الراشد، علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والناس فيه طرفان ووسط: توسط أهل السنة فأعطوه حقه الذي حباه الله وترضوا عنه، وتقربوا إلى الله بحبه، حيث قال فيه النبي ﷺ: «لَأَعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ قَالَ فَتَطَاوَلْنَا لَهَا فَقَالَ ادْعُوا لِي عَلِيًّا فَأَتَى بِهِ أَرْمَدٌ فَبَصَقَ فِي عَيْنِهِ وَدَفَعَ الرَّايَةَ إِلَيْهِ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ»<sup>(١)</sup>، والطرفان هما الجفافة والغلاة؛ أما الجفافة فهم الخوارج الذين لم يرتضوه خليفة، بل كفروه حتى آل بهم الأمر إلى قتله، وغلاة فيه آخرون، وهم الروافض وخاصة السبئية منهم الذين أعطوه منزلة الألوهية وزعموا أن الله تَعَالَى حَلَّ فِيهِ، وقالوا: أنت هو، قال: من هو؟ قالوا: الله، فسجنهم، فلما أصرروا على زندقتههم وإلحادهم أمر بإحراقهم، وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لَمَّا رَأَيْتَ الْأُمَرَ أَمْرًا مَنَكْرًا      أَجَبْتَ نَارِي وَدَعَوْتَ قَنْبَرًا



(١) أخرجه مسلم [٢٤٠٤] من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

## تقرير الناظم لمذهب السلف في الرافضة،

### والتحذير من سلوك منهجهم المشين ووجوب محبة الصحابة

- ١٨٧- وَالْعَن زَنَادِقَةَ الْجَهَالَةِ إِنَّهُمْ  
أَعْنَأَقُهُمْ غُلَّتْ إِلَى الْأَذْقَانِ  
١٨٨- جَحَدُوا الشَّرَائِعَ وَالنُّبُوَّةَ وَاقْتَدَوْا  
بِفَسَادِ مِلَّةِ صَاحِبِ الْإِيْوَانِ  
١٨٩- لَا تَرْكَنَنَّ إِلَى الرُّوَافِضِ إِنَّهُمْ  
شَتَمُوا الصَّحَابَةَ دُونَ مَا بُرْهَانِ  
١٩٠- لَعَنُوا كَمَا بَغَضُوا صَحَابَةَ أَحْمَدٍ  
وَوَدَّادُهُمْ فَرَضَ عَلَى الْإِنْسَانِ  
١٩١- حُبُّ الصَّحَابَةِ وَالْقَرَابَةِ سُنَّةٌ  
أَلْقَى بِهَا رِيَّي إِذَا أَحْيَانِي

✽ يحذر الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ مَذْهَبِ الرُّوَافِضِ وَالْغَلَاةِ وَالزَّنَادِقَةِ، هُمُ الْمَلَا حِدَةُ الَّذِينَ مَرَقُوا مِنَ الدِّينِ مِنْ أَمْثَالِ الدَّهْرِيِّينَ الَّذِينَ يَجْحَدُونَ وَجُودَ الْبَارِي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَمِنْ شَابِهِمْ فِي هَذَا الْعَصْرِ مِنَ الشَّيْوعِيِّينَ وَالْإِسْتِرَاكِيِّينَ وَالْمَادِيِّينَ. وَهَذَا يَخْصُ غَلَاةَ الرَّافِضَةِ وَمَنْ عَلَى شَاكِلَتِهِمْ مِنْ فِرْقِ الْبَاطِنِيَّةِ عَلَى اخْتِلَافِ مَذَاهِبِهِمْ وَمُشَارِبِهِمْ، فَإِنَّ الدِّينَ عِنْدَهُمْ لَهُ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ؛ ظَاهِرٌ يُخَاطَبُ بِهِ الْعَوَامُ - وَالْعَوَامُ عِنْدَهُمْ هُمُ عُلَمَاءُ السَّنَةِ - وَبَاطِنٌ لَا يَعْلَمُهُ - عَلَى حَدِّ زَعْمِهِمْ إِلَّا الْخَوَاصُّ، وَهُمْ عِنْدَهُمْ مَنْ بَلَّغُوا عِنْدَنَا دَرَجَةَ الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ وَاسْتِحْلَالَ الْمَحْرَمَاتِ. وَيُشَبِّهُ الْبَاطِنِيِّينَ فِي هَذِهِ الزَّنَدَقَةِ غَلَاةَ الْمُتَصَوِّفَةِ الَّذِينَ اعْتَقَدُوا سَقُوطَ التَّكَالِيفِ الشَّرْعِيَّةِ، وَأَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَجِبُ عَلَى كُلِّ النَّاسِ، وَإِنَّمَا تَجِبُ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمُ الْيَقِينُ وَهُوَ عِنْدَهُمُ الْمَعْرِفَةُ، ثُمَّ لَهُمْ أَنْ يَتَخَلَّوْا عَنْهَا. وَيَسْتَدْلُونَ زُورًا وَبِهْتَانًا بِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [التَّحْقِيقُ: ٩٩]، وَمَعْلُومٌ مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ عِنْدَ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَأَنَّ الْمَقْصُودَ بِهَا أَنْ تَدَاوِمَ عَلَى الْعِبَادَةِ قَوْلًا وَعَمَلًا وَاعْتِقَادًا حَتَّى يَأْتِيَكَ الْمَوْتُ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِذَلِكَ دَرَجَةُ مَعِينَةٍ يَبْلُغُهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ كَمَا يَدْعُونَ.

ويسمون علماء أهل السنة علماء الرسوم وعلماء فهم علماء الفهوم، وهم في الحقيقة علماء زندقة ومجون.

يقول قائلهم:

إذا خاطبوني بعلم الورق برزت عليهم بعلم الخرق<sup>(١)</sup>  
المقصود بعلم الخرق: هي تلك التي يخلعها الشيطان أو شيخ الطريقة على مريديه أو على الماردين من أتباعه.

يقول: إذا بارزوننا بعلم قال الله قال رسوله بارزوناهم بعلم خرق الصوفية الغالية، التي يفقد أحدهم معها وعيه وعقله.

يقول البسطامي من أئمتهم ناعياً على علماء الشريعة ومفاخرهم: «أخذتم علمكم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت؛ يقول أمثالنا: حدثني قلبي عن ربي، وأنتم تقولون: حدثني فلان وأين هو؟ قولوا: مات، عن فلان وأين هو؟ قالوا: مات»، تعالى الله عما يقول الملحدون علواً كبيراً.

ومعنى هذا دعوى تنزل الوحي بعد رسول الله ﷺ، ولا شك في كفر من هذا اعتقاده، إذ لا ينزل الوحي بعده عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وما أحسن ما أورده ابن القيم في كتابه إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان فيهم:

وَحَقُّ النَّصِيحَةِ أَنْ تُسْمَعَ	أَلَا قُلْ لَهُمْ قَوْلٌ عَبْدٌ نُّصُوحٍ
بِأَنَّ الْغِنَا سُنَّةٌ تُتَّبَعُ؟	مَتَى عِلْمُ النَّاسِ فِي شَرْعِنَا
وَيَرْقُصُ فِي الْجَمْعِ حَتَّى يَقَعَ	وَأَنْ يَأْكُلَ الْمَرْءُ أَكَلَ الْحِمَارِ

(١) «تلبس إبليس»، ص: [٢٨٤].

وَلَوْ كَانَ طَاوِي الْحَشَا جَائِعًا  
وَقَالُوا سَكَّرْنَا بِحَبِّ الْإِلَهِ  
كَذَاكَ الْحَمِيرُ إِذَا أَخْضِبْتُ  
وَيُسْكِرُهُ النَّايُ ثُمَّ الْغَنَاءُ  
تَهَانُ مَسَاجِدُنَا بِالْغَنَاءِ  
لَمَّا دَارَ مِنْ طَرَبٍ وَاسْتَمَعَ  
وَمَا أَسْكَرَ الْقَوْمَ إِلَّا الْقِصْعُ  
يُنَقِّزُهَا رِيَّهَا وَالشَّبِيعُ  
وَيَاسِينَ لَوْ تَلَيْتُ مَا انْصَدَعَ  
وَتَكْرَمُ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ الْبَيْعِ<sup>(١)</sup>

١٨٩- لَا تَرْكَنْنَ إِلَى الرَّوَافِضِ إِنَّهُمْ  
شَتَمُوا الصَّحَابَةَ دُونَ مَا بُرْهَانِ  
ثم حذر أيضًا من مسلك الروافض مبغضي الصحابة، فإنهم لا يقلّون خطورة عن  
الباطنية وغلاة الصوفية، وقد تقدم ذكر بعض أوصافهم، حيث إنهم زعموا حب النبي  
ﷺ وحب علي وآل بيته، وخونوا أصحابه.

فهم - كما قال الناظم - شر من وطئ الحصى، وكيف لا يكونون شر من وطئ  
الحصى وقد كفروا أصحاب رسول الله ﷺ الذين قام بهم القرآن وبه قاموا،  
وبهم نطق القرآن وبه نطقوا، الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض  
- فرضي الله عنهم أجمعين وأرضاهم -.

قال أحد السلف: «يمتحن الناس بحب الصحابة؛ فمن أحبهم جميعًا فهو سني  
تقي، ومن أبغضهم أو أبغض بعضهم فهو رافضي شقي أو مقلد للرافضة من بعض  
الكتاب والمتعالمين الذي قلدوهم وإن لم ينتسبوا إليهم.

ومن المعلوم من دين الإسلام بالضرورة تحريم سب صحابة رسول الله ﷺ،  
وعندما يطلق لفظ الصحابة يدخل في ذلك الصحابة من آل بيت النبوة، وكيف لا تكون

(١) «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» (١/ ٢٣١).

حرمة سبهم معلومة بالضرورة من دين الإسلام وقد حرمها القرآن والسنة وقام عليها الإجماع، ودل على تحريمها العقل السليم، والفطرة المستقيمة، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ۝ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الْجُرُف: ٥٧-٥٨].

فساب الصحابة مؤذ لله ولرسوله وللمؤمنين؛ لأنه خالف أمر الله وارتكب نبيه، فأما وجه مخالفته لأمر الله فقد أمر الله نبيه بقوله: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [الْعَنْكَ: ١٥٩]؛ قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أمرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ فِسْبُوهُمْ»<sup>(١)</sup>.

فالطاعن فيهم مخالف لأمر الله ورسوله بالإحسان إليهم والاستغفار لهم، ومخالفة الله ورسوله ﷺ في هذا الأمر العظيم تدخل في قوله تَعَالَى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التَّوْر: ٦٣].

وأما ارتكاب ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ، فقد روى الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الرَّسُولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «لَا تَسْبُوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مَدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»<sup>(٢)</sup>، وفي لفظ لمسلم: «لَا تَسْبُوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي...» فلفظ: «لَا تَسْبُوا أَصْحَابِي» أفاد العموم، ولفظ: «لَا تَسْبُوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي» بين العموم، فكل من ثبتت صحبته فقد عظمت حرمة وارتفعت منزلته وعلت مكانته؛ لأن شرف الصحبة لا يدرك بأي عمل صالح مهما كان.

(١) أخرجه مسلم [٣٠٢٢].

(٢) أخرجه البخاري [٣٦٧٣]، ومسلم [٢٥٤١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسير قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (١) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٢﴾: «ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد: من كفر بالله ورسوله، ثم الرفضه الذين يتنقصون الصحابة، ويعيبونهم بما قد برأهم الله منه ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم» (١). وَقَالَ النَّجَّارِيُّ: ﴿تُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْعًا مُجْتَدِبًا يُبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْجٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الْفَجَّ: ٢٩].

قال ابن كثير أيضًا: «ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ في رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة، قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظ الصحابة فهو كافر لهذه الآية، ووافقه طائفة من العلماء على ذلك. والأحاديث في فضائل الصحابة والنهي عن التعرض لهم بمساءة كثيرة، وكيفيهم ثناء الله عليهم ورضاه عنهم» (٢).

وقال الإمام النووي في «شرح مسلم»: «واعلم أن سب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حرام من فواحش المحرمات سواء من لابس الفتن منهم وغيره لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون» (٣).

وقال الشوكاني مخاطبًا من يسب الصحابة: «فيا من أفسد دينه بدم خير القدوة! اقتديت بالكتاب العزيز كذلك في هذه الدعوى؟ من كان له في معرفة القرآن أدنى تبريز،

(١) «تفسير ابن كثير» (١١/٢٤١).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١٢/١٣٥).

(٣) «شرح مسلم» (١٦/٩٣).

فإنه مصرح بأن الله جَلَّ جَلَالُهُ قد رضي عنهم، ومشحون بمناقبهم ومحاسن أفعالهم ومرشد إلى الدعاء لهم.

وإن قلت: اقتديت بسنة رسول الله المطهرة قام في وجه دعواك الباطلة العاطلة ما في كتب السنة الصحيحة من مؤلفات أهل البيت وغيرهم من النصوص المصرحة بالنهاي عن سبهم وعن أذية رسول الله ﷺ بذلك وأنهم خير القرون وأنهم من أهل الجنة وأن رسول الله مات وهو راض عنهم، وما في طي تلك الدفاتر الحديثية من ذكر مناقبهم الجملة كجهادهم بين يدي رسول الله، وبيعهم نفوسهم وأمواهم من الله ومفارقتهم للأهل والأوطان والأحباب والأخذان طلبا للدين وفرارا من مساكنة الجاحدين، وكم يعد العاد من هذه المناقب التي لا يتسع لها إلا سجلات، ومن نظر في كتب السير والحديث عرف من ذلك ما لا يحيط به الحصر، وإن قلت أيها الساب لخيرة هذه الأمة من الأصحاب: إنك اقتديت بأئمة أهل البيت في هذه القضية الفظيعة فقد حكينا لك في هذه الرسالة إجماعهم على خلاف ما أنت عليه من تلك الطرق. وإن قلت: إنك اقتديت بعلماء الحديث أو علماء المذاهب الأربعة أو سائر المذاهب فلتأتنا بواحد يقول بمثل مقالتك، فهذه كتبهم قد ملأت الأرض وأتباعهم على ظهر البسيطة أحياء، وقد اتفقت كلمة متقدميهم ومتأخريهم على أن من سب الصحابة مبتدع، وذهب بعضهم إلى فسقه، وبعضهم إلى كفره كما حكى ذلك جماعة من علمائهم منهم ابن حجر الهيتمي فإنه ذكر في كتابه المعروف بـ «الصواعق المحرقة» أن كثيرا من الأئمة كفروا من سب الصحابة، وإن قلت أيها الساب إنك اقتديت بفرقة من غلاة الإمامية فنقول: صدقت



فإن فيهم فرقة مخذولة تصرح بسب أكابر الصحابة، وقد أجمع على تضليلهم جميع علماء الإسلام من أهل البيت وغيرهم<sup>(١)</sup>.

وقال علي القاري: «وأما من سب أحدا من الصحابة فهو فاسق ومبتدع بالإجماع، إلا إذا اعتقد أنه مباح، كما عليه بعض الشيعة وأصحابهم، أو يترتب عليه ثواب كما هو دأب كلامهم، أو اعتقد كفر الصحابة وأهل السنة في فصل خطابهم؛ فإنه كافر بالإجماع».

فيجب أن يكون موقفنا تجاه الصحابة الترضي عنهم واعتقاد عدالتهم، وأنهم خير هذه الأمة بعد نبيها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ونكف عما شجر بينهم ولا نعبأ بنعيق الروافض والباطنية ومن نهج نهجهم من الملاحدة المارقين.



(١) «إرشاد الغبي إلى مذهب آل البيت في صحب النبي»، ص: [٦٥].

## منهج أهل السنة في الرجاء والخوف

١٩٢- اخْذَرْ عِقَابَ اللَّهِ وَأَرْجُ ثَوَابَهُ حَتَّى تَكُونَ كَمَنْ لَهُ قَلْبَانِ

❖ يشير هنا إلى التحذير من نحلة خطيرة ومعتقد فاسد، يرددها بعض الجهلة تقليداً لبعض المتصوفة. وينسبونها إلى رابعة العدوية، وهي قولهم: إنا لا نعبد الله طمعاً في ثوابه، ولا خوفاً من عقابه، وإنما حباً له وعشقا وتتيماً فيه. فما زادوا على أن شبهوا عبادتهم الله بحال العاشق مع معشوقته - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً -.

وفي هذا المعنى يقول شاعرهم:

أبداً تحنُّ إليكم الأرواح      ووصالكم ريحانه والراح  
بالسر إن باحوا تباح دماؤهم      وكذا دماء العاشقين تباح  
وقول الآخر:

لقد هتفت في جنح ليل حمامة      على فَنَنَ وَهنا واني لنائم  
كذبتُ وبيتُ الله إن كنت عاشقا      لما سبقتني بالبكاء الحمايم  
وأزعم أني عاشق ذو صباية      لربي فلا أبكي وتبكي الحمائم؟

إلى غير ذلك من ترهاتهم وخرافاتهم.

وقد نص أهل العلم على أنه ينبغي للمسلم أن يكون بين الخوف والرجاء كالطائر بين جناحيه، وأن يغلب جانب الخوف حال الصحة والفتوة والنشاط حتى لا يأمن من مكر الله، ويغلب جانب الرجاء حال المرض والشعور بدنو الأجل حتى لا ييأس من روح الله، قال رسول الله ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه مسلم [٢٨٧٧] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

واقنْتُ وبين الرِّجاءِ والخوفِ قم أبدا  
فالخوفُ ما أورث التقوى وحثَّ على  
كذا الرِّجاءُ ما على هذا يُحثُّ لتصد  
والخوفُ إن زاد أفضى للقنوط كما  
فلا تُفِرْطْ ولا تُفِرْطْ وكن وسطا  
سدّد وقارب وأبشر واستعن بغُدُو

تخشى الذنوب وترجو عفو ذي الكرم  
مرضاة ربي وهجر الإثم والأثم  
ديق بموعود ربي بالجزا العظم  
يُفْضِي الرِّجاءُ لأمن المكر والنَّقم  
ومثل ما أمر الرحمن فاستقم  
وبالروح وأدلج قاصدا ودُم

أليس الله يقول في كتابه في وصف المؤمنين الخالص: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (١٦) ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السَّجْدَةُ: ١٦ - ١٧]؟ ويقول تَعَالَى: ﴿أَمَنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَاتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزُّمَرُ: ٩]، ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الْإِسْرَاءُ: ٥٧]، ويقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الْأَنْبِيَاءُ: ٩٠]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الْأَعْرَافُ: ٥٦].

فلذلك يقول العلماء: «أركان العبادة القلبية ثلاثة: الحب والرجاء والخوف»؛ فمن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري خارجي، ومن عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبد الله بالخوف والرجاء والحب فهو المسلم الموحد<sup>(١)</sup>.



(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٨١).

### الإيمان عند أهل السنة والجماعة

- ١٩٣- إِيْمَانُنَا بِاللّٰهِ بَيْنَ ثَلَاثَةٍ عَمَلٍ وَقَوْلٍ وَاعْتِقَادٍ جَنَانٍ  
١٩٤- وَيَزِيدُ بِالتَّقْوَى وَيَنْقُصُ بِالرَّدَى وَكِلَاهُمَا فِي الْقَلْبِ يَعْتَلِجَانِ

✽ بين الناظم تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة. وأصح ما قيل في تعريف الإيمان لغة أنه الإقرار، فهو يشمل التصديق وزيادة، وهذا ما قرره الراغب في «المفردات» وشيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «الإيمان»، ورد على الباقلاني في قصره الإيمان على مجرد التصديق بستة عشر وجهاً. وأما الإيمان شرعاً عندهم فهو: قول وعمل واعتقاد؛ قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان.

وللسلف تعريف آخر مرادف لهذا التعريف وإن كان أخصر منه، وهو قولهم: إن الإيمان قول وعمل، وهو المنصوص عن أكثر المتقدمين. ولا فرق بين التعريفين؛ إذ أن الذين قالوا: إن الإيمان قول وعمل، يعنون به ما يتضمنه قول القائلين: إن الإيمان قول اللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان؛ لأن القول في التعريف الثاني يشمل قول القلب وقول اللسان، والعمل يشمل عمل القلب وعمل اللسان وعمل الجوارح، وبذلك يتفق التعريفان.

فقول القلب: تصديقه وبقينه، ومن ذلك قول الله تَعَالَى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١١٨]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]، وقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

وقول اللسان هو: النطق بالشهادتين وغيرهما من الأذكار مع العلم بالمعنى والعمل بالمقتضى، ظاهراً وباطناً ما استطاع إلى ذلك سبيلاً كما قال الله تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ

وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ [الزُّمَرُ: ٨٦] ، وَقَالَ عَالِي: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [مَجْمَعًا: ١٩].

وأما عمل القلب فهو: الإخلاص والخوف والرجاء والمحبة والانقياد والخشوع والتوكل وما إلى ذلك من أعمال القلوب الكثيرة.

والرابع- أعمال اللسان، وهي ما لا يؤدي من العبادات إلا به كالذكر وتلاوة القرآن والكلمة الطيبة ونحو ذلك..

والخامس- أعمال الجوارح، وهي ما لا يؤدي إلا بالجوارح كالأيدي والأرجل ونحو ذلك كالصلاة والحج والجهاد في سبيل الله وغير ذلك من أعمال الجوارح.

وقوله:

١٩٤- «وَيَزِيدُ بِالتَّقْوَى وَيَنْقُصُ بِالرَّدَى وَكِلَاهُمَا فِي الْقَلْبِ يَعْتَلِجَانِ»

تقدم قريباً أن عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان أنه قول وعمل واعتقاد، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فزيادته بزيادة أعمال القلوب وأعمال اللسان والجوارح كما ينقص بنقص شيء من ذلك. وأكثر الأدلة الواردة في ذلك في زيادته، وهناك أدلة تدل على النقصان، والقاعدة عند أهل العلم: أن ما قبل الزيادة قبل النقصان باللزوم.

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ [الْأَنْفَالُ: ٢].

وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ هَمَزُوا لِرَبِّهِمْ هُدًى وَآيَاتُهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [مَجْمَعًا: ١٧].

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ [الْكَهْفُ: ١٣].

وقال رسول الله ﷺ: «مُلَأَ عَمَارُ إِيمَانِنَا إِلَى مَشَاشِهِ»<sup>(١)</sup>.

ومن أدلة النقصان قول النبي ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»<sup>(٢)</sup>، وقوله ﷺ: «يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزَنَ شَعِيرَةً مِنْ خَيْرٍ وَيُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزَنَ بَرَةً مِنْ خَيْرٍ وَيُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزَنَ ذَرَّةً مِنْ خَيْرٍ»<sup>(٣)</sup>، وفي رواية «من إيمان» مكان «من خير».

ومن أراد التوسع في هذا فليرجع إلى كتب السلف، ومنها: كتاب الإيمان لابن أبي شيبه، كتاب الإيمان للقاسم بن سلام أبي عبيد، كتاب الإيمان لابن منده، وكتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية.



(١) أخرجه ابن أبي شيبه [٣٢٩٢١]، وابن ماجه [١٤٧] من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «الصحيحة» [٨٠٧].

(٢) أخرجه مسلم [٤٩] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري [٤٤]، ومسلم [١٩٣] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

### وجوب مراقبة الله عزَّ وجلَّ

- ١٩٥- وَإِذَا خَلَوْتَ بِرَبِّكَ فِي ظُلْمَةٍ وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَى الطُّغْيَانِ  
١٩٦- فَاسْتَحْيِ مِنْ نَظَرِ الْإِلَهِ وَقُلْ لَهَا إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلَامَ يَرَانِي

✽ يَنْبَغِي النَّازِمُ رَحْمَةُ اللَّهِ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ عَلَى أَهْمِيَةِ مِرَاقَبَةِ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ وَخَشْيَتِهِ خَشْيَةً مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، وَأَنَّهُ يَعْلَمُ حَرَكَاتِهِ وَسُكُنَاتِهِ، يَعْلَمُ مَا يُسِّرُ وَمَا يَعلنُ، وَمَا يَظْهَرُ وَمَا يَبيطُنُ، إِذْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، بَلْ يَعْلَمُ مَا تَوَسَّوسَ بِهِ الصَّدُورُ، وَمَا يَجُولُ فِي الْخَوَاطِرِ وَالضَّمَائِرِ، يَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الْأَنْجَاء: ٥٩]، فَإِذَا مَا حَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ بِفَعْلٍ سَيِّئَةٍ أَوْ ذَنْبٍ أَوْ مَنكَرٍ تَذَكَّرَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ، فَأَقْلَعَ وَتَرَكَ خَوْفًا وَفَرَقًا مِنْ اللَّهِ وَتَرَكَ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ ﴿إِنَّكَ الْذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الْإِنْفِرَات: ٢٠١]. وَذَلِكَ هُوَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ الْمُحْسِنُ الَّذِي بَلَغَ دَرَجَةَ الْإِحْسَانِ، - وَالْإِحْسَانُ هُوَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ -، فَإِذَا بَلَغَ الْمُسْلِمُ هَذِهِ الدَّرَجَةَ وَسَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ فَعَلَ مَنكَرًا أَوْ سُوءًا وَلَوْ فِي أَحْلَكَ الظَّلَامِ الَّذِي لَا يَرَاهُ فِيهِ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، قَالَ لَهَا: ارْجِعِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ، فَإِنَّ الَّذِي خَلَقَ هَذَا الظَّلَامَ، الَّذِي تَسْتَكِنِينَ فِيهِ وَتَسْتَرِينَ بِهِ يَرَانِي، وَمُطَّلَعٌ عَلَيَّ، يَعُودُ إِلَى رَبِّهِ، وَيَتَذَكَّرُ الْآخِرَةَ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَالثَّوَابَ وَالْعِقَابَ وَيَقْلَعُ عَنْ ذَلِكَ وَيَتَرَكَ رَغْبَةً فِيهَا عِنْدَ اللَّهِ وَخَوْفًا مِنْهُ.

فَمِرَاقَبَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا يُقْرَبُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَهَذَا هُوَ دَأْبُ الْمُسْلِمِ الَّذِي يَعِيشُ فِي الدُّنْيَا لِلْآخِرَةِ، الَّذِي يَرِاقِبُ رَبَّهُ مُسْتَعِدًّا لِلرَّحِيلِ فِي آيَةِ لَحْظَةٍ، كَمَا أَرشَدَ النَّبِيُّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «فَصَلِّ صَلَاةَ مَوَدَعٍ»<sup>(١)</sup>، وَقَالَ: «كُن فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»<sup>(٢)</sup>، وَكَمَا كَانَ ابْنُ عَمْرٍو يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرُ الصُّبْحَ وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرُ الْمَسَاءَ»<sup>(٣)</sup>.



(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ [٢٣٤٩٨]، وَالتَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» [٣٩٨٧] مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: عَظَنِي وَأَوْجَزَ، فَقَالَ: فَذَكَرَهُ. وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» [٤٠١].

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ [٦٤١٦] مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ [٦٤١٦] مِنْ حَدِيثِ بَنِي عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.



## أهمية العلم النافع وأنه سبيل الهدى والصلاح

١٩٧- كُنْ طَالِبًا لِلْعِلْمِ وَعَامِلًا صَالِحًا فَهُمَا إِلَى سُبُلِ الْهُدَى سَبَبَانِ

❖ من أعظم أسباب السعادة والهدى التي توصل المسلم إلى مرضاة ربه أن يكون طالباً للعلم الحق، عاملاً به.

فالعلم أساس العمل، والعمل لا بد أن يبنى على العلم كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [مُحَمَّدًا: ١٩]، وقد لحظ الإمام البخاري هذا المعنى فبوب في صحيحه: «باب العلم قبل القول والعمل». وصدره بهذه الآية.

فمن أراد أن يكون عمله صحيحاً فليكن مبنياً على العلم، وأي عمل لا يكون مبنياً على علم نافع، فإن صاحبه عرضة للوقوع في زلات الشهوات والشبهات، إذ لم يؤسس العمل على العلم النافع؛ والعلم النافع هو ما كان مؤصلاً على الكتاب والسنة؛

كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث وإلا الفقه في الدين

العلم ما كان فيه قال حدثنا وما سوى ذلك وسواس الشياطين

❖ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الْكَافَّة: ١١٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيَينَ يَمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَيَمَا كُنْتُمْ تُدْرُسُونَ﴾ [الْأَنْعَام: ٧٩]، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: رِيبَانِيُونَ، أي: يعلمون أو يتعلمون صغار العلم قبل كباره، وفي البخاري: الرِيبَانِي: الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره، وهذا هو ما يعرف بالتدرج في العلم.

قال الشاعر:

تعلم صغير العلم حتى يُرقيقك الصغير إلى الكبير

فتعرف بالتفكر في صغير      كبيرا بعد معرفة الصغير

وقال آخر:

تعلم العلم لوجه الله      بلا مـرآة ولا تباهي

ثم إذا علمت شيئا فاتبع      فالعلم محض الجهل إن لم ينفع

والناس في باب العلم والعمل طرفان ووسط: طرف علم ولم يعمل بعلمه كاليهود ومن شابههم من هذه الأمة، وطرف عبد الله على جهل كالنصارى ومن شابههم من هذه الأمة، ووسط وهي أمة الإجابة من أهل السنة والجماعة.

قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللهُ: «من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبّادنا كان فيه شبه من النصارى»<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر الخطيب البغدادي والقاضي عياض في شرح حديث «المسيء صلاته» أن أفعال الجاهل في العبادة على غير علم لا تجزئ، بل حكى ابن الوزير الإجماع على ذم العمل بغير علم، لأن الذي يعمل من غير علم قد يقع في مخالفات يظنّها حقاً وهي باطل؛ فقد يقع في الشرك يظنّه توحيداً، وفي البدعة يظنّها سنة، وفي الباطل يظنّه حقاً؛ لأن العلم فرقان ونور كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ.

ومن أعظم ما يحول بينك وبين شعاع هذا النور المعاصي والمنكرات، فإنها تصمّ وتعمي عن سلوكك درب الهدى.

ومما يذكر عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ أنه قال:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي      فأرشدني إلى ترك المعاصي

(١) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية، ص: [١٦٧].

وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يؤتى لعاصي<sup>(١)</sup>  
 فالعلم يضيء لك الطريق، ويمهد لك السبيل؛ ولذلك فإن العلم النافع مع  
 العمل الصالح هما سبيل الرشاد، والطريق السوي لمرضات رب العباد.  
 هذا وقد كثر التنويه بفضل العلم وأهله نظماً ونثراً من علماء المسلمين وأدبائهم،  
 قديماً وحديثاً. فمن ذلك قول ابن عصفور، من أئمة اللغة:

مع العلم فاسلك حيثما سلك العلم وعنه فكاشف كل من عنده فهم  
 فضيه جلاء للقلوب من العمى وعون على الدين الذي أمره حتم  
 يُعدّ كبير القوم وهو صغيرهم وينفذ منه فيهم القول والحكم  
 فخالط رواة العلم واصحب خيارهم فصحبتهم زين وخلطتهم غم  
 فوالله لولا العلم ما اتضح الهدى ولا لاح من غيب الأمور لنا رسم  
 ويقول آخر:

رأيت العلم صاحبه شريف وإن ولدته آباء لئام  
 وليس يزال يرفعه إلى أن يُعظم قدره القوم الكرام  
 ويحمل قوله في كل أفق ومن يكن عالماً فهو الإمام  
 فلولوا العلم ما سعدت نفوس ولا عُرف الحلال ولا الحرام  
 وقال آخر:

والعلم زين وتشريف لصاحبه أتت إلينا بذا الأنبياء والكتب  
 والعلم يرفع أقواماً بلا حسب فكيف من كان ذا علم له حسب

(١) «ديوان الإمام الشافعي» لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ص: [٥٤].

فاطلب بعلمك وجه الله محتسبا فما سوى العلم فهو اللهو واللعب

ويقول أحد النظام في نصيحة ظريفة لأبناء المسلمين:

فازدن به فالجلم زَيْن الظرفا والعلم نعم المقتنى والمقتضى  
طالبه فريضة وأفرضه علمٌ مهمك به ابدأ تقبضه  
فقوته الفقه وملحه الذي يُصلحه النحوُ جهولُه انبذ  
وأشُّه إدامه تحقيقه سيرة خير واجب تصديقه  
له تغرب وتواضع واتبع وجُع وهُن واعص هواك واترع  
واقصد به وجه الذي أنشاك ولا تمار فيه من ناواكا

ويقول الشيخ حافظ الحكمي:

العلم أغلى وأحلى ما له استمعت أذن وأعرب عنه ناطق بضم  
العلم غايته القصوى ورتبته الـ علياء فاسعوا إليه يا أولي الهمم  
العلم أشرف مطلوب وطالبه لله أكرم من يمشي على قدم  
العلم نور مبين يستضيء به أهل السعادة والجهال في الظلم  
العلم أعلى حياة للعباد كما أهل الجهالة أموات بجهلهم  
لا سمع لا عقل بل لا يبصرون وفي السـ عير معترف كل بذنبهم  
فالجهل أصل ضلال الخلق قاطبة وأصل شقوتهم طرا وظلمهم  
والعلم أصل هداهم مع سعادتهم فلا يضل ولا يشقى ذوو الحكم  
والخوف بالجهل والحزن الطويل به وعن أولي العلم منفيان فاعتصم  
فقدس العلم واعرف قدر حرمة في القول والفعل والآداب فالتزم  
يا طالب العلم لا تبغ به بدلا فقد ظفرت ورب اللوح والقلم

لو يعلم المرء قدر العلم لم ينم  
 إن البناء بدون الأصل لم يقيم  
 متعلق بزخارف الكهان  
 في قلب عبد ليس يجتمعان  
 لم يهبط المريخ في السرطان  
 وهبوطها في كوكب الميزان  
 لكنها والبدرين خسفان  
 وهما لخوف الله يرتعدان  
 ويظن أن كليهما ريان  
 ويظن أنهما له سعدان  
 وبوهج حر الشمس يحترقان  
 وكلاهما عبدان مملوكان  
 لسجدت نحوهما ليصطنعان  
 رزقي وبالإحسان يكتنفاني  
 ذلت لعزة وجهه الثقلان  
 والرأس والذنب<sup>(١)</sup> العظيم الشان  
 وعطارد الوقاد مع كيوان<sup>(٢)</sup>  
 وتسددت وتلاحقت بقران

واجهد بعزم قوي لا انثناء له  
 والنية اجعل لوجه الله خالصة  
 لا تتبع علم النجوم فإنه  
 علم النجوم وعلم شرع محمد  
 لو كان علم للكواكب أو قضا  
 والشمس في الحمل المضيء سريعة  
 والشمس محرقة لستة أنجم  
 ولربما اسودا وغاب ضياهما  
 أردد على من يطمئن إليهما  
 يا من يحب المشتري وعطاردا  
 لم يهبطان ويعلوان تشرفا  
 أتخاف من زحل وترجو المشتري  
 والله لو ملكا حياة أو فنا  
 وليضحا في مدتي ويوسعا  
 بل كل ذلك في يد الله الذي  
 فقد استوى زحل ونجم المشتري  
 والزهرة الغراء مع مريخها  
 إن قابلت وتربعت وتثلثت

(١) يعدها المنجمون من سهام الكواكب السبعة، ويطلقون على الأول سهم القمر، وعلى الثاني سهم الشمس. انظر: «التفهيم»، ص: [٢٨٣].

(٢) زعموا أنها من الأفلاك الكلية التسعة. وقيل هو زحل. انظر: «لسان العرب» (١٣/ ٣٦٣).

أهلها دليل سعادة و شقوة  
 من قال بالتأثير فهو معطل  
 إن النجوم على ثلاثة أوجه  
 بعض النجوم خلقن زينة للسماء  
 وكواكب تهدي المسافر في السرى  
 لا يعلم الإنسان ما يقضى غدا  
 والله يمطرنا الغيوث بفضلها  
 من قال إن الغيث جاء بهنعة<sup>(٤)</sup>  
 فقد افترى إثما ويهتاننا ولم  
 لا والذي برأ الورى<sup>(١)</sup> ويراني  
 لشرع متبع لقول ثان  
 فاسمع مقال الناقد الدهقان<sup>(١)</sup>  
 كالدرفوق ترائب النسوان  
 ورجوم كل مثابر شيطان  
 إذ كل يوم ربنا في شان  
 لا نوء عواء<sup>(٢)</sup> ولا دبران<sup>(٣)</sup>  
 أو صرفة<sup>(٥)</sup> أو كوكب الميزان  
 ينزل به الرحمن من سلطان

هذه الآيات تتعلق بموضوع واحد، فكلها تتعلق بالتحذير من عبادة النجوم والكواكب، ونفي أن يكون لها أي تأثير في الكون، لا من قريب ولا من بعيد، فهي - كما ذكر الناظم - لا تنفع ولا تضر، ولا تسعد ولا تنحس، ولا تقدم ولا تؤخر، ولا تسعد ولا تشقي، ولا تفرح ولا تحزن، ولا ترفع أو تخفض، ولا تطلع أو تسقط لموت زيد أو حياة عمرو، ولا لولادة عظيم أو موته.

وأصل عبادة الكواكب بدأ من الصابئة الكلدانيين الذين أرسل الله إليهم خليله إبراهيم عليه السلام؛ ويقال: إنهم نُسبوا إلى رجل يقال له صابئ بن متوشلح بن يشجب بن

(١) القوي على التصرف. انظر: «لسان العرب» (٢/١٤٤٣).

(٢) جعلها بعضهم أربعة كواكب. انظر: «المخصص» لابن سيده (٢/٣٦٧).

(٣) نجم، قيل: سمي بذلك لأنه يدبر الشرا. انظر: «الفروق اللغوية»، ص: [٢٥١].

(٤) كوكبان بينها قيد سوط رأي العين على إثر الحقعة. انظر: «المخصص» (٢/٣٦٧).

(٥) كوكب واحد نير على إثر الزبرة، سمي صرفة لانصراف الحر عند طلوعه غدوة، وانصراف البرد عند سقوطه غدوة. انظر: «المخصص» لابن سيده (٢/٣٦٧).

يعرب بن قحطان. والذي يهمننا أن نعرف أن الصابئة في الأصل عباد النجوم والكواكب، وكانت العرب في الجاهلية تطلق كلمة «الصابئ» على كل من غير دينه، سواء كان غيره إلى حق أو إلى باطل.

وخلق الله النجوم لثلاثة أمور: - قال قتادة بن دعامة السدوسي رَحِمَهُ اللهُ: «خلق الله هذه النجوم لثلاث: رجوماً للشياطين، وزينة للسماء، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير هذا فقد أخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا يعنيه وما لا علم له به وما عجز عن علمه الأنبياء والملائكة صلوات الله عليهم أجمعين»<sup>(١)</sup>

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمَنَّا بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النَّجْم: ١٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ [النَّجْم: ٥]، وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ۖ وَحَفَظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَرَدٍ ۖ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۖ ۝٨ دُخُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [الصَّافَات: ٦ - ٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحَفَظْنَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فُصِّلَتْ: ١٢].

فهذا هو الغرض والحكمة من خلق النجوم: زينة للسماء ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها في البر والبحر للدلالة على الطريق ومعرفة منازل القمر ومواقع النجوم، وعلامات للصلوات والقبلة، وبها تعرف أوقات الزراعة والحصاد، وما إلى ذلك من معرفة مواسم الحر والبرد، ودخول فصول السنة، وفهم الظواهر الكونية ونحو ذلك.

(١) رواه البخاري تعليقاً انظر: «صحيح البخاري» مع «الفتح» (٦/ ٢١١).

وقول الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا تتبع علم النجوم فإنه... متعلق بزخارف الكهان» إلخ فيه تفصيل؛ فعلم النجوم على قسمين: علم التسيير وعلم التأثير، فعلم التسيير جائز، وتعلمه مباح، وعلم التأثير محرم كما سيأتي بيانه.

علم التسيير هو أن يتعلم المسلم علم الفلك وما يتعلق بالظواهر الجوية ونحو ذلك مما يتعلق بالنجوم ومواقعها وما إلى ذلك مما سبقت الإشارة إليه قريباً من فوائد خلق النجوم.

ويجب التنبيه على أن علم التسيير ينظر إليه على أنه يدخل في باب الأسباب التي يشرع الاستفادة منها مع عدم الاعتماد عليها.

وعقيدة أهل السنة والجماعة في الأسباب أن الله عَزَّجَلَّ هو خالق الأسباب والمسببات، وليس السبب مستقلاً في إيجاد المسبب، وليست الأشياء موجودة بدون سبب، لكن خالق السبب والمسبب هو الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى وحده. فهذا هو الذي يجب اعتقاده خلافاً لمن ألغى الأسباب كالجبرية ومن نهج نهجهم من الأشاعرة والماتريدية، أو اعتمد على الأسباب وحدها كشأن المعتزلة والقدرية الذين يقولون: إن العبد هو خالق فعله. وأهل السنة وسط في هذا الباب بين الجبرية الذين يفقدون الأشياء أسبابها ولا يرتبون المسببات على أسبابها، ويلغون الحكمة والسبب، والغرض والغاية، وبين الغلاة القدرية الذين جعلوا السبب وحده مستقلاً بفعل الأشياء؛ فكان أهل السنة وسطاً بين هؤلاء وأولئك، ولذلك فإن الذين جعلوا الأسباب هي كل شيء - والعياذ بالله - أتوا بأمر مفترى، جعلوا للأسباب الاستقلالية، كأنها هي الآلهة، والذين أهملوا الأسباب أيضاً وقعوا في الغلو واعتقدوا أن الله لم يخلق الأشياء لحكمة ولا لعل ولا لسبب



ولا لغاية. والنجوم والكواكب بها فيها الشمس والقمر وسائر كبار النجوم كزحل وعطارد والثريا والزهرة والجوزاء والمشتري والمريخ وغيرها مما سمى الناظم لا تقدم ولا تؤخر، ولا تضر ولا تنفع... فمنهم من يدعي أنها هي الآلهة فينصبون لها الهياكل كما هو شأن الصابئة، وقيمون لها الدور، ويعتقدون أن بيدها تصريف الكون. وبعضهم يرى أنها دون الإله الأكبر، ومنهم من يعتقد فيها الألوهية الكبرى، وآخرون يجعلونها علامة للسعود والنحوس، فإذا ولد فلان في نجم كذا مثلاً فهو نجم السعد، وبناء على ذلك سوف يكون هذا الشخص سعيداً، وإذا ولد في نجم كذا فهو نجم النحس، وبناء عليه سيكون منحوساً وغير موفق وشقي - والعياذ بالله -، وهذا قد وقع فيه كثير من الضلال.

وقد سمعت في بعض الإذاعات لبلاد إسلامية برنامجاً خاصاً يقرر هذا الشرك، وهو اعتقاد السعود والنحوس في النجوم، فقد تسأل المرأة أنها ولدت في النجم الفلاني، فيقال لها أنت نجمك الفلاني ستصابين بكذا، وسيحصل لك كذا، ووصفك كذا وعقيدتك كذا، وعندك كذا وربما يكون لك كذا قريباً وما إلى ذلك من الترهات وادعاء علم الغيب الذي استأثر الله به.

وآخرون لا يعبدونها ولكنهم يعلقون حدوث بعض الأشياء بها كقولهم مطرنا بنوء كذا وكذا؛ وهذا هو الذي ذمه الله عز وجل بقوله: ﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴾ (٨١) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ ﴿ [الواقعة: ٨١ - ٨٢]، أي: بنسبتكم المطر إلى النجوم.

وقد ثبت في الصحيح من حديث زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مَطَرُنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ

فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب وأما من قال بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب»<sup>(١)</sup>، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الضخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة»<sup>(٢)</sup>، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «خِلَالٌ مِنْ خِلَالِ الْجَاهِلِيَّةِ: الطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالنِّيَاحَةُ، وَنَسِي - الرَّاوي - الثَّالِثَةُ قَالَ سَفِيَّانٌ وَيَقُولُونَ إِنَّهَا الْأَسْتِسْقَاءُ بِالْأَنْوَاءِ»<sup>(٣)</sup>، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لن يدعهنَّ النَّاسُ: الطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ، وَالْأَنْوَاءُ: مُطَرْنَا بَنُوْءٍ كَذَا وَكَذَا، وَالْإِعْدَاءُ: جَرِبَ بَعِيرٌ فَأَجْرِبَ مَائَةٌ بَعِيرٍ فَمَنْ أَجْرِبَ الْبَعِيرَ الْأَوَّلَ»<sup>(٤)</sup>.

فمن اعتمد على هذه النجوم وحدها وظن أنها تقربه أو تبعده أو تسقيه أو تنزل الغيث، فإن قال هذا بحكم العادة والتقليد دون اعتقاد فهذا شرك أصغر، وإن قال: مطرنا بنوء كذا وكذا معتقدا أن النوء مستقل بالسقيا فهذا هو الشرك الأكبر الذي لا يغفر الله لمن مات عليه. فيجب التنبيه لهذه القضية الخطيرة، فالنجوم لا تقدم ولا تؤخر: لا الثريا ولا الشعرى ولا الزهرى ولا المريخ ولا زحل ولا الرأس ولا الذنب ولا العقرب ولا أي نجم يلوح في السماء، بل إن بعض النجوم تحرقها الشمس كما أشار إلى ذلك الناظم.

(١) أخرجه البخاري [٨٤٦]، ومسلم [٧١] من حديث زيد بن خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم [٩٣٤] من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري [٣٨٥٠] من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) أخرجه الطيالسي [٢٣٩٥]، وأحمد [٩٨٧٣]، والترمذي [١٠٠١]، وابن حبان [٣١٤٢] من حديث

أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الترمذي: حسن. وقال الهيثمي: هو في الصحيح باختصار (انظر: «صحيح مسلم» برقم: [٦٧])، رواه البزار، وإسناده حسن. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٨٨٣].

والشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان ولا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، وإنما يخوف الله بهما عباده كما دلت على ذلك النصوص الصحيحة. ومنها قوله ﷺ: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا»<sup>(١)</sup>.

وأيا ما كان فعلم التسيير علم نافع ولا ينكر على أحد تعلمه وتعاطيه والاستفادة منه، ولكن من خرج عن تلك الأمور الثلاثة التي خلقت لأجلها النجوم فإنه يكون حيثئذ قد انتقل إلى القسم الثاني من علم النجوم وهو علم التأثير المحرم.

فعلم التأثير: هو الاستدلال بالكواكب العلوية على الحوادث الأرضية أو يقال: نسبة الحوادث الأرضية إلى الأحوال الفلكية كما لو قالوا: إن هذا النجم نجم سعد وذاك نجم نحس، أو كقولهم: إن كل نجم مقابل لروح إنسان، وكل نجم له كذا وكذا من التأثير، فذلك في غاية الخطورة، لأنه إن اعتقد أن النجم أو الكوكب يعلم ذلك أو يتصرف فيه، فإن هذا هو الشرك الأكبر الذي لا يغفر الله لمن مات عليه.

والمنجمون يشبهون الكهان والسحرة، ولذلك جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما: «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»<sup>(٢)</sup>.

والواجب على المسلم أن يعتقد أنها من سائر المخلوقات الدالة على قدرة الله، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَلِيلٌ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا سَّجْدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧]، وقال تبارك وتعالى:

(١) أخرجه البخاري [١٠٤٤]، ومسلم [٩٠١] من حديث عائشة رضى الله عنها.

(٢) أخرجه أحمد [٢٨٤١]، وأبو داود [٣٩٠٥]، وابن ماجه [٣٧٢٦] عن ابن عباس به مرفوعاً. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٦٠٧٤].

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ أَلْيَلُ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُسَخَّرَتَانِ بِأَمْرِهِ ۚ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الْإِسْرَافِ: ٥٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّنِ وَالْحِسَابُ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يُونُسَ: ٥ - ٦].

فالتعلق بعلم النجوم واعتقاد أن لها تأثيرا فيما يجري على الأرض من حوادث موت زيد أو حياة عمرو أو ولادة أو موت علان أو رفعه أو خفضه أو سعوده أو نحوسه وما إلى ذلك مما قد يتصوره البعض مما هو من علم الغيب، فإن ذلك محرم، بل هو عين الشرك. والكهان أكثرهم يتعلقون بهذا الأمر، يتعلقون بدعوى تعلم النجوم، ويضحكون على الناس ويلبسون عليهم، ويهولون لهم الأمر حتى يؤمنوا بترهاتهم ويقعوا في فخاخ خزعبلاتهم.

والناظم أشار إلى كثير مما يعتقدونه الناس في هذه الكواكب.

وإبراهيم عليه السلام أراد أن يعطي قومه درسا في بيان أن هذه الكواكب لا تقدم ولا تؤخر كما حكى الله لنا عنه في قوله تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُومُ إِلَيَّ بَرِيءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِلَيَّ وَجْهَتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَقِيقًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الْأَنْعَامِ: ٧٥ - ٧٩].

ومن زعم من الناس أن إبراهيم الخليل كان شاكاً حتى تيقن فهذا الزعم - والعياذ بالله - غاية في البطولان، بل سوء أدب مع الله وسوء أدب مع خليله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ألا ترى إلى قوله تَعَالَى في حقه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٢١) شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ أَحْبَبَهُ وَهَدَنَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢٢) وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٣) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿

[التَّحَلُّ: ١٢٠ - ١٢٣]

فلا بد من الحذر كل الحذر من هذا العلم الفاسد - أعني علم التأثير - ومما يؤسف له أن ينتشر هذا العلم في أغلب العالم الإسلامي تقليدا للكفار، بل في بعض وسائل الإعلام الإسلامية إظهار ودعوة وترويج لهذه الخزعبلات والدجل والخط في الأرض والنظر في الفنجان وخط الكف... مما هو من الكهانة وادعاء علم الغيب من جعل النجوم لها تأثير مباشر في حياة الناس.

فالتنجيم غاية في الخطورة، لاسيما وأنه قد ينطلي على بعض ضعاف النفوس والعقول من المسلمين الذين يتساهلون في دينهم، فلا يطلبون الحق من مصادره، ولا يرجعون إلى علماء الأمة والسنة الذين ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، حتى يبينوا لهم الحق بدليله.



## الكلام على الطبائعيين والفلاسفة والرد عليهم

- ٢٢٣- وَكَذَا الطَّبِيعَةُ لِلشَّرِيعَةِ ضِدُّهَا
- ٢٢٤- وَإِذَا طَلَبْتَ طَبَائِعًا مُسْتَسْلِمًا
- ٢٢٥- عِلْمُ الْفَلَاسِفَةِ الْغُوَاةِ طَبِيعَةُ
- ٢٢٦- لَوْلَا الطَّبِيعَةُ عِنْدَهُمْ وَفَعَالُهَا
- ٢٢٧- وَالْبَحْرُ عُنْصَرُ كُلِّ مَاءٍ عِنْدَهُمْ
- ٢٢٨- وَالْغَيْثُ أَبْخَرَةٌ تَصَاعِدُ كُلَّمَا
- ٢٢٩- وَالرَّعْدُ عِنْدَ الْفِيلَسُوفِ بَرْعَمِهِ
- ٢٣٠- وَالْبَرْقُ عِنْدَهُمْ شَوْاطِطٌ خَارِجٌ
- ٢٣١- كَذَبَ أَرِسْطَالِيْسُهُمْ فِي قَوْلِهِ
- ٢٣٢- الْغَيْثُ يُفْرَغُ فِي السَّحَابِ مِنَ السَّمَاءِ
- ٢٣٣- لَا قَطْرَةً إِلَّا وَيَنْزِلُ نَحْوَهَا
- ٢٣٤- وَالرَّعْدُ صَيْحَةُ مَالِكٍ وَهُوَ اسْمُهُ
- ٢٣٥- وَالْبَرْقُ شَوْطُ النَّارِ يَزْجُرُهَا بِهِ
- ٢٣٦- أَفَكَانَ يَعْلَمُ ذَا أَرِسْطَالِيْسُهُمْ
- ٢٣٧- أَمْ غَابَ تَحْتَ الْأَرْضِ أَمْ صَعِدَ السَّمَاءِ
- ٢٣٨- أَمْ كَانَ دَبْرَ لَيْلِهَا وَنَهَارِهَا
- ٢٣٩- أَمْ سَارَ بِطَلِيْمُوسَ بَيْنَ نُجُومِهَا
- ٢٤٠- أَمْ كَانَ أَطْلَعَ شَمْسَهَا وَهَلَالَهَا
- ٢٤١- أَمْ كَانَ أَرْسَلَ رِيحَهَا وَسَحَابَهَا
- وَلَقَلَّمَا يَتَجَمَّعُ الضُّدَّانِ
- فَاطْلُبْ شَوْاطِطَ النَّارِ فِي الْغُدْرَانِ
- وَمَعَادُ أَرْوَاحِ بِلَا أَبْدَانِ
- لَمْ يَمْشِ فَوْقَ الْأَرْضِ مِنْ حَيَوَانِ
- وَالشَّمْسُ أَوَّلُ عُنْصَرِ النَّيِّرَانِ
- دَامَتْ بِهِ طُلُوعُ الْوَابِلِ الْهَتَّانِ
- صَوْتُ اضْطِكَاكِ السَّحَابِ فِي الْأَعْنَانِ
- بَيْنَ السَّحَابِ يُضِيءُ فِي الْأَحْيَانِ
- هَذَا وَأَسْرَفَ أَيَّمَا هَذَيَانِ
- وَيَكِيلُهُ مِيكَالُ بِالْمِيزَانِ
- مَلِكٌ إِلَى الْأَكَامِ وَالْفَيْضَانِ
- يُزْجِي السَّحَابَ كَسَائِقِ الْأَطْعَانِ
- زَجَرَ الْحُدَاةِ الْعَيْسِ بِالْقُضْبَانِ
- تَدْبِيرُ مَا انْفَرَدَتْ بِهِ الْجِهَتَانِ
- فَرَأَى بِهَا الْمَلَكُوتَ رَأَى عِيَانِ
- أَمْ كَانَ يَعْلَمُ كَيْفَ يَخْتَلِفَانِ
- حَتَّى رَأَى السَّيَّارَ وَالْمُتَوَانِي
- أَمْ هَلْ تَبَصَّرَ كَيْفَ يَغْتَقِبَانِ
- بِالْغَيْثِ يَهْمِلُ أَيَّمَا هَمَلَانِ

٢٤٢- بَلْ كَانَ ذَلِكَ حِكْمَةً اللَّهِ الَّذِي بِقَضَائِهِ مُتَصَرِّفُ الْأَزْمَانِ

✽ يرد الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ فِي هذه الأبيات على 'الفلاسفة الطبايعيين الذين ينسبون الأمور إلى 'الطبيعة، وهم إلى 'حد كبير قريبون من الماديين الذين يقولون: لا إله والحياة مادة غير أن أولئك يصرحون بنفي الإله، والفلاسفة يقولون: إن هناك قوة خفية تدير العالم كله وتتحكم فيه وهي الطبيعة، وبعضهم يسميها العقل الفعال الذي انبثقت منه بعض العقول الأخرى ونحو ذلك من اصطلاحاتهم الباطلة وسفسطائيتهم الساقطة.

فعندهم الرب أو الإله هو الذي يُفيض على 'العقول الفعالة، والعقول الفعالة يرون أنها هي الملائكة، ويرون أن الأنبياء إنما هي رموز لتنفيذ تلك الأعمال، وينكرون الوحي والبعث والحشر والجنة والنار، ويدعون أن الوحي من قرآن وسنة ما هو إلا لانتظام أمور الناس في الدنيا، والوحي والنبوات إنما هي فيوضات تنتج عن العقول الفعالة تفيضها على 'أولئك الأنبياء دونها وحي ودونها كلام ودونها تنزل وتنزيل، فينسبون كل شيء إلى 'الطبيعة؛ فمن ذلك قولهم: الشمس أصل كل نار، والبحر أصل كل ماء؛ بمعنى 'أنها خلقت منه ووجدت منه دونها خالق خلق هذه الأمور خلقا مستقلا، بقوله كن فيكون والعياذ بالله. وهذا من أعظم أنواع الكفر، وهذه هي عقيدة أرسطاليس وأفلاطون وسقراط وبقرات وغيرهم من الفلاسفة، وكذلك من تبعهم ممن يُسمَّون بالفلاسفة الإسلاميين كابن سينا وابن سبعين وابن الفارض والفارابي وغيرهم من الملاحدة الذين ليسوا بمسلمين في الواقع لأنهم ينكرون البعث وينكرون حقائق الأشياء، ويسندون كل شيء إلى 'طبائع معينة. فمثلا يقولون في حقيقة الروح: إنها اعتدال الطبائع الأربعة: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، فإذا اختل واحد من هذه الأربعة انتهت الروح. والبعض منهم يقول: الروح تنتقل من مكان إلى مكان، ومن إنسان إلى إنسان؛ وآخرون منهم يقولون:

إن هذه الروح هي التي تبعث دون الجسد. ومنهم من يقول: إن هذه الأمور كلها عبارة عن أمور دورانية، كلما انتهى دهر عاد أدراجه من جديد، مرة أخرى، يعني حلقة دائرية يدور عليها الزمان، كلما انتهت حقبة عادت من جديد، وهم القائلون بالدور. ومنهم الدهريون المنكرون لكل شيء؛ يقولون: إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع، فينكرون البعث والنشور.

والناظم رَحْمَةُ اللَّهِ أَنْكَرَ ذَلِكَ كُلَّهُ وَبَيَّنَ أَنَّهُ خِلَافُ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ نصوص الكتاب والسنة، فليس أصل النيران الشمس، وليس أصل المياه البحر؛ وليس إنكاره للبخر - فيما يظهر والله أعلم - إنكاراً لحقيقة تبخر الماء، وإنما هو إنكار لاستقلال البخار بتكوين المطر والسحاب، والله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى هو الذي يكونه، سواء خلقه من البخار أو خلقه من العدم، وهو قادر على كل حال، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يَس: ٨٢]، ويسوقه إلى ما شاء من الأرض فيحيي به بلدة ميتة. ومما يدل على أن البخار ليس مستقلاً كما يدعون أنه قد يتهياً في مكان ما، وجميع الظروف التي يقولها الطبائعيون متهيأة ولا ينزل مطر، وليس في هذا دفع أو إنكار لبعض العلوم التي توصل إليها الناس من بعض العلوم الكونية الظنية من تأثير البخار ونحوه، لكن الذي يُنكَرُ هو اعتقاد استقلال ذلك البخار بإنزال السحب والمطر.

والبرق والرعد أمر يحدثه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عبر السحاب كما قال الله تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ۝١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجْعَدُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴿[الرَّعْد: ١٢ - ١٣]، وجاء عن عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه كان إذا سمع الرعد ترك



الحديث، وقال: «سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ثم يقول إن هذا لوعيد لأهل الأرض شديد»<sup>(١)</sup>.

فأما الأمور التجريبية الثابتة فهذه لا اعتراض عليها ولا تعارض نصا شرعيا، وأما الأمور التي في طور النظريات فلا ينبغي المسارعة في تصديقها أو تكذيبها أو التعويل عليها؛ فإن ثبتت علميا - فالحمد لله - والله على كل شيء قدير، قادر على أن يطلع عباده على مثل هذا، ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِيَسْتَغْوُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١] و﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحجرات: ١٣]، وإلا فإن بعض الأمور التي يدعونها ويزعمون صحتها ما هي إلا ضحك وتلبيس على ضعف الإيمان، والواجب علينا نحن المسلمين أن لا نخضع النصوص للنظريات وألا نحمل الآيات ما لا تحمل، فنستدل بالآيات القرآنية على إثبات أو نفي بعض النظريات دونما وعي وعلم صحيح حتى - والعياذ بالله - إن ذلك أدى ببعضهم إلى أن يحمل بعض الآيات الواردة في مشاهد يوم القيامة على بعض النظريات التي وجدت في هذا العصر، وربما حملها على أشياء علمية لا تدل عليها، وقد تكون علمية ثابتة لكن الاستدلال لها بالآية أو بالحديث في غير محله، بل قد يدخل ذلك كله في عموم قوله تَعَالَى: ﴿سَرَّيْهِمْ أَإِنتَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، وفي قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الحج: ٨]، وفي قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

وأما أن تخضع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لبعض النظريات حتى ولو ثبتت علمياً، فتخضع بخصوصها لهذا الغرض، فإن ذلك غير سائغ.

(١) أخرجه البخاري في «أدب المفرد» [٧٢٣] ومالك في «الموطأ» (٢/ ٩٩٢)، والطبراني في «الدعاء» [٩٨٥].

كما زعم بعضهم في تفسير قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿يَمَعْتَرُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (٣٣) ﴿فَإَيُّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٤) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ﴾ [الحجر: ٣٣ - ٣٦] أنها محمولة على صعودهم القمر، وهذا قد أعظم على الله الفرية؛ لأن الآيات وردت في شأن يوم القيامة كما دلّ على ذلك السياق، مع أننا لا نعارض - إن ثبت ذلك علمياً - الصعود إلى القمر لكن نعارض الاستدلال بالآيات والأحاديث على مثل هذا الأمر وتحميلها ما لا تحتمل.

والملائكة عباد مكرمون من عباد الله، لا يعصون الله ما أمرهم، يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون، فمنهم من كلفه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بأعمال يقوم بها كما قال الله تَعَالَى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا﴾ (١) وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالْمُسَبِّحَاتِ سَبْحًا (٤) فَالْمُدْرِبَاتِ آمْرًا (٥) [النَّازِعَاتِ: ١ - ٥]، وقوله تَعَالَى: ﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًّا﴾ (١) فَالزَّجَرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالْمُنِيلَاتِ ذِكْرًا (٣) [الصَّفَّاتِ: ١ - ٣].

ومن بينها ذاريات الرياح وحاملات السحب التي يسوقها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى حيث يشاء كما قال الله تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ ذَرَوْا (١) فَالْحَمِلَاتِ وَفَرًّا (٢) فَالْجَرِيَتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسَّمَاتِ آمْرًا﴾ [النَّازِعَاتِ: ١ - ٤]، لكن التحديد بأن ذلك يستند إلى ملك بعينه، هو الذي يسوق السحاب أو يزجره أو يفعل كذا وكذا... كقول الناظم: «يزجره بالبرق» فإن ذلك يحتاج إلى دليل ثابت يستند عليه في مثل هذه الأمور؛ لأنها أمور غيبية لا بد فيها من الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة، فإن ثبتت تلك الآثار والأخبار - فالحمد لله - وإلا فنعلم أن الكل يجري بتدبير الله عَزَّجَلَّ وتقديره.

ولا شك أن الله عَزَّجَلَّ قد أمر الملائكة بتدبير كثير من الأمور وهو قادر على أن يخلقها ويهيئها بكلمة «كن» لكن لأمر وحكمة عظيمة أرادها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فإنه لا يمكن

أن تتخلف حكمته البالغة في خلق هذه الأشياء، لكن الذي يُنكر هو التكلف والتعمق بدون علم ولا فقه ولا دليل يستند عليه وبخاصة في المسائل الغيبية التي لا تعلم إلا عن طريق الوحي من كتاب أو سنة.

وقول النازم: «أفكان يعلم ذا أرسطاليسهم... تدبير ما انفردت به الجهتان» إلخ يعني أن أرسطاليس لم يطلع على علم ما في المشرق والمغرب، وما فوق الأرض وما تحتها حتى يدعي تلك الدعاوى الباطلة.

وتعاقب النجوم ومعرفة منازلها - كما تقدم تفصيله قريباً - ومعرفة منازل الشمس والقمر وتعاقبهما وتعاقب الليل والنهار ونحو ذلك مما قد يوصل إليه عن طريق علم الفلك أمر وارد، لكن الناس فيه طرفان ووسط، بين مفرط ومفرط ومتبع؛ فهناك المبالغون في إنكار علم الفلك وعلم النجوم الذي هو علم التسيير، وهذا الإنكار في غير محله. وهناك من يجعلها وحدها تستقل بفعل الأشياء وليست مجرد علامات، وهذا أيضاً باطل. والواجب على المسلم أن يقر ما دلّ عليه الدليل؛ أما الأمور التي لا دليل عليها من كتاب ولا من سنة، ولا يثبت فيها شيء عن الصحابة الكرام، مما لا مجال للرأي فيه، فكل ذلك يتوقف فيه ويوكل علمه إلى الله سبحانه وتعالى.

والمهم أن نؤمن بأن الكل يجري بأمر الله عز وجل: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا أَلِيلٌ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يَسَّن: ٤٠].

فهذه الكواكب والقمر والشمس ونحوها يجب أن نؤمن بأنها من مخلوقات الله ومن آياته العظيمة: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَلِيلٌ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا سَبْجُودًا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِتَائِهِ تَعْبُدُونَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٧]، فيجب الوقوف عند حدود ما شرع الله لك، وعند حدود ما أباحه لك في هذا الباب، أما أن

تتكلف وتتعلم وتتحكم نفسك في علم قد استأثر الله بعلمه فهذا عين الضلال والتقول على الله بغير علم، ولذلك تحدى الناظم الفلاسفة بأسئلة تعجيزية ليقررهم بعجزهم عن الاطلاع على ما استأثر الله بعلمه من الغيوب فقال: «أفكان يعلم ذا أرسطاليسهم...» إلخ؛ وهذا أسلوب قد اتبع فيه الناظم هدي القرآن بإفحام الخصوم وتقرير أنهم غير قادرين على شيء مما يدعون، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَرَبُّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرَاصِينَ﴾ (٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلُمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤) أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمُضْطَرُونَ (٣٧) أَمْ هُمْ سَامِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَعْتِمُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨) أَمْ لَهُ الْآلِهَةُ وَلَكُمْ الْآلِهَةُ (٣٩) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٠) أَمْ عِنْدَهُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿[الطُّور: ٣٠ - ٤١].

ومن السنة: قول الله تَعَالَى في الحديث القدسي: «من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان؟ فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عمله»<sup>(١)</sup>، وفي رواية: «هل علمت ما عندي؟».

ولهذا ختم الناظم الأبيات بالتسليم بأن الله وحده هو الذي بيده ملكوت كل شيء، فهو المقدر لكل شيء لحكمة بالغة لا يعلمها إلا هو، فقال:

بل كان ذلك حكمة الله الذي بقضائه متصرف الأزمان



(١) أخرجه مسلم [٢٦٢١] من حديث جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

## بيان أن العرافة والطيرة من الشرك

٢٤٣- لَا تَسْتَمِعْ قَوْلَ الضَّوَارِبِ بِالْحَصَا وَالزَّاجِرِينَ الطَّيْرَ بِالطَّيْرَانِ  
٢٤٤- فَالْفِرْقَتَانِ كَذُوبَتَانِ عَلَى الْقَضَا وَبِعِلْمِ غَيْبِ اللَّهِ جَاهِلَتَانِ

❖ الضاربات أو الضوارب بالحصا، هذا نوع من ادعاء علم الغيب وأكثر ما يقع من النساء، وهو أن بعض أدياء علم الغيب يجمعون ألوانا من الحصى والأصداف والودع ثم ينشرونه في الأرض فإذا وقع على هيئة معينة رتبوا عليه ادعاء بعض المغيبات من موت زيد أو حياته أو قدوم عمرو أو نزول المطر أو حدوث شيء ما من المغيبات؛ وهو نوع من الكفر وادعاء علم الغيب.

وعلم الغيب مما استأثر الله به؛ ومن ادعاه فهو طاغوت كافر، وقد سبق أن بينت الفرق بين ادعاء علم الغيب فيما يتعلق بالنجوم وهو المسمى بعلم التأثير وبين علم التسيير الذي هو علم الفلك والحساب، والفرق بينهما كالفرق بين السماء والأرض. فمن دعاوى علم الغيب الضرب بالحصى أو النوى. قد تقول لك بعض العجائز الممتهنات لهذا الأمر بعد أن تضرب بالحصى ستزوج بامرأة جميلة مليحة شكلها كذا وكذا، سترزق بهال نوعه كذا وكذا، سيقدم والدك المسافر، سيولد لك ولد أمره كذا وكذا، وهكذا من دعاوى علم الغيب المرتبة على الضرب بالحصى. وسواء ضربت بالحصى أو خطت خطوطاً في الأرض أو نظرت في الكف أو قرأت في الفنجان بعد كفه ونحو ذلك، فالبعض منهن تجمع بين الضرب والطرق فتجعل خطوطاً في الأرض وتنشر فيها ذلك الحصى والنوى والصدف والودع وترتب على بعض أحواله أو حركاته دعوى من دعاوى علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه. ومن صدقهن فهو كمن يصدق الكاهن أو العراف أو الساحر أو المنجم؛ ولذا يكفر، قال ﷺ: «من أتى كاهناً، أو عرافاً، فصدقه بما يقول،

فقد كفر بما أنزل على محمد<sup>(١)</sup>، ومن سألهن ولم يصدقهن لا تقبل له صلاة أربعين يوما ذلك أنهن مثل الكهان تماما بتمام، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»<sup>(٢)</sup>.

كذلك مما حذر منه الناظم هنا تصديق الذين يتعلقون بالطيور ويرتبون على حركاتها أي دعوى من دعاوى علم الغيب. ومن ذلك الطيرة، والطيرة التشاؤم بالسوانح من الطيور والبوارح والسوانح: التي تأتي من اليسار، والبوارح: التي تأتي من اليمين، فيتفاءلون بالبوارح ويتشاءمون بالسوانح، كما أنهم يتشاءمون بصوت البومة إذا صوتت، ومنهم من يزعم أن البومة هي أرواح الموتى التي تستجدي. وهذا كان موجوداً في الجاهلية وفي الأمم الخالية، حيث يزعمون أنها عندما تصوت تقول: اسقوني اسقوني. ومنه قول الشاعر الجاهلي ذي الإصبع العدواني:

يا عمرو إن لم تدع ذمي ومنقصتي أضربك حتى تقول الهامة اسقوني<sup>(٣)</sup>

والهامة هي البومة، وقد حذر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذلك كله، فقال: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر»<sup>(٤)</sup>، زاد مسلم «ولا نوء ولا غول»؛ وذكر الله عن فرعون

(١) أخرجه أحمد [٩٥٣٦]، وأبو داود [٣٩٠٦] والترمذي [١٣٥] وابن ماجه [٦٣٩] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الترمذي: «لا نعرف هذا الحديث إلا من حديث حكيم الأثرم عن أبي تيممة الهجيمي عن أبي هريرة. وإنما معنى هذا الحديث عند أهل العلم على التغليظ». وصححه الألباني في «الإرواء» [٢٠٠٦].

(٢) أخرجه مسلم [٢٢٣٠] من حديث بعض أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٣) انظر: «لسان العرب» (١٢/٦٢٤).

(٤) أخرجه البخاري [٥٧٥٧]، ومسلم [٢٢٢٠] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقومه أنهم كانوا يطيطرون بموسى ومن معه، فقال الله عنهم: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ (١٣٠) فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ إِلَّا إِنَّمَا ظَنُّهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿[الأنعام: ١٣٠ - ١٣١]، وكذا حكى لنا قصة أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون، فقال الله عنهم أنهم قالوا لهم: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٨) قَالُوا طَيَّرْنَاكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿[يونس: ١٨ - ١٩].

فقد أفاد الحديث تحريم التطير سواء بالهامة التي هي البومة أو أي طائر آخر أو التطير بأي مخلوق كان.

والبعض من الناس يتشاءم ببعض الأصوات أو ببعض الشهور والأيام ونحو ذلك كمن يتشاءم بشهر صفر أو لا يحب السفر يوم الأربعاء وكل ما أشبه ذلك من أنواع التشاؤم.

والتطير شرك أصغر إن لم يردك أو يمضيك في حاجتك، أما إن حملك على الفعل أو الترك كما جاء في الأثر عن الفضل بن عباس: «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك»<sup>(١)</sup> فإنه يكون شركاً أكبر، قال ﷺ: «الطيرة شرك الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن الله يذهب به بالتوكل»<sup>(٢)</sup>، لكن أكثر أهل العلم يرون أن هذا الحديث موقوف على ابن مسعود.

(١) أخرجه أحمد [١٨٢٤] من حديث فضل بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٢) أخرجه أحمد [٤١٩٤]، وأبو داود [٣٩١٢]، وابن ماجه [٣٥٣٨]، وابن حبان [٦١٢٢]، والحاكم [٤٣] من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «الصحيحة» [٤٢٩].

وهناك حديث مرفوع في الصحيحين وهو: «لا عدوى ولا طيرة، ولا هامة ولا صفر»<sup>(١)</sup>، زاد مسلم «ولا نوء ولا غول»<sup>(٢)</sup>. وقد ذكر جمع من السلف بأن الطيرة هنا ما أمضاك أو ردك، ومن وجد في نفسه شيئاً من ذلك فليقل: «اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك»<sup>(٣)</sup> كما جاء في الأثر.

ويُستثنى من ذلك الفأل، فإن النبي ﷺ قال: «ويعجبني الفأل»<sup>(٤)</sup>؛ فالفأل يستحب ولكن لا تُرتب عليه أمور، لا يرتب عليه إمضاء أو ترك، فالتفاؤل مطلوب كأن تسمع اسماً طيباً فتستبشر خيراً كما قال النبي ﷺ لما قدم سهيل بن عمرو رسولاً في الحديبية، قال: «لقد سهل لكم من أمركم»<sup>(٥)</sup>. فالتفاؤل بالأسماء الطيبة لا بأس به كما يقولون عن المريض: سليم، وعن المسحور: مطبوع، كل هذا من أجل التفاؤل لا فراراً من القدر، فالتفاؤل لا يدخل في الطيرة، بل هو مشروع.

وقد ذكر الناظم رَحِمَهُ اللهُ هنا أن كلاً من الضرب بالحصي والطيرة يعارضان قضاء الله وقدره. فالطيرة تعارض القدر عندهم؛ وكأن المتطير علم أن القدر بحصول الشر حصل عندما جاء ذلك الطير من الجهة اليسرى أو عندما يأتي من الأمام، وهو الذي يسمونه بالنواطح يحصل الخير.

(١) أخرجه البخاري [٥٧٥٧]، ومسلم [٢٢٢٠] من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب «السلام» [٢٢٢٢] من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد [٧٠٤٥]، وابن السني [٢٩٣] من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. وصححه الألباني في «الصحيحة» [١٠٦٥].

(٤) أخرجه البخاري [٥٧٧٦]، ومسلم [٢٢٢٤] من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه البخاري [٢٧٣١] من حديث المسور بن مخرمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.



وأما الضارب بالحصى ونحوه فإنه يتنبأ بالعلم بالمغيبات من وقوع خير أو شر، وكل ذلك مما استأثر الله بعلمه؛ ووجه معارضته للقدر يوضحه قول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «القدر سرّ الله في خلقه فلا نكشفه»<sup>(١)</sup>.

وأحب أن أنبه إلى بعض الزبالات المنشورة في الشبكة العنكبوتية «الإنترنت»، وهو كتاب يتناقله بعض الجهلة وقليلو البضاعة في العلم المؤصل، يسمى 'هرمجدون'، وقد اغترّ به بعض الكتاب، ونسج حوله مقالا أيّد ما جاء فيه، بل نصّ على توقع قيام الساعة عام: ١٤١٢ هـ بعد ذكره أحداثا معيّنة.



(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» من حديث ابن عمر وابن عدي، قال الألباني ضعيف: انظر: حديث رقم [٤١٣١] في «ضعيف الجامع».

## الرد على المنجمين ومن في حكمهم والتعريض بالطبائعيين والفلاسفة

- ٢٤٥- كَذَبَ الْمُهَنْدِسُ وَالْمُنَجِّمُ مِثْلُهُ  
٢٤٦- الْأَرْضُ عِنْدَ كُلِّهِمَا كُرْوِيَّةٌ  
٢٤٧- وَالْأَرْضُ عِنْدَ أُولَى النَّهْيِ لَسَطِيحَةٌ  
٢٤٨- وَاللَّهُ صَّيَرَهَا فِرَاشًا لِلزُّورَى  
٢٤٩- وَاللَّهُ أَخْبَرَ أَنَّهَا مَسْطُوحَةٌ  
٢٥٠- أَحَاطَ بِالْأَرْضِ الْمُحِيطَةِ عِلْمُهُمْ  
٢٥١- أَمْ يُخْبِرُونَ بِطُولِهَا وَبِعَرْضِهَا  
٢٥٢- أَمْ فَجَّرُوا أَنْهَارَهَا وَعَيُونَهَا  
٢٥٣- أَمْ أَخْرَجُوا أَثْمَارَهَا وَنَبَاتَهَا  
٢٥٤- أَمْ هَلْ لَهُمْ عِلْمٌ بَعْدَ ثَمَارِهَا  
٢٥٥- اللَّهُ أَحْكَمَ خَلْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ  
٢٥٦- قُلْ لِلطَّبِيبِ الْفَيْلَسُوفِ بَزْعُمِهِ  
٢٥٧- أَيْنَ الطَّبِيعَةُ عِنْدَ كَوْنِكَ نُطْفَةً  
٢٥٨- أَيْنَ الطَّبِيعَةُ حِينَ عُدْتَ عَلِيقَةً  
٢٥٩- أَيْنَ الطَّبِيعَةُ عِنْدَ كَوْنِكَ مُضْغَةً  
٢٦٠- أَتَرَى الطَّبِيعَةَ صَوْرَتَكَ مُصَوَّرًا  
٢٦١- أَتَرَى الطَّبِيعَةَ أَخْرَجَتْكَ مِنْكَسًا  
٢٦٢- أَمْ فَجَّرْتَ لَكَ بِاللِّبَانِ ثَدْيَهَا
- فَهُمَا لِعِلْمِ اللَّهِ مُدَّعِيَانِ  
وَهُمَا بِهِذَا الْقَوْلِ مُقْتَرِنَانِ  
بِدَلِيلِ صِدْقٍ وَاضِحِ الْقُرْآنِ  
وَيَنْبَى السَّمَاءَ بِأَحْسَنِ الْبُنْيَانِ  
وَأَبَانَ ذَلِكَ أَيَّمَا تَبْيَانِ  
أَمْ بِالْجِبَالِ الشَّمْعِ الْأَكْنَانِ  
أَمْ هَلْ هُمَا فِي الْقَدْرِ مُسْتَوِيَانِ  
مَاءً بِهِ يُرَوَّى صَدَى الْعُطْشَانِ  
وَالنَّخْلَ ذَاتَ الطَّلَعِ وَالْقِنَوَانِ  
أَمْ بِاخْتِلَافِ الطَّعْمِ وَالْأَلْوَانِ  
صُنْعًا وَآتَقَنَ أَيَّمَا إِتْقَانِ  
إِنَّ الطَّبِيعَةَ عِلْمُهَا بُرْهَانِ  
فِي الْبَطْنِ إِذْ مُشْجَتْ بِهِ الْمَاءَانِ  
فِي أَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِينَ تَوَانِي  
فِي أَرْبَعِينَ وَقَدْ مَضَى الْعَدَدَانِ  
بِمَسَامِعِ وَنَوَاطِرِ وَيَنَانِ  
مِنْ بَطْنِ أُمِّكَ وَاهِي الْأَرْكَانِ  
فَرَضَعَتْهَا حَتَّى مَضَى الْحَوْلَانِ

٢٦٣- أَمْ صَيَّرْتَ فِي وَالِدَيْكَ مَحَبَّةً فَهُمَا بِمَا يُرْضِيكَ مُغْتَبَطَانِ  
٢٦٤- يَا فَيْلَسُوفُ لَقَدْ شُغِلْتَ عَنِ الْهُدَى بِالْمَنْطِقِ الرُّومِيِّ وَالْيُونَانِيِّ

✽ المهندس هو الذي يشتغل بادعاء علم الغيب فيما يتعلق بالنجوم بناء على هندسته التخرصية التي لا تعتمد على علم تجريبي، ولا تستند إلى حقيقة، ولا ترجع إلى علم مادي معروف كالفيزياء والكيمياء والإليكترونيات ونحو ذلك.

وكذلك قد يطلق على بعض الفلاسفة، وليس المقصود بالمهندس في هذه المنظومة المعارف عليه اليوم، ممن يتقن صناعته، فهذا لا اعتراض عليه، بل الهندسة من العلوم النافعة التي قد تتعين، ويجب على المسلمين أن يتقنوها، ولا يكونوا عالة على غيرهم في هذه العلوم.

ومدعي علم الغيب سواء سموه مهندساً أو منجماً فإنه ملحد كافر؛ لأنه يدعي ما استأثر الله به، وقد تقدم الكلام على ذلك عند كلام الناظم على الكهان والسحرة والمنجمين.

والمنجم هو: الذي يدعي علم الغيب بدعوى معرفته لمطالع النجوم والقمر، ويربط علم المغيبيات بالنجوم.

قال الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللهُ:

كفرا ن قد عبثا بالناس من قدم	كذا الكهانة والتنجيم إنهما
مُتَوْنَهَا أَكْذَبُ الْمَنْقُولِ مِنْ كَلِمِ	إِسْنَادِهَا حَزْبُ إِبْلِيسِ اللَّعِينِ كَمَا
مَا لِلتَّصَرُّفِ وَالْمَخْلُوقِ مِنْ عَدَمِ	مَا لِلتَّرَابِ وَمَا لِلْغَيْبِ يَدْرِكُهُ
دَهْرًا تَعَالَجُ أَصْنَافًا مِنَ الْأَلَمِ	لَوْ كَانَتْ الْجَنُّ تَدْرِي الْغَيْبَ مَا لَبِثَتْ
عَزْوُ التَّصَرُّفِ وَالتَّأْثِيرِ لِلنُّجُمِ	كَالْمُقْتَضِينَ لِعُبَادِ الْهَيَاكِلِ فِي

والكاتبين نظاما في عبادتها      عَقَدَا وَكَيْفَا وَتَوْقِيْتَا لِنُسْكِهِم  
فَذَا سُعُودٌ وَذَا نَحْسٌ وَطَلَسُمُهُ      كَذَا وَنَاسِبُهُ ذَا كَمْ بِخَرَصِهِم  
وَاعْجَبْ لِعُدْوَانِ قَوْمٍ حَاوَلُوا سَفَهَا      أَنْ يَجْمَعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ فِي كَمَمٍ  
كَالنَّارِ فِي الْمَاءِ أَوْ طُهِرَ عَلَى حَدَثٍ      فِي وَقْتِهِ أَوْ إِخَاءِ الذَّنْبِ وَالْغَنَمِ<sup>(١)</sup>

ويبدو أن الناظم رَحِمَهُ اللهُ عندما أنكر كروية الأرض لم يصل إلى علمه بعض الدراسات الجغرافية والفلكية التي دلت على كروية الأرض؛ الأمر الذي أصبح مسلماً به. وقد حكى الإجماع على كرويتها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>.

وكرويتها لا تتعارض مع تسطحها ومع ثباتها وتمهيدها وانبساطها وكون الجبال رواسي عليها. أما القول بدوران الأرض فيقال فيه: إنه معارض لظاهر القرآن: أنها قرار، وأن الشمس تجري. ولشيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ رسالة نفيسة في تقرير ذلك.

وأما كرويتها فكما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من أهل العلم؛ فالأرض أقرب ما تكون كروية بوضاوية. وهذا لا يمنع أن تكون مسطحة للناس نظراً لسعتها وعظمتها وكبر حجمها. ولها مركز معين ترتكز عليه.

وينبه الناظم على إبداع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في خلق الأرض والسموات.

ويقرر ذلك بطريقة الاستفهام التقريرية فيذكر ما أودع الله فيها من خيرات عظام وعجائب جسام، لا يمكن حصرها ولا عدّها ولا إحصاؤها؛ لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى هو الذي يعلم ذلك كله، لا تحفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(١) انظر: «المنظومة الميمية» للحافظ الحكمي.

(٢) انظر: «مجموعة الفتاوى» لابن تيمية (٥/١٥٠).

فهو يتساءل؛ هل هؤلاء الذين يدعون علم الغيب هل يعلمون هذه الأشياء؟ والجواب، لا يمكنهم ذلك، وإن أحصوا بعض الإحصائيات، وإن توصلوا إلى بعض الأشياء التقريبية في مسألة الطول والعرض ونحو ذلك، لكنها ليست دقيقة، بل تقريبية بحسب ما وصل إليه اجتهادهم، وربما يظهر في المستقبل غير ما توصلوا إليه؛ ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يُونُسُ: ٧٦]، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿سَرِيهِمْ أَيَّتَنَّا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فُصِّلَتْ: ٥٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [التَّحْكِيمُ: ٨].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، ففيها حكم وعبر، كقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ يُخْرِجُ الْحَى مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَى ذَلِكَ اللَّهُ فَالِقُ ⑤ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ⑥ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ⑦ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ⑧ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا مَخْرُجًا مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿[الْأَنْعَامُ: ٩٥ - ٩٩].

وقوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ① وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ② وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ③ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ④ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ⑤ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ⑥ وَبَيَّنَّا فَرْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ⑦ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ⑧ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ⑨ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ⑩ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ [النَّبَا: ٥ - ١٦].

وقوله تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرَّحْمَٰنُ: ٢].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [ذَلِكَ يَأْنِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] [الْبَحْرِ: ٥ - ٦].

وقال: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [١٠] ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ [١١] ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ [١٢] ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ [الْحَجَّ: ١٠ - ١٣].

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٢٠] ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [٢١] ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الْأَنْعَامِ: ٢٠ - ٢٢].

وقال: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [١٧] ﴿وَلِلَّيْلِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ [١٨] ﴿وَلِلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ [١٩] ﴿وَلِلَّأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [٢٠] ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الطَّارِق: ١٧ - ٢٠].

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ [١٧] ﴿رَفَعَ سَعَتَهَا فَسَوَّاهَا﴾ [١٨] ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ [١٩] ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [٢٠] ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [٢١] ﴿وَالْجِبَالُ أَوَّسَهَا﴾ [٢٢] ﴿مَنْعًا لَّكُمْ وَلَآئِنَّمِ لَكُمْ﴾ [النَّارِ: ٢٧ - ٣٣].

وغير ذلك من الآيات الكثيرة مثل ما فصل الله تَعَالَى في سورتي الأنعام والنحل وغيرهما.

والحديث عن الأرض وما أودع الله فيها من أسرار عظام لا يمكن حصره. فهؤلاء القوم كل يوم يكتشفون أموراً لم يكتشفوها من قبل، وما جهلوا من أسرار الكون أعظم وأعظم ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فُطِّلَتْ: ٥٣]؛

لأن الله تَعَالَى هو الذي أحاط بكل شيء علماً، هو الذي يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

فقد أمرنا الله عَزَّجَلَّ أَنْ نَسْتَدِلَّ بِذَلِكَ كُلَّهُ عَلَى 'عَظَمَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَقُدْرَتِهِ الْبَاهِرَةِ الَّتِي لَا تَقِفُ عِنْدَ حَدٍّ، وَلَا يَحْصِيهَا أَحَدٌ؛ فَكُلُّ مَا أَوْدَعَ اللَّهُ فِي هَذَا الْكَوْنِ يَشْهَدُ بِرُبُوبِيَّتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَأَنَّهُ الْمُسْتَحَقُّ وَحْدَهُ لِلْعِبَادَةِ، فَكَيْفَ يَعْبُدُ غَيْرَهُ وَيُبَارِزُ بِالْمَعَاصِي!

فَوَاعْجِبْ! كَيْفَ يَعْصِي الْإِلَهَ      أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُ الْجَاهِدُ  
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ      تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ  
فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَأَمَّلَ وَيَتَدَبَّرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يَقْوَى بِذَلِكَ إِيْمَانَهُ وَيَقِينَهُ، وَيَزِدَّادَ إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِ.

فهذا إمام الحنفاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقِدْوَةُ الْأَنَامِ يَسْأَلُ رَبَّهُ مَا يَقْوِي إِيْمَانَهُ، قَالَ تَعَالَى:  
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُخَيِّ الْمَوْتَى قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُنَّ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي﴾  
[البقرة: ٢٦٠]؛ أي: ليزيد إيماني؛ ولذلك استدل أهل العلم - ومنهم البخاري - بهذه الآية على 'زيادة الإيْمَانِ ونقصانه.

فالْمُؤْمِنُونَ يَزِدُّونَ إِيْمَانًا بِمِثْلِ هَذِهِ الْآيَاتِ وَالْمَخْلُوقَاتِ وَالْمَخْتَرَعَاتِ. وكثير من الكفار هداهم الله بسبب ما توصلوا إليه من إبداع الله في هذا الكون العظيم.

وقوله:

٢٥٦- «قُلْ لِلطَّبِيبِ الْفَيْلَسُوفِ بِزَعْمِهِ  
٢٥٧- أَيْنَ الطَّبِيعَةُ عِنْدَ كَوْنِكَ نُطْفَةً  
٢٥٨- أَيْنَ الطَّبِيعَةُ حِينَ عُدَّتْ عُليْقَةً  
إِنَّ الطَّبِيعَةَ عِلْمُهَا بُرْهَانٌ  
فِي الْبَطْنِ إِذْ مُشِجَتْ بِهِ الْمَاءُ  
فِي أَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِينَ تَوَانِي

- ٢٥٩- أَيْنَ الطَّبِيعَةُ عِنْدَ كَوْنِكَ مُضْغَةً  
 ٢٦٠- أَتَرَى الطَّبِيعَةَ صَوْرَتَكَ مُصَوَّرًا  
 ٢٦١- أَتَرَى الطَّبِيعَةَ أَخْرَجَتْكَ مِنْكَ  
 ٢٦٢- أَمْ فَجَرَتْ لَكَ بِاللَّبَانِ ثُدِيَّهَا  
 ٢٦٣- أَمْ صِيرَتْ فِي وَالِدَيْكَ مَحَبَّةً  
 ٢٦٤- يَا فِيلَسُوفُ لَقَدْ شُغِلْتَ عَنِ الْهَدْيِ  
 فِي أَرْبَعِينَ وَقَدْ مَضَى الْعَدَدَانِ  
 بِمَسَامِعٍ وَنَوَاطِرٍ وَبَنَانٍ  
 مِنْ بَطْنِ أُمِّكَ وَاهِي الْأَرْكَانِ  
 فَرَضَعَتْهَا حَتَّى مَضَى الْحَوْلَانِ  
 فَهُمَا بِمَا يُرْضِيكَ مُغْتَبِطَانِ  
 بِالْمَنْطِقِ الرُّومِيِّ وَالْيُونَانِيِّ

✽ في هذه الأبيات يرد الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى الفلاسفة والدهريين الطبيعيين الذين ينسبون خلق كل شيء إلى الدهر والطبيعة.

وهم على أقسام؛ منهم من يرون أن للفلك دورة تبلغ ستاً وثلاثين ألف سنة، كلما مضت هذه المدة عاد الدهر من جديد، وأنه كان يدور في حلقة مفرغة لا ينتهي إلى مدى، وهم المسمون بالفلاسفة الدوريين، فهم ينكرون أصل الخليفة والبعث من باب أولى وأحرى. وينكرون النبوات وينكرون الإله؛ والأنبياء عندهم ما هم إلا أولئك الخذاق الذين برزوا وأفاض عليهم العقل الفعال حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه من الحكمة. وعلى أية حال فهم من أكفر عباد الله.

ولا يقصد بالطبيب هنا الطبيب المتعارف عليه عند الناس، الذي يعالج المرضى، وإنما يقصد به الفيلسوف مثل ابن سينا - وإن كان جمع بين طب الأجساد والفلسفة الإلهادية في العقيدة، وغيره كالفارابي وابن عربي وابن سبعين وابن الفارض والحلاج وأمثالهم من الملاحدة. وقبلهم الفلاسفة القدامى كآرسطو وأفلاطون وسقراط وبقراط.



وقد وصف الناظم حال هؤلاء الدهريين بنسبة كل شيء إلى الطبيعة: الطبيعة فعلت، والطبيعة أوجدت، والطبيعة أوجعت... وهذا - والعياذ بالله - كفر؛ وإليه أشار القرآن في قوله تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الحجرات: ٢٤]؛ لأنهم يقولون: ما هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع. وقد شابههم في هذا العصر الماديون الشيوعيون القائلون: لا إله والحياة مادة.

ثم يتساءل الناظم تساؤل المنكر المتعجب لجهل هؤلاء ويقول للواحد منهم: هل هذه الطبيعة هي التي خلقتك من العدم بعد أن لم تكن شيئاً مذكوراً؟

بل منهم من يقول: إن الحياة هي اعتدال الطبائع الأربعة: الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة - فإذا اختلت واحدة من تلك الطبائع مات الإنسان وانتهى إلى ما لا نهاية. فهو يسألهم هنا بطريقة تدرجية متعلقة بالخلق، أي من بداية الخلق: هل الطبيعة خلقتك من العدم؟ هل الطبيعة أوجدتك من نطفة؟ أم حولتك إلى علقة؟ أم صيرتك مضغة؟ أم أنشزت عظامك؟ أم كست عظامك لحماً؟ أم صورتك فأحسنَت صورتك؟ وشقت سمعك وبصرك؟ أم أخرجتك من بطن أمك برحمة ولطف وتيسير؟ أم فجرت لك لبن أمك وألهمتها حبك والحنان عليك ورعايتك والاعتباط بخدمتك؟ أم كل ذلك تسخير من العزيز الرحيم؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ. قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩-٧٧)، أي: استبعد إعادة الله تَعَالَى - ذي القدرة العظيمة - للأجساد والعظام الرميمة، ونسي خلقه، وأن الله خلقه من العدم، فعلمه من نفسه ما هو

أَعْظَمُ مِمَّا اسْتَبَعْدَهُ وَأَنْكَرَهُ وَجَحَدَهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يَسِينَ: ٧٩].

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ۖ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۖ (٢١) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ۖ﴾؛ أي: خلق الرحم مُعَدًّا لذلك ومهيأً له، ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ۖ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ﴾ [الزَّلْزَلَةُ: ٢٠ - ٢٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الْإِنشَاء: ٢] أي: نطفة من أخلاط متفرقة، فالذي خلقه من هذه النطفة أليس بقادر على إعادته بعد موته؟ بلى، تبارك الله أحسن الخالقين.

ومما يؤسف له أن نرى بعض النظريات الإلحادية تدرّس في بعض بلاد المسلمين، مثل نظرية التطور والارتقاء التي تبناها الملحد الخبيث داروين، وأيدها من أيدها من الدهريين الماديين، وخلاصتها أن أصل الإنسان سمكة ثم تطور قردا إلى أن أصبح إنسانا بشكله الحالي، ويكفي في رد هذه الخزعبلات أن عامة البشر مفطورون على الإيمان بأن الناس خلقوا من آدم، وآدم من تراب.

وقوله:

٢٦٤- «يَافَيْلَسُوفَ لَقَدْ شَغِلْتَ عَنِ الْهُدَى بِالْمَنْطِقِ الرُّومِيِّ وَالْيُونَانِيِّ»

✽ يخاطب رَحِمَهُ اللَّهُ الفلاسفة الدهريين بأن علم الكلام والمنطق شغلهم عن هدى الله الذي جاءت به الرسل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ فالواحد منهم يولد أشياء من أشياء، ويبنى نتائج على مقدمات، ويفرع جزئيات على كليات، ويخضع ذلك كله لبعض القواعد الفلسفية التي تفضي بصاحبها إلى الشك حتى في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولذلك يروى عن بعض العلماء لما قيل له: إن الرازي قد جمع ألف دليل على وجود الله، قال: ما احتاج إلى ألف دليل حتى حصل عنده ألف شك.

وليس يصح في الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل  
كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

والفيلسوف وذا الرسول لديهم  
أما الرسول ففيلسوف عوامهم  
والحق عندهم فزيما قاله  
أفسدتم المعقول والمنقول والـ  
متفاوتان وما هما عدلان  
والفيلسوف نبىّ ذي البرهان  
أتباع صاحب منطق اليونان  
مسموع من لغة بكل لسان

وهكذا شأن كل من خرج عن الجادة، فإنه لا بد أن يضيع ويختار. ولذلك أفضت  
الفلسفة والمنطق بأهلها إلى الشك في دين الله عزَّ وجلَّ، بل إلى الإلحاد في أسمائه وصفاته، بل  
إلى الإلحاد في وجوده سُبحَانَهُ وتعالى.

وقد تقدم بعض ما عبر عنه بعض أساطين القوم من الحالة التي كان عليها بقوله:

نهاية إقدام العقول عقال  
وأرواحنا في وحشة من جسوننا  
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا  
وقال الشهرستاني:  
وأكثر سعي العالمين ضلال  
وأكثر دنيانا أذى ووبال  
سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

لعمري لقد طفت المعاهد كلها  
فلم أر إلا واضعا كف حائر  
وسيرت طرفي بين تلك المعالم  
على ذقن أو قارعا سن نادم<sup>(١)</sup>  
ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي.

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٠/٥).

## الإسلام هو دين الأنبياء والرسل قاطبة،

وأفضل تلك الأديان وأكملها دين نبينا محمد ﷺ

- ٢٦٥- وَشَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ شَرْعَةٍ  
 ٢٦٦- هُوَ دِينُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَشَرْعُهُ  
 ٢٦٧- هُوَ دِينُ آدَمَ وَالْمَلَائِكِ قَبْلَهُ  
 ٢٦٨- وَلَهُ دَعَا هُوَذَا النَّبِيُّ وَصَالِحُ  
 ٢٦٩- وَبِهِ آتَى لُوطٌ وَصَاحِبُ مَدْيَنَ  
 ٢٧٠- هُوَ دِينُ إِبْرَاهِيمَ وَابْنَيْهِ مَعًا  
 ٢٧١- وَبِهِ حَمَى اللَّهُ الذَّبِيحَ مِنَ الْبَلَاءِ  
 ٢٧٢- هُوَ دِينُ يَعْقُوبَ النَّبِيِّ وَيُونُسَ  
 ٢٧٣- هُوَ دِينُ دَاوُدَ الْخَلِيفَةِ وَابْنِهِ  
 ٢٧٤- هُوَ دِينُ يَحْيَى مَعَ أَبِيهِ وَأُمِّهِ  
 ٢٧٥- وَلَهُ دَعَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْمَهُ  
 ٢٧٦- وَاللَّهُ أَنْطَقَهُ صَبِيًّا بِالْهُدَى
- دِينُ النَّبِيِّ الصَّادِقِ الْعَدْنَانِ  
 وَهُوَ الْقَدِيمُ وَسَيِّدُ الْأَدْيَانِ  
 هُوَ دِينُ نُوحٍ صَاحِبِ الطُّوفَانِ  
 وَهُمَا لِدِينِ اللَّهِ مُعْتَقِدَانِ  
 فَكِلَاهُمَا فِي الدِّينِ مُجْتَهِدَانِ  
 وَبِهِ نَجَا مِنْ نَفْحَةِ النَّيرانِ  
 لَمَّا فَدَاهُ بِأَعْظَمِ الْقُرْبَانِ  
 وَكِلَاهُمَا فِي اللَّهِ مُبْتَلَيَانِ  
 وَبِهِ أَذَلَّ لَهُ مُلُوكُ الْجَانِ  
 نِعَمَ الصَّبِيِّ وَحَبَّذَا الشَّيْخَانِ  
 لَمْ يَدْعُهُمْ لِعِبَادَةِ الصُّلْبَانِ  
 فِي الْمَهْدِ ثُمَّ سَمَا عَلَى الصَّبِيَانِ

بين الناظم رحمه الله أن دين الإسلام الذي بعث الله به محمدًا ﷺ هو دين جميع الأنبياء قبله، وهو الدين الذي لا يقبل الله من أحد دينا سواه. قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٥].

فدين الإسلام أساسه التوحيد الذي هو محور دعوة جميع الرسل؛ فأى دين لا يقوم على التوحيد فهو دين باطل، وهذا الدين الذي أساسه توحيد الله تعالى هو الذي بعث الله به جميع الرسل.

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾  
[النحل: ٣٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا  
فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا  
بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وقال عن صالح وشعيب وهود ونوح، أنهم كلهم قالوا لقومهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا  
لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [هُود: ٦١] إلى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى.

ومثل الناظم لجميعهم بذكر بعضهم؛ لأن ذكر البعض يغني عن ذكر الكل، ولهذا  
قال ﷺ: «الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد»<sup>(١)</sup>، فمن آمن  
ببعض الأنبياء دون بعض فهو كافر في الحقيقة؛ لأن كل واحد منهم يدعو إلى الإيمان  
بالبقية، قَالَ تَعَالَى: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ  
وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فجميع الأنبياء بعثوا بدين واحد، وهو توحيد الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وإن كانت  
تفصيلات شرائعهم تختلف باختلاف أممهم وأقوامهم وحاجاتهم، فهم في أصول الدين  
متفقون، ولهذا ذكر أهل العلم أنهم متفقون في التوحيد والمعاد والنبوات؛ ولهذا قال تَعَالَى:  
﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، ولكن لما بعث الله نبينا ﷺ كان  
دينه مهيمنا على كل الأديان قبله، فلا يقبل الله من أحد بعد بعثته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ديناً  
سوى الإسلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ  
الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

(١) أخرجه البخاري [٣٤٤٣] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الْخَسِرِينَ ﴿الْعَنْزَلِ: ٨٥﴾، وَقَالَ الْعَالِي: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [الْمَائِدَة: ٤٨]، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»<sup>(١)</sup>، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا، ما وسعه إلا أن يتبعني»<sup>(٢)</sup>، وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما ينزل آخر الزمان إنما يحكم بشريعة نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَضَّلَ دِينَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ، وَجَعَلَهُ مُهِمًّا عَلَيْهَا وَخَاتَمَتَهَا وَأَكْمَلَهَا وَأَشْمَلَهَا، قَالَ الْعَالِي: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الْأَحْزَابِ: ٤٠].

بَلْ إِنْ اللَّهُ خَفَفَ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَثِيرًا مِنَ الْأَصَارِ وَالْأَغْلَالِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى الْأُمَمِ السَّابِقَةِ؛ فَدِينُ الْإِسْلَامِ هُوَ أَيْسَرُ الْأَدْيَانِ.

قَالَ عَزَّجَلَّ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَدْعُوهُمْ إِلَى مَحَدُونَةٍ، مَكْنُوبًا عَنْهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الْأَحْزَابِ: ١٥٧].

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بعثت بالحنيفية السمحاء»<sup>(٣)</sup>، وَقَالَ: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً

(١) أخرجه مسلم [١٥٣] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد [١٤٦٣١]، وأبو يعلى [٢١٣٥] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وحسنه الألباني في «المشكاة» [١٧٧].

(٣) أخرجه أحمد [٢٢٣٤٥]، والطبراني [٧٨٦٨] من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الهيثمي (٢٧٩/٥):

فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث إلى الناس عامة»<sup>(١)</sup>.

وكان الأنبياء والرسل يبعثون إلى قوم معينين وفي زمن معين، أما نبينا محمد ﷺ فقد بعث إلى الناس كافة إلى قيام الساعة؛ ولهذا جعله الله ديناً ميسراً سمحاً، لا عنت فيه ولا تقصير ولا شطط، دين لا إصر فيه ولا حرج، صالحاً لكل زمان ومكان ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فكل الأنبياء دعوا إلى أفراد الله تَخَالَى بالعبادة ونبذ عبادة من سواه، وكلهم كان يبشر بنبينا محمد ﷺ الذي يبعث آخر الزمان ويأمر قومه إن أدركوه أن يؤمنوا به ويعزروه وينصروه كما حكى الله عن عيسى أنه قال لقومه: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصافات: ٦].

فأية دعوة مهما دعا إليها الداعون ومهما زينها المزينون أو نعق بها الناعقون، إن لم تنطلق من الدعوة إلى التوحيد أولاً فهي مردودة على أصحابها، بل هي بدعة وحدث ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقوله: «هو دين رب العالمين وشرعه... وهو القديم وسيد الأديان» يعني: أن دين نبينا محمد ﷺ هو الذي ارتضاه الله وفضله وجعل شريعته شاملة كاملة تامة

<sup>=</sup> فيه على بن يزيد الألهاني، وهو ضعيف. وحسن متنه الألباني لشواهد في «الصحيحه» [٨٨١].  
(١) أخرجه البخاري [٣٣٥]، ومسلم [٥٢١] من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مهيمنة على ما سبقها من الشرائع ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقوله:

٢٦٧- «هُوَ دِينُ آدَمَ وَالْمَلَائِكِ قَبْلَهُ هُوَ دِينُ نُوحٍ صَاحِبِ الطُّوفَانِ»  
 ﴿هو دين آدم﴾ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته تشریفًا وتكريماً، وكان حنيفاً مسلماً حتى توفاه الله، واستمرت ذريته على ذلك طيلة عشرة قرون حتى اجتالتهم الشياطين وزينت لهم الشرك كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، قال: وكذلك في قراءة عبد الله: كان الناس أمة واحدة فاختلفوا»<sup>(١)</sup>؛ فبعث الله فيهم نوحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي وصفه بصاحب الطوفان الذي أغرق الله به من كذبه، وبعد أن عبدوا ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا، وبعد أن زين لهم الشيطان عبادتها قام فيهم يدعوهوم ومكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً وما آمن معه إلا قليل.

وقوله: «والملائك قبلة» أي: قبل خلق آدم؛ لأنه أول البشر وأبوهم، والملائكة موجودون قبله، وهم عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [الجن: ٦].

وقوله:

٢٦٨- «وَلَهُ دَعَا هُودُ النَّبِيُّ وَصَالِحٌ وَهُمَا لِإِذِينَ اللَّهِ مُعْتَقِدَانِ»

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢/ ١٩٤)، والحاكم [٤٠٠٩] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في «الصحيحة» [٣٢٨٩].



﴿يعني: أن هودًا عَلَيْهِ السَّلَامُ بعثه الله في قوم عاد يدعوهم إلى عبادة الله تَخَالُفًا وحده لا شريك له، وهم أصحاب الأحقاف في الصحراء وكانت قبل ذلك جنات، ومكانهم والله أعلم في الربع الخالي في وسط الجزيرة، جنوب المملكة، فكذبوا هودا فأهلكهم الله كما قال الله عنهم: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١٣٩ - ١٤٠].

وكذلك صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ بعثه الله إلى ثمود، أولئك الذين أعطوا من القوة ما أعطوا فلما استمروا على شركهم وتجبروا أخذهم الله بالصيحة أخذ عزيز مقتدر، قَالَ تَاللَّهِ إِنِّي أَنْتَ أَخَذْتُ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَثَمِينَ ﴿١٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْفَهَا إِلَّا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدَ لِثَمُودَ﴾ [هؤود: ٦٧ - ٦٨].

وقوله: «وبه أتى لوط وصاحب مدين فكلاهما في الدين مجتهدان»؛ وكذا لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ دعا قومه إلى التوحيد، ودعاهم إلى نبذ الفاحشة فأعرضوا وتولوا فأهلكهم الله بقلب قراهم عليهم، فجعل عاليها سافلها، وأتبعهم بحجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين.

كما بعث الله به شعيبًا وهو أخو مدين، حيث دعا قومه إلى التوحيد وحذرهم من الإفساد في الأرض بالتطيف في الكيل والوزن فكذبوه، فأهلكهم الله برجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴿أَلَا بُعْدَ لِمَدَيْنَ كَمَا بُعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هؤود: ٩٥].

وقوله:

٢٧٠- «هُوَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ وَابْنِيهِ مَعًا وَيَهُ نَجَا مِنْ نَضْحَةِ النَّيِّرَانِ

٢٧١- وَيَهُ حَمَى اللَّهُ الذَّبِيحَ مِنَ الْبَلَا لَمَّا فَدَاهُ بِأَعْظَمِ الْقُرْبَانِ»

❖ أي: أن الإسلام الذي أساسه التوحيد هو دين إبراهيم الخليل أبي الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وبه أنجاه الله من النار، قال الله: ﴿قُلْنَا نَارُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾

[الأنبياء: ٦٩]

وكذا ابناه إسماعيل الذبيح وإسحاق عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

وحمل الله الذبيح إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما صدق في توحيده واستسلم لأمر ربه وأذن، قال الله تَعَالَى في شأنه مع أبيه: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَتَّبِعُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١١٣﴾ وَتَدَيَّنَّهُ أَنْ يَتَّيْبَرَهُ ﴿١١٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُو الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١١٦﴾ وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٢ - ١٠٧].

وقوله:

٢٧٢- «هُوَ دِينَ يَعْقُوبَ النَّبِيِّ وَيُونُسَ وَكِلَاهُمَا فِي اللَّهِ مُبْتَلِيَانِ»

❖ كذلك يونس بن متى ويعقوب بن إسحاق عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، كل هؤلاء الأنبياء دعوا إلى توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَنَبَذَ عِبَادَةَ مَا سِوَاهُ.

ويشير بقوله: «وَكِلَاهُمَا فِي اللَّهِ مُبْتَلِيَانِ» إلى ما حصل ليعقوب من ابتلاء في الفتنة التي حصلت بين بنيه وفقده يوسف وأخيه كما قصَّ الله علينا ذلك في سورة يوسف.

وكذا يونس بن متى الذي التقمه الحوت فدعا ربه بقوله: لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فاستجاب له ربه وأنجاه فيما قصَّ الله علينا في غير ما سورة كيونس والصفات.

وقوله: «هو دين داود الخليفة وابنه وبه أذل له ملوك الجان»؛ كذلك دين داود وابنه سليمان، وقد سخر الله لداود ما سخر من الجان والطير والجبال وكل ما في الأرض بفضل توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، ودعوتها إليه. وسخر لسليمان الريح والجن يعملون له ما يشاء، وأعطاه ملكًا لم يعطه أحدًا من العالمين.

وقوله: «هو دين يحيى مع أبيه وأمه نعم الصبي وحذا الشيخان»؛ كذلك يحيى وأمه وأبوه زكريا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كلهم دعوا إلى توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، بل استشهد زكريا ويحيى في سبيل الدعوة إلى توحيد الله.

وقوله:

٢٧٥- وَلَهُ دَعَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْمَهُ      لَمْ يَدْعُهُمْ لِعِبَادَةِ الصُّلْبَانِ  
٢٧٦- وَاللَّهُ أَنْطَقَهُ صَبِيًّا بِإِهْدَى      فِي الْمَهْدِ ثُمَّ سَمَّا عَلَى الصُّبْيَانِ

✽ بين الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أنطقه الله في المهد صبيًا كما دل على ذلك القرآن والحديث. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۚ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مَرْيَمَ: ٣٠-٣٢]، وأخذ يكلمهم ويبين لهم التوحيد، ويبين لهم أن الله قد منَّ عليه بذلك، وبعد أن دعا قومه إلى ما دعت إليه الأنبياء، وهو توحيد الله تَعَالَى اتبعه من اتبعه من الحواريين، وكفر به من كفر من اليهود الذين ادعوا بعد ذلك - زورًا وبهتانًا - أنهم قتلوه وصلبوه فكذبهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النِّسَاء: ١٥٧].

فقد عاقبهم الله بنقيض قصدهم. وقد قال نَحْنَانِي فِي شَأْنِ دَعْوَتِهِ إِلَى التَّوْحِيدِ وَبِرَأْيِهِ  
 مِنْ أَهْلِ الصَّلِيبِ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَحْيَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ  
 دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي  
 نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٧﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي  
 وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
 شَهِيدٌ ﴿١١٨﴾ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٨]،  
 وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً  
 فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى  
 تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها ثم يقول أبو هريرة واقراءوا إن شئتم  
 ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾»<sup>(١)</sup>، فالآيات  
 والأحاديث دلت على إثبات نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ آخر الزمان، ولا نلتفت إلى تلك  
 المدارس العقلية التي تشكك في ذلك أو ترده على الرغم من دلالة النصوص الواضحة  
 عليه كما شككوا في غيره من المغيبات مثل المسيح الدجال ويأجوج ومأجوج والدابة،  
 بل وصل الحال ببعضهم إلى إنكار الحوض والميزان والصراط كما تقدم بيان ذلك، وقد  
 ورثوا ذلك عن المعتزلة.

وليس العجب أن يقع في هذا قليلو البضاعة في العلم الشرعي مثل محمد عبده،  
 الملقب بالإمام، وصاحب كتب «ضحى الإسلام» و«فجر الإسلام» وسيد قطب  
 والمودودي وغيرهم من الكتاب المعاصرين، وإنما العجب كل العجب، بل المصيبة  
 والرزية أن تزل قدم من اشتهر بالانتساب إلى العلم الشرعي، وعرف بالدعوة إلى

(١) أخرجه البخاري [٣٤٤٨]، ومسلم [١٥٥] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الكتاب والسنة مثل الشيخ محمد رشيد رضا رَحِمَهُ اللهُ. فالناظم رَحِمَهُ اللهُ أشار إلى قصص هؤلاء الأنبياء ليبين أنهم جميعاً دعوا باديّ ذي بدء إلى توحيد الله الخالص ونبذ الشرك والبراءة منه ومن أهله.



- ٢٧٧- وَكَمَالَ دِينِ اللَّهِ شَرْعُ مُحَمَّدٍ  
 ٢٧٨- الطَّيِّبُ الزَّاكِي الَّذِي لَمْ يَجْتَمِعْ  
 ٢٧٩- الطَّاهِرُ النَّسْوَانِ وَالْوَلَدِ الَّذِي  
 ٢٨٠- وَأَوَّلُو النُّبُوَّةِ وَالْهُدَى مَا مِنْهُمْ  
 ٢٨١- بَلْ مُسْلِمُونَ وَمُؤْمِنُونَ بِرَبِّهِمْ  
 صَلَّى عَلَيْهِ مُنَزَّلُ الْقُرْآنِ  
 يَوْمًا عَلَى زَلٍّ لَهُ أَبْوَانِ  
 مِنْ ظَهْرِهِ الزُّهْرَاءُ وَالْحَسَنَانِ  
 أَحَدٌ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِي  
 حَنْفَاءُ فِي الْإِسْرَارِ وَالْإِعْلَانِ

❖ فقلوه: «صلى عليه منزل القرآن» أي: صلى عليه الله القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الاحزاب: ٥٦]، وقال رسول الله ﷺ: «من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا»<sup>(١)</sup>.

وأكد الناظم ما سبق أن بينه من أن الله هو منزل القرآن حيث قال في أول نظمه:  
 «يا منزل التوراة والضرقان بيني وبينك حرمة القرآن»  
 ❖ ثم أخذ يبين بعض شمائل النبي ﷺ وخصائصه وشهرة ذلك، ووضوحه يغني عن التعليق عليه، وجل ما ذكر في هذه الأبيات قد تقدم شرحه وبيانه.

قوله:

- ٢٨٠- «وَأَوَّلُو النُّبُوَّةِ وَالْهُدَى مَا مِنْهُمْ  
 أَحَدٌ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِي»  
 ❖ قال الله تَعَالَى في ذلك المعنى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠].



(١) أخرجه مسلم [٣٨٤] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

## أركان الإسلام

٢٨٢- وَكَلِمَةُ الْإِسْلَامِ خَمْسُ عَقَائِدٍ وَاللَّهُ أَنْطَقَنِي بِهَا وَهَدَانِي

﴿ قوله: «.. الله أنطقني بها وهداني» في هذا الإقرار لون من ألوان العبودية، حيث يعترف بأن الله هو الذي تفضل وأنعم عليه ومن ثمَّ فهو المستحق للعبادة دون سواه. ما دام أنه هو الذي تفضل عليه وأنطقه وشتَّى سمعه وبصره وجعله سميعاً بصيراً، أنطقه الله الذي أنطق كل شيء؛ وهو الذي هداك ووفقك لسلوك الصراط السوي. فهداية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْهُ حيث تفضل على عباده بالهداية؛ ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [البَلَد: ١٠]، ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمُ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾ [الحَجَرَة: ١٧]؛... وهذه هي هداية التوفيق الخاصة بالله عَزَّ وَجَلَّ لا يشركه فيها لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، فهداية التوفيق هداية ليس لله فيها شريك، بل هي خاصة به وحده. وهناك هداية الإرشاد والدلالة والبيان، والله عَزَّ وَجَلَّ قد جعلها للأنبياء والعلماء والدعاة والمصلحين. مهمتهم الدلالة على الخير وبيانه للناس والتحذير من الشر وبيان خطورته.

ثم بدأ الناظم يبين هذه العقائد الخمس التي امتنَّ الله بها عليه وهداه إليها، بل إن هذا ما من الله به على كل مسلم، وقد تقدم تفصيل ما يتعلق بالكلام على عقائد الإسلام العظام ومبانيه الخمس، وإن كان الأولى أن يعبر الناظم بعقيدة الإسلام بدلا من قوله عقائد، لأن العقيدة الإسلامية واحدة تبنى عليها سائر الأعمال.



## ما يعملُه العباد محضوً عليهم

٢٨٣- لَا تَعْصِ رَبَّكَ قَائِلًا أَوْ فَاعِلًا فَكِلَاهُمَا فِي الصُّحُفِ مَكْتُوبَانِ

❖ نهي رَحْمَةُ اللَّهِ عَنْ ارتكاب جميع المعاصي والفواحش القولية والفعلية، ما ظهر منها وما بطن كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ٥١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَيْدَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [الحجرات: ٣٢]، وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الحجرات: ٩٠].

فالمعاصي خطيرة، لا تعص ربك، لا بقول ولا بفعل. ويدخل في المعاصي الإشراف بالله، وهو أعظمها على الإطلاق، بل هو أعظم ذنب عصي الله عَزَّ وَجَلَّ به، ويدخل في ذلك صغائر الذنوب وكبائرها، فإن كل ذلك مسجل عليك في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الأنفال: ١٠ - ١٢]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِذْ يَنْفَقُ الْمُلْتَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧ - ١٨].

فيجب تجنب المعاصي، صغيرها وكبيرها، دقيقها وجليلها، والاجتهاد في السلامة منها، والبُعد عما يؤدي إليها من الأقوال والأفعال والمعتقدات، وسد كل باب يوصل إليها أو يوقع فيها. هذا هو درب المسلم الصالح الذي يريد السلامة، ويريد طريق النجاة، والخير والهدى والرشاد. أما - والعياذ بالله - من لم يهتم بذلك فإنه يستمرئ الذنوب والمعاصي حتى إذا ما تراكت عليه أعمته عن الحق وأوبقته وأهلكته حتى يرى الحسن قبيحًا والقبيح حسنًا.

يَقْضَى عَلَى الْمَرْءِ فِي أَيَّامِ مُحَنَّتِهِ حَتَّى يَرَى حَسَنًا مَا لَيْسَ بِالْحَسَنِ



### السكوت في محله فضيلته

٢٨٤- جَمِّلْ زَمَانَكَ بِالسُّكُوتِ فَإِنَّهُ زَيْنُ الْحَلِيمِ وَسُتْرَةُ الْحَيْرَانِ

❦ لما حث الناظم رَحِمَهُ اللهُ عَلَى ترك الذنوب صغيرها وكبيرها، وأن كل أحد محاسب على ما فرط في جنب الله، وذلك لا يكون إلا بمحاسبة النفس دائماً، فيحاسب نفسه ما دام في دار الحساب؛ لأن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل، وبهذا يبقى المسلم دائماً مستعداً للقاء الله ف«من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»<sup>(١)</sup>، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحج: ٩٩].

وبعد هذا وجه الناظم المسلم إلى ما يعينه على ذلك بلزوم الصمت إلا فيما فيه خير كما قال الله تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠]، وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»<sup>(٢)</sup>، فكل شيء محاسب عليه مما يتكلم به أو يعمل به، فلا يخوضن فيما ليس له به علم.

والصمت هو إمساك اللسان الذي هو في غاية من الخطورة على صاحبه، ففيه نجاته وهلاكه، فيه سعادته وشقاوته، بل فيه موته وحياته. قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ:

احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغنك إنه ثعبان  
كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاء الأقران<sup>(٣)</sup>

وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ:

يموت الفتى من عشرة بلسانه وليس يموت المرء من عشرة الرجل

(١) أخرجه البخاري [٦٥٠٧]، ومسلم [٢٦٨٣] من حديث عباد بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [٦٠١٨]، ومسلم [٤٧] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) انظر: «ديوان الإمام الشافعي» (١/ ١٠٥).

فَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تَرْمِي بِرَأْسِهِ وَعَثْرَتُهُ فِي الرَّجْلِ تَبْرَأُ عَلَى مَهْلٍ<sup>(١)</sup>  
 وَقَبْلَ هَذَا قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْذِبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزَنِ الْقَلْبِ  
 وَلَكِنْ يَعْذِبُ بِهَذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - أَوْ يَرْحَمُ»<sup>(٢)</sup>.

فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَجَنَّبَ زَلَّاتِ اللِّسَانِ، وَأَنْ يَخْشَى مِنْهَا، وَأَنْ يُمْسِكَ لِسَانَهُ  
 إِلَّا فِيمَا يَرْجُو ذَخْرَهُ عِنْدَ اللَّهِ، وَبِخَاصَّةٍ إِذَا كَانَ كَلَامُهُ تَقُولًا عَلَى اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ، فَهَذَا مِنْ  
 أخطر الذُّنُوبِ عَلَى الْعَبْدِ، أَوْ كَانَ فِيمَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْغِيْبَةِ وَالنِّمِيمَةِ وَنَحْوِهَا، أَوْ  
 كَثْرَةُ الْقِيلِ وَالْقَالَ وَاللَّغْوِ وَمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ  
 إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الْإِسْرَاءُ: ٣٦]، وَيَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي وَصْفِ  
 عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ٣]، وَيَقُولُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ  
 لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الْقُرْآن: ٧٢].

وَفِي تَوْجِيهِ النَّبِيِّ ﷺ لِمَعَاذِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَعْدِهِ فِي الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ أَنَّهُ قَالَ لَهُ  
 بَعْدَ أَنْ بَيْنَ بَعْضُ الْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ: «... أَلَا أَخْبِرُكَ بِمَلَكَ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى  
 يَا نَبِيَّ اللَّهِ! فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، وَقَالَ: كَفَّ عَلَيْكَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! وَإِنَّا لَمُؤْخَذُونَ بِمَا  
 نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: ثَكَلَتْكَ أَمْكُ يَا مَعَاذُ! وَهَلْ يَكِبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ قَالَ:  
 عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدَ أَلْسِنَتِهِمْ»<sup>(٣)</sup>، وَفِي الصَّحِيحِ: «إِنَّ الْعَبْدَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ

(١) انظر: «العقد الفريد» لابن عبد ربه الأندلسي (١/ ٢٤٦).

(٢) أخرجه البخاري [١٣٠٤]، ومسلم [٩٢٤] من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه الطيالسي [٥٦٠]، وأحمد [٢٢٠٦٩]، والترمذي [٢٦١٦]، وابن ماجه [٣٩٧٣]، والحاكم

[٣٥٤٨] من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الترمذي: «حسن صحيح». وقال الحاكم: «صحيح

على شرط الناظمين». ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٢٠٥].

من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً»<sup>(١)</sup>.

فحفظ اللسان وعدم إطلاقه في الكذب والغيبة والنميمة وأعراض الناس والسب والشتم والاستهزاء بالدين والنيل من السنة وأهلها والنيل ممن يدعو إلى السنة والعقيدة الصحيحة كما يفعل بعض أصحاب الاتجاهات المنحرفة، فإن ذلك كله من أوجب الواجبات، والتهاون فيه خطورة عظيمة على المسلم في أمر دينه ودنياه؛ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»<sup>(٢)</sup>.

فالسكوت زين للمسلم في أفراحه وأتراحه، وفي عسره ويسره، وفي جميع أحواله. وقوله: «زين الحليم وسترة الحيران» أي: أن الصمت يزين المرء ويجمله ويجنبه العثرات كما أن فيه ستر عيوبه حال جهله.

قال الشاعر:

الصمت زين والسكوت سلامة      فإذا نطقت فلا تكن مهذاراً<sup>(٣)</sup>  
وقال آخر:

الصمت زين للفتى      يكرمه حيث أتى



(١) أخرجه البخاري [٦٤٧٨]، ومسلم [٧٤٨٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) تقدم تخريجه في ص: [٤٠٣].

(٣) انظر: «جواهر الأدب» لأحمد الهاشمي (٢/ ٦٥).

## توقي الفتن مطلب شرعي

- ٢٨٥- كُنْ حِلْسَ بَيْتِكَ إِنْ سَمِعْتَ بِفِتْنَةٍ      وَتَوَقَّ كُلَّ مُنَافِقٍ فَتَانٍ  
٢٨٦- أَدِّ الْفَرَائِضَ لَا تَكُنْ مُتَوَانِيًا      فَتَكُونَ عِنْدَ اللَّهِ شَرًّا مُهَانٍ

✽ المجلس في الأصل يطلق على البساط الخفيف الذي يجلس عليه الناس أو يلتحفونه، والذي لا يفارق البيت.

والمقصود: أنك تلزم بيتك عند حدوث الفتن التي أخبر النبي ﷺ أنها ستقع لا محالة وأنها تموج كموج البحر حيث قال حذيفة لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لما سأله عن الفتن التي تموج كموج البحر، والحديث في الصحيح، وقال رسول الله ﷺ: «ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي من تشرف لها تستشرفه ومن وجد فيها ملجأ فليعذب به»<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ: «بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا»<sup>(٢)</sup>.

فلا تضيع نفسك بالجريان خلفها ولو بأدنى مشاركة فيها حتى تسلم من شرها؛ ولذلك لما ذكر النبي ﷺ لحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما يكون من الفتن وظهور الشر قال: «فما تأمرني إن أدركني ذلك قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قال: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام، قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري [٣٦٠١]، ومسلم [٢٨٨٦] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم [١١٨] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري [٣٦٠٦]، مسلم [١٨٤٧] من حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فلنجهتهد في السلامة من هذه الفتن، والتي ينتشر منها الكثير في هذه الأزمنة المتأخرة، وإن كان الخير باقياً - والله الحمد والمنة -، والإسلام عزيز - ولا سيما في هذه البلاد المباركة التي تحكم شرع الله - عقيدة وسلوكاً وآداباً وأخلاقاً وعبادة ومنهج حياة، على الرغم من نعيق الناعقين، وصياح الموتورين من دعاة الفتنة والمروق من الدين من المفرطين أو المفرطين. فيجب على المسلم أن يتجنب الفتن كلها؛ لأن ضررها وشرها لا يقتصر على أصحابها، بل يتعداهم إلى غيرهم، فيهلك الحرث والنسل. وانظر - يا رعاك الله - إلى ما صدر به الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ كتاب الفتن من صحيحه حيث أورد عن سفيان بن عيينة عن خلف بن حوشب - أحد التابعين - أنه قال: «كانوا يستحبون أن يتمثلوا بأبيات امرئ القيس أو عمرو بن معديكرب عند ظهور الفتن.

والحرب أول ما تكون فتية      تسعى بزينتها لكل جهول

حتى إذا اشتعلت وشب ضرامها      ولت عجوزا غير ذات حليل

شمطاء ينكر لونها وتغيرت      مكروهة للشم والتقبيل

وقد قال الله تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُضِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥]. فتجنبوا الفتن كلها - عباد الله - واحذروا منها بالاعتصام

بكتاب الله تَعَالَى وسنة رسوله ﷺ ولزوم جماعة المسلمين وعلماء السنة.

وما أفقه الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ في ترتيب كتب صحيحه، حيث جعل كتاب

الاعتصام بالكتاب والسنة وكتاب التوحيد بعد كتاب الفتن مباشرة لينبه على أنه

لا تكون النجاة من الفتن إلا بالتوحيد والاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وما يجب الانتباه له ما يقوم به بعض الموتورين والمغرضين وقليلي الحياء من غمز

لعلماء الأمة وولادة أمرها، ومن الكلام على المستقيمين على المنهج السلفي القويم، من

مستغل للنقص أو التقصير في بعض الأمور ممن يصطاد في الماء العكر ممن ينادي بالإلحاد والعلمنة، والتنكر للدين، ومن ينادي بمسح مناهج التعليم ونحو ذلك. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِوةِ الْأُولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعِ مَا شِئْتَ»<sup>(١)</sup>.

لكننا على ثقة من أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى سيقمعهم ويرد كيدهم في نحورهم وسيخرس ألسنتهم وأقلامهم التي تتزعم الآن الدعوة إلى المنكرات والتنكر للدين ومبادئه ومحاولة إيذاء من يلتزم بالسنة أو يدعو إليها.

فيجب على المسلمين وبخاصة علماء السنة وطلاب العلم أن يضيقوا الهوة فيما بينهم، ويتركوا الخلاف، وأن يقطعوا الطريق على هؤلاء اللصوص الذين يصطادون في الماء العكر ويتلاحموا مع علمائهم وولاة أمرهم مدافعين عن دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، رافعين لراية التوحيد، مقبلين غير مدبرين، مجتهدين في ذلك بما يرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ولهذا قال الناظم: «وتوقَّ كل منافق فتان» لأنه عند الفتن تشرب أعناق المنافقين والمفتونين ليردوا الناس في أوحالها ونارها ﴿لِيرُدُّوهُمْ وَلَيْسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٧].

وكذلك يجب أن نقف مع ولادة أمورنا نسددهم وندعو لهم وننصح لهم ونذب عن أعراضهم، فإن هذا من علامات أهل السنة والجماعة؛ والوقية فيهم أو الخروج عليهم من علامات أهل البدعة والضلال والإلحاد والخيانة.

ونسأل الله تَعَالَى أن يجنبنا الفتن، ما ظهر منها وما بطن، عن بلادنا خاصة وعن سائر بلاد المسلمين عامة.

(١) أخرجه البخاري [٦١٢٠] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

### والمأمل لحال الفتن يجدها قسمين:

فهناك فتن خفيفة يستطيع أن يقاومها وأن يطفئها وأن يشارك في وقاية المجتمع المسلم منها وحمايته من أثارها. وفي هذا الحال لا يعذر في ترك اتخاذ الطريق الذي يستطيع به معالجتها وفق المعايير الشرعية؛ هذا إذا كان قادراً على شيء مما يطفئ به تلك الفتن أو التخفيف منها مع تحمل أخف الضررين. أما إذا عمت الفتن وطمت، فلا شك أنه والحال هذه ينبغي له أن يلزم بيته كما وجه الناظم. ولذلك قال: «كن حلس بيتك»، فكن ملازماً لبيتك حال ظهور الفتن التي لا تستطيع أن تسهم في إطفائها وعلاجها.

وهذا ما فعله بعض الصحابة عندما كثرت الفتن حتى إن علياً رضي الله عنه أثنى عليهم في ذلك؛ ومنهم عبد الله بن عمر وأبو بكر وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم وغيرهم من الصحب الكرام. وهذا هو الذي ينبغي؛ لأن الفتن أحياناً عندما تكثر وتتوالى وتموج كموج البحر يرقق بعضها بعضاً.

وقد بين الناظم أن لزوم البيت حال الفتن لا يفهم منه التهاون في أداء الفرائض، بل إن أدائها جماعة من أعظم وسائل السلامة من الفتن، فإن الفرائض أحب الأعمال إلى الله. قال صلى الله عليه وسلم: «فيا يرويه عن الله تعالى: «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه»<sup>(١)</sup>، ويقول عليه الصلاة والسلام: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها»<sup>(٢)</sup>؛ فالواجب على المسلم أن يحافظ على الفرائض فإنها هي المعتصم من الوقوع في الفتن والآثام.

(١) أخرجه البخاري [٦٥٠٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الدارقطني في «السنن» [٤٢] والحاكم [٧١١٤]، والبيهقي [٢٠٢١٧] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص ٢٧٥): حديث حسن. ووافقه النووي في «رياض الصالحين» (٣٠٩/٢).

## فضل السواك والوضوء وتفصيل أعمال الوضوء

### والرد على المنحرفين عن السنة فيه

٢٨٧- أَدِمِ السَّوَاكَ مَعَ الْوُضُوءِ فَإِنَّهُ مُرْضِي الْإِلَهِ مُطَهِّرُ الْأَسْنَانِ

❖ السواك هو: عود الأراك وبخاصة الرطب منه، ويطلق على كل ما ينظف به الفم، وهو: «مطهرة للفم مرضاة للرب»<sup>(١)</sup>، كما أخبر الصادق المصدوق عليه السلام.

فأمر الناظم بالمداومة على السواك في كل وقت، ويتأكد ذلك عند كل صلاة وعند كل وضوء، وعند القيام من النوم وبعد الطعام، وهو من أفضل الأعمال التي يحبها الله تعالى، ومن السنن المؤكدة. ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يستاك عند كل صلاة ويقول: «لولا أن أشق على المؤمنين - أو على أمتي - لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»<sup>(٢)</sup>، وعند البخاري: «أكثرت عليكم في السواك»<sup>(٣)</sup>، و«كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يشوص»<sup>(٤)</sup> فاه بالسواك»<sup>(٥)</sup>، ولما سئلت أمنا عائشة رضي الله عنها عن أول عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل بيته قالت: «كان إذا دخل يبدأ بالسواك»<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه أحمد [٢٤٢٠٣] والنسائي [٥] وابن ماجه [٢٨٩] وابن خزيمة [١٣٥] وابن حبان [١٠٦٧] من حديث عائشة رضي الله عنها.

قال النووي في «رياض الصالحين» (٢/٥٦): «رواه النسائي وابن خزيمة في صحيحه بأسانيد صحيحة». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٣٦٩٥].

(٢) أخرجه مسلم [٢٥٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري [٨٨٨] من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) أي: يذلك أسنانه ويُنقيها.

(٥) أخرجه البخاري [٢٤٥] من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٦) أخرجه أحمد [٢٥٤٨٧]، وابن أبي شيبة [١٧٨٥]، وابن ماجه.



ومن الدلائل على 'تأكيد سنية السواك أن النبي ﷺ فعله حتى' في آخر لحظة من لحظات حياته حيث أمر أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن تناوله سواكا فلينته وطيبته ودفعته إليه فاستن به كما في الصحيح<sup>(١)</sup>.

هذا يدل على 'سنية السواك وأهميته وكونه من أفضل الأعمال وأكدها. وقد زهد بعض الناس فيه ورغبوا عنه واستبدلوه بالمعاجين والمساحيق الحديثة، والتي أكد الأطباء وذوو الخبرة أنها لا تغني عن السواك، الأمر الذي حدا بهم إلى 'صنع معاجين تتضمن نسبة من الأراك؛ لأنه قد ثبت طبيا أن فيه مادة تقوي الأسنان واللثة.

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ للسواك كثيرا من الفوائد تنظر في «الهدي النبوي».



(١) أخرجه البخاري [٤٤٣٨] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٢٨٨- سَمَّيْنَا الْإِلَهَ لَدَى الْوُضُوءِ بِنِيَّةٍ  
 ٢٨٩- فَأَسَّاسُ أَعْمَالِ الْوَرَى نِيَّاتُهُمْ  
 ٢٩٠- أَسْبَغْ وَضُوءَكَ لَا تَفَرِّقْ شَمْلَهُ  
 ٢٩١- فَإِذَا انْتَشَقْتَ فَلَا تَبَالِغْ جَيِّدًا  
 ٢٩٢- وَعَلَيْكَ فَرَضًا غَسْلُ وَجْهِكَ كُلِّهِ  
 ٢٩٣- وَاغْسِلْ يَدَيْكَ إِلَى الْمِرْفَاقِ مُسْبِغًا  
 ٢٩٤- وَامْسَحْ بِرَأْسِكَ كُلَّهُ مُسْتَوْفِيًا  
 ٢٩٥- وَكَذَا التَّمَضُّضُ فِي وَضُوءِكَ سُنَّةٌ  
 ٢٩٦- وَالْوُجْهُ وَالْكَفَّانِ غَسْلُ كُلِّهِمَا  
 ٢٩٧- غَسْلُ الْيَدَيْنِ لَدَى الْوُضُوءِ نَظَافَةٌ  
 ٢٩٨- سِيمًا إِذَا مَا قُمْتَ فِي غَسَقِ الدُّجَى  
 ٢٩٩- وَكَذَلِكَ الرَّجُلَانِ غَسْلُهُمَا مَعًا  
 ٣٠٠- لَا تَسْتَمِعْ قَوْلَ الرَّوَافِضِ إِنَّهُمْ  
 ٣٠١- يَتَأَوَّلُونَ قِرَاءَةَ مَنْسُوخَةٍ  
 ٣٠٢- إِحْدَاهُمَا نَزَلَتْ لِتَنْسَخَ أُخْتَهَا  
 ٣٠٣- غَسَلَ النَّبِيُّ وَصَحْبُهُ أَقْدَامَهُمْ  
 ٣٠٤- وَالسُّنَّةُ الْبَيْضَاءُ عِنْدَ أُولَى النَّهْيِ

ثُمَّ اسْتَعَدَّ مِنْ فِتْنَةِ الْوَلَهَانِ  
 وَعَلَى الْأَسَاسِ قَوَاعِدُ الْبُنْيَانِ  
 فَالْفُورُ وَالْإِسْبَاحُ مُفْتَرَضَانِ  
 لَكِنَّهُ شَمٌّ بِلا إِمْعَانِ  
 وَالْمَاءُ مَتَّبِعٌ بِهِ الْجَفْنَانِ  
 فَكِلَاهُمَا فِي الْغَسْلِ مَدْخُولَانِ  
 وَالْمَاءُ مَمْسُوحٌ بِهِ الْأُذُنَانِ  
 بِالْمَاءِ ثُمَّ تَمَجُّهُ الشَّفَتَانِ  
 فَرَضٌ وَيَدْخُلُ فِيهِمَا الْعِظْمَانِ  
 أَمَرَ النَّبِيُّ بِهَا عَلَى اسْتِحْسَانِ  
 وَاسْتَيْقَظَتْ مِنْ نَوْمِكَ الْعَيْنَانِ  
 فَرَضٌ وَيَدْخُلُ فِيهِمَا الْكَعْبَانِ  
 مِنْ رَأْيِهِمْ أَنْ تُمَسَّحَ الرَّجُلَانِ  
 بِقِرَاءَةٍ وَهُمَا مُنْزَلَتَانِ  
 لَكِنْ هُمَا فِي الصُّحُفِ مُثَبَّتَتَانِ  
 لَمْ يَخْتَلِفْ فِي غَسْلِهِمْ رَجُلَانِ  
 فِي الْحُكْمِ قَاضِيَةٌ عَلَى الْقُرْآنِ

❖ بعد أن حثَّ الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى السَّوَاكِ، الَّذِي هُوَ مِنْ سُنَنِ الْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ،

وَرَغِبَ فِيهِ بَيْنَ وَجُوبِ التَّسْمِيَةِ فِي الْوُضُوءِ، وَهَذَا مَعَ الذِّكْرِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ الْوُضُوءَ بَنِيَّةً

التقرب إلى الله؛ لأنه عبادة، والنية شرط في صحة العبادة؛ فشأنه شأن الصلاة وغيرها من العبادات، قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»<sup>(١)</sup>.

وقد لخص الناظم صفة الوضوء، ولعله يكفي في شرح هذه الآيات الواضحة صفة وضوء النبي ﷺ وفق ما جاء في حديث عثمان وعبد الله بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فعن حمران مولى عثمان «أن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دعا بوضوء فتوضأ فغسل كفيه ثلاث مرات ثم مضمض واستنثر ثم غسل وجهه ثلاث مرات ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاث مرات ثم غسل يده اليسرى مثل ذلك ثم مسح رأسه ثم غسل رجله اليمنى إلى الكعبين ثلاث مرات ثم غسل اليسرى مثل ذلك ثم قال رأيت رسول الله ﷺ توضأ نحو وضوئي هذا ثم قال رسول الله ﷺ: «من توضأ نحو وضوئي هذا ثم قام فركع ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه»<sup>(٢)</sup>، وعن عبد الله بن زيد الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قيل له: توضأ لنا وضوء رسول الله ﷺ، فدعا بإناء فأكفأ منها على يديه فغسلهما ثلاثاً ثم أدخل يده فاستخرجها فمضمض واستنشق من كف واحدة ففعل ذلك ثلاثاً ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل وجهه ثلاثاً ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل يديه إلى المرفقين مرتين مرتين ثم أدخل يده فاستخرجها فمسح برأسه فأقبل بيديه وأدبر ثم غسل رجليه إلى الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>، وعن نعيم بن عبد الله المجرم أنه رأى أبا هريرة يتوضأ فغسل وجهه ويديه حتى كاد يبلغ المنكبين ثم غسل رجليه حتى رفع إلى الساقين

(١) تقدم تخريجه في ص: [٦٤].

(٢) أخرجه البخاري [١٥٩]، ومسلم [٢٢٦].

(٣) أخرجه البخاري [١٨٥]، ومسلم [٢٣٥].

ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أمتي يأتون يوم القيامة غرا محجلين من أثر الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل»<sup>(١)</sup>.

وقوله:

٢٩٠- «أَسْبَغْ وَضُوءَكَ لَا تُفَرِّقْ شَمْلَهُ فَالْضَّوْرُ وَالْإِسْبَاحُ مُفْتَرَضَانِ  
٢٩١- فَإِذَا انْتَشَقْتَ فَلَا تُبَالِغْ جَيِّدًا لَكِنَّهُ شَمٌّ بِلاَ إِمْعَانٍ»

❖ السنة إسباغ الوضوء كما قال رسول الله ﷺ في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَلَا أَدْلِكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ...»<sup>(٢)</sup>، وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديث لقيط بن صبرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَسْبَغِ الْوُضُوءَ، وَخَلَّلْ بَيْنَ الْأَصَابِعِ، وَبَالِغْ فِي الْاسْتِنْشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا»<sup>(٣)</sup>، لكن ثبت أن النبي ﷺ توضأ مرة مرة<sup>(٤)</sup>، ومرتين مرتين<sup>(٥)</sup>، وثلاثًا ثلاثًا، فدلّ هذا على أن الإسباغ ليس من باب الوجوب مطلقًا كما ذكر الناظم؛ لأن منه ما هو مفترض - وهو تروية الأعضاء المفترضة ولو بغسلة واحدة - ومنه ما هو مسنون، وذلك بالزيادة على الغسلة الواحدة إلى ثلاث.

وفي الحديث أيضًا النص على أن السنة هي المبالغة في الاستنشاق إلا في حال الصوم خلاف ما ذكر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ.

(١) أخرجه مسلم [٢٤٦].

(٢) أخرجه مسلم [٢٥١].

(٣) أخرجه أبو داود [١٤٢]، والترمذي [٧٨٨]، والنسائي [١١٤]، وابن ماجه [٤٤٨]. وقال الترمذي:

«حديث حسن صحيح». وصححه الألباني في صحيح أبي داود [١٣٠].

(٤) أخرجه البخاري [١٥٧] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٥) أخرجه البخاري [١٥٨] من حديث عبد الله بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ونبه على وجوب الترتيب بقوله «لا تفرق شمله»، وعلى وجوب الموالاة بقوله: «فالفور والإسباغ مفترضان».

وثبت في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ»، قال أبو هريرة: فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل<sup>(١)</sup>.

وقوله: «شم بلا إمعان» أي: إدخال الماء إلى الأنف بلا مبالغة، وهذا إنما يكون في حق الصائم لا المفطر كما تقدم في الحديث.

وقوله:

٢٩٢- «وَعَلَيْكَ فَرَضًا غَسْلُ وَجْهِكَ كُلِّهِ وَالْمَاءُ مَتَّبِعٌ بِهِ الْجَفْنَانِ»  
 هكذا يرى قلة من العلماء يرحمهم الله، ولكن السنة هي إمرار الماء على الوجه كاملاً من غير تتبع للأجفان.

وقوله:

٢٩٥- «وَكَذَا التَّمْضِمْضُ فِي وُضُوءِكَ سُنَّةٌ بِالْمَاءِ ثُمَّ تَمُجُّهُ الشَّفَتَانِ»  
 فهذا محل نظر، ولعل الراجح هو وجوب المضمضة لحديث: «إذا تَوَضَّأْتَ فَمَضْمُضٌ»<sup>(٢)</sup> ونحوه، ولما تقدم من صفة وضوء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهديه في ذلك.

وقوله:

٢٩٧- «غَسْلُ الْيَدَيْنِ لَدَى الْوُضُوءِ نَظَافَةٌ»      أَمَرَ النَّبِيُّ بِهَا عَلَى اسْتِحْسَانِ  
 ٢٩٨- «سِيمًا إِذَا مَا قُمْتَ فِي غَسَقِ الدُّجَى»      وَاسْتَيْقَظْتَ مِنْ نَوْمِكَ الْعَيْنَانِ

(١) أخرجه البخاري [١٣٦]، ومسلم [٢٤٦] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود [١٤٤]، والبيهقي [٢٤٠]. وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» [١٣٠].

❖ فهذا فيه نظر أيضاً، والصواب التفريق بين غسل اليدين للوضوء وغسلهما عند القيام من النوم، فيستحسن في الأول ويجب في الثاني؛ لحديث «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً فإنه لا يدري أين باتت يده»<sup>(١)</sup>.

وقوله:

٢٩٩- وَكَذَلِكَ الرَّجُلَانِ غَسَلُهُمَا مَعًا  
 ٣٠٠- لَا تَسْمِعْ قَوْلَ الرَّوَافِضِ إِنَّهُمْ  
 ٣٠١- يَتَأَوَّلُونَ قِرَاءَةَ مَنْسُوخَةٍ  
 ٣٠٢- إِحْدَاهُمَا نَزَلَتْ لِتَنْسَخَ أُخْتَهَا  
 ٣٠٣- غَسَلَ النَّبِيُّ وَصَحْبُهُ أَقْدَامَهُمْ  
 ٣٠٤- وَالسُّنَّةُ الْبَيَضَاءُ عِنْدَ أُولَى النَّهْيِ  
 فَرَضٌ وَيَدْخُلُ فِيهِمَا الْكَعْبَانِ  
 مِنْ رَأْيِهِمْ أَنْ تُمَسَحَ الرَّجُلَانِ  
 بِقِرَاءَةٍ وَهُمَا مُنْزَلَتَانِ  
 لَكِنْ هُمَا فِي الصُّحُفِ مُثَبَّتَانِ  
 لَمْ يَخْتَلَفْ فِي غَسْلِهِمْ رَجُلَانِ  
 فِي الْحُكْمِ قَاضِيَةٌ عَلَى الْقُرْآنِ

❖ نبه رحمه الله إلى الحذر من طريقة فهم الرافضة المنحرفة الضالة في شعائر الإسلام ومبانيه العظام، وبخاصة في الوضوء فإنهم يكتفون بمسح الرجلين ولا يصح لهم وضوء بذلك. كيف والرسول ﷺ يقول: «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ»<sup>(٢)</sup>. وقد تقدم أن هديه ﷺ في الوضوء غسل الرجلين إلى الكعبين، ورواية غسل رجليه حتى رفع إلى الساقين كما تقدم. وقال ﷺ كما في الصحيحين «ويل للأعقاب من النار»<sup>(٣)</sup>، وفي رواية السنن «ويل للأعقاب وبطن الأقدام من النار»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري [١٦٢]، ومسلم [٢٧٨] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [٦٩٥٤] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري [٦٠]، ومسلم [٢٤١] من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) أخرجه أحمد [١٧٧٤٣]، وابن حزيمة [١٦٣]، والطبراني (١/٢٤٠)، والهيثمي (١/٢٤٠)، والدارقطني

[١]، والحاكم [٥٨٠]، والبيهقي [٣٣١]، والديلمي [٧١٣٩].

وذكر الناظم رَحِمَهُ اللهُ أَنْ الروافض اعتمدوا في الاكتفاء بالمسح على 'قراءة منسوخة؛ وبيان ذلك أن قراءة ابن عامر (وَأَرْجُلُكُمْ) بالخفض ثابتة، وقد وجهها أهل العلم بأنه عطف على 'المحل في الإعراب لا في الحكم حيث إن الحكم قد بينته السنة، ومعلوم أن السنة مبينة للقرآن وشارحة له، وبعض أهل العلم حمل قراءة الخفض على 'المسح على 'الخفين، وهذا بَيِّنٌ - والله الحمد -.

وأما زعم الرافضة بأن هذا مذهب الإمام ابن جرير الطبري، فهذا تلبيس على 'من ليس لديه علم من أهل السنة، بيد أنهم يعنون بالطبري أحد أئمتهم وليس الحافظ ابن جرير الطبري صاحب التفسير المشهور، بل لا يوجد في تفسيره الذي عول فيه على 'الأثر شيء مما زعموا، ولا حاجة إلى 'دعوى النسخ التي ذكرها الناظم بعد هذا التوجيه الذي ذكره العلماء لقراءة ابن عامر رَحِمَهُ اللهُ.

وقوله:

٣٠٤- وَالسُّنَّةُ أُنْبِيَاءُ عِنْدَ أُولِي النُّهَى فِي الْحُكْمِ قَاضِيَةٌ عَلَى الْقُرْآنِ؛  
 ❀ أي: عند أصحاب العقول النيرة، المستنيرة بالشرع المعتمدة على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

ويشير رَحِمَهُ اللهُ إلى القاعدة الأصولية المعروفة من أن السنة تنسخ القرآن وتوضحه، وهذا هو الحق الذي عليه المحققون من أهل الأصول والسنة، الذين عناهم الناظم بقوله: «عند أولي النهى»، فالسنة توضح القرآن؛ تفسر مجمله وتفيد مطلقه وتخصص عمومه، والكل وحي من الله ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [الحجرات: ٤]، وقال رسول الله ﷺ: «ألا وإنني أوتيت القرآن ومثله معه»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري [٦٩٥٤] من حديث أبي هريرة رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ.

## من أحكام المسح على الخفين

- ٣٠٥- فَإِذَا اسْتَوَتْ رِجْلَاكَ فِي خُفَّيْهِمَا وَهُمَا مِنَ الْأَحْدَاثِ طَاهِرَتَانِ  
 ٣٠٦- وَأَرَدْتَ تَجْدِيدَ الطَّهَارَةِ مُحْدِثًا فَتَمَامُهَا أَنْ يُمَسَّحَ الْخُفَّانِ  
 ٣٠٧- وَإِذَا أَرَدْتَ طَهَارَةَ لِحْنَابَةٍ فَلْتُخْلَعَا وَلْتُغْسَلَ الْقَدَمَانِ

✽ لما فرغ الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ من الوضوء وأحكامه شرع في ذكر أحكام المسح على الخفين؛ وبين أنه إذا أدخلت رجلتك في خفيك وأنت على طهارة تامة، من الحدين الأكبر والأصغر، جاز لك المسح على الخفين ومثلها الجوربان الساتران على الصحيح.

والمقصود بالخفين: ما يلبس على الرجلين من جلد ونحوه كالجوربين، وكان الملبوس ساترا ومغطيا لمحل الفرض وهو الكعبان؛ لحديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كنت مع النبي ﷺ في سفر فأهويت لأنزع خفيه، فقال: «دعهما، فإنني أدخلتهما طاهرتين فمسح عليهما»<sup>(١)</sup>. ولحديث صفوان بن عسال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إذا كنا مع رسول الله ﷺ في سفر أمرنا أن لا ننزعه ثلاثاً إلا من جنابة ولكن من غائط وبول ونوم»<sup>(٢)</sup> ولذلك قال: «فلتخلعا ولتغسل القدمان»؛ ويمسح ظاهر الخف دون باطنه لأثر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه وقد رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظاهر خفيه»<sup>(٣)</sup>.

- (١) أخرجه البخاري [٢٠٦]، ومسلم [٢٧٤] من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.  
 (٢) أخرجه الترمذي [٩٦]، والنسائي [١٢٧]، وابن ماجه [٤٧٨]. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وصححه الألباني في «الإرواء» [١٠٤].  
 (٣) أخرجه أبو داود في «سننه» [١٦٢٦]، والدارقطني في «سننه» [٧٣] والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢٩٢/١) عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الحافظ ابن حجر في «التلخيص»: «وإسناده صحيح». وقال في «بلوغ المرام»: «أخرجه أبو داود بإسناد حسن». وقال الألباني: «والصواب الأول كما ذكرت في «صحيح أبي داود»، رقم: [١٥٣].



والمسح على الخفين هو هدي النبي ﷺ من قوله وفعله وتقريره كما ثبت المسح على الجوربين في عدة أحاديث وأثار عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وهذا فيه تيسير وتخفيف على هذه الأمة، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٧٨].

وهو دليل على سماحة هذه الشريعة ورفع الحرج عنها والتيسير على أهلها؛ فليس في شرعنا تكاليف غير مقدور عليها، بل كلها يسيرة لمن يسرها الله عليه إلا على الكسالى والمنافقين كما قال الله عَزَّجَلَّ في حق الصلاة ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٦].

وهنا وقفة حيث ذكر جمعٌ من أئمة السلف الذين ألفوا في العقيدة مسألة المسح على الخفين ضمن ما يجب اعتقاده رداً على من خالف في ذلك من أهل الأهواء من الرافضة والمعتزلة ومن شابههم حتى صار المسح على الخفين من شعار أهل السنة وعلاماتهم التي تميزهم عن المبتدعة.

فالمسألة مسألة دين وتعبد، ليس لنا أن نغير ولا أن نبذل في شرع الله عَزَّجَلَّ، فما جاء في كتاب الله تَعَالَى وسنة رسوله ﷺ ليس للمسلم تغييره ولا تبديله ولا النظر في شيء خالفه، وإنما يمثل ويسلم، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٥١) وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [التوبة: ٥١ - ٥٢].

وقوله:

٣٠٧- وَإِذَا أَرَدْتَ طَهَارَةً لِّجَنَابَةٍ فَلتُخْلَعَا وَلتُغْسَلِ الْقَدَمَانِ؛  
 \* يبين أن المسح على الخفين يبقى المدة المقررة ما لم يكن هناك حدث أكبر وهو  
 الجنابة أو الحيض في حق النساء؛ أما إذا انتقض الوضوء بحدث أصغر فإنه يمسح يوماً  
 وليلة للمقيم وثلاث ليال بأيامهن للمسافر كما هو هدي النبي ﷺ، ولا ينتقض  
 المسح إلا إذا أجنب أو حاضت المرأة. فإذا أجنب لزمه غسل الرجلين، سواء كانت الجنابة  
 من جماع أو احتلام فإنه والحال هذه يخلع الخفين فيغتسل ويتوضأ ثم إن شاء يمسح بعد  
 ذلك.



### غسل الجنابة

- ٣٠٨- غُسِلَ الْجَنَابَةُ فِي الرَّقَابِ أَمَانَةً  
 ٣٠٩- فَإِذَا ابْتَلَيْتَ فَبَادِرَنَّ بِغَسْلِهَا  
 ٣١٠- وَإِذَا اغْتَسَلْتَ فَكُنْ لِحِسْمِكَ دَالِكًا  
 ٣١١- وَإِذَا عَدِمْتَ الْمَاءَ فَكُنْ مُتِمِّمًا  
 ٣١٢- مُتِمِّمًا صَلَّيْتَ أَوْ مُتَوَضِّئًا  
 ٣١٣- وَالْغُسْلُ فَرَضٌ وَالتَّدْلُكُ سُنَّةٌ  
 فَأَدَاؤُهَا مِنْ أَكْمَلِ الْإِيمَانِ  
 لَا خَيْرَ فِي مُتَثَبِّطٍ كَسَلَانَ  
 حَتَّى يَغُمَّ جَمِيعَهُ الْكَفَّانِ  
 مِنْ طَيِّبٍ تُرْبِ الْأَرْضِ وَالْجُدْرَانِ  
 فَكِلَاهُمَا فِي الشَّرْعِ مُجْزِيَتَانِ  
 وَهُمَا بِمَذْهَبِ مَالِكٍ فَرَضَانِ

✽ من موجبات الغسل: الجنابة، وهي خروج المني دفقا بلذة، سواء كان بجماع أو مباشرة أو احتلام أو استمناء أو نظر أو نحو ذلك.

وموجبها أحد أمرين: أولاً- خروج المني بلذة بأي طريقة كانت.

ثانياً- التقاء الختانين ولو لم يحصل إنزال؛ لقول النبي ﷺ: «إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل وإن لم ينزل»<sup>(١)</sup>، وقوله: «إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل، أنزل أو لم ينزل»<sup>(٢)</sup>، والحديثان مخصصان؛ لحديث «إنما الماء من الماء»<sup>(٣)</sup>. وقد نص الناظم على أن غسل الجنابة أمانة، أي: لا بد من أدائه، فهو إذا فرض ولازم، وهو من كمال الإيمان الواجب.

فإذا حصلت الجنابة على نحو مما ذكر بادر المسلم إلى الاغتسال دون توان أو كسل.

(١) أخرجه البخاري [٢٩١] ومسلم [٣٤٨] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي [١٠٨] وابن ماجه [٦٠٨] وابن حبان [١١٨٣] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٣٨٥].

(٣) أخرجه البخاري [٢٩١] ومسلم [٨٠١] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد نص الناظم على 'الدلك حتى' يعم الماء جميع أجزاء البدن، والصحيح أن الدلك سنة لا واجب كما ذكر الناظم، فيجزئ في الغسل إفاضة الماء حتى 'يعم البدن؛ لحديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إنما يكفيك أن تحثي على رأسك ثلاث حثيات ثم تفيضين عليك الماء فتطهرين»<sup>(١)</sup>، وإن كان الأكمل هو الدلك.

ثم بين رَحِمَهُ اللَّهُ أنه عند فقد الماء أو العجز عن استعماله أنه يجزئه التيمم من الحدثين الأكبر والأصغر، وذلك لقول الله تَعَالَى: ﴿وَأِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطَهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَايَةِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦]، ولحديث عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ<sup>(٢)</sup>.

وأشار الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ إلى وجوب الدلك في مذهب مالك رَحِمَهُ اللَّهُ مرجحاً أنه سنة، وهو الصواب إن شاء الله تَعَالَى.

وهنا وقفات يجدر التنبيه عليها:

الوقفة الأولى: أنه يحظر على الجنب الصلاة والطواف وتلاوة القرآن ومس المصحف ودخول المسجد إلا لعابري سبيل.

أنه يجوز للجنب أن يكتفي بالوضوء للنوم أو المعادة أو الأكل والشرب ما لم يكن وقت الصلاة؛ لحديث: أيرقد أحدنا وهو جنب قال: «نعم، إذا توضأ أحدكم فليرقد

(١) أخرجه مسلم [٣٣٠].

(٢) أخرجه البخاري [٣٤٧]، ومسلم [٣٦٨]، وفيه: «إنما كان يكفيك أن تقول بيدك هكذا ثم ضرب بيديه الأرض ضربة واحدة ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه ووجهه».

وهو جنب»<sup>(١)</sup>، ولحديث عائشة: «كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم»<sup>(٢)</sup>.

أنه لا يلزم المرأة أن تنقض صفائرها للغسل من الجنابة، وإنما يجزئها إفاضة الماء على رأسها حتى 'تروي شعرها بخلاف الغسل من الحيض، فإنه يلزمها نقض صفائرها على الصحيح لحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند مسلم<sup>(٣)</sup>.

أن ذكر هذه المسائل والتفقه فيها أمر لا بد منه ولا يهمل بدعوى الاستحياء، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ [الْحَرْبُ: ٥٣]، وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»<sup>(٤)</sup>، وجاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ، فقالت: «يا رسول الله إن الله لا يستحيي من الحق فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم، إذا رأت الماء»<sup>(٥)</sup>.



- 
- (١) أخرجه البخاري [٢٨٧] ومسلم [٣٠٦] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.  
 (٢) أخرجه البخاري [١٩٢٥] ومسلم [١١٠٩] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.  
 (٣) أخرجه مسلم [٣٣٠] من حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.  
 (٤) أخرجه مسلم [٣٣٢].  
 (٥) أخرجه البخاري [١٣٠] ومسلم [٣١٣] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

### أحكام المياه

- ٣١٤- وَالْمَاءُ مَا لَمْ تَسْتَحِلْ أَوْصَافُهُ  
 ٣١٥- فَإِذَا صَفَا فِي لَوْنِهِ أَوْ طَعْمِهِ  
 ٣١٦- فَهَنَّاكَ سُمِّيَ طَاهِرًا وَمُطَهَّرًا  
 ٣١٧- فَإِذَا صَفَا فِي لَوْنِهِ أَوْ طَعْمِهِ  
 ٣١٨- جَازَ الْوُضُوءُ لَنَا بِهِ وَطُهُورُنَا  
 ٣١٩- وَمَتَى تَمَّتْ فِي الْمَاءِ نَفْسٌ لَمْ يَجْزِ  
 ٣٢٠- إِلَّا إِذَا كَانَ الْغَدِيرُ مُرْجِرًا  
 ٣٢١- أَوْ كَانَتِ الْمَيِّتَاتُ مِمَّا لَمْ تَسَلْ  
 ٣٢٢- وَالْبَحْرُ أَجْمَعُهُ طَهُورٌ مَاؤُهُ  
 بِنَجَاسَةٍ أَوْ سَائِرِ الْأَذْهَانِ  
 مَعَ رِيحِهِ مِنْ جُمْلَةِ الْأَضْغَانِ  
 هَذَانِ أَبْلَغُ وَصْفِهِ هَذَانِ  
 مِنْ حَمَاةِ الْأَبَارِ وَالْغُدْرَانِ  
 فَاسْمَعْ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ يَقْظَانِ  
 مِنْهُ الطُّهُورُ لِعِلَّةِ السَّيْلَانِ  
 غَدَقًا بِلَا كَيْلٍ وَلَا مِيزَانِ  
 وَالْمَا قَلِيلٌ طَابَ لِلْغُسْلَانِ  
 وَتَحِلُّ مَيِّتَتُهُ مِنَ الْحَيَّتَانِ

✽ يبين الناظم رَحِمَهُ اللهُ أحكام المياه، واعتمد تقسيمها إلى 'قسمين: طاهر ونجس، وقسمه بعض العلماء رَحِمَهُ اللهُ إلى 'ثلاثة أقسام: طهور وطاهر ونجس، والأشبه أن هذا الخلاف لفظي، والله أعلم.

والماء الطهور: هو الباقي على 'خلقه بآن لم يتغير طعمه أو لونه أو ريحه بشيء يخالطه، فهذا طاهر في نفسه، مطهر لغيره، كماء الآبار والعيون والأنهار، ولا يضره تغيره بطول مكث أو تأثره باختلاطه ببعض المعادن التي قد يجري عليها.

فإن تغير لونه أو طعمه أو ريحه تغير كثيرا بطاهر كطعام أو عجين أو شراب أو نحو ذلك فهو طاهر في نفسه غير مطهر لغيره والمقصود الغاران نوع من الشجر ومنه دهن الغاران<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: «الصحاح» للجوهري (٢/ ٧٧٤).

وإذا وقعت فيه نجاسة ولم تغير أحد أوصافه الثلاثة ينظر، فإن كان أقل من قلتين حكم بنجاسته، وإن كان قلتين فأكثر فإنه لم يحمل الخبث؛ أي: لم يتنجس في أرجح الأقوال.

والقلتان تقدران قديماً بخمس قرب وحديثاً بمترين مربعاً تقريباً. قال النبي ﷺ: «إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث»<sup>(١)</sup> أما إن تغير أحد أوصافه بنجاسة فإنه ينجس ولا يجوز استعماله - قليلاً كان أو كثيراً -.

وقوله: «ومتى تمت في الماء نفس لم يجز..»؛ أي: أن ما لا نفس له سائلة، أي: ما ليس له دم سائل، فإنه لا يؤثر موته في الماء بخلاف موت ما له دم سائل فإنه يؤثر وينجس ذلك الماء إلا إذا كان الماء مستبحراً كما عبر عنه الناظم بالغدير المرجرج الغدق فإنه يبقى طاهراً طهوراً.

وقوله: «والبحر أجمعه» إلخ يشير بذلك إلى قول النبي ﷺ فيه لما سئل عن الوضوء منه، «هو الطهور ماؤه، الحل ميتته»<sup>(٢)</sup>؛ فالبحر طاهر في نفسه، مطهر لغيره سواء كان البحر عذباً حلواً أو مالحاً أجاجاً، فضلاً من الله ونعمة، والله عليم حكيم.



(١) أخرجه أبو داود [٦٣]، والترمذي [٦٧]، والنسائي [٥٢]، وابن ماجه [٣٨٦] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» [٥٦].

(٢) أخرجه أبو داود [٨٣]، والترمذي [٦٩]، والنسائي [٥٩]، وابن ماجه [٣٨٦] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني في «الصحيحة» [٤٨٠].

### تتمة الكلام على الوضوء والتحذير من الوسوسة

- ٣٢٣- إِيَّاكَ نَفْسَكَ وَالْعَدُوَّ وَكَيِّدَهُ  
 ٣٢٤- وَاحْذَرْ وُضُوءَكَ مُضْطَرًا وَمُضْطَرًا  
 ٣٢٥- فَقَلِيلَ مَائِكَ فِي وُضُوءِكَ خَدْعَةً  
 ٣٢٦- وَتَعُودَ مَغْسُولَاتِهِ مَمْسُوحَةً  
 ٣٢٧- وَكَثِيرَ مَائِكَ فِي وُضُوءِكَ بَدْعَةً  
 ٣٢٨- لَا تُكْثِرَنَّ وَلَا تُقَلِّلْ وَاقْتَصِدْ  
 فَكِلَاهُمَا لِأَذَاكَ مُبْتَدِيَانِ  
 فَكِلَاهُمَا فِي الْعِلْمِ مَحْذُورَانِ  
 لِيَتَعُودَ صِحَّتُهُ إِلَى الْبُطْلَانِ  
 فَاحْذَرْ غُرُورَ الْمَارِدِ الْخَوَّانِ  
 يَدْعُو إِلَى الْوَسْوَاسِ وَالْهَمَلَانِ  
 فَالْقَصْدُ وَالتَّوْفِيقُ مُصْطَحِبَانِ

❦ ثم كرَّ رَحِمَهُ اللَّهُ مرة أخرى يحذر من وسوسة الشيطان وتزيينه فيما يتعلق بالطهارة والوضوء، فإنَّ الشيطان لنا عدو فلتتخذهُ عدوا كما أمرنا الله. وإنه ليوسوس للإنسان في وضوئه وفي صلاته وفي غسله، بل في كل شيء من أموره. فإما أن يزين له تقليل الماء في الوضوء وفي الغسل حتى يتحول الغسل إلى مجرد مسح؛ وهذه وسوسة، وقد يكون مرد ذلك إلى الكسل والعجز أو البخل، وقد تبقى أماكن لم يصلها الماء. وقد «رأى» النبي ﷺ رجلاً يصلي وفي ظهر قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الماء فأمره أن يعيد الوضوء والصلاة»<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ: «ويل للأعقاب من النار»<sup>(٢)</sup>، وفي السنن «ويل للأعقاب ويطون الأقدام من النار».

فعلى المسلم إسباغ الوضوء بلا إسراف ولا تقتير، وفي هديه ﷺ أن يتوضأ بالمدّ ويغتسل بالصاع خير وبركة.

(١) أخرجه أحمد [١٥٤٩٥] وأبو داود [١٧٥] عن بعض أصحاب النبي ﷺ.

وأخرجه ابن ماجه [٦٦٦] من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» [١٦٥].

(٢) تقدم تحريجه في ص: [٤١٦].



فالاقتصاد في سنة خير من الاجتهاد في بدعة، وكما قال الناظم رَحِمَهُ اللهُ:

٣٢٨- لَا تُكْثِرَنَّ وَلَا تُقَلِّلْ وَاقْتَصِدْ فَالْقَصْدُ وَالتَّوْفِيقُ مُصْطَحِبَانِ؛

❁ بل القصد توفيق من الله، قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «الْقَصْدُ الْقَصْدُ تَبْلَغُوا»<sup>(١)</sup>، وأشار

الناظم إلى أن التقليل دون ما يعتبر شرعاً وسوسة والزيادة على المعهود شرعاً بدعة، وهو

كذلك؛ قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطُّهُورِ وَالِدُعَاءِ»<sup>(٢)</sup>،

وقال بعد ما توضعاً ثلاثاً ثلاثاً: «فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا فَقَدْ أَسَاءَ وَتَعَدَّى وَظَلَمَ»<sup>(٣)</sup>.

وخير أمور المرء ما كان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع



(١) أخرجه البخاري [٦٤٦٣] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد [١٦٧٩٦]، وأبو داود [٩٦]، وابن ماجه [٣٨٦٤]، والحاكم [٣١١١] من حديث عبد الله بن مغفل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٨٦].

(٣) أخرجه أحمد [٦٦٨٤]، والنسائي [١٤٠]، وابن خزيمة [١٧٤] من حديث معاوية بن حيدة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وحسنه الألباني في «المشكاة» [٤١٧].

## أحكام الاستطابة

- ٣٢٩- وَإِذَا اسْتَطَبَّتْ فِي الْحَدِيثِ ثَلَاثَةٌ      لَمْ يُجْزَئَا حَجَرَ وَلَا حَجْرَانِ  
 ٣٣٠- مِنْ أَجْلِ أَنْ لِكُلِّ مَخْرَجٍ غَائِطٌ      شَرْجًا تَضُمُّ عَلَيْهِ نَاحِيَتَانِ  
 ٣٣١- وَإِذَا الْأَذَى قَدْ جَازَ مَوْضِعَ عَادَةٍ      لَمْ يُجْزَ إِلَّا الْمَاءُ بِالْإِمْعَانِ

❖ نص الناظم في هذه الآيات على أن الاستطابة وهي الاستجهار تكون بثلاثة أحجار منقية، وأنه لا يجزئ أقل من ثلاث، وهذا هو الحق لحديث سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد قال له بعض اليهود متهمًا: علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة، قال: «أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول أو أن نستنجي باليمين أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار أو أن نستنجي برجيع أو بعظم»<sup>(١)</sup>؛ وعلل ذلك الناظم بأن مخرج البول والغائط يشمل ناحيتين ولا يحصل تنقية المحل غالبًا إلا بثلاثة أحجار، وهذا كله إذا لم يتجاوز الخارج موضع العادة؛ فإن تجاوز وجب الاستنجاء بالماء، لأن الأصل الطهارة بالماء وأبيح الاستجهار رخصة، فلما تعدى الأذى موضع الرخصة رجع إلى الأصل. وفي هذه الأحكام دليل على كمال هذا الدين وشموله وساحته.



## نواقض الوضوء

- ٣٣٢- نَقَضَ الْوُضُوءَ بِقُبْلَةِ أَوْ لَمَسَةِ  
 ٣٣٣- أَوْ بَوْلَةٍ أَوْ غَائِطٍ أَوْ نَوْمَةٍ  
 ٣٣٤- وَمِنْ الْمَذْيِ أَوْ الْوَدْيِ كِلَاهُمَا  
 ٣٣٥- وَلَرُبَّمَا نَفَخَ الْخَبِيثُ بِمَكْرِهِ  
 ٣٣٦- وَبَيَّانُ ذَلِكَ صَوْتُهُ أَوْ رِيحُهُ  
 أَوْ طُولُ نَوْمٍ أَوْ بِمَسِّ خِتَانٍ  
 أَوْ نَفْخَةٍ فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ  
 مِنْ حَيْثُ يَبْدُو الْبَوْلُ يَنْحَدِرَانِ  
 حَتَّى يُضْمَّ لِنَفْخِهِ الْفَخِذَانِ  
 هَاتَانِ بَيْنَتَانِ صَادِقَتَانِ

✽ بدأ الناظم بالحديث عن نواقض الوضوء، وذكر من النواقض أولاً: القبلة واللمس. والمقصود باللمس: مطلق لمس المرأة بدون حائل، وكذلك القبلة.

فهل اللمس والقبلة ناقضان؟ للعلماء في ذلك ثلاثة أقوال:

القول الأول: وهو قول الشافعية: أن مجرد اللمس بدون حائل ناقض للوضوء، واستدلوا بقول الله عز وجل: ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [المائدة: ٦].

والقول الثاني: التفصيل، وهو قول الحنابلة وأكثر الفقهاء، أن اللمس إذا كان بشهوة، - أي: بتلذذ - فهو ناقض وإلا فلا.

القول الثالث: وهو قول أكثر الصحابة؛ أبو بكر وابن عباس وابن عمر وعامة أهل الحديث وهو قول أبي حنيفة وأصحابه: أن مجرد اللمس لا ينقض الوضوء سواء كان بشهوة أم بغير شهوة ما لم يخرج شيء من القبل من مذي أو ودي أو مني، فالمعول عليه هو خروج شيء من القبل، ويستوي في ذلك الرجل والمرأة.

واستدلوا بأدلة منها: «أن النبي ﷺ قبل امرأة من نسائه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ»<sup>(١)</sup>، وكان وهو يصلي يغمز عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فتكف رجلها

(١) أخرجه أحمد [٢٥٧٦٦]، وأبو داود [١٧٩]، والترمذي [٨٦]، وابن ماجه [٥٠٢] من حديث عائشة =

إذا أراد السجود<sup>(١)</sup>، وحملوا اللبس الوارد في الآية على' الجماع لدلالة السياق عليه.

هذا القول هو الراجح لقوة أدلته.

الناقض الثاني: هو النوم الطويل أو القصير المستغرق. والمقصود بالنوم الطويل هو النوم الذي يكون صاحبه مضطجعاً أو مستلقياً أما الغطيط حال الجلوس أو النوم جالسا إذا كان يسيرا فهذا لا ينقض الوضوء. وإنما كان النوم ناقضاً؛ لأنه مظنة الحدث. وعلة كون النوم ناقضاً للوضوء، ودليله قول النبي ﷺ: «العين وكاء السه فإذا نامت العين انتطلق الوكاء»<sup>(٢)</sup>، فإنه إذا نام لا يدري ما يخرج منه. ولذلك علل ﷺ الأمر بغسل اليدين عند القيام من النوم بقوله: «فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده»<sup>(٣)</sup>.

أما النوم اليسير الخفيف من جالس فليس بناقض على' الصحيح؛ لأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا أحياناً يسمع لبعضهم غطيط وهم جلوس ينتظرون صلاة العشاء ولم يؤمروا بالوضوء<sup>(٤)</sup>.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» [١٧٢].

(١) أخرجه البخاري [٣٨٢]، ومسلم [٥١٢] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه أحمد [١٦٨٧٩]، وأبو داود [٢٠٣]، وابن ماجه [٤٧٧] من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحسنه

الألباني في «صحيح الجامع» [٤١٤٨].

(٣) تقدم تخريجه في ص: [٤١٦].

(٤) أخرجه مسلم [٣٧٦]، وأبو داود [٢٠٠] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أن أصحاب النبي ﷺ كانوا ينتظرون

العشاء الآخرة حتى تحفق رءوسهم ثم يصلون ولا يتوضؤون».

الثالث- مس الختان: وهو لمس الفرج باليد مباشرة بدون حائل، سواء مس فرجه أو فرج غيره. والصحيح أن هذا ناقض للوضوء؛ لقول النبي ﷺ: «من مس فرجه فليتوضأ»<sup>(١)</sup> وفي رواية «ذكره»، وفي رواية «من مس ذكره أو أنثيه أو رفغيه فليتوضأ» والأنثى تلحق بالذكر في ذلك.

وهذا ناسخ لحديث طلق بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي جاء فيه «وهل هو إلا بضعة منك»<sup>(٢)</sup>.

ومن نواقض الوضوء خروج شيء من أحد السبيلين من بول أو غائط أو ريح أو مني أو مذي أو ودي أو دم. فمتى خرج شيء من ذلك فهو ناقض، أما الدم الخارج من غير السبيلين، فالتحقيق أنه غير ناقض، لأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يصلون في جراحاتهم ودماؤهم تثعب وتسيل ولم يؤمروا بقطع الصلاة أو الوضوء.

وقوله: «أونضخة في السر والإعلان»: - إن الله لا يستحيي من الحق، أنا أعرف أن البعض - من بعض الجهلة ومن لا فقه عنده - قد يقول: لم تتكلمون في هذه القضايا والمسلمون عندهم من المصائب التي يعيشونها ما الله به عليم. أقول: ما ضيع المسلمون إلا جهلهم بمثل هذه القضايا؛ فلو حققوا التوحيد ثم أدوا العبادة على الوجه الصحيح بأركانها وواجباتها وشروطها لما سلط عليهم أعداؤهم.

(١) أخرجه أحمد [٢٧٢٩٤]، والنسائي [٤٤٤]، وابن حبان [١١١٤]، والحاكم [٤٧٩] من حديث بسرة بنت صفوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح». ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في «الإرواء» [١١٦].

(٢) أخرجه أحمد [٤٣]، وأبو داود [١٨٢]، والنسائي [١٠١]، وابن حبان [١١٢٠]. وصححه الألباني في «المشكاة» [٣٢٠].

فقوله: «أو نضخة في السرو والإعلان»؛ يقصد خروج الريح بصوت، وهو الضراط، أو بدون صوت وهو الفساء كما بين ذلك أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما روى حديث: «لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ» قال رجل من حضر موت: ما الحدث يا أبا هريرة؟ قال: «فساء أو ضراط»<sup>(١)</sup>.

ولا يستحب الاستنجاء من الريح أو النوم، بل يرى بعض العلماء أن ذلك بدعة. ولا من أكل لحم الجزور عند من يرى انتقاض الوضوء به - وهو الصحيح - لجواب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمن سألَهُ أتوضأ من لحوم الإبل؟ قال: نعم<sup>(٢)</sup>.

ويشير النازم بقوله: «ولربما نضخ الخبيث بمكره... صادقتان» إلى الحذر من تلاعب الشيطان بمقاعد بني آدم ووساوسه وتخيلاتة، فيخيل إلى المرء أنه خرج منه شيء ولم يخرج، وقد سئل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرجل يخيل إليه أنه يجد الشيء، فقال: «لا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً»<sup>(٣)</sup>.



(١) أخرجه البخاري [١٣٥].

(٢) أخرجه مسلم [٣٦٠] من حديث جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه البخاري [١٣٧] ومسلم [٣٦١] من حديث عبد الله بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

### الغسل وموجباته

- ٣٣٧- وَالْغُسْلُ فَرَضٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ دَفَقُ الْمَنِيِّ وَحَيْضَةُ النِّسْوَانِ  
 ٣٣٨- إِنْزَالُهُ فِي نَوْمِهِ أَوْ يَقْظَةٍ حَالَانَ لِلتَّطْهِيرِ مُوجِبَتَانِ  
 ٣٣٩- وَتَطَهُّرُ الزَّوْجَيْنِ فَرَضٌ وَاجِبٌ عِنْدَ الْجِمَاعِ إِذَا التَّقَى الْفَرْجَانِ  
 ٣٤٠- فَكِلَاهُمَا إِنْ أَنْزَلَا أَوْ أَكْسَلَا فَهُمَا بِحُكْمِ الشَّرْعِ يَغْتَسِلَانِ  
 ٣٤١- وَاغْسِلْ إِذَا أَمْدَيْتَ فَرْجَكَ كُلَّهُ وَالْأُنْثَيَانِ فَلَيْسَ يُفْتَرَضَانِ

❖ ذكر الناظم من موجبات الغسل ثلاثة: الجماع، والإنزال باحتلام أو غيره، والحيض والنفاس؛ وقد تقدم الكلام على وجوب الغسل من الجماع أو إنزال المني بأي صفة كان عند قول الناظم: «غسل الجنابة في الرقاب أمانة...» إلخ.

ويجب الغسل على المرأة عند انقطاع دم الحيض أو النفاس، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ومعنى تطهرن، أي: اغتسلن، فمتى حاضت المرأة أو نفست فإنه لا يجوز لها أن تصلي ولا أن تصوم ولا أن تطوف بالبيت ولا أن تمس المصحف ولا أن يأتيها زوجها حتى تطهر وتغتسل.

ويجب على الزوجين الغسل من الجنابة بمجرد التقاء الختانين، ويستوي في ذلك الإنزال أو الإكسال.

وقوله:

- ٣٤١- وَاغْسِلْ إِذَا أَمْدَيْتَ فَرْجَكَ كُلَّهُ وَالْأُنْثَيَانِ فَلَيْسَ يُفْتَرَضَانِ

❁ يعني: إذا خرج المذي وجب غسل المحل بما فيه الذكر والأنثيين وهما الخصيتان على الصحيح لحديث المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «ليغسل ذكره وأنثييه ويتوضأ»<sup>(١)</sup> وهو الأحوط.

ولا يجب الغسل من المذي، وإنما الواجب ما ذكر، وكذلك يجب غسل ما أصابه المذي من البدن أو اللباس.

ويجب على المرأة غسل ما خرج من رطوبة الفرج، وكذا على الرجل غسل ما أصابه من تلك الرطوبة لحديث أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: يا رسول الله إذا جامع الرجل المرأة فلم ينزل قال: «يغسل ما مس المرأة منه ثم يتوضأ ويصلي»<sup>(٢)</sup>.

وقد تقدم تفصيل ذلك وهو وجوب الغسل عند التقاء الختانين.



(١) أخرجه أحمد [١٠٠٩]، وأبو داود [٢٠٨]، والنسائي [١٥٣]. وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» [٢٠٣].

(٢) أخرجه البخاري [٢٩٣]، ومسلم [٣٤٦].



### أحكام الحيض والنفاس

- ٣٤٢- وَالْحَيْضُ وَالنِّفْسَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ  
عِنْدَ انْقِطَاعِ الدَّمِّ يَغْتَسِلَانِ  
٣٤٣- وَإِذَا أَعَادَتْ بَعْدَ شَهْرَيْنِ الدَّمَ  
تِلْكَ اسْتِحَاضَةٌ بَعْدَ ذِي الشَّهْرَانِ  
٣٤٤- فَلَتَغْتَسِلَ لِصَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا  
وَالْمُسْتَحَاضَةُ دَهْرُهَا نِصْفَانِ  
٣٤٥- فَالنِّصْفُ تَتْرُكُ صَوْمَهَا وَصَلَاتَهَا  
وَدَمُ الْمَحِيضِ وَغَيْرِهِ لَوْ نَانَ  
٣٤٦- وَإِذَا صَفَا مِنْهَا وَأَشْرَقَ لَوْنُهُ  
فَصَلَاتُهَا وَالصَّوْمُ مُفْتَرَضَانِ  
٣٤٧- تَقْضِي الصِّيَامَ وَلَا تُعِيدُ صَلَاتَهَا  
إِنَّ الصَّلَاةَ تَعُودُ كُلَّ زَمَانٍ  
٣٤٨- فَالْشَّرْعُ وَالْقُرْآنُ قَدْ حَكَمَا بِهِ  
بَيْنَ النِّسَاءِ فَلَيْسَ يُطْرَحَانِ  
٣٤٩- وَمَتَى تَرَى النِّفْسَاءَ طَهْرًا تَغْتَسِلِ  
أَوْ لَا فَعَايَةُ طَهْرِهَا شَهْرَانِ  
٣٥٠- مَسُّ النِّسَاءِ عَلَى الرِّجَالِ مُحَرَّمٌ  
حَرْتُ السَّبَاحِ خَسَارَةُ الْحِرْثَانِ

❖ الحائض والنفساء متى انقطع الدم من إحداها وجب عليها أن تغتسل.  
ويجب عليها نقض شعرها إن كان مضافاً على ما تقدم تفصيله.

وقوله:

- ٣٤٣- وَإِذَا أَعَادَتْ بَعْدَ شَهْرَيْنِ الدَّمَ  
تِلْكَ اسْتِحَاضَةٌ بَعْدَ ذِي الشَّهْرَانِ؛  
❖ يشير الناظم إلى مذهب المالكية والجمهور من أن مدة النفاس شهران، فما جاوز  
الشهرين فهو استحاضة.

والذي دلّ عليه الدليل أن أقصى مدة النفاس أربعون يوماً؛ لحديث أم سلمة  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَتِ النِّفْسَاءُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَقْعُدُ بَعْدَ نَفَاسِهَا أَرْبَعِينَ  
يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»<sup>(١)</sup>، وعليه فإذا زاد على الأربعين وجب عليها الغسل؛ لأنه أصبح  
استحاضة، يجب على المرأة فيها الصلاة والصوم كما يجوز لزوجها مباشرتها.

(١) أخرجه أحمد [٢٦٥٦١]، وأبو داود [٣١١]، والترمذي [١٣٩] وابن ماجه [٦٤٨]. وصححه

وقوله: «والمستحاضة دهرها نصفان» يشير به إلى المذهب من أن المستحاضة تقسم الشهر نصفين، فتجلس نصفاً - لأن غاية الحيض خمسة عشر يوماً - وتصلي وتصوم في النصف الآخر، والتحقيق الذي يعضده الدليل في المسألة أن المرأة في ذلك لا تخلو من ثلاث حالات: إما أن تكون معتادة كحديث أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فهذه تعمل بعادتها، فمثلاً إذا كان عاداتها سبعا فإنها تمكث سبعا، أو مميزة كحديث فاطمة بنت أبي حبيش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فتعمل بالتمييز بحسب لون الدم، أو مترددة كحديث حمّة بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فهذه تمكث عادة أكثر النساء اجتهداً كست أو سبع أو بحسب ما يظهر لها من لون أو غلظ أو ألم.

وقوله: «ودم المحيض وغيره لونان» إشارة إلى التفريق بين دم الحيض ودم الاستحاضة، فدم الحيض أسود داكن يُعرف، ودم الاستحاضة أحمر قان صاف. ومن الفروق بينهما أيضاً من حيث الرائحة والألم والكثرة والقلّة والغلظ والرقّة أو وصف طيب، فدم الحيض رائحته شديدة ويصاحبه الألم وقليل وغلظ، ودم الاستحاضة بعكسه، قال الناظم:

باللون والريح وبالتألم      وغلظ وكثرة مزل الدم  
وقوله:

٣٤٦- «وَإِذَا صَفَا مِنْهَا وَأَشْرَقَ لَوْنُهُ فَصَلَاتُهَا وَالصَّوْمُ مُفْتَرَضَانِ»  
❦ أي: إذا صار الدم أحمر صافياً قانياً من أي كدر فإنها تصلّي وتصوم لأنه يكون حينئذ استحاضة وليس حيضاً على ما تقدم تفصيله.

وقوله:

٣٤٧- «تَقْضِي الصَّيَّامَ وَلَا تُعِيدُ صَلَاتَهَا إِنَّ الصَّلَاةَ تَعُودُ كُلَّ زَمَانٍ»  
 \* تنبيه على أن الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة، وهذا مما لا خلاف فيه بين أهل السنة، يدل لذلك حديث معاذة رَحِمَهَا اللَّهُ، قالت: «سألت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقلت: «ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فقالت: أحرورية أنت؟ قلت: لست بحرورية ولكني أسأل، قالت: كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة»<sup>(١)</sup>.

وقوله:

٣٤٨- «فَالشَّرُّ وَالْقُرْآنُ قَدْ حَكَمَا بِهِ بَيْنَ النِّسَاءِ فَلَيْسَ يُطْرَحَانِ»  
 \* يعني أن الله قد بين في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ أحكام الحيض والنفاس بما في ذلك أن الحائض والنفساء تقضيان الصوم ولا تقضيان الصلاة، فيجب التسليم لأحكام الله ورسوله دون تردد أو اعتراض خلافا لما عليه الخوارج ومن شاكلهم من الغلاة المنتطعين من أنها تقضي الصلاة، وقد قال النبي ﷺ: «هَلِكُ الْمُنْتَطِعُونَ» ثلاثاً<sup>(٢)</sup>.

وقوله:

٣٥٠- «مَسُّ النِّسَاءِ عَلَى الرِّجَالِ مُحَرَّمٌ حَرْتُ السَّبَّاحِ خَسَارَةُ الْحِرْثَانِ»  
 \* هذا يحتمل معنيين: الأول- وهو ألصق بالموضوع، أن جماع النساء حال الحيض أو النفاس محرم في موضع الحرث، فأما ما دونه فإنه يباح للزوج أن يستمتع

(٢) أخرجه مسلم [٢٦٧٠] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ..

(١) أخرجه مسلم [٣٣٥].

بأمراته فيما دون الفرج. والله عَزَّوَجَلَّ قد نهى عن إتيان النساء حال الحيض والنفاس كما في الآية الكريمة: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (٢٢٢-٢٢٣)؛ أي: بعد الطهر والتطهر، وله أن يستمتع بما دون الفرج لحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان رسول الله ﷺ يأمرني فأتزري، فيباشرني وأنا حائض» (١).

ويحتمل البيت معنى 'آخر وهو ما يتعلق بمس النساء الأجنبية، وما إلى ذلك، وهذا سيذكره الناظم عند قوله: «لا تخل بامرأة...» إلخ.



(١) أخرجه البخاري [٣٠٠]، ومسلم [٢٩٣] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

## التحذير من السرقة والخيانة والخمر والظلم والزنا

٣٥١- لَا تَلْقَ رَبِّكَ سَارِقًا أَوْ خَائِنًا أَوْ شَارِبًا أَوْ ظَالِمًا أَوْ زَانِيًا

✽ يحذر الناظم رَحِمَهُ اللهُ من عدة فواحش مما حذر منها الله ورسوله ﷺ. وبدأ بالسرقة وهي: أخذ المال خلسة من حرزه، أي من المكان الذي يحفظ فيه مثله عادة. وهي تختلف عن السلب والنهب وقطع الطريق والحراقة، وقد قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]، وقال رسول الله ﷺ: «لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده»<sup>(١)</sup>. وحد السارق أن تقطع يده من مفصل اليد إذا أقر بذلك أو شهد عليه شاهدا عدل، وكان حراً مكلفاً، أي: بالغاً عاقلاً، وأن يكون من حرز مثله، وكل نوع من المال له حرز معين بحسب العرف، وفي قطع يده سلامة لأموال كثيرة وسلامة لأيد كثيرة؛ فإذا تذكر السارق أنه سوف تقطع يده فإنه سيرعوي: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَىٰ الْأَلْبَبِ لِمَا لَمْ يُمْسِكُوا وَيَنصَرُوا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَنَصَرَتِ الْبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

وقد جاء الدين الإسلامي بحفظ الضروريات الخمس، وهي: النفس والدين والعرض والعقل والمال. فحفظ الدين بحد الردة، والمال بحد السرقة ونحوها، والنفس بحد القتل، والعرض بحد الزنا، والعقل بحد الخمر ونحوه. وكل هذه الخمس حرمها الشارع بل حرم قربانها ورتب على ارتكابها عقوبات، بل سد الشارع الحكيم كل الذرائع التي قد تخل بهذه الضروريات أو الكليات.

ثم حذر من الخيانة، وهي أن يخون العهد، أو يخون الأمانة التي ائتمن عليها؛ ومن أعظم الخيانات: الخيانة في جنب الله عَزَّ وَجَلَّ بأن تترك أو امره وترتكب محارمه ثم الجنابة

(١) أخرجه البخاري [٦٧٨٣]، ومسلم [١٦٨٧] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

مع الخلق، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨]، والخيانة من سمات المنافقين، قال رسول الله ﷺ: «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان»<sup>(١)</sup>، بل كان النبي ﷺ يستعيذ بربه من الخيانة، فيقول: «اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة»<sup>(٢)</sup>.

ثم حذر من الأشربة المحرمة، وهذا يشمل الخمر وما في حكمها من المسكرات والمخدرات والمفترات - عافانا الله وإياكم منها -، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٣)</sup> إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿١٠﴾

[المائدة: ٩٠ - ٩١]

ومن شرب خمر الدنيا حُرِمَ خمر الآخرة و«ما أسكر كثيره فقليله حرام»<sup>(٤)</sup>.  
فالعقل نعمة عظيمة امتن الله به على عباده من بني آدم ولكن البعض يعطله أو يمرضه ويضعفه.

ثم حذر من الظلم، قال ﷺ: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»<sup>(٥)</sup>، وقال ﷺ: «واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله

(١) أخرجه البخاري [٣٣]، ومسلم [٥٩] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود [١٥٤٩]، والنسائي [٥٤٦٨]، وابن ماجه [٣٣٥٤] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» [١٣٨٣].

(٣) أخرجه أبو داود [٣٦٨٣]، والترمذي [١٨٦٥]، وابن ماجه [٣٣٩٣] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب من حديث جابر».

(٤) أخرجه مسلم [٢٥٧٨] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حجاب»<sup>(١)</sup>، وأعظم الظلم: الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حكاية عن لقمان: ﴿يَنْتَحَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، ويقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

والظلم في اللغة: وضع الشيء في غير موضعه، وفي الاصطلاح: تجاوز الحد والاعتداء، سواء كان ذلك بالشرك - وهو أعظم أنواع الظلم - أو ظلم العباد فيما بينهم وتعدي بعضهم على بعض أو ظلم العبد لنفسه فيما بينه وبين ربه، وفيما بينه وبين نفسه، وقد تقدم الكلام على الدواوين الثلاثة، وأن الظلم أنواع ثلاثة: ظلم لا يغفره الله، وهو الإشرak بالله ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وظلم لا بد فيه من القصاص، وهو ظلم العباد بعضهم لبعض، وظلم تحت المشيئة، وهو ظلم العبد فيما بينه وبين ربه وفيما بينه وبين نفسه.

وقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»<sup>(٢)</sup>، ويقول الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتِنِ ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعيراً﴾ [النساء: ١٠].

وقال النبي ﷺ: «من أخذ شبراً من الأرض ظلماً فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين»<sup>(٣)</sup>، وقال ﷺ: «إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فمن قضيت له بشيء من حق أخيه بقوله فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري [١٤٩٦]، ومسلم [١٩] من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم [٢٥٧٧] من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري [٣١٩٨]، ومسلم [١٦١٠] من حديث سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري [٢٦٨٠]، ومسلم [١٧١٣] من حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فاحذر منه يا عبد الله، فإنه من أعظم أسباب زوال النعم عن العباد.

ثم حذر من الزنا، وهو إتيان غير الزوجات أو ملك اليمين، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْجَاهِهِمْ حَفِظُونَ ۖ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۚ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۚ﴾ [النور: ٥ - ٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ۚ﴾ [النساء: ٣٢] - عافانا الله وإياكم من ذلك -، وقد رتب الشارع على هذا الفعل المشين عقوبات شديدة، وهي الرجم للمحصن والجلد مائة جلدة وتغريب عام للبكر.

وهذا كله بعد اعترافه وإقراره، أو شهادة أربعة عدول، يصفونه وصفاً دقيقاً بأنهم رأوا ذلك منه عياناً بياناً. وسيأتي لهذا مزيد بيان قريباً - إن شاء الله تعالى -.

فليحذر المسلمون من هذه الآفة الخطيرة، فإنها ما فشت في بلد إلا كثرت فيه الأمراض والمصائب والفقر والأوجاع التي لم يعرفها أسلافه. ومعلوم ما تعانيه تلك الدول التي ينتشر فيها هذا الداء العضال من الأمراض الفتاكة كالإيدز وهو نقص المناعة، والزهري والسيلان وغيرها من الأمراض الخطيرة التي حار الأطباء في علاجها - نعوذ بالله من ذلك كله - وما عند الله أشد.





٣٥٢- قُلْ إِنَّ رَجْمَ الزَّانِيَيْنِ كُلِّيهِمَا      فَرَضُ إِذَا زَنِيَا عَلَى الْإِحْصَانِ  
٣٥٣- وَالرَّجْمُ فِي الْقُرْآنِ فَرَضٌ لَا زِمَ      لِلْمُحْصَنَيْنِ وَيُجْلَدُ الْبِكْرَانِ

✽ يبين رَحْمَةُ اللَّهِ أَنْ عقوبة الزانين بعد الإحصان هي الرجم، ويثبت الإحصان بحصول جماع في نكاح صحيح وهما بالغان عاقلان حران.

وقد ثبت الرجم بآية منسوخة التلاوة، باقية الحكم: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم»<sup>(١)</sup>. وبالسنة المتواترة، وقد رجم النبي ﷺ ماعزا والغامدية واليهوديين والمرأة في قصة العسيف. ويقول النبي ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزاني والمارق من الدين التارك للجماعة»<sup>(٢)</sup>.

وما أكثر المارقين من الدين في هذا الزمان بالإفراط أو التفريط، لا كثرة الله. وقد ثبت الجلد للبكر غير المحصن - وهو مائة جلدة وتغريب عام بالقرآن والسنة، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النَّحْرُ: ٢]، وقال ﷺ: «خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم»<sup>(٣)</sup>.



(١) أخرجه الحاكم [٤٥١٣] من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأصل الحديث في الصحيحين.

(٢) أخرجه البخاري [٦٨٧٨]، ومسلم [١٦٧٦] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم [١٦٩٠] من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٣٥٤- وَالْخَمْرُ يَحْرُمُ بَيْعُهَا وَشِرَاؤُهَا سَيِّانِ ذَلِكَ عِنْدَنَا سَيِّانِ  
٣٥٥- فِي الشَّرْعِ وَالْقُرْآنِ حُرْمَ شُرْبِهَا وَكِلَاهُمَا لَا شَكَّ مُتَّبَعَانِ

❖ قد تقدم ذكر بعض الأدلة الدالة على تحريم الخمر؛ فيحرم بيعها وشراؤها وعصرها وحملها وكل ما يتعلق بصنعها، بل حرم بيع العنب لمن يتخذه خمراً، ويلحق بهذا كل ما يصنع منه الخمر ولو كان في الأصل مباحاً لمن يتخذه خمراً، وقال ﷺ: «لعن الله الخمر وشاربها وساقبها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه»<sup>(١)</sup>، وكل هؤلاء ملعونون على لسان رسول الله ﷺ.

وقوله:

٣٥٥- فِي الشَّرْعِ وَالْقُرْآنِ حُرْمَ شُرْبِهَا وَكِلَاهُمَا لَا شَكَّ مُتَّبَعَانِ  
❖ أي في السنة والقرآن حرم شرب الخمر وهما المعول عليهما في أخذ الأحكام الشرعية، إذ هما المصدر الوحيد للتشريع، وكلاهما وحي من الله سبحانه وتعالى، قال رسول الله ﷺ: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»<sup>(٢)</sup>.



(١) أخرجه أحمد [٢٨٩٧]، وأبو داود [٣٦٧٦]، وابن ماجه [٣٣٨٠] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وصححه الألباني في «الإرواء» [١٥٢٩].

(٢) أخرجه البخاري [٦٨٧٨]، ومسلم [١٦٧٦] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

### أشراط الساعة

- ٣٥٦- أَيْقِنْ بِأَشْرَاطِ الْقِيَامَةِ كُلِّهَا  
 ٣٥٧- كَالشَّمْسِ تَطْلُعُ مِنْ مَكَانٍ غُرُوبِهَا  
 ٣٥٨- وَخُرُوجِ يَأْجُوجٍ وَمَأْجُوجٍ مَعًا  
 ٣٥٩- وَنُزُولِ عِيسَى قَاتِلًا دَجَالَهُمْ  
 ٣٦٠- وَادْكَرْ خُرُوجِ فَصِيلِ نَاقَةِ صَالِحٍ  
 ٣٦١- وَالْوَحْيِ يُرْفَعُ وَالصَّلَاةُ مِنَ الْوَرَى
- وَأَسْمَعُ هُدَيْتَ نَصِيحَتِي وَبَيَّانِي  
 وَخُرُوجِ دَجَّالٍ وَهَوْلِ دُخَانٍ  
 مِنْ كُلِّ صَقْعٍ شَاسِعٍ وَمَكَانٍ  
 يَقْضِي بِحُكْمِ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ  
 يَسْمُ الْوَرَى بِالْكَفْرِ وَالْإِيمَانِ  
 وَهُمَا لِعِقْدِ الدِّينِ وَاسِطَتَانِ

✽ بدأ الناظم رَحِمَهُ اللهُ بالحديث عن أشراط الساعة ووجوب الإيمان بها، وذلك بالإيمان بكل ما ورد في كتاب الله منها أو صح في سنة رسوله ﷺ؛ وهي نوعان: علامات صغرى وعلامات كبرى، والكل غيب يجب الإيمان به والتسليم.

وأشراط الساعة، أي: علاماتها التي تسبقها، قَالَ النَّبِيُّ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ نُقِلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْتَلُونَكُ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الْإِنْفِرَاتِ: ١٨٧]، وَقَالَ النَّبِيُّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَازَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الْقَمَارَاتِ: ٣٤]؛ وهذه هي مفاتيح الغيب الخمس التي استأثر الله بعلمها.

وفي حديث جبريل الطويل: «قال: أخبرني عن الساعة، قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها»<sup>(١)</sup> أي: علاماتها.

(١) تقدم تخريجه في ص: [٢٧٨].

والناظم هنا ذكر العلامات الكبرى، بينما هناك علامات صغرى تسبق ذلك كله، ومنها:

مبعث النبي ﷺ؛ يقول النبي ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ، وأشار بالسَّابَةِ وَالْوُسْطَى»<sup>(١)</sup>، يعني: أن مبعثه ﷺ مؤذن بقرب الساعة. ومنها: انشقاق القمر في عهده ﷺ؛ قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتِ السَّاعَةَ

وَأَنشَقَّ الْقَمَرَ﴾ [القمر: ١].

ومنها: بل أعظمها وأخطرها، وقوع الشرك في هذه الأمة ورجوع فئام منها إلى عبادة الأوثان.

ومنها قول النبي ﷺ: «اعدد ستا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس» - وقد فتح في عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الفتح الأول - «ثم موتان - بضم الميم - يأخذ فيكم كقصاص الغنم» - وهو: مرض يصيب الغنم، فيهلك منها كثيرا، ولعله الطاعون الذي وقع بعمواس وذهب من جرائه بإذن الله تَعَالَى جمع من أصحاب النبي ﷺ وعلى رأسهم أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وغيرهم من الصحب الأجلاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - «ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا، ثم فتنة لا يبقَى بيت من العرب إلا دخلته» - وقد تكون الفتنة التي حصلت بمقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وما تبعها من الفتن - «ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر - وهم الروم -، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفا»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه مسلم [٨٦٧] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري [٣١٧٦] من حديث عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومنها: قلة العلم وكثرة الجهل، وكثرة النساء وقلة الرجال، وزخرفة المساجد، وكثرة الزلازل والفتن، وتقارب الزمان، وأن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، وذهاب الأمانة، وإسناد الأمر إلى غير أهله، وموت العلماء، ونار تخرج بالمدينة تضيء لها أعناق الإبل ببصرى، - وبصرى على حدود الشام -، ولعله البركان الذي ثار في المدينة عام ٦٥٤ هـ، وقد رثيت منه أعناق الإبل ببصرى.

هذه بعض العلامات الصغرى، وهي كثيرة، ما صح منها قد يزيد على الخمسين، وجلها قد وقع.

وأحيل القارئ إلى بعض الكتب النافعة في هذا الباب، منها: الإشاعة في أشرار الساعة للبرزنجي، ومنها إتحاف الجماعة بأشراط الساعة للشيخ حمود التويمجري رَحِمَهُ اللهُ، وكتب التاريخ الموثقة والفتن والملاحم، وكتب السنة، ومن أجمع وأنفس ما ألف فيها في هذا العصر: كتاب أشرار الساعة للشيخ يوسف الوابل، وهو مطبوع.

وهذه الأشرار، الكبرى منها والصغرى، يجب الإيمان بها، حيث إنَّ من صفات المؤمنين: الإيمان بالغيب. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٢ - ٣].

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: «آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله، على مراد رسول الله»<sup>(١)</sup>.

وهكذا شأن المؤمنين فإنهم دائماً يؤمنون بالغيب وإن لم تستوعبه عقولهم، أو تدركه أفهامهم.

(١) انظر: «لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد» للإمام ابن قدامة المقدسي، ص: [٧].

وهناك من ينكر أشراف الساعة أو بعضها، وهم العقلانيون. ويتمثلون قديماً في المعتزلة وحديثاً فيمن يُخضعون القرآن وصحيح السنة لمحض عقولهم الكاسدة وآرائهم الفاسدة.

وتقدم الكلام على هؤلاء العقلانيين عند ذكر الناظم لبعض أحوال الآخرة، وكما يقول الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد ﷺ لجدل هؤلاء؟»<sup>(١)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فليت شعري، بأي عقل يوزن الكتاب والسنة!»<sup>(٢)</sup>.

تَبَّا لِهَاتِيكَ الْعُقُولُ فَإِنهَا      وَاللَّهِ قَدْ مَسَخَتْ عَلَى الْأَبْدَانِ  
تَبَّا لِمَنْ أَضْحَى يَقْدِمُهَا عَلَى الـ      آثَارِ وَالْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ

❦ فالعقل مع النص كالفرع مع الأصل؛ فليخضع العقل للنص لا العكس، والعقل السليم لا يتعارض مع النقل الصحيح، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل؛ فلا نعطل العقل كشأن الواقعة أو الجامدين الجهلة الذين يرون أن العقل لا يفكر به ولا يتدبر به، ولا نعتمد عليه كما تفعل المعتزلة ومن نهج نهجهم.

فأشراف الساعة مما وقع فيه الخلط الكثير من هؤلاء العقلانيين، فهم ما بين مؤول وبين منكر لها بدعوى أنها وردت من طريق أحاديث الآحاد.

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢٩/٥)، «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي، (١/١٤٤).

(٢) «الفتاوى الحموية الكبرى»، ص: [٢٧٢].

وقد تقدم تقرير أن المعتبر في ذلك صحة النص وسلامة الدلالة بغض النظر عن كون ذلك متواتراً أو آحاداً.

وقوله:

٣٥٧- كَالشَّمْسِ تَطْلُعُ مِنْ مَكَانٍ غَرْبِيهَا وَخُرُوجِ دَجَالٍ وَهَوْلِ دُخَانٍ  
 \* بدأ الناظم في الكلام على العلامات الكبرى، وهي ما تضمنها حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ﷺ ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»<sup>(١)</sup>، وقد جاء في الحديث أنها تتابع كما يتتابع الخرز في النظام إذا انقطع..

وبدأ الناظم بذكر طلوع الشمس من مغربها. ولن نتطرق لأياها أول وقوعها؛ لأن ذلك محل خلاف بين أهل العلم، ولا يترتب عليه كبير فائدة، لأنها تتتابع سراعاً كما تقدم.

فالشمس تستأذن ربها كل ليلة للطلوع، فتطلع بعد إذن الله سُبحانه وتعالى. وهذا أمر لا ندركه، ولكن نؤمن به لأنه صح به الخبر، وإذا صح به الخبر وجب الإيمان به. ثم إنها تستأذن في آخر الزمان مرتين فتطلع والمرة الثالثة لا يؤذن لها فتطلع من حيث غربت، قَالَ تَجَالَى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]؛ وفسر ذلك النبي ﷺ بقوله: «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع

(١) أخرجه مسلم [٢٩٠١].

الشمس من مغربها»<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»<sup>(٢)</sup>.

ثانياً- الدجال؛ والدجال رجل من بني آدم يخرج آخر الزمان، له صفات كثيرة جاءت بها الأحاديث لتعريف الناس به، وتحذيرهم من شره حتى إذا خرج عرفه المؤمنون فلا يفتنون به، بل هم على علم وبصيرة به للعلم بصفاته التي أخبر بها الصادق المصدوق ﷺ وهذه الصفات تميزه عن غيره من الناس فيعرفه كل مسلم ومسلمة.

يخرج فيدعي أنه رب الناس وأنه الإله، وعنده خوارق، ويتبعه الكثير؛ وأكثر أتباعه من اليهود والنساء، وسيخرج لا محالة، فإذا خرج عاث في الأرض فساداً إلى أن يقتله مسيح الهداية عيسى ابن مريم عليه السلام.

فمن صفاته أنه أعور، عقيم لا يولد له، شاب، أحمر، قصير، جعد الشعر ققط، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، عريض النحر، ممسوح العين اليمنى كأنها عنبه طافئة، وعينه اليسرى عليها ظفرة غليظة - والظفرة: قطعة اللحم -، مكتوب بين عينيه (كفر) بالحروف المقطعة، أو كافر بدون تقطيع، يقرؤها كل مسلم كاتب وغير كاتب.

قال رسول الله ﷺ في وصفه: «ثم رأيت رجلاً وراءه جعداً ققطاً أعور العين اليمنى كأشبهه من رأيت بابلن قطن واضعاً يديه على منكبي رجل يطوف بالبیت فقلت: من هذا قالوا: المسيح الدجال»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه مسلم [٢٧٥٩] من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد [١٦٩٠٦]، وأبو داود [٢٤٨١]، والدارمي [٢٥١٣] من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» [٢٢٤١].

(٣) أخرجه البخاري [٣٤٤٠] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.



وهل هو عبد الله بن صياد أو غيره؟ الظاهر أنه غيره بدليل حديث فاطمة بنت قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند مسلم، حيث إن النبي ﷺ لما حدثه تميم الداري بخبر الدجال، «جمع الناس منادياً الصلاة جامعة، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك، فقال: «يلزم كل إنسان مصلاه»، ثم قال: «أتدرون لم جمعتكم» قالوا الله ورسوله أعلم. وقال لهم: «إن تميماً حدثني بما كنت قد حدثتكم به من خبر الدجال»، ليؤكد ذلك للصحابة، وليرسخ الخبر في أذهانهم ثم ذكر قصة تميم وأنها كانوا في البحر. قال: «إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ولكن جمعتكم لأن تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً فجاء فبايع وأسلم وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لحم وجذام فلعب بهم الموج شهراً في البحر ثم أرفؤا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس فجلسوا في أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهرب كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقالوا: ويلك ما أنت فقالت: أنا الجساسة قالوا: وما الجساسة قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق قال: لما سمعت لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة قال: فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً وأشدّه وثاقاً مجموعة يده إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد قلنا: ويلك ما أنت قال: قد قدرتم على خبري فأخبروني ما أنتم قالوا: نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم فلعب بنا الموج شهراً ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه فجلسنا في أقرىها فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة أهرب كثير الشعر لا يدري ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقلنا: ويلك

ما أنت فقالت: أنا الجساسة قلنا: وما الجساسة قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق فأقبلنا إليك سراعاً وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة فقال: أخبروني عن نخل بيسان قلنا: عن أي شأنها تستخبر قال: أسألكم عن نخلها هل يثمر قلنا له: نعم قال: أما إنه يوشك أن لا تثمر قال: أخبروني عن بحيرة طبرية قلنا: عن أي شأنها تستخبر قال: هل فيها ماء قالوا هي كثيرة الماء قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب قال: أخبروني عن عين زعر قالوا: عن أي شأنها تستخبر قال: هل في العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين قلنا له: نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب قال أقاتله العرب قلنا: نعم قال: كيف صنع بهم فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه قال لهم قد كان ذلك قلنا نعم قال أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه وإني مخبركم عني إني أنا المسيح وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان على كلتاها كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحداً منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا يصدني عنها وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها» قالت: قال رسول الله ﷺ: «وطعن بمخصرته في المنبر هذه طيبة هذه طيبة هذه طيبة - يعني: المدينة - ألا هل كنت حدثتكم ذلك» فقال الناس: «نعم» فقال: «فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة ألا أنه في بحر الشام أو بحر اليمن لا بل من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو» وأوماً بيده إلى المشرق قالت: «فحفظت هذا من رسول الله ﷺ»<sup>(١)</sup>.

ومن صفاته أن معه جنة ونارًا، فناره جنة وجنته نار، قال جَلَّ جَلَلُهُ : «لأننا أعلم بما مع الدجال منه؛ معه نهران يجريان: أحدهما رأي العين ماء أبيض، والآخر رأي العين نار تأجج، فإن أدركه أحد فليات النهر الذي يراه نارًا وليغمض ثم ليطأ طئ رأسه فيشرب منه فإنه ماء بارد»<sup>(١)</sup>.

وقال جَلَّ جَلَلُهُ في صفته: «يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالة»<sup>(٢)</sup>.

وورد في وقت مجيئه حديث: «عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب حضور الملحمة وحضور الملحمة فتح القسطنطينية وفتح القسطنطينية خروج الدجال قال: ثم ضرب معاذ على منكب عمر بن الخطاب فقال: والله إن ذلك لحق كما أنك جالس»<sup>(٣)</sup>.

وفتنه أعظم الفتن؛ لذلك ما من نبي إلا حذر أمته المسيح الدجال.

ومن أسباب الوقاية والخلاص من فتنه - بإذن الله - ما يلي:

الأول- العلم والتعلم فإن العلم منجاة والجهل مهلكة، فإن المسلم إذا تعلم وعمل بما تعلم ظاهرًا وباطنًا فإن ذلك سيكون سببًا في نجاته - بإذن الله - من فتنة الدجال وغيرها من الفتن.

(١) أخرجه مسلم [٢٩٣٤] من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم [٢٩٤٤] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد [٢٢٠٢٣]، وأبو داود [٤٢٩٦]، والترمذي [٢٢٣٨]، والحاكم [٨٢٩٧] من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الترمذي: «وهذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه»، وقال الحاكم: «هذا الحديث وإن كان موقوفًا، فإن إسناده صحيح»، وقال الذهبي: «صحيح موقوف».

فإذا عرف المسلم الدجال وأوصافه وأحواله وأنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤها كل مسلم ومسلمة؛ فإن هذا من أعظم الأسباب الواقية من فتنه.

الثاني- معرفة الله بأسمائه وصفاته؛ ذلك لأن الدعاء بأسماء الله وصفاته خير الأدعية.

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الإعراف: ١٨٠]، فيستعيز المسلم بها دائماً من فتنة المسيح الدجال، بل أمر النبي ﷺ أن نستعيز من أربع، فقال: «إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر المسيح الدجال»<sup>(١)</sup>.

ثالثاً- الاجتهاد في سكنى مكة والمدينة مع العمل الصالح قبل كل شيء فإن ذلك مرغّب فيه أولاً ثم إن الدجال لا يدخل مكة ولا المدينة كما دلت النصوص الصحيحة على ذلك، ومن ذلك قوله ﷺ: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله كل كافر ومنافق»<sup>(٢)</sup>.

ومن طرق النجاة من فتنه لمن أدركه قراءة أوائل أو خواتيم سورة الكهف عليه<sup>(٣)</sup>، وإن جمع المسلم بينها كان حسناً، بل حث النبي ﷺ على المواظبة على

(١) تقدم تحريجه في ص: [٦٢].

(٢) أخرجه البخاري [١٨٨١]، ومسلم [٢٩٤٣] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرج مسلم [٢٩٣٧] من حديث النّوّاس بن سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كَأَنِّي أَشَبَّهُهُ بِعَبْدِ الْعَزْزِيِّ بْنِ قُطْنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ».

قراءة سورة الكهف كاملة ليلة الجمعة أو يومها، وقال: إن من فعل ذلك وفي شرف فتنه المسيح الدجال.

ومن العلامات الكبرى: الدخان؛ وهو دخان يخرج قبل يوم القيامة. وقد ذكر بعض أهل العلم بأنه الدخان الذي أصاب قريشا يوم أن سلط الله عليهم السنين، فاغبرت الأرض كأنها يعلوها الدخان، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۖ يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: ١٠ - ١١]. وهذا القول قول مرجوح، والحق أنه دخان يحصل في آخر الزمان، ويؤيده: أولاً- أنه قول أكثر أهل العلم سلفا عن خلف.

ثانياً- ذكر النبي ﷺ الدخان ضمن العلامات الكبرى في حديث حذيفة بن أسيد المتقدم ذكره.

وقوله:

٣٥٨- وَخُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مَعًا مِنْ كُلِّ صَقْعٍ شَاسِعٍ وَمَكَانٍ  
﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ قَوْمٌ يظهرون آخر الزمان يأتون من كل حدب وصوب كما قال الله تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ ١١﴾ وَأَقْتَرَبَ  
الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٦ - ٩٧]، ويقول تَبَارَكَ وَتَعَالَى في قصة ذي القرنين: ﴿قَالُوا يَذَّابُقُ الْفَنِينَ  
إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ ١٢ قَالَ مَا مَكَّنِّي  
فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ ١٣ أَتَوْنِي زُبْرُ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ

١٢ وأخرج [٨٠٩] من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال»، وفي رواية شعبة: «من آخر الكهف».

قَالَ أَنْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا ﴿٩٤﴾ [الكهف: ٩٤ - ٩٦]، ويقول النبي ﷺ: «فبينما هم كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عبداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور وبيعت الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرساً كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة»<sup>(١)</sup>.

وقوله:

٣٥٩- وَنُزُولِ عِيسَى قَاتِلًا دَجَالَهُمْ يَقْضِي بِحُكْمِ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ  
 \* يشير رحمه الله أن عيسى عليه السلام ينزل آخر الزمان على المنارة البيضاء، شرقي دمشق، فيقتل الدجال، ويكسر الصليب، ويرفع الجزية، ويحكم بالعدل - يحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ - ويحكم سبع سنين، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

قال الله عز وجل: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]، قال المفسرون: إن المراد بالآية نزول عيسى عليه السلام، قال

(١) جزء من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتقدم في الكلام عن المسيح الدجال.

عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم ﷺ فأمرهم فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لانداب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حريته»<sup>(١)</sup>.

وقوله: «واذكر خروج فصيل ناقة صالح يسم الوري بالكفر والإيمان»: يقصد بهذا البيت خروج الدابة التي تخرج آخر الزمان، وتسم كل إنسان بما هو عليه من إسلام أو كفر.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [الزَّحْزَاقَةُ: ٨٢].

فتسمهم على وجوههم كما ثبت في الحديث الصحيح؛ تكتب على جبين المؤمن: مؤمن، وعلى جبين الكافر: كافر.

وقد نصّ على الدابة حديث حذيفة المتقدم.

وقول الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ: إن الدابة فصيل ناقة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ ليس عليه دليل يعتمد، وأضعف منه قول من قال: إنها تخرج من الصفا، وأضعف من ذلك كله دعوى أن الدابة هي الجراثيم المنتشرة في الهواء، وهذا باطل وهو قول العقلانيين.

والواجب اعتقاده أنها دابة تخرج آخر الزمان وتسم الناس كما تقدم.

وقد ترك الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ من العلامات الكبرى الثابتة في حديث حذيفة الخسوفات الثلاث - خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب - والنار التي تخرج من قعر عدن أبين، تسوق الناس إلى محشرهم.

(١) أخرجه مسلم [٢٨٩٧] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقوله:

٣٦١- «وَالْوَحْيُ يُرْفَعُ وَالصَّلَاةُ مِنَ الْوَرَىٰ وَهُمَا لِعِقْدِ الدِّينِ وَاسِطَتَانِ»

❁ وضع الناظم أنه يرفع القرآن من صدور الرجال ومن بطون الكتب كما ترفع الصلاة، وذلك بأن يتركها الناس حينما يضعف الإيمان، فيتناقص شيئاً فشيئاً حتى لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول: الله، الله<sup>(١)</sup>؛ وفي حديث أبي أمامة الباهلي أن رسول الله ﷺ قال: «لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة»<sup>(٢)</sup>.

وقوله: «وهما لعقد الدين واسطتان»؛ أي: أن الدين مرتكز عليهما، فذهاب القرآن والصلاة ذهاب الدين.



(١) رواه مسلم [١٤٨] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد [٢٢١٦٠]، وابن حبان في صحيحه [٦٧١٥]. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٥٠٧٥].



## أوقات الصلاة

٣٦٢- صَلِّ الصَّلَاةَ الْخَمْسَ أَوَّلَ وَقْتِهَا إِذْ كُلُّ وَاحِدَةٍ لَهَا وَقْتَانِ

✽ بين الناظم في هذا البيت أن الأفضل في الصلاة المفروضة أن تؤدى في أول وقتها لما ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «سألت رسول الله ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: «الصلاة لوقتها»<sup>(١)</sup>؛ فالأكمل والأفضل أن تصلى الصلاة في أول وقتها إلا ما كان من هدي النبي ﷺ من الإبراد بصلاة الظهر حال اشتداد الحر، قال ﷺ: «إذا كان اليوم الحار فأبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم»<sup>(٢)</sup>، وتأخير العشاء إلى ثلث الليل إذا أمكن.

وقوله: «إذ كل واحدة لها وقتان» سيأتي تفصيله قريباً، إن شاء الله.



(١) أخرجه مسلم [٨٥].

(٢) أخرجه البخاري [٥٣٤]، ومسلم [٦١٥] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

### أحكام الجمع والقصر والإفطار

- ٣٦٣- قَصْرُ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُسَافِرِ وَاجِبٌ وَأَقْلُ حَدِّ الْقَصْرِ مَرَحَلَتَانِ  
٣٦٤- كِلْتَاهُمَا فِي أَصْلِ مَذْهَبِ مَا لِكَ  
٣٦٥- وَإِذَا الْمُسَافِرُ غَابَ عَنْ أَبْيَاتِهِ  
٣٦٦- وَصَلَاةُ مَغْرِبِ شَمْسِنَا وَصَبَاحِنَا  
وَأَقْلُ حَدِّ الْقَصْرِ مَرَحَلَتَانِ  
خَمْسُونَ مِيلًا نَقْضُهَا مِيلَانِ  
فَالْقَصْرُ وَالْإِفْطَارُ مَفْعُولَانِ  
فِي الْحَضَرِ وَالْأَسْفَارِ كَامِلَتَانِ

❖ يوضح الناظم رَحِمَهُ اللهُ هُنا وجوب قصر الصلاة في السفر، تقول عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر»<sup>(١)</sup>.

والمقصود هنا: قصر صلاة الظهر والعصر والعشاء، أما الفجر فركعتان، وأما المغرب فإنها لا تقصر كما نص عليه الناظم، وهو إجماع.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا صَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنْ الصَّلَاةِ﴾

[النساء: ١٠١]

وقول الناظم بوجوب القصر على المسافر هو المختار، وهل القصر عزيمة أو رخصة؟ الأشبه أنه عزيمة. والنبى ﷺ يقول: «إن الله يحب أن تؤتى رخصه، كما يكره أن تؤتى معصيته»<sup>(٢)</sup>، ولم يثبت عنه ﷺ أنه أتم في السفر في جميع أسفاره؛ لذا فإن بعض أهل العلم، ومنهم الحنفية والظاهرية يرون بطلان صلاة المسافر إذا أتم.

لكن أقول: لو أتم المسافر ورأى أن القصر رخصة فلا ينكر عليه إذ لا إنكار في مسائل الخلاف وبخاصة أنه قد ورد ذلك عن أمنا عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(١) أخرجه البخاري [٣٥٠]، ومسلم [٦٨٥].

(٢) أخرجه أحمد [٥٨٦٦]، وابن حبان [٣٥٦٨] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. وقال الهيثمي (٣/ ١٦٢): «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [١٨٨٦].

وقد أشار الناظم إلى حد المسافة التي تقصر فيها الصلاة وهو مذهب جمهور الفقهاء، ومنهم المالكية، وهي ثمانية وأربعون ميلاً. وقد قدره كثير من أهل العلم في عصرنا بنحو اثنين وسبعين كيلاً، وهي مرحلتان للإبل الجادة في السير، وثلاثة مراحل للقوافل.

والذي يظهر - والله أعلم - أن تحقيق المناط في ذلك يرجع إلى ما يسمى 'سفراً عرفاً' ومثله مدة قصر الصلاة لعدم ورود دليل مرفوع يحدد ذلك، وإن كان جمهور أهل العلم رَحِمَهُمُ اللَّهُ يحددون للسفر الذي تقصر فيه الصلاة بأربعة أيام وبعض العلماء بخمسة عشر يوماً. والذي يظهر أن الأولى 'عدم التحديد، بل كل ما يسمى 'سفراً عرفاً' تقصر فيه الصلاة الرباعية إلى ركعتين؛ بحيث إذا سئل عن فلان من الناس قيل: إنه مسافر. هذا هو الذي يظهر من حيث الأدلة، وهو الذي رجحه بعض المحققين من أهل العلم.

اللهم إذا كان المسافر لا يدري متى يرجع كحال المرابطين في الثغور أو الحدود، فيقول لعلني أسافر غداً أو بعد غد؛ لأنه لا يدري متى تنتهي مهمته، فمثل هذا يقصر ولو طال الوقت لاحتمال سفره في أي وقت، أما من تيقن أن إقامته طويلة بحيث يزول عنه اسم السفر عادة وعرفاً كحال المبتعثين والعاملين في السفارات فلا يشرع لهم القصر على الصحيح.

ومما ينبغي التنبيه عليه: من آداب القصر أن تصلي كل صلاة في وقتها - اللهم - إلا إذا كان المسلم قد جدَّ به السير فإنه يجمع ويقصر، وله أن يجمع جمع تقديم أو جمع تأخير بحسب الأرفق المناسب للحال.

والذي يجمع هو الظهر مع العصر، والمغرب مع العشاء للاشتراك في الوقت، ولا يجوز جمع صلاة العصر مع صلاة الجمعة في أصح أقوال أهل العلم رَحِمَهُمُ اللَّهُ؛ لأنها ليست من جنسها، ولأنه لم يرد.

وإذا صلى مسافر خلف مقيم وجب عليه الإتمام معه لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا جَعَلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتِمَ بِهِ»<sup>(١)</sup>.

وقوله:

٣٦٥- وَإِذَا الْمُسَافِرُ غَابَ عَنْ أَبْيَاتِهِ فَالْقَصْرُ وَالْإِفْطَارُ مَفْعُولَانِ  
 \* يبين رَحِمَهُ اللَّهُ ما يراه كثير من أهل العلم من أنه يشترط حتى يجوز لك القصر والإفطار أن تفارق عامر قريتك أو مدينتك حيث إنه متى ما ركبت دابتك أو سيارتك أو مركوبك أيا كان عازما على السفر فلك الإفطار والقصر كما ثبت ذلك عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره من الصحابة والسلف، حيث جاء عن أحدهم أنه كان إذا ركب السفينة أو ارتحل دعا بالسفرة وهو صائم.



(١) أخرجه البخاري [٣٧٨]، ومسلم [٤١١] من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

### تفصيل الكلام في أوقات الصلاة

- ٣٦٧- وَالشَّمْسُ حِينَ تَزُولُ مِنْ كَبِدِ السَّمَاءِ  
 ٣٦٨- وَالظُّهْرُ آخِرُ وَقْتِهَا مُتَعَلِّقٌ  
 ٣٦٩- لَا تَلْتَفِتْ مَا دُمْتَ فِيهَا قَائِمًا  
 ٣٧٠- وَكَذَا الصَّلَاةُ غُرُوبَ شَمْسِ نَهَارِنَا  
 ٣٧١- وَالصُّبْحُ مُنْفَرِدٌ بِوَقْتٍ مُفْرَدٍ  
 ٣٧٢- فَجَرٌ وَإِسْفَارٌ وَبَيْنَ كِلَيْهِمَا  
 ٣٧٣- وَارْقَبْ طُلُوعَ الْفَجْرِ وَاسْتَيْقِنْ بِهِ  
 ٣٧٤- فَجْرٌ كَذُوبٌ ثُمَّ فَجْرٌ صَادِقٌ  
 فَالظُّهْرُ ثُمَّ الْعَصْرُ وَاجِبَتَانِ  
 بِالْعَصْرِ وَالْوَقْتَانِ مُشْتَبِكَانِ  
 وَاخْشَعْ بِقَلْبٍ خَائِفٍ رَهْبَانِ  
 وَعِشَاءَنَا وَقْتَانِ مُتَّصِلَانِ  
 لَكِنْ لَهَا وَقْتَانِ مَفْرُودَانِ  
 وَقْتُ لِكُلِّ مُطَوَّلٍ مُتَوَانِ  
 فَالْفَجْرُ عِنْدَ شُيُوخِنَا فَجْرَانِ  
 وَلَرُبَّمَا فِي الْعَيْنِ يَشْتَبِهَانِ

✽ شرع الناظم رَحِمَهُ اللهُ فِي بيان أول أوقات الصلوات وآخرها، ويدل لهذا الصنيع قول الله تَعَالَى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنِ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، وقوله تَعَالَى: ﴿فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، وقد ذم الله تَعَالَى الَّذِينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿[الماعون: ٤ - ٥]، وقال: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ [الزمر: ٥٩]؛ قال المفسرون: أي يؤخرونها عن وقتها، وقد فصل النبي ﷺ ما أجملت الآيات الكريمة في أوقات الصلوات ببيان أول وآخر كل وقت، فقال في قصة الأعرابي الذي سأله عن وقت الصلاة ووضح له ﷺ ذلك توضيحًا عمليًا شافيًا ثم قال له: «والوقت ما بين هذين الوقتين»<sup>(١)</sup>، وهذا ما بينه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلنَّبِيِّ ﷺ قبل ذلك في صبيحة الإسراء.

(١) أخرجه أحمد [٣٠٨١]، أبو داود [٣٩٣]، والترمذي [١٤٩]، والحاكم [٦٩٣] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

يقول: إن وجوب وقت الظهر يبدأ بزوال الشمس عن كبد السماء إذا مالت قليلاً. والعلامة الظل، فإذا مال الظل قليلاً، فهذا دليل على زوال الشمس وذهابها عن كبد السماء. فإذا وصلت إلى هذا الحد فهذا أول وقت الظهر، وللصلوات وقت اختياري ووقت ضروري فمختار الظهر من بعد الزوال إلى أن يصير ظل كل شيء مثله. وعندها يبدأ وقت صلاة العصر ويمتد إلى أن يصير ظل كل شيء مثليه، وهو ضروري الظهر، ويمتد ضروري العصر إلى غروب الشمس؛ لأن جبريل جاء وصلى بالنبي ﷺ في أول الوقت من ظهر صبيحة الإسراء، ثم صلى به في اليوم الثاني في أواخر أوقات الصلوات، وقال له «يا محمد، الوقت ما بين هذين الوقتين».

وأشار الناظم إلى هذا الاشتراك الحاصل بين الظهر والعصر بقوله: «والوقتان مشتبهان».

وقوله:

٣٦٩- لَا تَلْتَفِتْ مَا دُمْتَ فِيهَا قَائِمًا      وَأَخْشَعْ بِقَلْبٍ خَائِفٍ رَهْبَانِ  
\* ينبه الناظم إلى أهمية الخشوع في الصلاة، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾، ويحذر من الالتفات الذي هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد كما أخبر بذلك النبي ﷺ، وقال أيضاً: «أسوأ السرقة الذي يسرق صلاته لا يتم ركوعها ولا سجودها»<sup>(١)</sup>.

<sup>=</sup> وقال الترمذي: «حسن صحيح غريب». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [١٤٠٢].  
(١) أخرجه مالك [٥٧٩]، ومن طريقه البيهقي [١٧٣٥٦] عن النعمان بن مرة به مراسلاً. وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» [٥٣٤]: «صحيح لغيره».

وفي قوله:

٣٧٠- وَكَذَا الصَّلَاةُ غُرُوبَ شَمْسٍ نَهَارًا وَعِشَاءً نَا وَقَتَانِ مُتَّصِلَانِ

بيان وقت صلاتي المغرب والعشاء؛ فوقت المغرب يبدأ من غروب الشمس إلى مغيب الشفق الأحمر، والسنة أداؤها في أول وقتها؛ لأن جبريل صلى الله عليه وسلم في المغرب في اليومين في أول وقتها. وبمغيب الشفق الأحمر يدخل وقت صلاة العشاء، والسنة تأخيرها إلى ثلث الليل الأول ما لم تكن هناك مشقة على المصلين لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخر العشاء ذات ليلة حتى رقد النساء والصبيان ثم خرج عليهم فقال: «إنه لوقتها لولا أن أشق على أمتي»، وفي رواية: «لولا أن يشق على أمتي»<sup>(١)</sup>، وفي رواية: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالصلاة في مثل هذه الساعة»، ولكن بيان هديه صلى الله عليه وسلم في العشاء ما ذكره جابر رضي الله عنه في الصحيح، قال: «والعشاء أحياناً، وأحياناً إذا رأهم اجتمعوا عجل، وإذا رأهم أبطلوا أخر»<sup>(٢)</sup>.

ويمتد اختياري العشاء إلى نصف الليل على الأصح، وضروريه إلى طلوع الفجر.

وقوله: «وقتَانِ مُتَّصِلَانِ» يشير إلى الاشتراك الحاصل بين ضروري المغرب

والعشاء إلى طلوع الفجر.

وقوله:

٣٧١- وَالصُّبْحُ مُنْفَرِدٌ بِوَقْتٍ مُفْرَدٍ لَكِنْ لَهَا وَقَتَانِ مَفْرُودَانِ

٣٧٢- فَجَرٌّ وَإِسْفَارٌ وَبَيْنَ كِلَيْهِمَا وَقْتُ لِكُلِّ مُطَوَّلٍ مُتَوَانٍ

(١) أخرجه مسلم [٦٣٨] من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري [٥٦٠].

✽ وقت صلاة الفجر يبدأ من طلوع الفجر الصادق، الذي عبر عنه الناظم بالفجر أي: الفجر الثاني، إلى أن يحصل الإسفار جدًّا، وهو آخر الوقت الاختياري ويمتد الضروري إلى طلوع الشمس. والسنة أن يصلّيها في أول وقتها، بل هو هديه ﷺ، الذي هو غالب فعله لحديث عائشة في الصحيحين، قالت: «كان النبي ﷺ يصلي الفجر فيشهد معه نساء من المؤمنات متلفعات في مروطهن ثم يرجعن إلى بيوتهن ما يعرفهن أحد من الغلس»<sup>(١)</sup>، ولحديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والصبح كانوا أو كان النبي ﷺ يصلّيها بغلس»<sup>(٢)</sup>.

ونص الناظم على أن للفجر وقتين: التغليس كما تقدم بيانه، وهو الأفضل، والإسفار، ويحتمل أن يكون المقصود بالإسفار الإطالة في القراءة مع الدخول في الصلاة في الغلس، أي: في أول وقتها؛ يدل لذلك فعل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره من الصحابة والسلف.

وقوله:

٣٧٣. وَأَرْقُبُ طُلُوعَ الْفَجْرِ وَاسْتَيْقِنَ بِهِ      فَالْفَجْرُ عِنْدَ شَيْوْخِنَا فَجْرَانِ  
٣٧٤. فَجْرٌ كَذُوبٌ ثُمَّ فَجْرٌ صَادِقٌ      وَلَرُبَّمَا فِي الْعَيْنِ يَشْتَبِهَانِ

✽ يبين رَحِمَهُ اللَّهُ أنه على المسلم الاحتياط لدخول وقت الفجر بالاجتهاد في تحري طلوع الفجر الصادق؛ لأن الفجر فجران: الفجر الكاذب وهو المرتفع في السماء كذب السرحان، والفجر الصادق مستطيل في الأفق؛ أي: ممتدًّا وليبانه مدّ النبي ﷺ يده من عن يمينه ويساره مشيرًا إلى ذلك كما في البخاري.

(١) أخرجه البخاري [٣٧٢]، ومسلم [٦٤٥] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه البخاري [٥٦٠] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.



٣٧٥- وَالظِّلُّ فِي الْأَزْمَانِ مُخْتَلِفٌ كَمَا زَمَنُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ مُخْتَلِفَانِ

❁ الظل يراعى 'بحسب الفصل المعين من فصول السنة، فقد يكون الفصل شتاء فيطول فيه الظل، وقد يكون في الصيف فيقصر الظل، فيراعى 'ذلك في أوقات الصلوات، فهو بحسب فصول السنة وبحسب الزمان والمكان.



## من أحكام الإمامة والمأموم

٣٧٦. فَأَقْرَأْ إِذَا قَرَأَ الْإِمَامُ مُخَافَتًا      وَأَسْكُتْ إِذَا مَا كَانَ ذَا إِعْلَانٍ

✽ ذكر الناظم هنا ما عليه أكثر العلماء من أن قراءة الإمام قراءة للمأموم في الصلاة الجهرية، وهو قول مرجوح. والصحيح أن قراءة الإمام ليست قراءة للمأموم في الفاتحة، وأنه لا بد من قراءتها في جميع الأحوال حتى ولو اضطرت أن تقرأها مع قراءة الإمام إذا لم تكن له سككات. وهذا ما دلت عليه الأدلة الصحيحة الصريحة كقول النبي ﷺ: «لعلكم تقرأون خلف إمامكم»، قلنا: نعم يا رسول الله، قال: «لا تفعلوا إلا بفاتحة الكتاب فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها»<sup>(١)</sup>، فهذا الحديث نص في محل النزاع، وقوله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»<sup>(٢)</sup>، وقوله ﷺ: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ثلاثاً غير تمام»<sup>(٣)</sup>، اللهم إلا من دخل والإمام راع فتسقط عنه قراءة الفاتحة على الصحيح، لما ثبت في حديث أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه انتهى إلى النبي ﷺ وهو راع فركع قبل أن يصل إلى الصف، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «زادك الله حرصاً ولا تعد»<sup>(٤)</sup>، بل الفاتحة ركن من أركان الصلاة، لا تصح الصلاة إلا بها سواء كانت سرية أم جهرية، والله أعلم.



(١) أخرجه أحمد [٢٢٦٧١]، وأبو داود [٨٢٣] من حديث عباد بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحسنه الألباني في «المشكاة» [٨٥٤].

(٢) أخرجه البخاري [٧٥٦]، ومسلم [٣٩٤] من حديث عباد بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم [٣٩٥] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري [٧٨٣].

### من أحكام السهو

- ٣٧٧- وَلِكُلِّ سَهْوٍ سَجْدَتَانِ فَصَلَّاهَا  
 ٣٧٨- سُنَنُ الصَّلَاةِ مُبَيِّنَةٌ وَفُرُوضُهَا  
 ٣٧٩- فَرَضُ الصَّلَاةِ رُكُوعُهَا وَسُجُودُهَا  
 ٣٨٠- تَحْرِيمُهَا تَكْبِيرُهَا وَحَالَاتُهَا  
 ٣٨١- وَالْحَمْدُ فَرَضٌ فِي الصَّلَاةِ قِرَاءَتُهَا  
 ٣٨٢- فِي كُلِّ رَكَعَاتِ الصَّلَاةِ مُعَادَةٌ  
 ٣٨٣- وَإِذَا نَسِيتَ قِرَاءَتَهَا فِي رَكَعَةٍ  
 ٣٨٤- اتَّبِعْ إِمَامَكَ خَافِضًا أَوْ رَافِعًا  
 ٣٨٥- لَا تَرْفَعَنَّ قَبْلَ الْإِمَامِ وَلَا تَضَعَنَّ
- قَبْلَ السَّلَامِ وَيَعْدُهُ قَوْلَانِ  
 فَاسْأَلْ شُيُوخَ الْفِقْهِ وَالْإِحْسَانَ  
 مَا إِنْ تَخَالَفَ فِيهِمَا رَجُلَانِ  
 تَسْلِيْمُهُمَا وَكِلَاهُمَا فَرَضَانِ  
 آيَاتُهَا سَبْعٌ وَهُنَّ مَثَانِي  
 فِيهَا بِبِسْمَلَةٍ فَخُذْ تَبْيَانِي  
 فَاسْتَوْفِ رَكَعَتَهَا بِغَيْرِ تَوَانٍ  
 فَكِلَاهُمَا فِعْلَانِ مَحْمُودَانِ  
 فَكِلَاهُمَا أَمْرَانِ مَذْمُومَانِ

✽ بين الناظم رحمه الله بعض أحكام سجود السهو، ونص على الخلاف في كونه قبل السلام أو بعده. والصحيح أن فيه تفصيلاً: فإن كان موجب السجود نقصاً أو شكاً فإنه يكون قبل السلام، وإن كان زيادة فإنه بعد السلام. يتضح ذلك مما حصل للنبي ﷺ في عدة أحاديث؛ ومنها حديث ذي اليدين، وحديث نسيان التشهد الأول، وصلاته لخمس ركعات في العصر؛ ففي حديث ذي اليدين وصلاته العصر خمسا سجد بعد السلام، وفي ترك التشهد الأول سجد قبل السلام.

وأنبه إلى أن سجود السهو يجب بترك ركن أو واجب سهوًا، ولا يلزم بترك السنن على الصحيح.

ثم ذكر الناظم سنن الصلاة وفروضها، ولعله يقصد بالفروض هنا الأركان.

فأما الأركان فأربعة عشر: القيام مع القدرة، وتكبيرة الإحرام، وقراءة الفاتحة، والركوع، والرفع منه، والسجود على الأعضاء السبعة، والاعتدال منه، والطمأنينة في جميع الأركان، والجلسة بين السجدين، والصلاة على النبي ﷺ، والتشهد الأخير، وجلسته، والتسليمتان - والصحيح أن التسليمة الأولى هي الركن -.

وينبغي للإمام أن ينوي التحلل في تسليمته الأولى حتى لا يعرض صلاة بعض الناس للبطلان؛ لأن منهم من يقوم بمجرد السلام الأول، وذلك من فقه الإمامة، والله الموفق.

وأما الواجبات فهي: جميع التكبيرات خلا تكبيرة الإحرام، وقول: سبحان ربي العظيم في الركوع، وسبحان ربي الأعلى في السجود، ورب اغفر لي بين السجدين، وقول الإمام والمنفرد: سمع الله لمن حمده، وقول: ربنا ولك الحمد للمأموم وللإمام والمنفرد على الراجح، والتشهد الأول، والجلوس له.

أما السنن فهي: دعاء الاستفتاح، والاستعاذة، وقراءة السورة بعد الفاتحة، والزيادة على واحدة في قول: سبحان ربي الأعلى، وسبحان ربي العظيم، والزيادة على ربنا لك الحمد، والتسليمة الثانية، والدعاء في السجود، والدعاء بعد التشهد الأخير. فهذه أهم السنن القولية. أما السنن الفعلية فرفع اليدين في أربعة مواضع إلى حذو المنكبين - أو الأذنين - عند تكبيرة الإحرام، وعند الركوع، وعند الرفع منه، وعند القيام من التشهد الأول.

هذه أركان الصلاة وواجباتها وسننها وقد أشار الناظم إلى بعضها.

وقوله:

٣٧٩- فَرَضُ الصَّلَاةِ رُكُوعُهَا وَسُجُودُهَا مَا إِنَّ تَخَالَفَ فِيهِمَا رَجُلَانِ

✽ يذكر أن الركوع والسجود فرضان - يعني ركنان من أركان الصلاة -، وهذا محل إجماع بين أهل العلم، وهذا اصطلاح عند بعض أهل العلم، يعبرون عن الركن بالفرض، ولا مشاحة في الاصطلاح.

وقوله:

٣٨٠- تَحْرِيمُهَا تَكْبِيرُهَا وَحَالَئُهَا تَسْلِيمُهَا وَكِلَاهُمَا فَرَضَانِ

✽ يشير إلى: حديث: «تحریمها التكبير وتحليلها التسليم»<sup>(١)</sup>، والتكبير ركن بالإجماع، والتسليم ركن على الصحيح.

وقوله:

٣٨١- وَالْحَمْدُ فَرَضٌ فِي الصَّلَاةِ قَرَأْتُهَا

٣٨٢- فِي كُلِّ رَكَعَاتِ الصَّلَاةِ مُعَادَةً

٣٨٣- وَإِذَا نَسِيتَ قَرَأْتُهَا فِي رَكَعَةٍ

✽ قراءة الفاتحة ركن من أركان الصلاة في حق كل من الإمام والمأموم والمنفرد لقول النبي ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»<sup>(٢)</sup>، وقد تقدم التحقيق في ذلك.

(١) أخرجه أحمد [١٠٠٦]، وأبو داود [٦١]، والترمذي [٣]، وابن ماجه [٢٧٥] من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: «حسن صحيح». وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» [٥٥].

(٢) تقدم تخريج.

ويشير بقوله: «وإذا نسيت...» إلخ إلى أنه يجب على المصلي إعادة تلك الركعة التي نسي فيها الفاتحة بأن يعتبر الركعة الثانية مثلاً هي الأولى، وهذا هو الصحيح.  
وقوله:

٣٨٤- اتَّبِعْ إِمَامَكَ خَافِضًا أَوْ رَافِعًا      فَكِلَاهُمَا فِعْلَانِ مَحْمُودَانِ  
٣٨٥- لَا تَرْفَعَنَّ قَبْلَ الْإِمَامِ وَلَا تَضَعْ      فَكِلَاهُمَا أَمْرَانِ مَذْمُومَانِ

❦ الواجب الاقتداء بالإمام في رفعه وخفضه وفي جميع صلاته؛ لقول النبي ﷺ: «إنما جعل الإمام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه فإذا ركع فاركعوا، ولا تركعوا حتى يركع، وإذا قال: سمع الله لمن حمده فقولوا: ربنا لك الحمد وإذا سجد فاسجدوا، ولا تسجدوا حتى يسجد، وإذا صلى جالساً فصلوا جالساً أجمعون»<sup>(١)</sup>؛ وهكذا تجب متابعتة وتحرم مسابقتها. وقد توعد النبي ﷺ من يسابق الإمام بقوله: «أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار - أو يجعل الله صورته صورة حمار -»<sup>(٢)</sup>.



(١) أخرجه البخاري [٧٢٢]، ومسلم [٤١٤] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.  
(٢) أخرجه البخاري [٦٩١]، ومسلم [٤٢٧] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

### سنن الصلاة وفرائضها

- ٣٨٦- إِنَّ الشَّرِيعَةَ سُنَّةٌ وَفَرِيضَةٌ وَهُمَا لِدَيْنِ مُحَمَّدٍ عِقْدَانِ  
 ٣٨٧- لَكِنْ أَذَانُ الصُّبْحِ عِنْدَ شُيُوخِنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَبَيَّنَ الْفَجْرَانِ  
 ٣٨٨- هِيَ رُخْصَةٌ فِي الصُّبْحِ لَا فِي غَيْرِهَا مِنْ أَجْلِ يَقْظَةِ غَافِلٍ وَسَنَانِ  
 ٣٨٩- أَحْسِنْ صَلَاتَكَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا بِتَطْمَؤُنٍ وَتَرْفُوقٍ وَتَدَانِ  
 ٣٩٠- لَا تَدْخُلَنَّ إِلَى صَلَاتِكَ حَاقِنًا فَلَا حَتِقَانُ يُخِلُّ بِالْأَرْكَانِ

✽ الشريعة بين فرض وسنة، يمثلها دين النبي ﷺ؛ فهناك الواجبات والأركان، وهي التي عبر عنها بالفريضة، وهناك السنن وهي تشمل أمرين: المستحبات، وتشمل كل سنة وطريقة سننها رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير. فإن هذه الشريعة الغراء شريعة كاملة، وكان الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح يمثلون الأوامر ويحذرون النواهي ولا يفرقون بين كون هذا الأمر واجباً أو سنة أو بين كونه حراماً أو مكروهاً، وكان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إذا سئل عن أمر أفرض هو أم سنة؟ أجاب بقوله: فعل رسول الله ﷺ كذا، ونهى عن كذا.

فلا بد من مراعاة هذا الأمر، مراعاة السنن والفرائض وأن تطبق سنن المصطفى ﷺ في جميع الأمور التي جاء بها كما هي، سواء كان ذلك في العبادات أو في غيرها، يُقْتَدَى بِهِ وَيُتَأَسَى بِهِ ﷺ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الاحزاب: ٢١].



## من أحكام الأذان

وقوله:

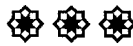
٣٨٧- لَكِنْ أَذَانُ الصُّبْحِ عِنْدَ شُيُوخِنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَبَيَّنَ الْفَجْرَانِ

٣٨٨- هِيَ رُخْصَةٌ فِي الصُّبْحِ لَا فِي غَيْرِهَا مِنْ أَجْلِ يَقْظَةِ غَافِلٍ وَسَنَانِ

✽ بين الناظم رحمه الله أن للفجر أذنين، وأنه رخصة في الفجر خاصة، ولم يكن بين الأذنين في عهد النبي ﷺ إلا مقدار ما يصعد هذا، وينزل هذا. وكذلك الجمعة الأذان الأول الذي أمر به الخليفة الراشد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ بَلَالًا كَانَ يُؤْذِنُ بَلِيلٌ، فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُؤْذِنَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ فَإِنَّهُ لَا يُؤْذِنُ حَتَّى يُطْلِعَ الْفَجْرَ». قال القاسم: ولم يكن بين أذانها إلا أن يرقى ذا وينزل ذا<sup>(١)</sup>.

ولا بأس بتقديم الأذان الأول قليلاً ليستيقظ الوسنان، وهو النائم وبنه الغافل كما قال الناظم؛ وقد ورد فيه حديث: «لَا يَمْنَعُنْ أَحَدًا مِنْكُمْ أَذَانُ بِلَالٍ - أَوْ قَالَ: نِدَاءُ بِلَالٍ - مِنْ سَحُورِهِ فَإِنَّهُ يُؤْذِنُ - أَوْ قَالَ: يَنَادِي - بَلِيلٌ لِيَرْجِعَ قَائِمَكُمْ وَيُوقِظَ نَائِمَكُمْ»<sup>(٢)</sup>، وقوله ﷺ: «إِنْ بَلَالًا يُؤْذِنُ بَلِيلٌ فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَنَادِيَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، قَالَ وَكَانَ رَجُلًا أَعْمَى لَا يَنَادِي حَتَّى يُقَالَ لَهُ أَصْبَحْتَ أَصْبَحْتَ»<sup>(٣)</sup>، وهذا يفيد أن الصائم لا يجب أن يمسه إلا عند الأذان الثاني وذلك لأن وقت أذان الأول ليس محدداً وإنما يكون قبل طلوع الفجر الثاني.



(١) أخرجه البخاري [١٩١٨].

(٢) أخرجه مسلم [٢٥٩٣] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري [٦١٧]، ومسلم [٢٥٨٨] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.



## من أحكام الصلاة وآدابها

وقوله:

٣٨٩- أَحْسِنُ صَلَاتِكَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا      بِتَطْمُؤُنٍ وَتَرْفُقٍ وَتَدَانٍ  
 ٣٩٠- لَا تَدْخُلَنَّ إِلَى صَلَاتِكَ حَاقِنًا      فَلَا حَتِيقَانُ يُخِلُّ بِالْأَرْكَانِ

\* بحث الناظم المسلم على الإحسان في صلاته بأن يؤديها كما أداها رسول الله

ﷺ، القائل: «صلوا كما رأيتموني أصلي»<sup>(١)</sup>، ومن الإحسان في الصلاة الطمأنينة في جميعها، قال ﷺ للمسيء صلاته وهو خلاد بن رافع الأنصاري مبيناً له وجوب الطمأنينة في جميع أفعال الصلاة قائلاً: «ثم اركع حتى تطمئن راکعاً ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم ارفع حتى تطمئن جالساً وافعل ذلك في صلاتك كلها»<sup>(٢)</sup>، ومن الطمأنينة ما هو ركن وواجب تبطل الصلاة بالإخلال به، وهو القدر الذي يؤدي به الركن؛ ولأجل هذا قال ﷺ للمسيء صلاته: «ارجع فصل، فإنك لم تصل». ومن أظهر الأمثلة على هذا السجود على الأعضاء السبعة، واعتدال الظهر في الركوع، وعلى هذا فقس بقية الأركان.

ومما يلاحظ على كثير من المسلمين عدم العناية والاهتمام بالطمأنينة في الصلاة فتجد بعض الناس لا يطمئن بين الركوع والسجود، وكذلك في الجلسة بين السجدين حتى وصل الحال ببعضهم إلى أن من يصلي خلفه من المأمومين لا يتمكن من قول: ربنا ولك الحمد، أو رب اغفر لي بين السجدين فضلاً عن كونه لا يتمكن من الاعتدال.

وقد حذر النبي ﷺ من الإخلال بالطمأنينة والخشوع في الصلاة والتهاون في ذلك فقال: «إن الرجل لينصرف، وما كتب له إلا عشر صلاته، تُسَعها، تُمنها، سُبُعها، سُدسها، خُمسها، رُبُعها، ثُلثها، نُصفها»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري [٦١٧]، ومسلم [٢٥٨٨] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري [٧٥٧]، ومسلم [٣٩٧] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد [١٨٩١٤]، وأبو داود [٧٩٦]، وابن حبان [١٨٨٩] من حديث عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ونهى رسول الله ﷺ عن نقرة الغراب، وافتراش السبع<sup>(١)</sup>.  
وقال ﷺ: «أسوأ الناس سرقة الذي يسرق صلاته»، قالوا: يا رسول الله  
وكيف يسرق من صلاته؟ قال: «لا يتم ركوعها ولا سجودها»<sup>(٢)</sup>.

وقوله:

٣٩٠- لَا تَدْخُلَنَّ إِلَى صَلَاتِكَ حَاقِنًا فَإِلَّا حَتَمَانُ يُخْلُ بِالْأَرْكَانِ  
فيه إشارة إلى التوجيه النبوي بعدم دخول المرء في صلاته وهو يدافع الأخبثين:  
البول والغائط. ويلحق بهما الريح وما في معنى ذلك، قال رسول الله ﷺ:  
«لا صلاة بحضرة الطعام ولا هو يدافعه الأخبثان»<sup>(٣)</sup>؛ فإن ذلك يخل بالطمأنينة في  
أداء الأركان على الوجه المطلوب إن لم يكن يبطئها.

ومما ينبه إليه هنا أنه لا ينبغي أن يُستغل ما أفاد هذا الحديث بترتيب الطعام  
في أوقات الصلاة دائماً من أجل التخلف عن صلاة الجماعة، فمثل هذا لا يجوز، أما  
لو حصل ذلك اتفاقاً لا قصداً فلا حرج في ذلك من باب استحباب الأخذ بالرخص،  
ومن أجل الطمأنينة في الصلاة وحضور القلب.



وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [١٦٢٦].  
(١) رواه أبو داود [٨٦٢]، وابن ماجه [١٤٢٩]، والنسائي [١١١٢]، وابن خزيمة [١٣١٩]، والحاكم  
في «المستدرک» وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.  
(٢) أخرجه أحمد [٢٢٦٤٢]، وابن خزيمة [٦٦٣] من حديث أبي قتادة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه  
الألباني في «صحيح الجامع» [٩٨٦].  
(٣) أخرجه مسلم [٥٦٠] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

### تتمّة أحكام الصوم

- ٣٩١- بَيَّتَ مِنَ اللَّيْلِ الصَّيَامَ بِنِيَّةٍ  
 ٣٩٢- يُجْزِيكَ فِي رَمَضَانَ نِيَّةُ لَيْلَةٍ  
 ٣٩٣- رَمَضَانُ شَهْرٌ كَامِلٌ فِي عَقْدِنَا  
 ٣٩٤- إِلَّا الْمُسَافِرُ وَالْمَرِيضُ فَقَدْ أَتَى  
 ٣٩٥- وَكَذَلِكَ حَمْلٌ وَالرَّضَاعُ كِلَاهُمَا  
 ٣٩٦- عَجَلٌ بِفِطْرِكَ وَالسُّحُورُ مُؤَخَّرٌ  
 ٣٩٧- حَصَّنَ صِيَامَكَ بِالسُّكُوتِ عَنِ الْخَنَا  
 مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَيَّزَ الْخَيْطَانِ  
 إِذْ لَيْسَ مُخْتَلِطًا بِعَقْدٍ ثَانٍ  
 مَا حَلَّهُ يَوْمٌ وَلَا يَوْمَانِ  
 تَأْخِيرُ صَوْمِهِمَا لَوْ قَتَّ ثَانٍ  
 فِي فِطْرِهِ لِنِسَائِنَا عُذْرَانِ  
 فَكِلَاهُمَا أَمْرَانِ مَرْغُوبَانِ  
 أَطْبِقْ عَلَى عَيْنَيْكَ بِالْأَجْضَانِ

✽ يجب على المسلم في صوم الفريضة أن يبيت النية من الليل، والمقصود أن ينوي الصوم قبل طلوع الفجر الصادق ولو بلحظة لحديث: «من لم يبيت الصيام قبل الفجر فلا صيام له»<sup>(١)</sup>.

أما النفل فلا يشترط فيه تبيت النية لما ثبت عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال لي رسول الله ﷺ ذات يوم: «يا عائشة، هل عندكم شيء؟» قالت: فقلت: يا رسول الله ما عندنا شيء، قال: «فإني صائم»<sup>(٢)</sup>.

وقوله:

٣٩٢- يُجْزِيكَ فِي رَمَضَانَ نِيَّةُ لَيْلَةٍ  
 ✽ تقدم أن صوم رمضان لا بد فيه من تبيت النية من الليل. وهل يجب تبيت النية لكل ليلة أم أن ذلك ينسحب على باقي الشهر؟

(١) أخرجه الدارمي [١٧٤٠]، والنسائي [٢٣٣٤]، والبيهقي [٧٦٩٨] من حديث حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٦٥٣٤].

(٢) أخرجه مسلم [١١٥٤].

قولان لأهل العلم، لعل الأحوط والأرجح منهما وجوب تبيت النية لكل ليلة؛ لعموم حديث: «من لم يبيت الصيام قبل الفجر فلا صيام له»، فظاهره التعلق بكل ليلة من ليالي الشهر، وإن كان الناظم رَحِمَهُ اللهُ قد رجح القول الآخر؛ وهو أنه يجزئ نية الصوم في أول ليلة من رمضان عن باقي الشهر.

وقوله:

٣٩٣- رَمَضَانُ شَهْرٌ كَامِلٌ فِي عَقْدِنَا مَا حَلَّهُ يَوْمٌ وَلَا يَوْمَانِ  
٣٩٤- إِلَّا الْمُسَافِرُ وَالْمَرِيضُ فَقَدْ أَتَى تَأْخِيرُ صَوْمِهِمَا لَوْ قَتِ تَانِ

✽ شهر رمضان يجب صومه كاملاً ولا يجوز الإخلال بصومه؛ إن كمل الشهر ثلاثين صامت كاملة وإن كان تسعة وعشرين صيم كذلك. ولا يحل لمسلم الفطر في رمضان إلا لمن استثنى الشارع، وهو المريض والمسافر والحامل والمرضع - إذا خافتا على نفسيهما أو ولديهما - والشيخ الكبير تيسيراً من الله على عباده.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البَقَرَةُ: ١٨٥].

ويقضي المسافر والمريض ومن في حكمهما من أيام آخر، ويطعم الشيخ الكبير والمريض الذي لا يرجئ برؤه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البَقَرَةُ: ١٨٤]، قال ابن عباس: هو الشيخ الكبير لا يستطيع الصوم فرخص له أن يفطر ويطعم عن كل يوم مسكيناً ولا قضاء عليه، وهو فعل أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وقوله:

٣٩٦- عَجَلْ بِفِطْرِكَ وَالسُّحُورُ مُؤَخَّرٌ فَكَلَاهُمَا أَمْرَانِ مَرْغُوبَانِ  
 ﴿١﴾ يبين الناظم مسألتين مهمتين وهما سنة مؤكدة عن رسول الله ﷺ، بل هي هديه؛ فعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور»<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ: «تسحروا فإن في السحور بركة»<sup>(٢)</sup>، وعن أنس، عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «تسحرنا مع النبي ﷺ ثم قام إلى الصلاة قلت كم كان بين الأذان والسحور قال قدر خمسين آية»<sup>(٣)</sup>.

وقوله:

٣٩٧- حَصِّنْ صِيَامَكَ بِالسُّكُوتِ عَنِ الْخَنَا أَطْبِقْ عَلَى عَيْنَيْكَ بِالْأَجْضَانِ  
 يحث الصائم على حفظ لسانه وعينه وجوارحه في الصوم عما لا يليق من الغيبة والنميمة والسب والشتم وقبيح الكلام. وخير ما يعصم به اللسان أن تشغله بذكر الله عزَّ وجلَّ وقراءة القرآن وكل كلام طيب يقربك من الله زلفى، قال رسول الله ﷺ: «الصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إنني صائم مرتين»<sup>(٤)</sup>. وصح عنه ﷺ أنه قال: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه البخاري [١٩٥٧].

(٢) أخرجه البخاري [١٩٢٣]، ومسلم [١٠٩٥] من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري [١٩٢١] ومسلم [١٠٩٧].

(٤) أخرجه البخاري [١٨٩٤]، ومسلم [١١٥١] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه البخاري [١٩٠٣] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

## من أخلاق الإسلام وآدابه ذم ذي الوجهين

٣٩٨- لَا تَمْشِ ذَا وَجْهَيْنِ مِنْ بَيْنِ الْوَرَى شَرُّ الْبَرِيَّةِ مَنْ لَهُ وَجْهَانِ

❁ صاحب الوجهين هو المنافق الذي يظهر ما لا يبطن، وصاحب الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً، بل قد يجر صاحبه إلى الدرك الأسفل من النار؛ أعني: المنافق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر.

والنفاق نوعان: نفاق إعتقادي، وهو إظهار الإسلام وإبطان الكفر، وهذا مخرج من الملة، بل إن صاحبه مغلد في الدرك الأسفل من النار كما قال الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

ونفاق عملي وهو الاتصاف ببعض علامات النفاق، قال رسول الله ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا أؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر»<sup>(١)</sup>، وهذا لا يخرج من حظيرة الإسلام، ولكن صاحبه على خطر ومتوعد بالوعيد الشديد.



(١) أخرجه البخاري [٣٤]، ومسلم [٥٨] من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

### ذم الحسد

٣٩٩- لَا تَحْسُدَنَّ أَحَدًا عَلَى نِعَمَائِهِ إِنَّ الْحَسُودَ لِحُكْمِ رَبِّكَ شَانِي

✽ يبين خطورة خصلة الحسد، والحسد: هو تمني زوال النعمة عن الغير، وربما نتجت عنه نظرة من عين شريرة تصيب المحسود نتيجة لحقد في قلب الحاسد.

والله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أمر نبيه ونحن تبع له أن نستعيز من شر حاسد إذا حسد في سورة الفلق، وقد قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخواناً»<sup>(١)</sup>.

والحاسد وإن كان لا يهلك إلا نفسه إلا أنه قد يفعل الحيل لإيذاء المحسود، وإلا فهو يأكل نفسه:

قال بن المعتز:

اصبر على مضض الحسود      فإن صبرك قاتله  
فالنار تاكل نفسها      إن لم تجد ما تأكله<sup>(٢)</sup>  
بل إن الحاسد - والعياذ بالله - كأنه يعترض على الله في قضائه وعطائه لخلقه:  
ألا قل لمن ظل لي حاسداً      أتدري على من أسأت الأدب  
أسأت على الله في رزقه      إذ لم ترض لي ما وهب



(١) أخرجه البخاري [٦٠٦٦]، ومسلم [٢٥٦٣] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: «الإيضاح في علوم البلاغة» للقرويني، ص: [٢٣٤].

### ذم النميمة

٤٠٠. لَا تَسْعَ بَيْنَ الصَّاحِبَيْنِ نَمِيمَةً فَلْأَجْلِهَا يَتَبَاغَضُ الْخِلَانُ

✽ يتحدث الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا البيت عن النميمة وخطورتها والتنفير والتحذير منها. وصدق في قوله: «فلأجلها يتباغض الخلان» كما قال قيس المجنون:

وَمَنْ يَطْعُ الْوَاشِينَ لَا يَتْرَكُوا لَهُ صَدِيقًا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُقْرِبَا  
فَهِيَ مِنْ أخطر الأعمال التي تفرق أوصال المجتمع وتجر إلى التنافر والتناحر.

ومعنى النميمة: نقل الكلام من شخص أو من أشخاص إلى آخرين بقصد الإفساد بينهما حتى لو كان الكلام الذي ينقله صحيحا، فإن ذلك يفسد بين أفراد المجتمع. وقد قال يحيى بن أبي كثير اليامي رَحِمَهُ اللَّهُ: يفسد النمام في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة؛ لأن ضرر الساحر قاصر على أفراد، أما النمام فضرره قد ينعكس على الجماعة، بل وعلى المجتمع، وقد يوقع الحرب بين القبيلة والقبيلة، والقطر والقطر، والدولة والدولة، ناهيك عن الأفراد.

ولما ذكر المقدسي كلام يحيى بن أبي كثير آنف الذكر في كتابه «مختصر منهاج القاصدين» حكى واقعة شاهدة على ذلك فذكر: «أن رجلا ساوم في عبد، فقال مولاه: إني أبرأ من كل عيب فيه إلا من النميمة والكذب، (يعني: أن هذا العبد كذاب ونمام) فقال: رضيت، أنت بريء منهما، فاشتراه. فجعل يقول لمولاه: إن امرأتك تبغي وتفعل، وإنها تريد أن تقتلك، ويقول للمرأة: إن زوجك يريد أن يتزوج عليك ويتسرى، فإن أردت أن أعطفه عليك، فلا يتزوج عليك ولا يتسرى، فخذي الموسى واحلقي شعرة من حلقه إذا نام، وقال للزوج: إنها تريد أن تقتلك إذا نمت. قال فذهب (أي: الزوج) فتناوم لها، فجاءت بموسى لتحلق شعرة من حلقه، فأخذ بيدها فقتلها، فجاء أهلها فاستعدوا عليه فقتلوه».



وقد جاء التحذير من النميمة في الكتاب والسنة، قَالَ عَالِي: ﴿هَمَزٌ مَشَاءٌ بِنَمِيمٍ﴾ (١) مَنَعَ  
لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَشْمٍ ﴿[الْقَاتِلُ: ١١]، وَقَالَ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الْهَمَزَةُ: ١]، وَقَالَ النَّبِيُّ  
ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ» (١)، وَالْقَتَاتُ: هُوَ النَّهَامُ. وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الصَّحِيحِينَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: مَرَّ عَلَى قَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «أَمَّا إِنَهُمَا لِيُعَذَّبَانِ،  
وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ؛ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ  
مِنْ بَوْلِهِ» (٢).



(١) أخرجه البخاري [٦٠٥٦]، ومسلم [١٠٥] من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.  
(٢) أخرجه البخاري [٦٠٥٢]، ومسلم [٢٩٢] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

## العين حق

٤٠١- وَالْعَيْنُ حَقٌّ غَيْرُ سَابِقَةٍ لِمَا يُقْضَى مِنَ الْأَرْزَاقِ وَالْحِرْمَانِ

❖ الإصابة بالعين: هي حصول أثر قد ينتج عنه مرض أو موت من جراء نظرة من حاسد. وهي حق كما قال رسول الله ﷺ: «العين حق»<sup>(١)</sup>، وخطرها عظيم، فإنها تورث الرجل القبر والجمل القدر، وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لو أن شيئاً يسبق القدر لسبقته العين»<sup>(٢)</sup>.

وللوقاية منها - بإذن الله - أن يبادر من أعجبه شيء في نفسه أو خاصته أو عند غيره ويسارع إلى التبريك، وهو قول ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، أو تبارك الله أحسن الخالقين وما أشبه ذلك. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا إِدْخَلَتْ جَنَّتَكَ قُلْتُ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩].

وعلى المسلم أن يحرز نفسه وأهله وماله بملازمة أذكار الصباح والمساء، فإنها حصن حصين - بإذن الله تَعَالَى -.

أما إذا وقعت العين أو غلب على الظن وقوعها فليسارع إلى العلاج النبوي، ومنه الرقية الشرعية، قال رسول الله ﷺ: «لا رقية إلا من عين أو حمة»<sup>(٣)</sup>، وقال ﷺ: «علام يقتل أحدكم أخاه؟ إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة»<sup>(٤)</sup> وللحديث قصة.

(١) أخرجه البخاري [٥٧٤٠]، ومسلم [٢١٨٧] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد [٢٧٤٧٠]، والترمذي [٢٠٥٩]، وابن ماجه [٣٥١٠] من حديث أسماء بنت عميس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وقال الترمذي: «وهذا حديث حسن صحيح».

(٣) أخرجه البخاري [٥٧٠٥]، ومسلم [٢٢٠] من حديث بريدة بن الحصيب الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه مالك [٣٤٥٩]، وأحمد [١٥٩٨٠]، وابن ماجه [٣٥٠٩] من حديث أبي أمامة بن سهل بن حنيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» [٢٨٢٨].

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا»<sup>(١)</sup>.

وطريقة الاغتسال من العائن أو ممن يظن منه ذلك أن يغسل مغابنه (مثل الآباط وداخله إزاره) ويتمضمض ويمج الماء ويصب على المريض، فإنه يشفى بإذن الله كما أمر النبي ﷺ بذلك.

ومن الملاحظ في زماننا هذا المبالغة عند بعض الناس في دعوى الإصابة بالعين من أي مرض يجده، وقد لا يكون ثمة مرض، بل هو مجرد وهم، فليتنبه لهذا، وليحذر من الوسواس.



(١) أخرجه مسلم [٥٨٣١] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

## أحكام السحر

- ٤٠٢- وَالسَّحَرُ كُفْرٌ فِعْلُهُ لَا عِلْمُهُ مِنْ هَاهُنَا يَتَفَرَّقُ الْحُكْمَانِ  
٤٠٣- وَالْقَتْلُ حَدُّ السَّاحِرِينَ إِذَا هُمْ عَمِلُوا بِهِ لِلْكَفْرِ وَالطُّغْيَانِ

❖ السحر ما دق أمره ولطف سببه، وهو عقدٌ وتعاويز معينة يستخدمها بعض الشُّذاذ باستخدام الأرواح الخبيثة من الجن؛ فيؤثر ويمرض ويفرق بين المرء وزوجه ويقتل بإذن الله، وله حقيقة قائمة؛ فإنه يؤثر تأثيراً مباشراً - بإذن الله تَعَالَى - كما تؤثر العين.

وهذه أمور غيبية، لكن أخبرنا الله عَزَّجَلَّ أن لها تأثيراً فنحن نصدق بذلك.

وهو قسمان: حقيقي، وهو ما تقدم تعريفه، وتخيلي، وهو ما يظهر الأشياء على غير حقيقتها في أعين الناس كما قال الله تَعَالَى: ﴿يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنْهَا سَعَى﴾ [طه: ٦٦].

قال الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللهُ:

وَالسَّحَرُ حَقٌّ وَلَهُ تَأْثِيرٌ لَكِنْ بِمَا قَدَرَهُ الْقَدِيرُ  
أَعْنِي بِذَا التَّقْدِيرِ مَا قَدَرَهُ فِي الْكَوْنِ لَا فِي الشَّرْعَةِ الْمُطَهَّرَةِ  
قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [السجدة: ٢٢].

والساحر ومن يتعاطى السحر يكفر حتى ولو أراد حل السحر بسحر آخر؛ لأن الغاية في الإسلام لا تبرر الوسيلة، ولأن الله عَزَّجَلَّ كفر أهل السحر مطلقاً، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۚ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَمِينَ

أَشْرَبَهُ مَا لَهُ، فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَكَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ١٠٢﴾؛ ولأنه ثبت أن من يتعاطى السحر لا يؤثر سحره إلا بعد أن يكفر بالله إما بصرف شيء من أنواع العبادة للشياطين، أو بإهانة القرآن أو تعريضه للنجاسات ونحو ذلك من ألوان الكفر.

وَقَالَ تَجَالَى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩]، وَقَالَ تَجَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١].

فيتج عن ذلك تأثير حقيقي بإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، بل لقد أثر السحر في النبي ﷺ - أعني: في تصرفاته الدنيوية - ولم يقدح ذلك في شيء مما جاء به من عند الله من الوحي، وهذا في حد ذاته دليل من أدلة العصمة له ﷺ؛ لذلك لا حجة في هذا عند من ينكرون هذا الحديث عقلاً بدعوى أنه كيف يؤثر ذلك وقد عصمه الله حتى يبلغ رسالته؟ والجواب: أنه أثر فيما يتعلق ببعض تصرفاته الدنيوية؛ حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء ولم يفعله، والذي سحره هو لبيد بن الأعصم اليهودي سحره في مشط ومشاطة في جف طلع ذكر ووضعته تحت صخرة أو رعوفة في بئر ذروان - والقصة ثابتة في الصحيحين، فنزل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بالمعوذتين وقرأهما على النبي ﷺ، ورفاه ورقى هو نفسه، فقام من ذلك كأنها نشط من عقال بعد أن أوحى الله إليه وأبطل الله السحر والسحرة، وهذا يوافق الآية: ﴿وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، ولا يعارضها - كما قلت - بل هذا من أعظم دلائل عصمته ﷺ؛ فلا يلتفت إلى نعيق أو نهيق بعض أصحاب المدارس العقلانية التي تُخضع النصوص الشرعية لعقولها وأهوائها؛ كالذين ينكرون السحر، وينكرون الجن، وينكرون العين، وينكرون بعض أشرار الساعة.

ونحو ذلك مما ينتشر في بعض كتب القوم - والعياذ بالله - كما تقدم التنبيه على ذلك عند قول الناظم «والقبر صحَّ نعيمه وعذابه» إلخ.

والسحر كفرٌ بجميع أشكاله وألوانه، وقد تقدم بعض الأدلة على ذلك. ومما يجب التنبيه عليه لخطورته أن بعض ضعاف الإيمان لاسيما النساء يترددن على السحرة بدعوى الاستشفاء من الأمراض أو البحث عن مفقود أو تحبيب الزوجين إلى بعضهما، وما إلى ذلك، ويجهلون أو يتجاهلون النصوص الواردة في تحريم الذهاب إلى الكهان والسحرة والمشعوذين كقول النبي ﷺ: «من أتى كاهناً، أو عرافاً، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد»<sup>(١)</sup>، وقوله ﷺ: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»<sup>(٢)</sup>، ولم يجعل الله شفاء أمة محمد ﷺ فيما حرم عليها، قال رسول الله ﷺ: «تداووا فإن الله عزَّ وجلَّ لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد الهرم»<sup>(٣)</sup>، وقال ﷺ: «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم»<sup>(٤)</sup>.

فالواجب التنبيه إلى خطورة السحر والسحرة والبعد عنهم، بل يجب الإبلاغ عن أماكن وجودهم ليقام حد الله عليهم، ويحرم التستر عليهم، قال رسول الله ﷺ: «لعن الله من آوى محدثاً»<sup>(٥)</sup>.

(١) تقدم تخريجه في ص: [٣٧٥]. (٢) تقدم تخريجه في ص: [٣٧٦].

(٣) أخرجه أبو داود [٣٨٥٧]، والترمذي [٢٠٣٨] من حديث أسامة بن شريك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: «حسن صحيح». وصححه الألباني في [٢٩٣٠].

(٤) أخرجه ابن حبان [١٣٩١]، والبيهقي [٢٠١٧١] من حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وقال الألباني: «وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات معروفون غير حسان بن مخارق، فهو مستور لم يوثقه أحد غير ابن حبان، ويشهد له أيضاً حديث «نهي عن الدواء الخبيث».

(٥) أخرجه مسلم [٥٢٣٩] من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقول الناظم رَحِمَهُ اللهُ: «والسحر كفر فعله لا علمه...» باطل لأنه كما تقدم لا يتعلم السحر حتى يكفر، والآية شاهدة على ذلك.

وقوله:

٤٠٣- وَأَقْتُلْ حَدَّ السَّاحِرِينَ إِذَا هُمْ عَمِلُوا بِهِ لِلْكَفْرِ وَالطُّغْيَانِ  
 \* حد الساحر ضربة بالسيف كما ثبت عن السلف؛ وقد قتل عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ السحرة، وقتلت حفصة جارية لها سحرتها، وقتل جندب الصحابي ساحراً، بل يكاد يكون إجماعاً بين أئمة السلف، والبعض من أهل العلم يفرق بين ما إذا سحر بشيء قاتل أو ما دون ذلك. والحق هو الحكم بقتله، لأنه كافر مجرم، وفي بقاءه خطر على الأمة، فقتله لذلك واجب متعين. والساحر مستحق للقتل لأنه كافر مرتد بسحره؛ لأن السحر من نواقض الإسلام، ومن أنواع الردة.

لكن إذا لم يقتل بسحره أحداً وتاب، هل تقبل توبته؟ قولان لأهل العلم: الأول: أن توبته لا تقبل، فيقتل بكل حال؛ لأنه زنديق ولأن علم السحر يبقى معه، والآثار عن السلف تؤيد هذا.

القول الثاني: قبول توبته إذا لم يقتل فيما يظهر ووكل سريره إلى الله، وإنما يعزر بها دون القتل؛ لعموم الآيات والأحاديث الدالة على قبول توبة التائبين، من أي ذنب كان؛ ومن ذلك أن الله عَزَّجَلَّ ذكر في سورة الفرقان بعض كبائر الذنوب، وعلى رأسها الشرك والقتل والزنا، ثم قال: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الْفُرْقَان: ٦٩].

والأصح أنه يستتاب كغيره من الكفرة الذين يستتابون من كفرهم، اللهم إلا إن كان قتل بسحره، فإنه يقتل حداً وقصاصاً لا ردة، والله أعلم.

## وجوب بر الوالدين وطاعة ولي الأمر في غير معصية والدين هو رأس المال

- ٤٠٤- وَتَحَرَّبِ الرَّوَالِدَيْنِ فَإِنَّهُ  
٤٠٥- لَا تَخْرُجَنَّ عَلَى الْإِمَامِ مُحَارِبًا  
٤٠٦- وَمَتَى أُمِرْتَ بِبِدْعَةٍ أَوْ زَلَّةٍ  
٤٠٧- الدِّينُ رَأْسُ الْمَالِ فَاسْتَمْسِكْ بِهِ
- فَرَضَ عَلَيْكَ وَطَاعَةَ السُّلْطَانِ  
وَلَوْ أَنَّهُ رَجُلٌ مِنَ الْحُبْشَانِ  
فَاهْرُبْ بِدِينِكَ آخِرَ الْبُلْدَانِ  
فَضْيَاعُهُ مِنْ أَعْظَمِ الْخُسْرَانِ

✽ تكلم الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ عَنْ مَسْأَلَتَيْنِ هَامَتَيْنِ: أَوْلَاهُمَا - بر الوالدين،  
وثانِيهما - طاعة السلطان في غير معصية الله.

فأما بر الوالدين فإنه من أعظم الواجبات، وأهم المهمات بعد طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وقد  
قرن الله عَزَّوَجَلَّ حق الوالدين بحقه في أكثر من آية فحذر من الشرك ثم ثنى ببر الوالدين  
كذلك. قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ  
الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُنْفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٣٣﴾ وَأَخْفِضْ  
لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ٣٤﴾ [الأنعام: ٢٣ - ٢٤]، وَقَالَ تَعَالَى:  
﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ  
تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام: ١٥١]،  
وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ [القصص: ١٤]، بل إن الله عَزَّوَجَلَّ أوجب  
برهما وإن كانا كافرين غير مسلمين في حدود الأمور المشروعة المباحة الدنيوية، أما لو أمرا  
بمعصية فلا طاعة لهما ولا لغيرهما إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:  
﴿وَلَنْ جَهْدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾  
[القصص: ١٥]



وأما الأحاديث في هذا فكثيرة أيضاً منها حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين، قال: «سألت رسول الله ﷺ أي الأعمال أحب إلى الله قال: «الصلاة على وقتها» قلت ثم أي؟ قال: «ثم بر الوالدين» قلت ثم أي؟ قال: «ثم الجهاد في سبيل الله»<sup>(١)</sup>. وقال ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر» ثلاثاً قالوا: بلى يا رسول الله قال: «الإشراك بالله وعقوق الوالدين»<sup>(٢)</sup> الحديث.

وقالت أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «قدمت علي أُمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: وهي راغبة أفأصل أُمي قال: «نعم صلي أمك»<sup>(٣)</sup>.

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال: «أمك» قال: ثم من قال: «ثم أمك» قال: ثم من قال: «ثم أمك» قال: ثم من قال: «ثم أبوك»<sup>(٤)</sup>.

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد فقال: «أحي والداك» قال: نعم قال: «فضيهما فجاهد»<sup>(٥)</sup>.

والآيات والأحاديث في وجوب بر الوالدين وتحريم عقوقهما كثيرة. يجب على المسلمين أن يقوموا بها خير قيام، وأن يؤدوا حقهما، ونحن في عصر كثرت فيه المدهمات

(١) أخرجه مسلم [٨٥].

(٢) أخرجه البخاري [٢٦٥٤]، ومسلم [٨٧] من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري [٢٦٢٠]، ومسلم [١٠٠٣].

(٤) أخرجه البخاري [٥٩٧١]، ومسلم [٢٥٤٨] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه البخاري [٣٠٠٤]، ومسلم [٢٥٤٩].

إلى درجة أن هناك من يرمي والديه عند الكبر في دور الرعاية نزولاً عند رغبة زوجته المتسلطة، تقول: إما أنا وإما أمك وأبوك! وهذا مما قلده فيه بعض المسلمين أولئك الكفرة الملحدون.

وأنا لأهون من حقوق الزوجات، لكن إذا أدى الأمر إلى الاستهانة بحقوق الوالدين، فلا يضيع حق أحد على حساب حق أحد آخر، بل يجب إعطاء كل ذي حق حقه.

فلنتذكر ما عاناه الوالدان من أجلنا؛ كم هي الليالي التي سهرنا من أجل أن نسعد نحن؟ وكم ليلة جافت عيونهما الراحة والنوم من أجل أن ننام نحن ونستريح؟ فيجب التنبيه لحقوق الوالدين الذي يهمله الكثير إلا من رحم الله.

قال رسول الله ﷺ: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا - مع ما يدخر له في الآخرة - مثل البغي وقطيعة الرحم»<sup>(١)</sup>.

والمسألة الثانية: وجوب طاعة ولي الأمر، وهو السلطان في حدود طاعة الله. وقد أمر الله سبحانه وتعالى بذلك في كتابه كما أمر بذلك رسوله ﷺ.

قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]؛ وأولو الأمر: هم العلماء والأمراء الذين ولاهم الله أمر المسلمين ولو بالغلبة، فيجب أداء حقوقهم، واعتقاد أن لهم بيعة شرعية في أعناق الرعية، وطاعتهم في غير معصية الله تعالى.

وقال رسول الله ﷺ: «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه أحمد [٢٠٣٧٤]، وأبو داود [٤٩٠٤]، والترمذي [٢٥١١]، وابن ماجه [٤٢١١] من حديث أبي بكره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) أخرجه مسلم [١٨٥١] من حديث جندب بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والمقصود: بيعة السلطان القائم، لا بيعة السلطان المجهول الذي يبايع له بعض الأحزاب من أمثال الخوارج ومن نهج نهجهم، حتى ولو كان هذا السلطان الذي تجب طاعته غلب تغلبا وحكم بشرع الله، فإن له في عنقنا بيعة يجب الوفاء بها، ومن نقضها فإنه غادر وناقض.

وقال رسول الله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني وإنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجرا وإن قال بغيره فإن عليه منه»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك»<sup>(٢)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم» وعد منهم: «ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا لدنيا فإن أعطاه منها وقى وإن لم يعطه منها لم يضر»<sup>(٣)</sup>.

وقال حذيفة بن اليان رضى الله عنه: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير شئ قال: «نعم» فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير قال: «نعم وفيه دخن» قلت وما دخنه قال: «قوم يستنون بغير سنتي

(١) أخرجه البخاري [٢٩٥٧]، ومسلم [١٨٤١] من حديث أبي هريرة رضى الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم [١٨٣٦] من حديث أبي هريرة رضى الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري [٢٣٥٨]، ومسلم [١٠٨] من حديث أبي هريرة رضى الله عنه.

ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر» فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر قال: «نعم دعاء على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها» فقلت: يا رسول الله صفهم لنا قال: «نعم قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا» قلت: يا رسول الله فما ترى إن أدركني ذلك قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم» فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»<sup>(١)</sup>.

وقال النبي ﷺ: «من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية»<sup>(٢)</sup>.

وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «دعانا النبي ﷺ فبايعناه فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان»<sup>(٣)</sup>.

وقال ﷺ في حق أئمة الجور لما قيل له: أفلا نناذبهم بالسيف فقال: «لا ما أقاموا فيكم الصلاة وإذا رأيتم من ولا تكلم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يدا من طاعة»<sup>(٤)</sup>.

والذي يحكم عليه بالكفر البواح هم العلماء الربانيون وليس الرعاع أو من تملأ عليه الفتاوى من وراء الكهوف أو عبر الفضائيات والمواقع المشبوهة، وما شاكل ذلك.

(١) أخرجه البخاري [٣٦٠٦]، ومسلم [١٨٤٧].

(٢) أخرجه البخاري [٧٠٥٣]، ومسلم [١٨٤٩] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه البخاري [٧٠٥٥]، ومسلم [١٧٠٩].

(٤) أخرجه مسلم [١٨٥٥] من حديث عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذا هو حديث الساعة، حيث إن بعض الشباب الذين استهوتهم الشياطين، وأملوا عليهم الجهالة عبر زبالات الإنترنت أو من وراء الكواليس والكهوف، فأفتوهم بغير علم فضلوا وأضلوا، بل وصل الأمر ببعضهم إلى استباحة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم وتخريب مرافقهم باستخدام وسائل التدمير والتفجير وتغذيتهم بعض المنظمات المشبوهة والأفلام المأجورة المسعورة والفتاوى المضللة الأمر الذي أدى إلى التغيرير ببعض حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام حيث تحولوا إلى مخربين يقتلون المسلمين والمستأمنين والمعاهدين والذميين، ويعتدون على الأنفس والأموال والممتلكات، ويسمون ذلك جهادًا وهذا ولا شك من تلبس إبليس كحال الذين يستحلون الخمر ويسمونها بغير اسمها.

أخافوا الآمنين وروعوا المسلمين وأساءوا إلى الإسلام وأهله، وقدموا خدمة لأعداء الإسلام لم يقدمها حتى اليهود والنصارى أنفسهم منذ مئات السنين، فشغلوا المسلمين بأنفسهم، وخلا الجو لأعداء الإسلام يعيشون في الأرض فسادًا؛  
**خَلا لَكَ الْجَوْ فَبِيضِي وَاصْفَرِي      وَنَقَرِي مَا شِئْتُ أَنْ تَنْقَرِي**  
 \* وهم مخذولون مدحورون دائمًا والله الحمد، لكنهم كما أخبر النبي ﷺ:  
**«كلما ظهر منهم قرن قطع حتى يظهر في عراضهم الدجال»<sup>(١)</sup>.**

وقوله:

٤٠٥- **لَا تَخْرُجَنَّ عَلَى الْإِمَامِ مُحَارِبًا      وَلَوْ أَنَّهُ رَجُلٌ مِنَ الْحَبْشَانِ**  
 \* يشير رحمه الله إلى حديث: **«أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبد حبشي»<sup>(٢)</sup>.**

(١) أخرجه أحمد [٦٨٧١]، والحاكم [٨٤٩٧] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٨١٧١].

(٢) تقدم تخريجه في ص: [٢٨٩].

## الدين هو رأس المال

وقوله:

- ٤٠٦- وَمَتَى أُمِرْتُ بِبِدْعَةٍ أَوْ زَلَّةٍ فَاهْرُبْ بِدِينِكَ آخِرَ الْبُلْدَانِ  
٤٠٧- الدِّينُ رَأْسُ الْمَالِ فَاسْتَمْسِكْ بِهِ فَضْيَاعُهُ مِنْ أَعْظَمِ الْخُسْرَانِ

❖ يوضح الناظم في هذين البيتين بأنه على المسلم إذا أمر بمعصية أو بدعة أو فتن في دينه ولم يتمكن من إقامة دينه، فعليه أن يهاجر ويهرب إلى بلد يتمكن فيه من إقامة شعائر دينه؛ لأن رأس مال المرء دينه، فليفر به وليستمسك به إلى أن يلقى ربه كما قال الله تَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحج: ٩٩]، وقال: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [١٣]، وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الحج: ٤٣ - ٤٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [الأنعام: ١٠٣].

قال البستي:

وكل كسر فإن الله يجبره وما لكسر قناة الدين جبران

وقال الشيخ حافظ الحكمي في ميميته:

وكل كسر الفتى فالدين جابره والكسر في الدين صعب غير ملتئم

وقال الشاعر:

ما صحة أبداً بنافعة حتى يصح الدين والخلق

وقال آخر:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع  
فطوبى لعبد أثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع

وقول الناظم: «فضياعه من أعظم الخسران»، بل هو أعظم الخسران، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزُّمَرُ: ١٥]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الْمَائِدَةُ: ٨٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ [الْحَجُّرَةُ: ١ - ٣].

والمقصود بأمره بالهروب بدينك ليس مجرد الهروب، وإنما إذا علمت أو غلب على ظنك أنك تجد بلداً أحسن من المكان الذي أنت فيه، تقيم فيه شعائر دينك، أما أن تهرب من بلاد المسلمين إلى بلاد الكفر فهذا كالمستجير من الرمضاء بالنار.



### التوقي من فتنة النساء والمردان

- ٤٠٨- لَا تَخُلْ بِامْرَأَةٍ لَدَيْكَ بِرِيْبَةٍ  
 ٤٠٩- إِنَّ الرِّجَالَ النَّاطِرِينَ إِلَى النِّسَاءِ  
 ٤١٠- إِنْ لَمْ تَصُنْ تِلْكَ اللُّحُومَ أُسْوِدُهَا  
 ٤١١- لَا تَقْبَلَنَّ مِنَ النِّسَاءِ مَوَدَّةً  
 ٤١٢- لَا تَتْرُكَنَّ أَحَدًا بِأَهْلِكَ خَالِيًا  
 ٤١٣- وَاعْضُضْ جُفُونَكَ عَنْ مُلَاحَظَةِ النِّسَاءِ  
 لَوْ كُنْتَ فِي النِّسَاءِ مِثْلَ بُنَانٍ  
 مِثْلُ الْكِلَابِ تَطُوفُ بِاللُّحْمَانِ  
 أَكَلْتَ بِلَا عِوَضٍ وَلَا أَثْمَانٍ  
 فَقُلُوبُهُنَّ سَرِيعَةُ الْمَيَّالَانِ  
 فَعَلَى النِّسَاءِ تَقَاتَلَ الْأَخْوَانِ  
 وَمَحَاسِنُ الْأَحْدَاثِ وَالصُّبْيَانِ

﴿ أعظم فتنة يفتتن بها الرجال: هي فتنة النساء، قال رسول الله ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»<sup>(١)</sup>، ولذلك فإن هنا آداباً شرعية يجب أن تراعى في هذا الباب، منها:

ألا تخلو بامرأة من غير وجود محرم بينكما، وإذا كان ثم محرم بينكما فلا بد أن تكون محتشمة، كل الاحتشام، ولا تتكلم إلا بقدر الحاجة. فإن الخلو بالمرأة الأجنبية مظنة لنزغات الشيطان، ولذلك يقول الرسول ﷺ: «لا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان»<sup>(٢)</sup>، وقال: «لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم» فقام رجل فقال: يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة وأنا أكتب في غزوة كذا وكذا قال: «انطلق فحج مع امرأتك»<sup>(٣)</sup>، ولما قيل له: يا رسول الله أرايت اللحم؟ قال: «الحمو الموت»<sup>(٤)</sup>، والحمو: هو أخو الزوج أو قريبه..

(١) أخرجه البخاري [٥٠٩٦]، ومسلم [٢٧٤٠] من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أحمد [١٤٦٩٢]، والترمذي [٢٨٠١] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وصححه الألباني في «الإرواء» [١٨١٣].

(٣) أخرجه البخاري [٣٠٠٦]، ومسلم [١٣٤١] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) أخرجه البخاري [٥٢٣٢]، ومسلم [٢١٧٢] من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



والأحاديث في النهي عن الخلوة بالنساء كثيرة، ويجب على المسلم أن يتعد عن مواضع الريبة. وما يطالب به الآن المستغربون والمتفرنجون من إطلاق العنان للنساء، يسافرن وحدهن دون محارم، ويقدن السيارات إلى ما شاء الله، ويخلون بالرجال الأجانب؛ فهذه دعوة إلى الانسلاخ من الدين، وإلى السفور، وإلى قلة الحياء، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وأشار الناظم إلى أنه لا ينبغي لأحد أن يأمن فتنة النساء على نفسه ولو كان من أعبد الناس؛ وبنان هذا هو ابن محمد الواسطي الحمال، أحد تلاميذ الجنيد، متوفى ٣١٦هـ، له ترجمة في تاريخ بغداد وسير أعلام النبلاء.

وقوله:

٤٠٩- إِنَّ الرِّجَالَ النَّاطِرِينَ إِلَى النِّسَاءِ      مِثْلُ الْكِلَابِ تَطُوفُ بِاللُّحْمَانِ  
٤١٠- إِنْ لَمْ تَصُنْ تِلْكَ اللَّحُومَ أُسْوِدْهَا      أَكَلَتْ بِلَا عَوْضٍ وَلَا أَثْمَانِ

يحذر الناظم رَحِمَهُ اللهُ مِنَ النظر إلى النساء والتعلق بهن بطرق غير شرعية، فإن النظر إلى الأجنبية سهم من سهام إبليس المسمومة،

خدعوها بقولهم حسناء      والغواني يغرهنَّ الثناء  
نظرة فابتسامة فسلام      فكلام فموعد فلقاء

وشبه الناظم الناظرين إلى النساء بالكلاب التي تحوم حول اللحم وتشمها من مسافة بعيدة، إذ الكلب معروف بقوة حاسة الشم، وحري بمن حام حول الحمى أن يقع فيه كما قال رسول الله ﷺ: «ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله

محارمه»<sup>(١)</sup>، وإذا كان الجاهليون يغضون أبصارهم عن النظر إلى جاراتهم ونسائهم كما يقول شاعرهم:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتني      حتى يوارى جارتني ماواها  
فمن من الله عليهم بنعمة الإسلام أولى وأحرى بذلك، وقد أقر الإسلام ما عليه  
الناس من عادات حميدة وأخلاق سامية وهذباء، بل زادها قوة وحماية، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :  
﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ٣٠﴾  
وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴿٣١﴾ [النُّور: ٣٠-٣١].

ونهي الشارع الحكيم عن النظر فيه حماية لجناب الأعراض. وقد رفع الشارع  
الحرج عن النظرة الأولى التي عن غير قصد، ونهى عن التماهي فيها أو تكرارها، فقال  
رسول الله ﷺ لعلي: «يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست  
لك الآخرة»<sup>(٢)</sup>.

وهناك عادة قبيحة يقع فيها بعض المسلمين، لا تقل خطراً عن النظر إن لم تكن  
أشد خطورة وهي المصافحة بدعوى السلام وتأليف القلوب ومراعاة العادات، وقد قال  
ﷺ لما جاءته إحدى الصحابيات تريد أن تباعه، فقالت: أمدد يدك يا رسول الله  
أبايعك، فقال: «لا أصافح النساء»<sup>(٣)</sup>، وقال ﷺ: «لأن يطعن في رأس أحدكم

(١) أخرجه البخاري [٥٢]، ومسلم [١٥٩٩] من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أحمد [١٣٧٣]، وأبو داود [٢١٥١]، والترمذي [٢٧٧٧]. وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شريك.

(٣) أخرجه أحمد [٢٧٠٠٦]، والترمذي [١٥٩٧]، والنسائي [٤١٨١] من حديث أميمة بنت رقيقة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وقال الترمذي: حسن صحيح.

بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له»<sup>(١)</sup>، وقال: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر وزنا اللسان المنطق والنفس تمني وتشتهي والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه»<sup>(٢)</sup>.

فكيف يتساهل المسلم الغيور بمثل هذه العادات؟ يأتي أحدهم ضيف أجنبي فيقدم له زوجته لتصافحه فيضع يده في يدها ويهشها ومحرمها ينظر كالتيس الأسك لا يغار على محارمه.

إذا لم تصن عرضاً ولم تخش خالقاً وتستح مخلوقاً فما شئت فاصنع ويخشى أن يجر مثل هذا الأمر إلى الديانة التي لا يشم صاحبها رائحة الجنة، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

لعمري لقد نبهت من كان نائماً وأسمعت من كان له أذنان وما تلك القبائح إلا تقليداً للإفرنج وأعداء الإسلام. والمسلم مطالب بأن يربأ بنفسه عن ذلك.

قد هيؤوك لأمر لو فطنت له فارياً بنفسك أن ترعى مع الهمل ويزعم البعض أنه لا يفتن بمثل النظر والمصافحة بدعوى طهارة القلب ونظافته وما يدري هذا المسكين أن المصافحة طريق المسافحة.

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء

(١) أخرجه الطبراني [٤٨٧] من حديث معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.. وقال الهيثمي (٤/ ٣٢٦): رجاله رجال الصحيح. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٥٠٤٥].

(٢) أخرجه البخاري [٦٢٤٣] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال بعض السلف وهو في سن الشيخوخة: لو ائتمنت على مثل أحد ذهباً لأمنت نفسي، ولا آمن نفسي على جارية عوراء.

وأقول للمتساهلين في هذه الأمور من أدعياء طهارة القلوب: اسمعوا قول الله عزَّجَلَّ مخاطباً الطاهرات المطهرات أمهات المؤمنين، أزواج النبي ﷺ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الاحزاب: ٣٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الاحزاب: ٥٣].

وقوله:

٤١١- لَا تَقْبَلَنَّ مِنَ النِّسَاءِ مَوَدَّةً      فَقَلْبُوهُنَّ سَرِيعَةُ الْمِيلَانِ  
 \* يشير إلى خطورة العلاقات المشبوهة مع الأجنبية، وذلك لما تنطوي عليه من فتنة وشر ولو بدعوى التعارف والمودة والمحبة، لكون هذا قد يفضي إلى ما لا تحمد عقباه، لاسيما أنهن ضعيفات وميالات مميلات إلى الشر، قال رسول الله ﷺ: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن»<sup>(١)</sup>، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨].

قال جرير الشاعر:

إن العيون التي في طرفها حور      قتلنا ثم لم يحين قتلانا  
 يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به      وهن أضعف خلق الله إنسانا  
 وقال آخر:

لا تأمن الأنثى حبك بودها      إن النساء ودادهن مُقسَم

(١) أخرجه البخاري [٣٠٤] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

اليوم عندك دُلُّها وحديثها  
وقال آخر:

كأين ترى من ذات شجو ولوعة طوت كشحها بعد الحنين المرجع

ويشير بقوله: «لا تترك أحدا بأهلك خاليا فعلى النساء تقاتل الأخوان» إلى قصة ابني آدم؛ والمقصود التحذير من الأمن على العرض من أي أجنبي كائنًا من كان، قريبًا كان أو بعيدًا، وليس فيما حكى الله لنا في قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَام وتعلق المرأة به وهو ينفر منها، وما جاء في السنة من قصة العسيف<sup>(١)</sup> عنا ببعيد.

وقوله:

٤١٣- وَاغْضُضْ جُفُوتَكَ عَنْ مُلَاحَظَةِ النَّسَاءِ وَمَحَاسِنِ الْأَخْدَاتِ وَالصَّبَبِيَّانِ

❁ على المسلم أن يغض طرفه، سواء عن الأجنبية، وعن الغلمان والولدان والمردان؛ لأنه قد يفتتن بذلك بعض الشذاذ كما جرى في بعض العصور - والعياذ بالله -.



(١) أخرج البخاري [٢٦٩٥] عن زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه جاء أعرابي فقال يا رسول الله اقض بيننا بكتاب الله فقام خصمه فقال صدق اقض بيننا بكتاب الله فقال الأعرابي إن ابني كان عسيفا على هذا فزنى بامرأته فقالوا لي على ابنك الرجم ففديت ابني منه بمائة من الغنم ووليدة ثم سألت أهل العلم فقالوا إنما على ابنك جلد مائة وتغريب عام فقال النبي ﷺ لأقضين بينكما بكتاب الله أما الوليدة والغنم فرد عليك وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام وأما أنت يا أنيس لرجل فاغد على امرأة هذا فارجمها فغدا عليها أنيس فرجمها.

- ٤١٤- لَا تَجْعَلَنَّ طَلَاقَ أَهْلِكَ عُرْضَةً إِنَّ الطَّلَاقَ لَأَخْبَثُ الْأَيْمَانِ  
 ٤١٥- إِنَّ الطَّلَاقَ مَعَ الْعِتَاقِ كِلَاهُمَا قَسَمَانِ عِنْدَ اللَّهِ مَمْقُوتَانِ

✽ يحذر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ من التساهل في أمر الطلاق، فلا تجعله على لسانك كلما عن لك أمر، والواجب في هذا اتباع السنة.

والذي ينبغي للمسلم أن يكون الطلاق عنده هو العلاج الأخير، عندما يتعذر الوثام بين الزوجين، وبعد الاجتهاد في استخدام جميع وسائل الإصلاح، ولا يلجأ إليه إلا عند الضرورة القصوى، من باب آخر الدواء الكي، حيث جعله الله مخرجاً للزوجين، قَالَ الْعَالِي: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]، وَقَالَ الْعَالِي: ﴿وَإِنْ يَنْفَرَا بَيْنَ اللَّهِ كَلًّا مِّنْ سَعَتِهِ، وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠].

وبين الناظم أن من الأقسام المذمومة عند الله الحلف بالطلاق أو العتاق كقوله علي الطلاق أو علي العتاق، وذلك لما فيه من محاذير شرعية عدة منها: كونه استعمال اليمين في الحث أو المنع أو التصديق أو التكذيب، وقد قال رسول الله ﷺ: «إِنِ اللَّهُ يَنْهَاكُم أَنْ تَحْلِفُوا بِأَبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفاً فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمِتَ»<sup>(١)</sup>.

ومنها: أنه بدعة من البدع؛ ووجه بدعته أنه يدخل تحت قول النبي ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»<sup>(٢)</sup>، فهو لم يعرف لا في الكتاب ولا في السنة ولا عن أحد من سلف الأمة.

ومنها: أنه من المشتبهات عند أهل العلم من حيث وقوع الطلاق به وعدمه.

(١) رواه البخاري [٦٦٤٦] من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) رواه مسلم [١٧١٨] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ومنها: ما يفضي إليه من تفكك أسري وضرر على الفرد والمجتمع، وجاء في الحديث: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق»<sup>(١)</sup>، بل ثبت في الحديث أن إبليس «إذا أصبح بث جنوده فيقول: من أضل اليوم مسلماً ألبسته التاج فيجيء أحدهم فيقول: لم أزل به حتى علق والده فقال: يوشك أن يبره ويجيء أحدهم ويجيء أحدهم فيقول: لم أزل به حتى طلق امرأته فيقول: يوشك أن يتزوج ويجيء أحدهم فيقول: لم أزل به حتى أشرك فيقول: أنت أنت ويجيء أحدهم فيقول: لم أزل به حتى قتل فيقول: أنت أنت ويلبسه التاج»<sup>(٢)</sup>، وقد قال رسول الله ﷺ: «ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة»<sup>(٣)</sup>.



- (١) أخرجه أبو داود [٢١٨٠]، وابن ماجه [٢٠١٨]، والحاكم [٢٧٩٤] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال الحاكم: صحيح الإسناد. وقال الذهبي: على شرط مسلم.
- وأورده ابن الجوزي في «العلل المتناهية» [١٠٥٦]، وقال: هذا حديث لا يصح، قال يحيى: الوصافي ليس بشيء، وقال الفلاس والنسائي: متروك الحديث. وضعفه الألباني في «إرواء الغليل» [٢٠٤٠] وذكر عن أبي حاتم والدارقطني والبيهقي والمنذري أن المشهور فيه الإرسال.
- (٢) أخرجه ابن حبان [٦٥]، والحاكم [٢١٨٠] من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وقال الذهبي: صحيح.
- (٣) أخرجه أبو داود [٢١٩٦]، والترمذي [١١٨٤]، وابن ماجه [٢٠٣٩] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريب والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم». وقال الألباني في «صحيح سنن أبي داود» [١٩٠٤]: «قلت: حديث حسن، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، ووافقه الحافظ، ومن قبله الخطابي، وصححه ابن الجارود والحاكم».

### حفظ السر ومراعاة آداب الصحبة

- ٤١٦- وَاحْفَظْ لِسِرِّكَ فِي فُؤَادِكَ مَلْحَدًا      وَادْفِنْهُ فِي الْأَحْشَاءِ أَيَّ دِفَانٍ  
٤١٧- إِنَّ الصَّدِيقَ مَعَ الْعَدُوِّ كِلَاهُمَا      فِي السَّرِّ عِنْدَ أُولِي النُّهَى شَكْلَانِ  
٤١٨- لَا يَبْدُ مِنْكَ إِلَى صَدِيقِكَ زَلَّةٌ      وَاجْعَلْ فُؤَادَكَ أَوْثَقَ الْخِلَافِ

✽ احفظ سرّك، لا تفضحن نفسك في أمورك الخاصة التي تتطلب الكتمان. وجاء في الحديث: «استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود»<sup>(١)</sup>، ولعله حسن. فالمحافظة على السر أمر متحتم، وسواء كان متعلقا بخاصتك أم بغيرك.

إذا ما المرء أخطأه ثلاث      فبعه ولو بكف من رماد<sup>(٢)</sup>  
سلامة صدره والصدق منه      وكتمان السرائر في الفؤاد

وإذا كان السر من الأمور التي يستحي من ذكرها كالأمر التي تكون بين الرجل وأهله مثلاً، فإن الذي يتحدث بها كالشيطان، قال ﷺ: «فإنما مثل ذلك شيطان لقي شيطانه فغشيها والناس ينظرون»<sup>(٣)</sup>، وذلك مما يدخل في قوله نَعَانِي: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٢١].

فحافظ على سرّك، وإياك وإفشاءه لعدو أو صديق كما قال الناظم: «وادفنه في الأحشاء أي دفان».

وبين الناظم أنه يجمل بالمرء أن يحذر من زلات اللسان وعثراته حتى لا يستغلها الأعداء من الإنس والجن حتى ولو بعد حين، ولهذا قال: «واجعل فؤادك أوثق الخلان»،

(١) أخرجه ابن حبان في «روضة العقلاء» ص: [١٨٧]، والسهمي في «تاريخ جرجان» ص: [١٨٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال: فالحديث بهذا الإسناد جيد عندي. والله أعلم.

(٢) الأبيات لمحمد بن عبد الله البغدادي كما في «روضة العقلاء»، ص: [٥٣].

(٣) أخرجه أحمد [٢٧٥٨٣]، والطبراني [٤١٤] من حديث أسماء بنت يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٤٠٠٨].



أي: لا يتجاوز شرك قلبك. فما تفوه به اللسان لا يمكن تداركه، وما خرج ذاع وللسر أضاع، وكما قال ابن عبدوس:

إذا ما كتمت السر عمن أوده      توهم أن الودّ غير حقيقي  
ولم أخف عنه السر من ظنة به      ولكنما أخشى صديق صديقي  
وهذا لا يتنافى مع بثّ الشكوى لأهل العلم والعقل الراجح والرأي السديد  
فيما يحتاج إلى مشاورة، فما خاب من استشار؛

ولا بد من شكوى إلى ذي مروءة      يواسيك أو يسليك أو يتوجّع  
وقال آخر:

إذا كنت في حاجة مرسلا      فأرسل حكيمًا ولا توصه  
وإن بال حزم عليك توى      فشاور لبيبًا ولا تعصه



## التهاون في الصغيرة قد يوقع في الكبيرة

٤١٩- لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الذُّنُوبِ صِغَارَهَا فَالْقَطْرُ مِنْهُ تَدْفُقُ الْخُلُجَانِ

❖ يبين الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ خطورة الذنوب مهما صغرت؛ لأن معظم النار من مستصغر الشرر. فلا تستصغر - يا عبد الله - الصغائر لأنها مع الإصرار قد تتحول إلى كبائر، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٤]، وقد فسر النبي ﷺ هذه الآية بقوله: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه فإن زاد زادت فذلك الران الذي ذكره الله في كتابه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ: «إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه»<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام البرهاري رَحْمَةُ اللَّهِ: «واحذر صغار المحدثات من الأمور فإن صغار البدع تعود حتى تصير كبراً»، وقال الشاعر:

خَلَّ الذُّنُوبُ صَغِيرَهَا      وَكَبِيرَهَا      ذَاكَ التَّقَى  
وَاصْنَعْ كَمَا شِئْتَ فَوْقَ أَرْ      ضِ الشُّوْكِ      يَحْذَرُ مَا يَرَى  
لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً      إِنَّ الْجِبَالَ      مِنَ الْحَصَى

(١) أخرجه أحمد [٧٩٥٢]، والترمذي [٣٣٣٤]، وابن ماجه [٤٢٣٤]، والحاكم [٣٨٦٩] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» [٣١٤١].

(٢) أخرجه أحمد [٣٨١٨]، والطبراني [١٠٥٠٠] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» [٢٤٧٠]: صحيح لغيره.

فالمرء إذا استمر على الذنوب وتساهل فيها استمرأها وتعود عليها وفقد الإحساس  
 بخطورتها، فكثرة الإمساس تزيل الإحساس؛  
 من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام



## النذر عهد، وأن العهد كان مسؤولاً

٤٢٠- وَإِذَا نَذَرْتَ فَكُنْ بِنَذْرِكَ مُوفِيًّا      فَالنَّذْرُ مِثْلُ الْعَهْدِ مَسْئُولَانِ

✽ يقول الله تَعَالَى في سياق مدحه لعباده المؤمنين: ﴿يُؤْفُونَ بِالْأَنذَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الْإِنشَاء: ٧]، ويقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا أَنفَقْتُمْ مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِّنْ نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [الْبَقَرَةُ: ٢٧٠]، ويقول النبي ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه»<sup>(١)</sup>.

والنصوص في الباب كثيرة؛ فينبغي للمسلم أن لا يلجأ إلى النذر؛ لأن «النذر لا يرد شيئاً، وإنما يستخرج به من البخيل»<sup>(٢)</sup>، كما قال ﷺ، ولكن إذا حصل منه النذر، فإما أن يكون نذر طاعة فيجب الوفاء به، وإما أن يكون نذر معصية فيحرم الوفاء به، وكفارته كفارة يمين. قال ﷺ: «لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين»<sup>(٣)</sup>، وقال ﷺ: «أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم»<sup>(٤)</sup>.

وتشبيه الناظم النذر بالعهد لجامع وجوب الوفاء في كل منهما ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الْإِسْرَاءُ: ٣٤].



(١) أخرجه البخاري [٦٦٩٦] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه البخاري [٦٦٠٨]، ومسلم [٤٣٢٦] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه أبو داود [٣٢٩٢]، والترمذي [١٥٢٤]، والنسائي [٣٨٣٤]، وابن ماجه [٢١٢٥] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وصححه الألباني في «الإرواء» [٢٥٩٠].

(٤) أخرجه أبو داود [٣٣١٥]، والترمذي [١٥٢٤]، والبيهقي [١٩٩٢٦] من حديث ثابت بن الضحاك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «المشكاة» [٣٤٣٧].

## ليشغلك عيبك عن عيوب الناس

٤٢١- لَا تُشْغَلَنَّ بِعَيْبِ غَيْرِكَ غَافِلًا عَنْ عَيْبِ نَفْسِكَ إِنَّهُ عَيْبَانِ

❖ ذم الناظم الذين يتتبعون عيوب الآخرين وينقبون عن مثالب الناس وينسون عيوبهم ولو أنهم شغلوا بإصلاح عيوبهم لما عابوا غيرهم؛

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم  
أبدأ بنفسك فانهها عن غيرها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم<sup>(١)</sup>

وقد حذر الله عز وجل من ذلك فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَبُوا أَنَا مُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنَسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، وقال ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته»<sup>(٢)</sup>.

فالواجب على المسلم أن يحفظ نفسه ولسانه من تتبع عورات المسلمين؛ لأن هذا يدخل في الغيبة المحرمة ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]، وقد قال رسول الله ﷺ عن الغيبة: «هي ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته وإن لم يكن فيه فقد بهته»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: «ديوان أبو الأسود الدؤلي»، تحقيق: محمد حسن آل ياسين بيروت ١٩٧٤، (١٦٥ - ١٦٦).

(٢) أخرجه أحمد [١٩٧٧٦]، وأبو داود [٤٨٨٢]، والترمذي [١٥٢٤] من حديث أبي هريرة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٧٩٨٤].

(٣) أخرجه مسلم [٢٥٨٩] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وكما ذكر الناظم فإن الانشغال بعيب الناس عيبان: فعيبهم عيب وانشغالك

عن عيب نفسك عيب؛

دموعاً ولا يبكي على فقد دما

عجبت لمن يبكي على فقد غيره

عظيماً وفي عينيه عن ذنبه عمى

وأعجب من ذا أن يرى ذنب غيره

وقال الآخر:

وَدَيْنَكَ مَوْفُورٌ وَعَرَضُكَ صَيِّنٌ

إذا رمت أن تحيا سليماً مِنَ الرَّدَى

فَكُلُّكَ سَوَاءٌ وَلِلنَّاسِ أَعْيُنٌ

فَلَا يَنْطِقُنْ مِنْكَ اللِّسَانُ بِسَوَاءٍ

ودافع ولكن بالتي هي أحسن

وَعَاشِرٌ بِمَعْرُوفٍ، وَسَامِعٌ مَنِ اعْتَدَى

ولا يستثنى من ذلك إلا ست حالات استقرأها النووي رَحِمَهُ اللهُ من كلام أهل

العلم وذكرها مفصلة في رياض الصالحين، لا يذم صاحبها ولا تعدّ من الغيبة المحرمة

فانظرها فيه، فإنها مهمة.

وقد نظمها بعضهم اختصاراً فقال:

متظلم ومعرف ومحذر

القدح ليس بغيبة في ستة

طلب الإعانة في إزالة المنكر

ومجاهر فسقا ومستفت ومن



## آداب الجدل والمناظرة

- ٤٢٢- لَا تُفْنِ عُمَرَكَ فِي الْجِدَالِ مُخَاصِمًا  
٤٢٣- وَاحْذَرْ مُجَادَلَةَ الرِّجَالِ فَإِنَّهَا  
٤٢٤- وَإِذَا اضْطُرَرْتَ إِلَى الْجِدَالِ وَلَمْ تَجِدْ  
٤٢٥- فَاجْعَلْ كِتَابَ اللَّهِ دِرْعًا سَابِغًا  
٤٢٦- وَالسُّنَّةَ الْبَيضاءَ دُونَكَ جُنَّةً  
٤٢٧- وَاثْبُتْ بِصَبْرِكَ تَحْتَ أَلْوِيَةِ الْهُدَى  
٤٢٨- وَاطْعَنْ بِرُمَحِ الْحَقِّ كُلَّ مُعَانِدٍ  
٤٢٩- وَاحْمِلْ بِسَيْفِ الصِّدْقِ حَمْلَةَ مُخْلِصٍ  
٤٣٠- وَاحْذَرْ بِجُهِدِكَ مَكْرَ خَصْمِكَ إِنَّهُ  
٤٣١- أَصْلُ الْجِدَالِ مِنَ السُّؤَالِ وَفَرْعُهُ  
٤٣٢- لَا تَلْتَفِتْ عِنْدَ السُّؤَالِ وَلَا تُعِدْ  
٤٣٣- وَإِذَا غَلِبْتَ الْخَصْمَ لَا تَهْزَأْ بِهِ  
٤٣٤- فَلَرُبَّمَا انْهَزَمَ الْمُحَارِبُ عَامِدًا  
٤٣٥- وَاسْكُتْ إِذَا وَقَعَ الْخُصُومُ وَقَعَقَعُوا  
٤٣٦- وَكُرِّبَمَا ضَحِكَ الْخُصُومُ لِدَهْشَةٍ  
٤٣٧- فَإِذَا أَطَالُوا فِي الْكَلَامِ فَقُلْ لَهُمْ  
٤٣٨- لَا تَغْضَبَنَّ إِذَا سُئِلْتَ وَلَا تَصْخُ  
٤٣٩- وَإِذَا انْقَلَبْتَ عَنِ السُّؤَالِ مُجَابِيًا  
٤٤٠- وَاحْذَرْ مُنَازَرَةً بِمَجْلِسِ خِيفَةٍ
- إِنَّ الْجِدَالَ يُخِلُّ بِالْأَدْيَانِ  
تَدْعُو إِلَى الشُّحْنَاءِ وَالشَّنَانِ  
لَكَ مَهْرِيًّا وَتَلَاَقَتِ الصَّفَّانِ  
وَالشَّرْعَ سَيْفَكَ وَابْدُ فِي الْمِيدَانِ  
وَارْكَبْ جَوَادَ الْعَزْمِ فِي الْجَوْلَانِ  
فَالصَّبْرُ أَوْثَقُ عُدَّةِ الْإِنْسَانِ  
لِلَّهِ دُرُّ الْفَارِسِ الطَّعَّانِ  
مُتَجَرِّدٍ لِلَّهِ غَيْرِ جَبَانِ  
كَالثَّغْلِبِ الْبَرِّيِّ فِي الرُّوْعَانِ  
حُسْنُ الْجَوَابِ بِأَحْسَنِ التَّبْيَانِ  
لَفْظُ السُّؤَالِ كِلَاهُمَا عَيَّانِ  
فَالْعُجْبُ يُخْمِدُ جَمْرَةَ الْإِحْسَانِ  
ثُمَّ انْتَنَى فَسَطًا عَلَى الْفُرْسَانِ  
فَلَرُبَّمَا أَلْقَوْكَ فِي بُحْرَانِ  
فَاثْبُتْ وَلَا تَنْكُلْ عَنِ الْبُرْهَانِ  
إِنَّ الْبَلَاغَةَ لُجِمَتْ بِبَيَانِ  
فَكِلَاهُمَا خُلُقَانِ مَذْمُومَانِ  
فَكِلَاهُمَا لَا شَكَّ مُنْقَطِعَانِ  
حَتَّى تُبَدِّلَ خِيفَةً بِأَمَانِ

٤٤١- نَظَرُ أَدِيبٍ مُنْصِفًا لَكَ عَاقِلًا وَأَنْصِفْهُ أَنْتَ بِحَسَبِ مَا تَرَيَانِ  
٤٤٢- وَيَكُونُ بَيْنَكُمَا حَكِيمًا عَدْلًا إِذَا جِئْتَاهُ تَحْتَكِمَانِ

✽ يحذر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الأبيات من خطورة الجدل والخصومة بالباطل؛ لأن ذلك يقلب الحقائق، ويظهر الباطل في صورة الحق، والحق في صورة الباطل، ويؤدي إلى تضيق الحقوق وتضليل القضاة، وأكل أموال الناس بالباطل، والأيمان الفاجرة، والحماقات والسفاهات فضلاً عن ما قد يصاحبه من شتائم ولعن وربما قدح - والعياذ بالله -.

فإن الجدل غالباً ما يفضي إلى الشر بكل ما تحمله تلك الكلمة من معنى؛ ولذلك نهى الله عَزَّوَجَلَّ عن الجدل إلا بالتي هي أحسن، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [التكوير: ٤٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجِدْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]؛ ونهى عن الخصومة، ووصف الإنسان بأنه أكثر شيء جدلاً، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]، وقال سُبْحَانَهُ في ذم أولئك الذين يجادلون بالباطل: ﴿وَجِدُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [نور: ٥].

فلا تفن عمرك - يا عبد الله - في الجدل والخصومة بالباطل، فإن ذلك يفضي إلى عواقب وخيمة، يندم عليها المرء ساعة لا ينفع الندم.

وما ضل قوم وانهمكوا في البدع - والعياذ بالله - إلا أوتوا الجدل، ففي الحديث: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

والجدل يؤدي إلى ترك السنة والإعراض عن الحق كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «أوكلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد ﷺ لجدل

(١) أخرجه أحمد [٢٢١٦٤]، والترمذي [٣٢٥٣]، والحاكم [٣٦٧٤] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: حسن صحيح. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.



هؤلاء»<sup>(١)</sup>؛ ولذلك جاء الوعد بالأجر العظيم على لسان النبي ﷺ لمن ترك الجدل والمراء وإن كان محقاً، قال ﷺ: «أنا زعيم ببيت في ريض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»<sup>(٢)</sup>.

وأبغض الناس إلى الله عز وجل الألد الخصم كما في الحديث الصحيح<sup>(٣)</sup>، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۖ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ۖ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٦] هذا وصف للمجادلين بالباطل.

وقوله:

٤٢٣- وَاحْذَرُ مُجَادَلَةَ الرِّجَالِ فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الشَّحْنَاءِ وَالشَّنَانِ  
بمعنى ما تقدم.

فكثرة الجدل تفضي إلى الشحناء وإلى تفكك الروابط الاجتماعية وإلى البغض، وإمراض القلوب، وإبعاد النفوس، بل ربما أدى ذلك إلى حرب ضروس قد تستمر الأيام والأعوام.

(١) «شرح اعتقاد أهل السنة» للالكائي (١/ ١٤٤).

(٢) أخرجه أبو داود [٤٨٠٠]، والطبراني في «الكبير» [٧٤٨٨]، والبيهقي [٢٠٩٦٥] من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال النووي في «رياض الصالحين» [٥]: حديث صحيح، رواه أبو داود بإسناد صحيح. وحسنه الألباني في «الصحيحة» [٢٧٣].

(٣) أخرجه البخاري [٢٤٥٧]، ومسلم [٦٩٥١] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ولذلك يروى عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ قَوْلُهُ: «لو جادلني ألف عالم لغلبتهم، ولو جادلني جاهل لأتعبني».

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني  
لكن جهلت مقالتي فعذلتني  
أو كنت أعلم ما تقول عذلتك  
وعلمت أنك جاهل فعذرتك  
وقال الشاعر:

إياك واحذر مِمَّارَةَ السَّفِيهِ بِهِ  
فإن أبغض كل الخلق أجمعهم  
كذا مباهاة أهل العلم لا ترم  
إلى الإله ألد الناس في الخصم  
وقوله:

٤٢٤- وَإِذَا اضْطُرِرْتَ إِلَى الْجِدَالِ وَلَمْ تَجِدْ  
٤٢٥- فَاجْعَلْ كِتَابَ اللَّهِ دِرْعًا سَابِغًا  
٤٢٦- وَالسُّنَّةَ الْبَيْضَاءَ دُونَكَ جُنَّةً  
٤٢٧- وَاثْبُتْ بِصَبْرِكَ تَحْتَ أَلْوِيَةِ الْهُدَى  
٤٢٨- وَاطْعَنْ بِرُمَحِ الْحَقِّ كُلَّ مُعَانِدٍ  
٤٢٩- وَاحْمِلْ بِسَيْفِ الصِّدْقِ حَمَلَةَ مُخْلِصٍ

كما قال أحدهم:

وإذا جلست إلى الرجال وأشرقت  
فاحذر مناظرة الحسود فإنما  
في جوباطنك العلوم الشرذ  
تغتاظ أنت ويستفيد ويجحد

وهذه الأبيات بين فيها الناظم طريقة الجدل المحمود التي ينبغي أن تسلك في حال ما إذا اضطررت إليه ولم تجد منه بدا، والحال ما ذكر، فعليك أن تتسلح بسلاح العلم المستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

قال ابن القيم في نونيته:

ويُحَكِّمُ الوحي المبين على الذي	قال الشيوخ فعنده حُكْمَانِ
لا يَحْكُمَانِ بباطل أبدا وكلّ	العدل قد جاءت به الحكمَانِ
وهما كتاب الله أعدل حاكم	فيه الشّفا وهداية الحيرانِ
والحاكم الثاني كلام رسوله	ماتَمَّ غيرهما لذي إيمانِ
فإذا دعوك لغير حكمهما فلا	سمعا لداعي الكفر والعصيانِ
قل لا كرامةَ لا ولا نُعمى ولا	طوعا لمن يدعو إلى طغيانِ
والكلّ بعدُ فبدعة أو فرية	أو بحث تشكيك ورأي فلان <sup>(١)</sup>

والذي ينطلق من هذا المنطلق يجعل القرآن درعا والشرع سيفاً والسنة جنة والعزم جواداً له والحق رحماً والشجاعة ملجأً يخوض بهذا غمار الجدل المحمود لإحقاق الحق وإزهاق الباطل، والصبر من أعظم الأسلحة لهزيمة العدو والنكاية به سواء أكان صبراً في ساحات الوغى والجهاد أم كان في إقامة الحجج والبراهين لإفحام الخصم وإقامة الحجة عليه. قيل لأحد الشجعان: بم تهزم عدوك دائماً؟ قال: بصبر ساعة.

تحالف الناس فيما قد رأوا ورووا وكلهم يدعون الفوز بالظفر

(١) انظر: «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة ابن القيم لأحمد بن إبراهيم بن عيسى»، (١/١٢٩).

فخذ بقول يكون النص ينصره إما عن الله أو عن سيد البشر وقوله:

٤٣٠- وَأَحْذَرِ بِجُهِدِكَ مَكْرَ خَصْمِكَ إِنَّهُ كَالثَّغْلَبِ الْبَرِّيِّ فِي الرُّوْعَانِ

يحذر الناظم من مكر الخصوم لاسيما أعداء الإسلام من الكفرة والملحددين، أو أعداء أهل السنة من المبتدعة، فيجب على المسلم أن يكون على يقظة من ذلك وانتباه. وقد قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لست بالخَبِّ ولا الخَبِّ يخدعني»، فلربما تظاهر الخصم بشيء من الضعف والاستسلام والغلبة والحقيقة أنه يراوغ مراوغة الثعلب الماكر؛ قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب<sup>(١)</sup>

وقوله:

٤٣١- أَصْلُ الْجِدَالِ مِنَ السُّؤَالِ وَفَرْعُهُ حُسْنُ الْجَوَابِ بِأَحْسَنِ التَّبْيَانِ

الأصل في الجدل أن يكون السؤال فيه والجواب للاستفادة، ويكون سؤالاً حاجته قائمة والداعي إليه موجود، وأن يكون في قضية واقعة، فلا يكون للافتراضات. ولذلك كره أهل العلم السؤال عن الشيء قبل وقوعه، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يقول: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّلُ لَكُمْ﴾ [الْمَائِدَةُ: ١٠١]، وقال رسول الله ﷺ: «إنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم»<sup>(٢)</sup>، ولا سيما إذا كان ذلكم السؤال سؤال تنطع وتعمق وتكلف، قال ﷺ: «هلك المتنطعون»<sup>(٣)</sup>؛ ولذلك ينبغي أن يكون أيضاً

(١) انظر: «ديوان علي بن أبي طالب» (٥٦/١).

(٢) أخرجه البخاري [٧٢٨٨]، ومسلم [١٣٣٧] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) تقدم تخريجه في ص: [٢١٥].

الجواب بالبيان الشافي، والحجة القاطعة، والبراهين الساطعة من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ وفق فهم السلف الصالح.

وأنبه على أمر يتعلق بهذه المسألة وهو أنه قد ابتلي بعض الناس في هذه الأزمنة بقولهم: ما العلة في كذا؟ ما الحكمة في كذا؟ ولم قال الله عز وجل أو رسوله ﷺ كذا؟ ولم أمر بكذا أو نهى عن كذا؟ ولم حدد كذا؟ ولم؟ ولم؟... فهذه الأسئلة وأمثالها قد ضل بها الأولون، وتقحّم فيها الآخرون؛ المسلم إن عرف الحكمة من الأمر أو النهي فهذا خير على خير، وإن لم يدرك الحكمة فعليه أن يستسلم وينقاد ويرجع إلى الحكمة الأولى التي خلق من أجلها، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وأكثر ما أضل القوم بكيف ولم؟ فيجب أن يكون السؤال سؤال تفقه لا تفكه كما قال الأول.

وقوله:

٤٣٢- لَا تَلْتَفِتْ عِنْدَ السُّؤَالِ وَلَا تُعِدَّ لَفْظَ السُّؤَالِ كِلَاهُمَا عَيَّانٍ

يبين الناظم رحمه الله هنا آداب السؤال، وهذا يشمل السؤال عما خفي حكمه من مسائل الدين، وأيضا السؤال عند الحاجة في أمر من أمور الدنيا؛ لأن كثرة الالتفات وكثرة الحركة، وكذا الإلحاح بترداد السؤال وتكراره من غير حاجة، كل ذلك يخل بالآداب، لكن إذا اقتضى الأمر تكرار السؤال للإيضاح أو التشويق أو استعلام فلا حرج.

وقوله:

٤٣٣- وَإِذَا غَلَبَتْ الْخَصْمُ لَا تَهْزَأْ بِهِ فَالْعُجْبُ يُخِمُّ جَمْرَةَ الْإِحْسَانِ

إذا غلبت الخصم سواء كان في محاكمة في حق من الحقوق أو محاجة في بيان حق وإزهاق باطل أو بأي شكل من أشكال المغالبة التي يسر الله لك أن تغلب فيها، فإياك أن

تهزأ بالخصم الذي غلبته بقصد التفاخر والعجب والشهامة، فإن ذلك يخل بالآداب وربما عادت عليك الكرة بسبب استهزائك وسخريتك منه؛ فإنه كما تدين تدان. والمسلم إذا من الله عليه بنصر أو غلبة، فإنه لا يغتر ولا يستهزئ، وإنما يشكر الله عَزَّجَلَّ على ما من به عليه.

فالنبي ﷺ لما دخل مكة فاتحاً دخل مطأطئاً رأسه حتى أصاب عثون لحيته مورك رحله، خافضاً رأسه تواضعاً لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى. نعم نفرح بنصر الله ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يُونُس: ٥٨]؛ لكنه فرح لا يدعو إلى البطر والأشر والاستعلاء، بل ذلك مذموم، قال الله تَعَالَى عن قارون: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [الْقَصَص: ٧٦].

وقوله:

٤٣٤- فَلَرُبَّمَا انْهَزَمَ الْمُحَارِبُ عَامِداً ثُمَّ انْتَشَى فَسَطَا عَلَى الْفُرْسَانِ  
 أي: ربما ذلك الخصم الذي غلبته واغتررت بعددك وعدتك وقوتك وهيبتك، ربما أدى ذلك إلى أمر عكسي، بل إن الله عَزَّجَلَّ أرى المسلمين يوم أحد عبرة وعظة وأدبهم بآداب عظيمة، حيث إنهم لما فرحوا واشتغل بعضهم بجمع الغنائم التف العدو خلفهم وأوقع بهم حتى استشهد منهم سبعون رجلاً، وكذلك الحال يوم حنين، وفي ذلك يقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدْبِرِينَ﴾ ١٥ ثم أنزل الله سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ١٦ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿[التَّوْبَةُ: ٢٥ - ٢٧].

قال الناظم رَحِمَهُ اللهُ:

٤٣٥- وَاسْكُتْ إِذَا وَقَعَ الْخُصُومُ وَقَعَقَعُوا      فَلَرُبَّمَا أَلْقَوْكَ فِي بُحْرَانٍ  
٤٣٦- وَلَرُبَّمَا ضَحِكَ الْخُصُومُ لِدَهْشَةٍ      فَاثْبُتْ وَلَا تَنْكُلْ عَنِ الْبُرْهَانِ  
٤٣٧- فَإِذَا أَطَالُوا فِي الْكَلَامِ فَقُلْ لَهُمْ      إِنَّ الْبَلَاغَةَ لُجِمَتْ بِبَيَانٍ

❖ إذا تحولت المسألة إلى الجاج بين الناس، كل يهرف بما لا يعرف فالزم الصمت.

يقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الْقُرْآن: ٧٢].

ويقول تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ

الْحَمِيرِ﴾ [الْقَمَرَان: ١٩].

فعلى المسلم إذا رأى الناس يتلاحون ويتخاصمون ويتجادلون، وليس لديه كلام يفصل في هذا اللجاج، فعليه أن يتجنبه ويتبعد عنه، وأن يلزم الصمت، فإن الصمت والحال هذه خير له؛ لأنه إذا دخل معهم في ذلك أوقعوه في بنيات الطريق ومتاهات كالبحر لا ساحل له من غير نتيجة أو فائدة.

وإذا رأيتهم يهزءون ويضحكون فعليك أن لا تعبأ بذلك وألا يفت ذلك في عضدك، بل عليك أن تتسلح بالحجج الشرعية الساطعة والبراهين القاطعة التي تخرص ألسنتهم وتوقفهم عند حدهم.

وقوله: «إن البلاغة أجمت ببيان»؛ أي: إذا وقع الخصوم في ذلك اللجاج الذي لا نهاية له ولا خير فيه، فعليك أن تلزم الصمت متمثلاً بقول المأمون الخليفة:

والأدب الصالح حسن السمات وفي كثير القول بعض المقت

وقول الشاعر:

إذا وقع الذبابُ على طعامٍ      رفعت يدي ونفسي تشتهيهِ  
وتجتنب الأسود ورود ماءٍ      إذا كان الكلاب ولغن فيه  
ويرتجع الكريم خميص بطنٍ      ولا يرضى مساهمة السفينه<sup>(١)</sup>  
وقوله:

٤٣٨- لَا تَغْضَبَنَّ إِذَا سُئِلْتَ وَلَا تَصِحْ      فَكِلَاهُمَا خُلُقَانِ مَذْمُومَانِ  
❖ إذا سئلت عن أمر ما، فأياك والغضب، فإن الغضب أحد مداخل الشيطان  
الثلاثة التي هي: الشبهات والشهوات والغضب. وكثيراً ما ضاعت الحقوق وحصلت  
الخصومات والحروب بسبب الغضب، وكثيراً ما حصل القتل والهرج بسبب الغضب،  
وكثيراً ما ندم الغضوب ساعة لا ينفع الندم.

جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله أوصني، قال: «لا تغضب»،  
فردد مراراً، قال: «لا تغضب»<sup>(٢)</sup>.

ويقول النبي ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه  
عند الغضب»<sup>(٣)</sup>، بل تمثل بالحلم والرفق وسعة الصدر، يقول رسول الله ﷺ:  
«إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: «غذاء الألباب شرح منظومة الألباب» (٣٣/٢).

(٢) أخرجه البخاري [٦١١٦] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري [٦١١٤]، ومسلم [٢٦٠٩] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) تقدم تخريجه في ص: [١٧].



قال ابن دريد:

لا تدخلنك ضجرة من سائل      فليخير دهرك أن ترى مسؤولاً  
تلقى الكريم فتستدل ببشره      وترى العبوس على اللئيم دليلاً<sup>(١)</sup>

ويقول الآخر:

وللحلم أوقات وللجهل مثلها      ولكن أوقاتي إلى الحلم أقرب<sup>(٢)</sup>

فإياك - يا عبد الله - والغضب، وإياك والصياح ورفع الصوت، ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [القصص: ١٩].

وقد ذم الله أولئك الأعراب الذين جاؤوا إلى النبي ﷺ ووقفوا عند حجرات أمهات المؤمنين وهم ينادونه باسمه المجرد: يا محمد، يا محمد اخرج إلينا فأنزل الله هذه الآيات تعليماً للأمة وتأديباً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقَاةِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ [الحجرات: ٢-٣]، ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾ [الحجرات: ٤].

وقوله:

٤٤٠- وَأَحْذَرُ مُنَاطَرَةً بِمَجْلِسِ خِيْفَةٍ      حَتَّى تُبَدِّلَ خِيْفَةً بِأَمَانٍ

﴿ما زال الناظم رحمه الله يبين بعض آداب المناظرة، فيحذر من المناظرة بمجلس يخاف فيه أو يخشى من عدم الأمن فيه على الدين أو الدنيا حتى يبدل ذلك الخوف

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٣/ ٣٠٩).

(٢) «جواهر الأدب» لأحمد الهاشمي (١/ ٤٣٢).

بالأمان؛ لأن المسلم مأمور ألا يلقي نفسه في التهلكة، ومأمور بأن يحافظ على كل ما من شأنه أن يحفظ له أمر دينه ودنياه. وفي الحديث «لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه»<sup>(١)</sup>، فإنه إذا ناظر وهو خائف، فربما انغلقت عليه الأدلة والحجج، وربما شمت الخصوم به ونحو ذلك من أحوال قد تؤدي إلى إضعاف جانب الحق وتقوية الباطل.

وقوله:

٤٤١- نَاضِرٌ أَدِيبًا مُنْصِفًا لَكَ عَاقِلًا      وَأَنْصِفْهُ أَنْتَ بِحَسَبِ مَا تَرَيَانِ  
٤٤٢- وَيَكُونُ بَيْنَكُمَا حَكِيمٌ حَاكِمًا      عَدْلًا إِذَا جِئْتَاهُ تَحْتَكِيمَانِ

✽ إذا كان المناظر لك عاقلاً، أديباً فاهماً واعياً، مدرّكاً لما تقول، وأنت مدرّك لما يقول، وكل منكما، ناقد بصير، يرجع إلى الحق إذا ظهر له، فلا بأس من المناظرة والحالة هذه، بل هذا هو الأصل في أهل المناظرة. أما مناظرة الجهال وضعاف العقول الذين لا يدرون ولا يدرون أنهم لا يدرون، ولا يعلمون ولا يعلمون أنهم لا يعلمون، ولا يستطيعون إقناعك بدليل عندهم؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه، كما أنك لا تستطيع إقناعهم؛ لأنه ليس لديهم الاستعداد لقبول الحق ممن جاء به. قال الخليل بن أحمد الفراهيدي:

لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا أَقُولُ عَذَرْتَنِي      أَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا تَقُولُ عَذَلْتُكَ  
لَكِنْ جَهِلْتَ مَقَالَتِي فَعَذَلْتَنِي      وَعَلِمْتُ أَنَّكَ جَاهِلٌ فَعَذَرْتُكَ<sup>(٢)</sup>

ومما تعلمته من حال مشايخي: الشيخ ابن باز، الشيخ ابن عثيمين، الشيخ حماد، الشيخ صالح الفوزان، الشيخ عبد المحسن العباد وغيرهم من مشايخ العلم والهدى

(١) أخرجه الترمذي [٢٢٥٤]، وابن ماجه [٤٠١٦] من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: «حسن غريب». وحسنه الألباني في «الصحيحه» [٦١٣].

(٢) «لباب الآداب» لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري (١/١٦١).

عدم الدخول في مجادلات أو مهارات مع الجهال؛ لأن مجادلة الجاهل عقيمة، وضررها أكثر من نفعها.

ومما يروى عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ قَوْلُهُ: «لو جادلني ألف عالم لغلبتهم، ولو جادلني جاهل لأتعبني» أو قال: لغلبني؛ لأن العالم إما أن تقنعه وإما أن يقنحك بالدليل الشرعي أو العقلي، أما الجاهل فليس لديه استعداد أن يصل معك إلى نتيجة.

وإذا اختلفتما في تلك المناظرة، ولم تتوصلا إلى اتفاق أو نتيجة مع أن رائد كل منكما طلب الحق فحكمًا حاكمًا عادلاً يحكم بينكما في ضوء كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله ﷺ.

والصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ نزلوا على حكم الله ورضوا أن يتحاكموا إلى حكم الله مع من هو أقل منهم شأنًا، وأقل إدراكًا ومنزلة، فالمسلم يتواضع لحكم الله عَزَّوَجَلَّ ويقبله. هذا هو طريق المؤمنين الخالص، الذين يبحثون عن الحق ويتعلقون به، وأين ما وجدوه اتبعوه.



## فضل التواضع

- ٤٤٣- كُنْ طَوِيلَ دَهْرِكَ سَاكِتًا مُتَوَاضِعًا      فَهُمَا لِكُلِّ فَضِيلَةٍ بَابَانِ  
٤٤٤- وَاخْلَعْ رِدَاءَ الْكِبَرِ عَنْكَ فَإِنَّهُ      لَا يَسْتَقِلُّ بِحَمْلِهِ الْكَتِفَانِ

❖ التواضع من صفات المؤمنين المتقين؛ يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الْقُرْآن: ٦٣]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (٧٧) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الْإِسْرَاء: ٣٧]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الْقِسْمَان: ١٨].

وقال النبي ﷺ: «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان»<sup>(١)</sup>، وقال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء»<sup>(٢)</sup> - والعياذ بالله -.

وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرُ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبِغَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»<sup>(٣)</sup>، وقال: «أَكَلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ وَأَجْلَسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ»<sup>(٤)</sup>.

والكبر من صفات إبليس، ومن صفات فرعون وقارون وأبي جهل وسائر الكفار ﴿قَالِ يَوْمَ تَجُوزُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الْإِنْشِقَاق: ٢٠].

- (١) أخرجه أحمد [٦٦٧٧]، والترمذي [٢٤٩٢] من حديث معاوية بن حيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: هذا حديث صحيح. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٨٠٤٠] ونقل عن الترمذي تحسينه كذلك.  
(٢) أخرجه مسلم [٩٠] من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.  
(٣) أخرجه مسلم [٢٨٦٥] من حديث عياض بن حمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.  
(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ٣٨١)، وأبو يعلى [٤٩٢٠] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٥٤٤].

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

فإياك - يا عبد الله - أن تكون من المتشبهين بهؤلاء الممقوتين عند الله تَعَالَى، وإنما عليك التواضع لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، «فمن تواضع لله رفعه»<sup>(١)</sup>. واقتد في هذا بخير البشرية صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أكثر الناس تواضعًا وحلمًا وأدبًا وأحسنهم أخلاقًا.

فيحذر رَحِمَهُ اللهُ من الكبر وما يترتب عليه من آثار خطيرة في الدنيا والآخرة؛

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر	على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالمدخان يعلو بنفسه	إلى طبقات الجو وهو وضيع <sup>(٢)</sup>



(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٤٦/٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «الصحيحة» [٢٣٢٨].

(٢) «جواهر الأدب» (١/٢٨٥).

### وافعلوا الخير لعلكم تفلحون

- ٤٤٥- كُنْ فَاعِلًا لِلْخَيْرِ قَوْلًا لَا لَهُ  
فَالْقَوْلُ مِثْلُ الْفِعْلِ مُقْتَرَنَانِ  
٤٤٦- مِنْ غَوْثٍ مَلْهُوفٍ وَشَبْعَةٍ جَائِعٍ  
وَدَثَارِ غُرَيَّانٍ وَفِدْيَةٍ عَانٍ  
٤٤٧- فَإِذَا عَمِلْتَ الْخَيْرَ لَا تَمْنُنْ بِهِ  
لَا خَيْرَ فِي مُتَمَدِّحٍ مَنَّانٍ

\* يحث الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى الْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ فِي قَوْلِ الْخَيْرِ وَفِعْلِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الزَّحٰزٰه: ٧٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الْأَحْزَاب: ٧٠]، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»<sup>(١)</sup>.

ثم ضرب الناظم أمثلة لفعل ذلك الخير من إغاثة ملهوف أو إطعام جائع أو كسوة عار أو فكك أسير، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا أَفْنَحُمُ الْعَقَبَةَ﴾ ١١ وَمَا أَذْرَبْنَا مَا الْعَقَبَةُ ١٢ فَكُ رَقَبَةً ١٣ أَوْ إِطْعَمُوا فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ١٥ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ١٦ [الشَّمْس: ١١ - ١٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الْطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ ٨ إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لِيُجِبَ اللَّهُ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ٩ [الْإِنشَان: ٨ - ٩]، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ شَهْرًا»<sup>(٢)</sup>، وَقَالَ: «كُلُّ سَلَامِي مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ قَالَ تَعْدِلُ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ وَتَعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ»<sup>(٣)</sup>، وَسُئِلَ ﷺ أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «أَعْلَاهَا ثَمَنًا وَأَنْفُسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا» قلت: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ قَالَ: «تَعِينُ

(١) تقدم تخريجه في ص: [٤٠٣].

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «قضاء الحوائج» [٣٦] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [١٧٦].

(٣) أخرجه البخاري [٢٨٩١]، ومسلم [١٠٠٩] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ضائعا أو تصنع لأخرق» قال: فإن لم أفعل قال: «تدع الناس من الشرف فإنها صدقة تصدق بها على نفسك»<sup>(١)</sup>.

ثم حذر من المن بعد فعل الخير، قَالَ الْعَالِي: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَىٰ ۚ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ (٣٢) يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿

[البقرة: ٢٦٣ - ٢٦٤]

قال أبو الفتح البغاء:

أفسدت بالمن ما قدّمت من حسن ليس الكريم إذا أعطى بمئنان<sup>(٢)</sup>  
فعلى المسلم أن يخلص فيما يقول أو يفعل من خير، بعيداً عن المن والرياء والسمعة.



(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «قضاء الحوائج» [٣٦] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وصححه

الألباني في «صحيح الجامع» [١٧٦].

(٢) «مجمع الحكم والأمثال» لأحمد قش.

## أركان السعادة

٤٤٨- اشْكُرْ عَلَى النِّعْمَاءِ وَاصْبِرْ لِلْبَلَاءِ فَكِلَاهُمَا خُلُقَانِ مَمْدُوحَانِ  
٤٤٩- لَا تَشْكُونَ بِعِلَّةٍ أَوْ قِلَّةٍ فَهُمَا لِعَرَضِ الْمَرَّةِ فَاضِحَتَانِ

✽ يحث الناظم على خصلتين عظيمتين يجب أن يتحلى بهما المؤمن، وهما الشكر عند النعماء والصبر على البلاء. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٧]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لُقْمَانَ: ١٧]، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمَنِ إِنْ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمَنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»<sup>(١)</sup>.

وقال العلماء: إن الإيمان نصفان؛ نصفه شكر، ونصفه صبر. وعلامة السعادة للمؤمن ثلاثة: إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر.

ثم نبه رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى ما يناقض الصبر من التشكي الناتج عن قلة الصبر سواء كان من مرض أو قلة ذات يد أو نحو ذلك، حيث إن ذلك يفضي إلى المذلة والهوان، بل يجب أن يعلق المؤمن شكواه بالله وحده.

لا تكثر الشكوى إلى الصديق وأرجع إلى الخالق لا المخلوق  
لا يخرج الغريق بالغريق.

وقد سبق التنبيه إلى أن عرض الأمور المعضلة على ذوي الرأي والحكمة لا يعارض النهي عن الشكوى لغير الله، فالشكوى المحظورة هي التي تكون بقصد الجزع والتسخط من أقدار الله، قال ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه مسلم [٢٩٩٩] من حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [١٢٩٧]، ومسلم [٣٥١٩] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



٤٥٠- صُنْ حُرَّ وَجْهِكَ بِالقَنَاعَةِ إِنَّمَا صَوْنُ الْوُجُوهِ مُرُوءَةُ الْفِتْيَانِ

❦ في هذا البيت بين الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ أهمية القناعة بما قسم الله عَزَّوَجَلَّ والرضى بذلك. وفي الحكمة: القناعة كنز لا يفنى، فيجب على المرء صون وجهه عن كل ما يشينه بما في ذلك مذلة السؤال، قال رسول الله ﷺ: «ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم»<sup>(١)</sup>، وفي الصحيح من حديث قبيصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قوامًا من عيش - أو قال سدادًا - من عيش ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجا من قومه لقد أصابت فلانًا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قوامًا من عيش - أو قال سدادًا من عيش - فما سواه من المسألة يا قبيصة سحتا يأكلها صاحبها سحتا»<sup>(٢)</sup>.

فعدم القناعة بالكفاف والتعرض للمسألة من غير ضرورة أو حاجة فيه عذاب وإهانة للنفس في الدنيا ناهيك عما في ذلك من محذور شرعي كما أنشد عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

بَلَوْتُ النَّاسَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ      فَلَمْ أَرْ غَيْرَ خِتَالٍ وَقَالَ  
وَذُقْتُ مَرَارَةَ الْأَشْيَاءِ طُرًّا      فَمَا طَعَمْتُ أَمْرًا مِنَ السُّؤَالِ  
وَلَمْ أَرْ فِي الْخُطُوبِ أَشَدَّ هَوْلًا      وَأَصْعَبَ مِنْ مَعَادَاتِ الرِّجَالِ<sup>(٣)</sup>

ومما ينسب إلى إبراهيم بن حفصة رَحْمَةُ اللَّهِ فِي هذا المعنى قوله:

(١) أخرجه البخاري [١٤٧٤]، ومسلم [١٠٤٠] من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم [١٠٤٤] من حديث قبيصة بن مخارق الهلالي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) «المستطرف في كل فن المستطرف» (١/ ٣٥١)، وورد أيضًا في ديوان علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (١٢٥/١).

هي القناعة فلزمها تكن ملكا      لولم يكن لك إلاراحة البدن  
فانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها      هل راح منها بغير القطن والكفن؟<sup>(١)</sup>

وقال الشاعر البستي في «عنوان الحكم»:

صن حر وجهك لا تهتك غلالته      فكل حر لحر الوجه صوان  
❀ فإن صون الوجه بالقناعة من كمال المروءة وراحة للنفس، أيها راحة؛  
من كلفته النفس فوق كفافها      فما ينقضي حتى الممات عناؤه



(١) «المستطرف في كل فن المستطرف» (١/١٦١).

## العبادة القلبية

٤٥١- بِاللَّهِ ثِقٌ وَلَهُ أَنْبٌ وَبِهِ اسْتَعْنِ فَإِذَا فَعَلْتَ فَأَنْتَ خَيْرُ مُعَانٍ

✽ ذكر الناظم هنا ثلاثة أمور من أمور العبادة: الثقة بالله والاستعانة به والإنابة إليه، فإذا توفرت في المرء هذه الأمور فهو خير معانٍ من الله عَزَّوَجَلَّ.

فعلى المرء أن يوثق صلته بربه عَزَّوَجَلَّ، مستعيناً به، ومنيباً إليه، ومتوكلاً عليه، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٠١]، وقال رسول الله ﷺ: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»<sup>(١)</sup>، وقال: «يقول الله تَعَالَى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملء ذكرته في ملء خير منهم»<sup>(٢)</sup>.

وقال الشاعر:

إذا لم يكن عون من الله للفتى  
فأول ما يجني عليه اجتهداه<sup>(٣)</sup>  
وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

واصدع بما قال الله ولا تخف  
والله ناصر جنده وكتابه  
من قلة الأنصار والأعوان  
والله كاف عبده بأمان

(١) تقدم تخريجه في ص: [١٠٨].

(٢) أخرجه البخاري [٧٤٠٥]، ومسلم [٢٦٧٥] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء» لابن عرباشه (١٠٧/١).

## الحض على التوبة

٤٥٢- وَإِذَا عَصَيْتَ فَتُبْ لِرَبِّكَ مُسْرِعًا حَذَرَ الْمَمَاتِ وَلَا تَقُلْ لَمْ يَأْنِ

✽ «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»<sup>(١)</sup>؛ فإذا ابتلي العبد بارتكاب معصية فعليه المسارعة إلى التوبة، والحذر من التسويف إذ أنه لا يدري ماذا يعرض له، فلعله يسوف فيباغته الأجل، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الْإِنْفِرَاتِ: ٣٤]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الْمَائِدَةِ: ١١].

وقد تفضل الله على عباده، ممن فرط منهم في جنب الله بدعوته إلى الإسراع بالتوبة والإنابة وعدم اليأس من روح الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(٥)</sup> وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿[الزُّمَرِ: ٥٣ - ٥٤]، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مَسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مَسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»<sup>(٢)</sup>، وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يَغْرُغْ»<sup>(٣)</sup>، وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ ابْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»<sup>(٤)</sup>، وَكَانَ ابْنُ عَمْرِو يَقُولُ: «إِذَا أُمْسَيْتَ

(١) أخرجه أحمد [١٣٠٧٢]، والدارمي [٢٧٢٧]، والترمذي [٢٤٩٩]، وابن ماجه [٢٤٥١]، والحاكم [٧٦١٧] من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: علي بن مسعدة لين. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٤٥١٥].

(٢) أخرجه مسلم [٧١٦٥] من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد [٦١٦٠]، والترمذي [٣٥٣٧]، وابن ماجه [٤٢٥٣]، والحاكم [٧٦٥٩] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [١٩٠٣].

(٤) تقدم تخرجه في ص: [٣٥٤].

فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك»<sup>(١)</sup>، وفي الحديث: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»<sup>(٢)</sup>، وكان يزيد بن الطفيرة صعلوكا، شديد المنعة والقوة حتى ذاع صيته، واشتهر أمره في قطع الطريق، وكان لا يأخذ إلا النفائس من مخاض الإبل ونحوها، فيقال: إنه بينا هو على تلك الحال إذ سمع قارئاً يقرأ: ﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(٣)</sup> وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ<sup>(٤)</sup> وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ<sup>(٥)</sup> أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿[الزُّمَرُ: ٥٣ - ٥٦]، فأدركته مخافة الله وبغته الموت فأنشد تائبا:

ألا قل لأرباب المخاض هملوا      لقد تاب مما تعلمون يزيد  
إن امراً ينجو من النار بعد ما      تزود من أعمالها سعيد



(١) تقدم ترجمته في ص: [٣٥٤].

(٢) أخرجه الحاكم [٧٨٤٦]، والبيهقي في «شعب الإيمان» [١٠٢٤٨] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [١٠٧٧].

### لن يغلب عسر يسرين

٤٥٣- وَإِذَا ابْتُلِيتَ بِعُسْرَةٍ فَاصْبِرْ لَهَا فَالْعُسْرُ فَرْدٌ بَعْدَهُ يُسْرَانِ

❖ قد يضيق على الإنسان عيشه وتتغصص عليه حياته من حصول مرض أو فاقة أو فقد محبوب أو نحو ذلك من الشدائد والابتلاءات، فعليه أن يصبر ويحتسب ولا يجزع ولا يتسخط وأن يؤمل خيراً، وأن يعلم أن كل شيء يجري بقضاء الله وقدره، ولعل ذلك له خير، وأن يوقن بأن الله سيجعل له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ومن كل بلاء عافية إذا هو التجأ إلى ربه وآمن واثق، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۚ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشع: ٥ - ٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]، وجاء في الأثر توضيح هذا المعنى: «لن يغلب عسر يسرين»<sup>(١)</sup>، وإلى هذا أشار الناظم بقوله: «فالعسر فرد بعده يسران».

قال القاسم بن محمد:

عسى فرج يأتي به الله إنه  
إذا لاح عسرٌ فارح يسراً فإنما  
له كل يوم في خليقته أمر  
قضى الله أن العسر يتبعه يسر<sup>(٢)</sup>  
وقال إبراهيم بن العباس الصولي:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى  
ضاقاً فلما استحكمت حلقاتها  
ذرعاً وعند الله منها المخرج  
فرجت وكنت أظنها لا تفرج<sup>(٣)</sup>

(١) أخرجه مالك [١٦٢١]، والحاكم [٣١٧٦]، والبيهقي في «شعب الإيمان» [٩٥٣٨] موقوفاً على عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي.

(٢) «الفرج بعد الشدة» لابن أبي دنيا، أثر رقم [١١٤].

(٣) «زهر الأكم في الأمثال والحكم» (١/١٧٨).

وقال هدبة بن خشوم العذري:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه      يكون وراءه فرج قريب  
فيأمن خائف ويفكّ عانٍ      ويأتي أهله النائي الغريب<sup>(١)</sup>

وقال آخر:

ألا بالصبر تبلغ ما تريد      وبالتقوى يلين لك الحديد

وقال آخر:

بالصبر تبلغ ما ترجوه من أمل      فاصبر فلا ضيق إلا بعده فرج



(١) «أخبار النساء» لابن الجوزي (١/ ٣٧).

## الحذر من شهوات النفس والبطن والفرج وتوجيهات نفيسة في الصحة والحمية

- ٤٥٤- لَا تَحْشُ بَطْنَكَ بِالطَّعَامِ تَسْمُنًا  
٤٥٥- لَا تَتَّبِعْ شَهَوَاتِ نَفْسِكَ مُسْرِفًا  
٤٥٦- أَقَلِّلْ طَعَامَكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ  
٤٥٧- وَأَمْلِكْ هَوَاكَ بِضَبْطِ بَطْنِكَ إِنَّهُ  
٤٥٨- وَمَنْ اسْتَذَلَّ لِفَرْجِهِ وَلِبَطْنِهِ  
٤٥٩- حِصْنُ التَّدَاوِي الْمَجَاعَةُ وَالظَّمَا  
٤٦٠- أَظْمَى نَهَارَكَ تَرَوْ فِي دَارِ الْعُلَا  
٤٦١- حُسْنُ الْغِذَاءِ يَنْبُؤُ عَنْ شُرْبِ الدَّوَا  
٤٦٢- إِيَّاكَ وَالْغَضَبَ الشَّدِيدَ عَلَى الدَّوَا  
٤٦٣- دَبَّرْ دَوَاءَكَ قَبْلَ شُرْبِكَ وَلْيَكُنْ  
٤٦٤- وَتَدَاوٍ بِالْعَسَلِ الْمُصَفَّى وَاخْتَجِمْ  
٤٦٥- لَا تَدْخُلِ الْحَمَّامَ شَبَعَانَ الْحَشَا  
٤٦٦- وَالنَّوْمَ فَوْقَ السَّطْحِ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ  
٤٦٧- لَا تُفْنِ عُمْرَكَ فِي الْجِمَاعِ فَإِنَّهُ  
٤٦٨- أَخْذَرَكَ مِنْ نَفْسِ الْعُجُوزِ وَبُضْعِهَا  
٤٦٩- عَانِقِ مِنَ النِّسْوَانِ كُلِّ فِتْيَةٍ
- فَجَسُومُ أَهْلِ الْعِلْمِ غَيْرُ سَمَانٍ  
فَاللَّهُ يُبْغِضُ عَابِدًا شَهَوَانِي  
نَفْعُ الْجُسُومِ وَصِحَّةُ الْأَبْدَانِ  
شَرُّ الرِّجَالِ الْعَاجِزُ الْبَطْنَانِ  
فَهُمَا لَهُ مَعَ ذَا الْهَوَى بَطْنَانِ  
وَهُمَا لِمَكَ نُفُوسِنَا قَيْدَانِ  
يَوْمًا يَطُولُ تَلَهُفُ الْعَطْشَانِ  
سِيمَا مَعَ التَّقْلِيلِ وَالْإِدْمَانِ  
فَلَرُبَّمَا أَفْضَى إِلَى الْخِذْلَانِ  
مُتَأَلِّفَ الْأَجْزَاءِ وَالْأَوْزَانِ  
فَهُمَا لِدَائِكَ كُلِّهِ بُرْءَانِ  
لَا خَيْرَ فِي الْحَمَامِ لِلشَّبَعَانِ  
يُفْنِي وَيُذْهِبُ نَضْرَةَ الْأَبْدَانِ  
يَكْسُو الْوُجُوهَ بِحُلَّةِ الْيَرْقَانِ  
فَهُمَا لِجِسْمِ ضَجِيعِهَا سُقْمَانِ  
أَنْفَاسُهَا كَرَوَائِحِ الرِّيحَانِ

✽ يوجه رَحْمَةُ اللَّهِ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ بِجَمَلِ نَافِعَةٍ فِي التَّدَاوِي وَالصِّحَّةِ؛ وَكَمَا قِيلَ:

العقل السليم في الجسم السليم، وبيّن أن المؤمن لا ينبغي أن يحشو ويملاً بطنه بالطعام مما يؤدي به إلى الكسل والتعب والثقل عن طاعة الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن دوام الامتلاء يورث



الكسل والتعب وكثرة النوم، بل يورث الأمراض والأسقام المردية، وفي الحكمة: «كل كثيراً تشرب كثيراً تنم كثيراً»، قال الراجز:

في الجوع صحة وعقل وفهم وقلة للنوم عفة أتم  
والأعدل في هذا كله ما وجه الله سبحانه إليه في كتابه ورسوله ﷺ في سنته.

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴿٣٢﴾ [النَّازِعَاتِ: ٣١ - ٣٢]، وقال رسول ﷺ: «كل واشرب والبس وتصدق في غير سرف ولا مخيلة»<sup>(١)</sup>، وكان يستعيز بالله من الجوع فيقول: «اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع»<sup>(٢)</sup>، وقال: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»<sup>(٣)</sup>، ولكن تجاوز الحد في كل ذلك هو المذموم، يقول ﷺ: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن، حسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»<sup>(٤)</sup>، وكان النبي ﷺ يربط حجراً على بطنه من الجوع.

- (١) أخرجه الطيالسي [٢٢٦١]، وأحمد [٦٦٩٥] من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٤٥٠٥].
- (٢) أخرجه أبو داود [١٥٤٩]، والنسائي [٥٤٦٨]، وابن ماجه [٣٣٥٤] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» [١٣٨٣].
- (٣) أخرجه الترمذي [٢٨١٩]، والحاكم [٧١٨٨] من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. قال الترمذي: هذا حديث حسن. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وقال الذهبي: صحيح.
- (٤) أخرجه أحمد [١٧١٨٦]، والترمذي [٢٣٨٠]، وابن ماجه [٣٣٤٩]، وابن حبان [٦٧٤]، والحاكم [٧١٣٩] من حديث المقدام بن معدي كرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الترمذي: حسن. وصححه الذهبي. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٥٦٧٤].

فكل واشرب وتمتع بما أباحه الله لك، ولكن في حدود ما تتقوى به على طاعة الله  
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وما العيش إلا ما يلذّ به الفتى إذا لم يجز يوما سبيل ذوي القصد  
والمقصود أن المسلمين عامة، وطلاب العلم خاصة لا يتسمنون، فجسوم أهل  
العلم غير سمان، وليس معنى ذلك مذمة من حصلت له السمنة مطلقاً، فربما حصل  
ذلك بسبب تعاطي بعض الأدوية أو كان وراثيا ونحو ذلك.

وكان الناظم لحظ هذا المعنى فأشار إلى أن المحذور في ذلك ما كان عن إسراف  
فقال:

لا تتبع شهوات نفسك مسرفاً فالله يبغض عابدا شهواني  
تتبع شهوات النفس قد لا يقف بها عند الحلال، بل قد يتجاوز بها إلى ما حرم الله  
عَزَّجَلَّ فعليك أن تحدّ من شهواتها وأن لا تطلق لها العنان في ملذاتها وأن لا تكون أسيراً  
لنزواتها فتلقي بك في متاهات لا تحمد عقباها؛ فقد «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار  
بالشهوات»<sup>(١)</sup> كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ.

فعلى المسلم أن لا ينجر خلف شهواته ونزواته، فإنه حينئذ قد تلقي به الشهوات  
في مهاوي الردى، ويندم ساعة لا ينفع الندم. فالله يبغض متبعي الشهوات، لأن مداخل  
الشیطان إنما هي الشهوات والشبهات والغضب، ولذلك أيضاً ذم متبعي الهوى؛ لأن  
متبع الشهوات من متبعي الهوى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾  
[الجنّة: ٢٣]، وقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

(١) تقدم تخريجه في ص: [٩٠].

ومن البلاء وللبلاء علامة      أن لا يرى لك عن هواك نزوع  
العبد عبد النفس في شهواتها      والحريشبع تارة ويجوع  
وقوله:

«أقلل طعامك ما استطعت فإنه      نفع الجسم وصحة الأبدان»

تقليل الطعام بقدر ما تحتاجه ينفك في أمر دينك ودنياك؛ أما نفعه الديني فقد تقدمت الإشارة إليه من كونه امتثالاً للتوجيه الرباني، وأما نفعه الدنيوي فقد أشار إليه الناظم بقوله: (فإنه نفع الجسم وصحة الأبدان).

فحافظ على تقليل طعامك، قال رسول الله ﷺ: «حسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث طعام، وثلث شراب، وثلث لنفسه»<sup>(١)</sup>.

وفي قوله:

٤٥٧- وَأَمْلِكْ هَوَاكَ بِضَبْطِ بَطْنِكَ إِنَّهُ      شَرُّ الرَّجَالِ الْعَاجِزِ الْبَطْنَانِ

(١) تقدم تخريجه في ص: [٥٣٩]. قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» ص: [٤٢٦]: «وهذا الحديث أصل جامع لأصول الطب كلها وقدروي أن ابن أبي ماسويه الطبيب لما قرأ هذا الحديث في كتاب أبي خيثمة قال: لو استعمل الناس هذه الكلمات لسلموا من الأمراض والأسقام ولتعطلت المارشايات ودكاكين الصيادلة وإنما قال هذا لأن أصل كل داء التخم كما قال بعضهم أصل كل داء البردة، وروى مرفوعاً ولا يصح رفعه وقال الحارث بن كلدة طبيب العرب: الحمية رأس الدواء والبطنة رأس الداء ورفع بعضهم ولا يصح أيضاً وقال الحارث أيضاً الذي قتل البرية وأهلك السابغ في البرية إدخال الطعام على الطعام قبل الانضمام وقال غيره لو قيل لأهل القبور ما كان سبب آجالكم لقالوا التخم فهذا بعض منافع تقليل الغذاء وترك التملؤ من الطعام بالنسبة إلى صلاح البدن وصحته وأما منافع بالنسبة إلى القلب وصلاحه فإن قلة الغذاء توجب رقة القلب وقوة الفهم وانكسار النفس وضعف الهوى والغضب وكثرة الغذاء يوجب ضد ذلك قال الحسن يا ابن آدم كل في ثلث بطنك واشرب في ثلثه ودع ثلث بطنك يتنفس ويتفكر».

إشارة إلى ما جاء في الحديث الصحيح في ذكر صفات البعض ممن يجيء بعد القرون المفضلة على وجه الذم: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» قال عمران: لا أدري أذكر النبي ﷺ بعد قرنين أو ثلاثة؟ قال النبي ﷺ: «إن بعدكم قومًا يخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يستشهدون وينذرون ولا يفون ويظهر فيهم السمن»<sup>(١)</sup>.

قال غانم بن وليد المالقي:

ثلاث هن مهلكة الأنام      وداعية الصحيح إلى السقام  
دوام مدامة ودوام وطء      وإدخال الطعام على الطعام<sup>(٢)</sup>  
وقوله:

«ومن استذل لفرجه ولبطنه      فهما له مع ذا الهوى بطنان»

قال الشاعر:

وانك إن أعطيت بطنك همه      وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

وقد ذكر الناظم هنا أمرين خطيرين: البطن والفرج؛ من أطلق لبطنه العنان فملأه بالمحرمات ولم يفرق بين الحلال والحرام، وكذلك فعل بفرجه ليقع في الزنا أو في المحرمات أيًا كانت فإن ذلك من أخطر ما يكون على المسلم. ولذلك قال النبي ﷺ: «من ضمن لي ما بين لحييه ورجليه ضمنت له الجنة»<sup>(٣)</sup>؛ فقوله: «من

(١) أخرجه البخاري [٢٦٥١]، ومسلم [٦٦٣٨] من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) «مجمع الحكم والأمثال».

(٣) أخرجه أبو يعلى [٢١٠٩]، والطبراني في «الأوسط» [٤٩٨١]، والبيهقي في «شعب الإيمان» [٤٥٧١]، والقضاعي في «مسند الشهاب» [٥٤٦] من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الألباني في «الضعيفة»

ضمن لي ما بين لحييه» يعني: لسانه، فلم يتكلم بما يكتب عليه، «وما بين رجليه» يعني: فرجه، فلم يستعمله فيما لا يحل له «ضمنت له الجنة».

قال الله تَعَالَى في وصف عباده المؤمنين المفلحين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۖ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۚ﴾ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعَذَّبُونَ ﴿٧﴾ [المؤمنون: ٥ - ٧].

وقوله:

- ٤٥٩- حِصْنُ التَّدَاوِي الْمَجَاعَةُ وَالظَّمَا  
٤٦٠- أَظْمَىٰ نَهَارَكَ تُرَوِّ فِي دَارِ الْعَلَا  
٤٦١- حُسْنُ الْغِذَاءِ يَنْوُبُ عَنْ شُرْبِ الدَّوَا  
٤٦٢- إِيَّاكَ وَالْغَضَبَ الشَّدِيدَ عَلَى الدَّوَا  
٤٦٣- دَبَّرَ دَوَاءَكَ قَبْلَ شُرْبِكَ وَلَيْكُنْ  
٤٦٤- وَتَدَاوِ بِالْعَسَلِ الْمُصَفَّى وَاحْتَجِمْ  
٤٦٥- لَا تَدْخُلِ الْحَمَّامَ شَبَعَانَ الْحَشَا  
٤٦٦- وَالنُّوْمَ فَوْقَ السَّطْحِ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ  
٤٦٧- لَا تُفَنِّ عُمُرَكَ فِي الْجَمَاعِ فَإِنَّهُ
- وَهُمَا لِفَكَ نُفُوسِنَا قَيْدَانِ  
يَوْمًا يَطُولُ تَلَهُفُ الْعَطْشَانِ  
سِيمًا مَعَ التَّقْلِيلِ وَالْإِدْمَانِ  
فَلَرُبَّمَا أَفْضَىٰ إِلَى الْخِذْلَانِ  
مُتَأَلِّفَ الْأَجْزَاءِ وَالْأَوْزَانِ  
فَهُمَا لِدَائِكَ كُلِّهِ بُرْءَانِ  
لَا خَيْرَ فِي الْحَمَّامِ لِلشَّبَعَانِ  
يُفْنِي وَيُذْهِبُ نَضْرَةَ الْأَبْدَانِ  
يَكْسُو الْوُجُوهُ بِحُلَّةِ الْيَرَقَانِ

هذه الأبيات تتضمن نصائح طبية بينها الناضم رَحِمَهُ اللهُ: والتي منها تقليل الطعام والشراب وعدم الإفراط في ذلك. وذكر بعد ذلك أن من أظماً نهاره بالصوم والعبادة فإنه يحصل له الري الكامل يوم القيامة عندما يطول المكث في الموقف ويتلهف الناس

لشرب الماء. ثم وضع أن اختيار الأغذية الجيدة الغنية بجميع الفوائد الصحية تغنيك أيها المسلم عن كثير من الأدوية التي قد تكون لها آثارٌ سلبية. ثم حذر من الغضب الشديد عند استعمال الأدوية مما ينتج عنه الندم. ومعلوم أن الغضب قد يُفْضي إلى أمور خطيرة. ولذا حذر النبي ﷺ منه بقوله: «لا تغضب، لا تغضب، لا تغضب» كررها ثلاث مرات لمن طلب منه أن يوصيه. وقال ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب». ثم حث على حسن التدبير والتنظيم في اختيار الدواء وتأليفه من أجزاء متناسبة ومتناسقة وفق المعايير الطبية والقوانين الصحية. ثم حث على التداوي بما دل عليه الكتاب والسنة مثل العسل والحجامة. قال الله تَعَالَى في العسل: «فيه شفاء للناس».

وقال رسول الله ﷺ: «الشفاء في ثلاث شربة عسل أو كيّة نار أو شرطة بحجم». وقد احتجم رسول الله ﷺ وأذن في الحجامة.

ثم وجه رحمه الله المسلم إلى عدم دخول الحمام حال الشبع والمقصود به الحمام الذي فيه بخار وحرارة فإنه يُربك الجهاز الهضمي، وعلى من أراد دخوله أن لا يكون شبعاناً ولا جائعاً. ثم حذر الناظم من النوم تحت أديم السماء على سطح غير محجّر أي ليس له سترة؛ لأنه قد يُفْضي إلى خطر من جراء سقوط النائم لو قام دون أن يتنبه، أما لو كان للسطح ساتر فلا حرج في ذلك. وقد ورد في النهي عن ذلك حديث حسنه بعض أهل العلم بمجموع طرقه وهو ما رواه الترمذي عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نهى رسول الله ﷺ أن ينام الرجل على سطح ليس بمحجور». وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» للألباني [٨٢٨].

ثم حذر الناظم من الإفراط في الجماع وعلل ذلك بأنه قد يؤدي إلى الإصابة باليرقان ويقال إنه يضعف البر وهنا مثل مشهور وهو مروي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إن هو إلا مخ ساقيك ونور عينيك».

وقوله:

٤٦٨- أَحْذِرْكَ مِنْ نَفْسِ الْعَجُوزِ وَيُضْعِفُهَا  
 ٤٦٩- عَانِقُ مِنَ النِّسْوَانِ كُلِّ فَتِيَّةٍ  
 فَهَمَّا لِحِجْسِمِ ضَجِيعِهَا سُقْمَانِ  
 أَنْفَاسُهَا كَرَوَائِحِ الرِّيحَانِ  
 \* واضح المعنى!

ومما يستظرف في هذا المقام قول الراجز:

فبنت عشر لذة لناظر  
 وبنت عشرين إلى المعانق  
 بنت الثلاثين بشحمها ولين  
 وبالبنين والبنات توصف  
 وبنت خمسين عجوز في الزمن  
 وبنت ستين سموم قاتلة  
 ... إلخ

لا خير في صور المعازف كلها  
 إن التقى لربه متنزه  
 وتلاوة القرآن من أهل التقى  
 أشهى وأوفى للنفوس حلاوة  
 والرقص والإيقاع في القضبان  
 عن صوت أوتار وسمع أغان  
 سيما بحسن شجا وحسن بيان  
 من صوت مزمار ونقر مثنان

وحنينه في الليل أطيّب مسمع من نغمة النايات والعيّان

✽ التقي هو من امثل أوامر الله تَعَالَى واجتنب محارمه، وهو الولي، هو المؤمن، هو المسلم، هو صاحب السنة، هو السلفي...؛ ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) [يُونُس: ٦٢ - ٦٣].

وقد ذكر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ بأن التقي هو الذي يتنزّه عن سماع الغناء والمزامير؛ لأن ذلك محرم بالكتاب والسنة وإجماع من يعتد بقوله من أهل السنة. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَشْتَرِ لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [لَقَدْ كَانَ: ٦]؛ وقد نص المفسرون رَحِمَهُمُ اللَّهُ وَعَلَى رَأْسِهِمُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى أَنَّ الْمَقْصُودَ بِلَهْوِ الْحَدِيثِ الْغِنَاءُ، سِوَاءَ صَحْبَتِهِ مَعَازِفَ أَوْ لَمْ تَصْحَبْهُ، وَقَدْ أَقْسَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى ذَلِكَ.

ويقول النبي ﷺ: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف»<sup>(١)</sup>.

والمقصود بالحر هنا الفرج المحرم وهو كناية عن الزنا، وعبر عنه بمكانه. والحرير تحريمه خاص بالرجال كما تقدم. والخمر: من الناس الآن من يسميها بغير اسمها ويستحلها. والمعازف: أدوات الطرب أي كانت.



(١) أخرجه البخاري معلقاً في ترجمة باب: «ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه».



وقوله:

٤٧٢- وَتَلَاوَةُ الْقُرْآنِ مِنْ أَهْلِ التَّقَى سِيمًا بِحُسْنِ شَجَا وَحُسْنِ بَيَانٍ  
٤٧٣- أَشْهَى وَأَوْفَى لِلنُّفُوسِ حَلَاوَةٌ مِنْ صَوْتِ مِزْمَارٍ وَنَقْرِ مِثَانٍ  
٤٧٤- وَحَنِينُهُ فِي اللَّيْلِ أَطْيَبُ مَسْمَعٍ مِنْ نَغْمَةِ النَّأْيَاتِ وَالْعِيدَانِ

❖ في هذه الأبيات الثلاثة تحذير من الغناء والمغنين والمزميرين والمطبلين، وحث للمسلم بالاستعاضة عن ذلك بتلاوة القرآن وسماعه الذي هو أشهى وأجمل من كل مسموع؛ «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به»<sup>(١)</sup>، ولما سمع النبي ﷺ أبا موسى الأشعري وهو يقرأ القرآن أعجب به وأثنى عليه وقال له: «يا أبا موسى لو رأيتني الليلة أسمع قراءتك، لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود»<sup>(٢)</sup>، فقال له أبو موسى: «يا رسول الله لو علمت مكانك لخبرتته لك تحبيرًا»<sup>(٣)</sup>؛ أي: لزيته أكثر من ذلك. وفي هذا دليل على مشروعية تزيين وتحسين الصوت بالقرآن بكل ما أوتي المسلم من قوة بشرط ألا يخرج ذلك عن آداب القرآن وتلاوته. وقال ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم»<sup>(٤)</sup>.

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قال لي النبي ﷺ: «اقرأ علي»، قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «فإني أحب أن أسمع من غيري»، فقرأت عليه سورة

(١) أخرجه البخاري [٧٥٤٤] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [٥٠٤٨] من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) هذه الزيادة أخرجه ابن حبان [٧١٩٧]، والحاكم في «المستدرک» [٥٩٦٦]. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وصححه الذهبي.

(٤) أخرجه أحمد [١٨٤٩٤]، وأبو داود [١٤٧٠]، والنسائي [١٠١٥]، وابن ماجه [١٣٤٢] من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «الصحيحة» [٧٧١].

النساء حتى بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾  
[النساء: ٤١]، قال: «حسبك الآن»، فنظرت إليه فإذا عيناه تذرفان»<sup>(١)</sup>.

فعلينا أن نكثر من تلاوة القرآن، وأن نعطر أفواهنا بقراءته، وأن نشنف الآذان  
بسماعه لتلين قلوبنا وتخضع جوارحنا ونزداد إيماناً؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ  
إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]،  
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [البقرة: ١٢١].

والذي يستفيد من القرآن ومن تلاوته هو الذي يتلوه بخشوع وخضوع وتدبر؛  
﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْرًا عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ  
عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٤٨].

وقول الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ: إنه أشهى من القيثار والعيان، ومن كذا ومن كذا...  
لا يعني المقارنة - حاشا لله -.

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضى من العصا  
وإنما المقصود أن القرآن هو وحده الشهي، فكيف نلجأ إلى الدني مع وجود العلي؟  
﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١].

فعشنا على سنة المصطفى وماتوا على تبتنا تبتنا<sup>(٢)</sup>

فهذا كتاب الله عَزَّجَلَّ بين أيدينا، اجتهد في تلاوته والعمل به، واترك العياد  
والمزامير والرباب وأصوات الماجنين والماجنات، واحفظ من القرآن ما تستطيع، واتله

(١) أخرجه البخاري [٤٥٨٢]، ومسلم [٨٠٠] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) «إغاية اللفهان من مصايد الشيطان» لابن القيم (١/٢٢٦).

آناء الليل وأطراف النهار يلن قلبك، ويصفُ فؤادك، وينطلق لسانك، ويكن شاهدا  
وحجة لك، وترتق به في درجات الجنة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب  
سليم؛ السليم من الشرك، الخالص من البدعة، المطمئن إلى السنة.

والشيء بالشيء يذكر؛ فقد ذكر الزمخشري كذلك أن ما يوجد من اللذة والنشوة في  
تحصيل وتنقيح العلم أشد مما يجده أهل الغناء والخمر في لهوهم، فقال:

سَهْرِي لَتَنْقِيحِ الْعُلُومِ الَّذِي مِنْ وَضَلِ غَانِيَةٍ وَطَيْبِ عِنَاقِ  
وَتَمَائِلِي طَرِبا لِحُلِّ عَوِيصَةٍ أَحْلَى وَأَشْهَى مِنْ مَدَامَةِ سَاقِي<sup>(١)</sup>

ويشبه هذا وذاك ما قاله الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ، فقال:

العلم أغلَى وأحلى ما له استمعت أذن، وأعرب عنه ناطق بضم



(١) «ديوان الإمام الشافعي» (١/ ٧٤).

(٣) أخرجه الترمذي [٢٣٢٠]، وابن ماجه [٤١١٠] من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: «هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٥٢٩٢].

وقال: «ألا الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم»<sup>(١)</sup>،  
وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة إن أعطي رضي  
وإن لم يعط لم يرض»<sup>(٢)</sup>.

وقال الشاعر:

ألا إنما الدنيا كظل سحابة      أظلتك يوماً ثم عنك اضمحلت  
فلا تك فرحاناً بها حين أقبلت      ولا تك جزعاً إذا هي ولت  
وقال أبو العتاهية:

ألا إنما الدنيا نضارة أيكة      إذا اخضر منها جانب جف جانب<sup>(٣)</sup>  
وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في ذم الدنيا والافتتان بها:

فيا باغي الدنيا فإني طعمتها      وسيق إلي عذابها وعذابها  
فما هي إلا جيفة مستحيلة      عليها كلاب همهن اجتذابها  
فإن تجتنبها كنت سلماً لأهلها      وإن تجتذبها نازمتك كلابها<sup>(٤)</sup>  
وقال أبو العلاء المعري:

ومن كانت الدنيا مناه وهمه      سبته المنى واستعبده المطامع<sup>(٥)</sup>

(١) أخرجه الترمذي [٢٣٢٢]، وابن ماجه [٤١١٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي:

حديث حسن غريب. وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» [٧٤].

(٢) أخرجه البخاري [٢٨٨٦] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) «العقد الفريد» (٣١٦/١).

(٤) «ديوان الإمام الشافعي»، ص: [٩].

(٥) «ديوان أبي العتاهية» (١٠٥/١).

وقال أبو العتاهية:

تجرد من الدنيا فإنك إنما خرجت إلى الدنيا وأنت مجرد

وقال أحمد بن عبد ربه صاحب العقد:

ألا إنما الدنيا كأحلامٍ نائمٍ      وكلُّ نعيمٍ ليسَ فيها بدائمٍ  
تذكر إذا ما نلت بالأمس لذةً      فأفنيتها هل أنت إلا كحالمٍ<sup>(١)</sup>

فيذا علم المرء أن هذه الدنيا ليست دار مقر، فعليه ألا يغتر بها: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ  
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [البَنَان: ٣٣].

فخذ - يا عبد الله - من دار الممر إلى دار المقر، ومن دار المعبر إلى دار المستقر: ﴿وَتَكَرَّوْا  
فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ [البَقَرَة: ١٩٧].

قال الأعشى وهو ميمون بن قيس بن جندل:

إذا أنت لم ترحل بزادٍ من الثُّقَى      ولا قيتَ بعدَ الموتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا  
ندمت على ألا تكونَ كمثله      وأنك لم ترصدَ كما كان أرصدًا<sup>(٢)</sup>

وليس المراد بالزهد في الدنيا تحريم ما أحل الله، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرَّمُوا مَا آتَىٰ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾<sup>(٨٧)</sup> وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿[المَائِدَة: ٨٧-٨٨]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الْأَنْعَام: ٣٢]، كمن يجرمون أنفسهم التمتع بما أحل الله لهم ويضيقون على أنفسهم وعلى أولادهم ومن جعلهم الله تحت أيديهم بدعوى الزهد البارد، فإن ذلك مخالف لهدي النبي ﷺ فإن النبي ﷺ

(١) «ديوان أحمد بن عبد ربه الأندلسي» (١/ ٢٧٣).

(٢) «ديوان الأعشى» هو ميمون بن قيس بن جندل (٤/ ١).

أخبرنا بأن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عباده، بل أنكر النبي ﷺ على الرهط الذين أرادوا ترك بعض المباحات بقصد التزهد، فقال: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»<sup>(١)</sup>.

قال الشاعر:

وما العيش إلا ما يلذ به الفتى إذا لم يجز يوما سبيل ذوي القصد  
وقوله: «وزهد في الثناء» إلخ؛ يعني: أنه ينبغي للمسلم أن لا يلتفت إلى ثناء الناس ومدحهم، لأنه يريد بأعماله وجه الله والدار الآخرة ولا يريد جزاء ولا شكورا، قال العجاني: ﴿إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [الإنسان: ٩]؛ ولهذا بوب الإمام الدارمي في سننه: «باب من كره الشهرة والمعرفة».

فإذا أخلص في كل شؤونه لله وحصل من الناس ثناء أو ذكر حسن، فذلك عاجل بشرى المؤمن كما في الحديث الصحيح<sup>(٢)</sup>، أما أنه يعمل ليشنى عليه ويمدح فهذا قد يحبط عمله - والعياذ بالله - لأنه من الشرك؛ فيجب على المسلم ملاحظة هذه المعاني وإلا فكما قال الشاعر عن عامة الناس:

يهوى الثناء مبرر ومقصر حب الثناء طبيعة الإنسان  
وقد قال الإمام المنذري رحمه الله في هذا المعنى:

اعمل لنفسك صالحا لا تحتفل بظهور قيل في الأنام وقال  
فالناس لا يرجى اجتماع قلوبهم لا بد من مثن عليك وقالي

(١) أخرجه البخاري [٥٠٦٣]، ومسلم [١٤٠١] من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم [٦٨٩١] من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

### التحذير الشديد من ظلم اليتامى وأكل الربا

٤٧٧- لَا تَنْتَهَبْ مَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا وَدَعَ الرَّبَا فِكِلَاهُمَا فِسْقَانِ

﴿ أكل المحرمات من أخطر الأمور التي توبق المرء في دنياه وأخراه، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يقول: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَحْكَرَةً عَنْ رَاضٍ مِنْكُمْ ﴾ [النساء: ٢٩].

فاجتنب أكل جميع الأموال المحرمة بما في ذلك أكل مال اليتيم وأكل الربا وجميع المحرمات.

قال الله تَعَالَى في التحذير من أكل مال اليتيم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ١٠]، ويقول تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، ويقول تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا ﴾ [النساء: ٦].

وقد رخص الله عَزَّ وَجَلَّ في الأكل من مال اليتيم عند الحاجة مقابل القيام عليه وتنميته، قال عَزَّ وَجَلَّ في ذلك: ﴿ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء: ٦].

ويجب أن يُعْنَى 'كافل اليتيم بتنمية ماله له والتجارة فيه كما قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ابتغوا بأموال اليتامى 'لا تأكلها الصدقة'»<sup>(١)</sup>.

وقد حرم الله عَزَّ وَجَلَّ ورسوله ﷺ أكل الربا وكلما يتعلق بتعاطيه، بل سدَّ جميع الوسائل الموصلة إليه فقال تَعَالَى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنْ

(١) البيهقي [٧٥٩٠]. وقال: «هذا إسناد صحيح وله شواهد عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».



الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتِغُوا فَلََكُمْ رَأُوشُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ [البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩]، وورد في الأثر: «الربا بضعة وسبعون بابا أهونها كمن أتى أمه في الإسلام»<sup>(١)</sup>.

وفيا أحل الله عزَّ وجلَّ غنية عما حرم لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وقال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات» وذكر منها: «وأكل الربا وأكل مال اليتيم»<sup>(٢)</sup>.

وقد وصف الله آكل الربا يوم القيامة فقال: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ [البقرة: ٢٧٥ - ٢٧٦] - والعياذ بالله -.



(١) أخرجه عبد الرزاق [١٥٣٤٦] موقوفا على ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [٢٧٦٦]، مسلم [٨٩] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

## حقوق الجار

٤٧٨- وَأَحْفَظْ لِجَارِكَ حَقَّهُ وَذِمَامَهُ وَلِكُلِّ جَارٍ مُسْلِمٍ حَقَّانِ

تحدث رحمه الله عن حق الجار وذكر أن له حقين، والصحيح أن الجيران ثلاثة أصناف: فجار له ثلاثة حقوق وهو الجار القريب المسلم، وجار له حقان وهو الجار المسلم البعيد، وجار له حق واحد وهو الجار الكافر.

يقول النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»<sup>(١)</sup>، وفي رواية: «فليكرم جاره»<sup>(٢)</sup>.

وقد عظم الله عز وجل ورسوله ﷺ حق الجار وتعاهده، والتنويه بقدره، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ [النساء: ٣٦]، وقال ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»<sup>(٣)</sup>، بل كان أهل الجاهلية يهتمون بالجار، ويعتنون به أيما عناية حتى قال شاعرهم:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي حتى يوارى جارتي مأواها  
فلما جاء الإسلام زاد ذلك شدة وقوة، بل ذهب بعض أهل العلم إلى القول بالشفعة للجار.

وفي الصحيح أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»<sup>(٤)</sup>. وثبت عند أحمد وغيره بزيادة: «قيل: وما بوائقه؟ قال: «شره».

(١) أخرجه البخاري [٦١٣٦] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [٦٠١٩] من حديث أبي شريح العدوي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري [٦٠١٥]، ومسلم [٢٦٢٥] من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) أخرجه البخاري [٦٠١٦]، ومسلم [٤٦] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

### حق الضيف

٤٧٩- وَأَضْحَكَ لِضَيْفِكَ حِينَ يُنْزِلُ رَحْلَهُ إِنَّ الْكَرِيمَ يُسَرُّ بِالضَّيْفَانِ

✽ أشار هنا إلى ما يتعلق بالضيف من حقوق، والضيف له حقوق على مضيفه؛ يقول النبي ﷺ: «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»<sup>(١)</sup>.

فإكرام الضيف من أعظم مبادئ الإسلام التي حث عليها ورغب فيها، وهو من سنن الأنبياء والمرسلين، فقد قص الله علينا ما كان من إبراهيم أبي الأنبياء عليه السلام مع ضيوفه، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ أَنْتَ حَدِثُ ضَيْفَ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِ﴾<sup>(٢)</sup> إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ<sup>(٣)</sup> فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ<sup>(٤)</sup> فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿[الذَّارِيَاتُ: ٢٤ - ٢٧]، بل وكان من شيم العرب في الجاهلية.

فينبغي للمرأة المسلم إذا أقبل ضيفه أن يتحلّى بطلاقة الوجه والكرم والإيثار وحلو الكلام والترحيب به وإعطائه حقه؛ لأن هذا مما يتقرب به إلى الله.

قال يعقوب الخزيمي:

أُضَاحِكُ ضَيْفِي قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ وَيُخْصِبُ عِنْدِي وَالْمَحَلَّ جَدِيبُ  
وَمَا الْخَصْبُ لِلْأَضْيَافِ أَنْ يَكْثُرَ الْقَرَى وَلَكِنَّمَا وَجْهُ الْكَرِيمِ خَصِيبُ<sup>(٢)</sup>

وقال آخر:

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَا سَرَنِي شَيْءٌ كَطَارِقَةِ الضُّيُوفِ النَّزْلِ  
مَا زِلْتُ بِالترَّحِيبِ حَتَّى خَلَّتْنِي ضَيْفًا لَهُ وَالضَّيْفُ رَبُّ الْمَنْزِلِ<sup>(٣)</sup>

(١) أخرجه البخاري [٦١٣٦] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) «بهجة المجالس وأنس المجالس» لابن عبد البر (١/ ٦٣).

(٣) «المستطرف في كل فن المستظرف» (١/ ٣٩٥).

وبالغ بعضهم فقال:

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا نحن الضيوف وأنت رب المنزل

واعتدل بعضهم فقال سيف الدولة بن حمدان:

منزلنا رحب لمن زاره نحن سواء فيه والطارق  
وكل ما فيه حلال له إلا الذي حرمه الخالق<sup>(١)</sup>



(١) «المستظرف في كل فن مستظرف» (١/ ٣٩٥).

### صلة الرحم

٤٨٠- وَاصِلْ ذَوِي الْأَرْحَامِ مِنْكَ وَإِنْ جَفَوْا فَوِصَالُهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْهِجْرَانِ

✽ يتحدث هنا عن وجوب صلة الأرحام وإن قطعوك. ومن وصايا النبي ﷺ أن تصل من قطعك وأن تعطي من حرمك، وأن تغفو عمن ظلمك<sup>(١)</sup>. والله عز وجل ذم قاطع الرحم بقوله: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ۚ﴾ [محمد: ٢٢ - ٢٣].

ويقول النبي ﷺ: «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه»<sup>(٢)</sup>، وقال في حديث آخر: «من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه»<sup>(٣)</sup>.

وقال النبي ﷺ: «خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن، فقالت له: مه، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت: بلى يا رب قال: فذاك» قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اقرءوا إن شئتم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢]؛ فمن وصل الرحم وصله الله، ومن قطعها - والعياذ بالله - قطعه الله، قال ﷺ: «قال الله: أنا الرحمن وهي الرحم شقت لها اسماً من اسمي من وصلها وصلته ومن قطعها بتته»<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه أحمد [١٧٣٣٤]، والبيهقي في الشعب [٧٧٢٣] من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه

الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» [٢٥٣٦].

(٢) أخرجه البخاري [٦١٣٨] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري [٢٠٦٧]، ومسلم [٢٥٥٧] من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري [٤٨٣٠] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه أحمد [١٠٤٦٩]، وأبو داود [١٦٩٦]، والحاكم [٧٢٦٧] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وصححه الذهبي في «التلخيص».

والرحم يشمل جميع الأقارب من الإخوة والأعمام والأخوال وبنيتهم، وكل من يمتّ إليك بنسب أو بسبب، فيجب عليك أن تصلهم وإن قطعوك.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رجلاً قال: «يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويسيئون إلي وأحلم عنهم ويجهلون علي فقال: «لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»<sup>(١)</sup>.

وصلة الرحم تكون بالزيارة والسؤال وتفقد الحال، وتكون بالإحسان إليهم بالمال والجاه، وبأي لون من ألوان الصلة.



(١) أخرجه مسلم [٢٥٥٨] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

### اليمين وأثاره

- ٤٨١- وَاصْدُقْ وَلَا تَحْلِفْ بِرَبِّكَ كَاذِبًا وَتَحَرَّرْ فِي كَفَّارَةِ الْأَيْمَانِ  
٤٨٢- وَتَوَقَّ أَيْمَانَ الْغُمُوسِ فَإِنَّهَا تَدْعُ الدِّيَارَ بِالْقَاعِ الْحَيْطَانِ

❖ بين رَحْمَةُ اللَّهِ أهمية لزوم الصدق؛ والمؤمن يجب أن يكون صادقاً في أقواله وأفعاله وجميع أموره؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، ويقول النبي ﷺ: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»<sup>(١)</sup>.

وما شيء إذا فكرت فيه بأذهب للمروءة والجمال  
من الكذب الذي لا خير فيه وأبعد بالبهاء من الرجال  
وعلى المسلم أن يلتزم الصدق دائماً في أيمانه وفي عهوده وعقوده، في أمور دينه ودنياه؛ فإن الصدق منجاة، والكذب مهلكة.

وهنا بعض الآداب والأحكام المتعلقة بالأيمان، منها أن لا تجعل الله عرضة لأيمانك؛ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤]، ومنها أنه لا يؤاخذ بلغو اليمين ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ [المائدة: ٨٩].

والأيمان أنواع، منها: اليمين الغموس وهي أن يحلف المرء على أمر وهو يعلم أنه كاذب فيه، وسميت بالغموس؛ لأنها تغمس صاحبها في الإثم الذي يجره إلى النار، وقد جاء التحذير منها في قول النبي ﷺ: «من حلف على يمين يقتطع بها

(١) أخرجه البخاري [٦٠٩٤]، ومسلم [٢٦٠٧] من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مال امرئ مسلم هو عليها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان»<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم» وذكر منهم: المنفق سلعته بالخلف الكاذب<sup>(٢)</sup>.

والثانية- اليمين المنعقدة، وهي أن يحلف المرء أن يفعل شيئاً في المستقبل، فإن كان الأمر مشروعاً أو مباحاً استحب له أن يبر بيمينه، وإن كان غير ذلك يكفر عن يمينه ولا يفعل ما حلف عليه، قال النبي ﷺ: «وإني والله - إن شاء الله - لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير»<sup>(٣)</sup>.

والثالثة- لغو اليمين كقول المسلم: لا والله، وبلى والله، وهو غير منعقد ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ [المائدة: ٨٩].

فإذا كانت اليمين منعقدة فكفارتها على الترتيب كما قال الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرتَهُ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّرتُهُ أَيْمَانَكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٨٩].

فهو أولاً مخير بين ثلاثة أمور: العتق أو الإطعام أو الكسوة، فإن عجز عن واحد من هذه الثلاث صام ثلاثة أيام.

وقوله: «تدع الديار بلاقع الحيطان» أي: أنها قد تكون سبباً في فناء الناس وهلاكهم وفي إهلاك الحرث والنسل، بل وفي وقوع العقوبة العاجلة والآجلة.

(١) أخرجه البخاري [٢٣٥٦]، ومسلم [١٣٨] من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم [١٠٦] من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري [٦٦٢٣]، ومسلم [١٦٤٩] من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



## من أحكام النكاح

٤٨٣- حَدُّ النِّكَاحِ مِنَ الْحَرَائِرِ أَرْبَعٌ فَاطْلُبُ ذَوَاتِ الدِّينِ وَالْإِحْصَانِ

❖ بين في هذا البيت الحد الأقصى الذي يحل للمسلم أن يجمعه من النساء، وهو الاقتصاد على أربع نسوة كما قال الله تَعَالَى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣].

ثم حث على التزوج من ذات الدين والعفة والإحصان، قال رسول الله ﷺ: «تَنكِحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسْبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْطَرِبْذَاتِ الدِّينِ تَرِبْتَ يَدَاكَ»<sup>(١)</sup>؛ هذا فيما يتعلق بالحرائر أما غيرهن فله التسري بمن شاء من إمائِه المملوكات له ملكا تاما أو التزوج بإماء الغير عند الضرورة من غير حد في ذلك، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [البقرة: ٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنَ فَنِيَتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النساء: ٢٥].



(١) أخرجه البخاري [٥٠٩٠]، ومسلم [١٤٦٦] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

## أحكام العدة والاستبراء

- ٤٨٤- لَا تَنْكِحَنَّ مُحِدَّةً فِي عِدَّةٍ  
٤٨٥- عِدَّةُ النِّسَاءِ لَهَا فَرَايِضُ أَرْبَعٍ  
٤٨٦- تَطْلِيقُ زَوْجٍ دَاخِلٍ أَوْ مَوْتُهُ  
٤٨٧- وَحُدُودُهُنَّ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْرُوٍ  
٤٨٨- وَكَذَاكَ عِدَّةٌ مَنْ تُوْفِي زَوْجُهَا  
٤٨٩- عِدَّةُ الْحَوَامِلِ مِنْ طَلَاقٍ أَوْ فَنَاءٍ  
٤٩٠- وَكَذَاكَ حُكْمُ السَّقَطِ فِي إِسْقَاطِهِ  
٤٩١- مَنْ لَمْ تَحْضِ أَوْ مَنْ تَقَلَّصَ حَيْضُهَا  
٤٩٢- كِلْتَاهُمَا تَبْقَى ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ  
٤٩٣- عِدَّةُ الْجَوَارِ مِنَ الطَّلَاقِ بِحَيْضَةٍ  
٤٩٤- فَبِطَلَقَتَيْنِ تَبَيَّنَ مِنْ زَوْجٍ لَهَا  
٤٩٥- وَكَذَا الْحَرَائِرُ فَالثَّلَاثُ تَبَيَّنَ لَهَا  
٤٩٦- فَلَتَنْكِحَا زَوْجِيهِمَا عَنْ غِبْطَةٍ  
٤٩٧- حَتَّى إِذَا امْتَزَجَ النِّكَاحُ بِدُلْسَةٍ
- فَنِكَاحُهَا وَزِنَاؤُهَا شِبْهَانِ  
لَكِنْ يَضُمُّ جَمِيعَهَا أَصْلَانِ  
قَبْلَ الدُّخُولِ وَبَعْدَهُ سَيَّانِ  
أَوْ أَشْهُرٍ وَكِلَاهُمَا جِسْرَانِ  
سَبْعُونَ يَوْمًا بَعْدَهَا شَهْرَانِ  
وَضَعُ الْأَجْنَةِ صَارِحًا أَوْ فَانِي  
حُكْمُ التَّمَامِ كِلَاهُمَا وَضَعَانِ  
قَدْ صَحَّ فِي كِلْتَيْهِمَا الْعِدَدَانِ  
حُكْمَاهُمَا فِي النَّصِّ مُسْتَوِيَانِ  
وَمِنْ الْوَفَاةِ الْخَمْسُ وَالشَّهْرَانِ  
لَا رَدَّ إِلَّا بَعْدَ زَوْجٍ ثَانِ  
فِي حِلِّ تِلْكَ وَهَذِهِ زَوْجَانِ  
وَرِضًا بِلَا دَلْسٍ وَلَا عِضْيَانِ  
فَهُمَا مَعَ الزَّوْجَيْنِ زَانِيَتَانِ

❖ لا يصح أن تنكح المعتدة سواء المعتدة من وفاة أو من طلاق، وسواء كان الطلاق بائناً أم كان رجعيًا، ليس لها أن تنكح إلا بعد انقضاء عدتها. فمن نكحها في عدتها فعقده فاسد؛ ولذلك قال النازم: «فنكاحها وزناؤها شبهان» أي: كله سفاح.

وللعدة سببان: الطلاق مطلقًا والموت، سواء كان قبل الدخول أو بعده. فالمطلقة إن كانت من ذوات الحيض فعدها ثلاثة قروء كما قال الله تَعَالَى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وإن كانت صغيرة لم تحض أو آيسة قد انقطع حيضها فعدتها ثلاثة أشهر،  
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّتِي يَسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ  
 يَحِضْ﴾ [الطلاق: ٤].

وإن كانت حاملاً فعدتها بوضع حملها، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ  
 حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤].

وأما المطلقة غير المدخول بها فلا عدة عليها، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا  
 نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمِنْ غَيْرِ  
 وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الاحزاب: ٤٩]؛ والخلوة تأخذ حكم الدخول في أصح أقوال أهل  
 العلم لقضاء عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بذلك.

وأما المتوفى عنها زوجها فلا تخلو إما أن تكون حاملاً أو حائلاً، فإن كانت حائلاً  
 فعدتها أربعة أشهر وعشراً، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَتُوفَوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرْبِصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ  
 أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]، وإن كانت حاملاً فعدتها تنتهي بوضع حملها لحديث  
 سبيعة الأسلمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أنها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بني عامر بن لؤي  
 وكان ممن شهد بدرًا فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب أن وضعت حملها  
 بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك  
 رجل من بني عبد الدار فقال لها ما لي أراك تجملت للخطاب ترجين النكاح فإنك والله  
 ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت علي  
 ثيابي حين أمسيت وأتيت رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حللت

حين وضعت حملي وأمرني بالتزوج إن بدالي»<sup>(١)</sup>؛ والحمل المعتبر هو ما أتم أربعة أشهر، سواء نزل حيًّا أو ميتًا.

أما عدد الإماء فكالحرائر في حال الحمل، سواء كان السبب من طلاق أو وفاة. والأمة المطلقة من ذوات الحيض عدتها حيضتان، ومن الصغيرات والآيسات عدتها شهران، والمتوفى عنها زوجها تعتد بشهرين وخمسة أيام على النصف من عدة الحرة.

وقوله:

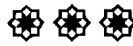
٤٩٤- فَبَطَلَتَيْنِ تَبِينُ مِنْ زَوْجٍ لَهَا لَا رَدَّ إِلَّا بَعْدَ زَوْجٍ ثَانٍ  
٤٩٥- وَكَذَا الْحَرَائِرُ فَالثَّلَاثُ تُبِينُهَا فَيُحِلُّ تِلْكَ وَهَذِهِ زَوْجَانِ  
٤٩٦- فَلَتَنِكَحًا زَوْجِيَهُمَا عَنْ غِبْطَةٍ وَرِضًا بِلَا دَلْسٍ وَلَا عِضْيَانِ  
٤٩٧- حَتَّى إِذَا امْتَرَجَ النِّكَاحُ بِدُلْسَةٍ فَهُمَا مَعَ الزَّوْجَيْنِ زَانِيَتَانِ

الأمة تبين بينونة كبرى بطلقتين، لا تعود إليه إلا بعد نكاح صحيح من آخر، أما الحرائر فبثلاث تطليقات، فإذا طلق الطلقة الثالثة فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره، أما الطلقة الأولى والثانية فطلاق رجعي، يراجعها ما دامت في العدة، ويستحب لها أن تتجمل وتعرض له لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا؛ لأنها لا زالت زوجة ما دامت في العدة.

ولابد أن يكون الزوج الثاني معتبرا شرعيا ليس فيه تحليل ولا تحايل على التحليل.

(١) أخرجه أحمد [٦٦٠]، وأبو داود [٢٠٧٦]، والترمذي [١١١٩]، وابن ماجه [١٩٣٥] من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الألباني في «صحيح سنن أبي داود» [١٨١١]: «حديث صحيح، رواه جمع آخر من الصحابة، وحسن البخاري بعض أسانيده، وكذا عبد الحق الإشبيلي، وصححه ابن السكن والحاكم والذهبي وابن القطان وابن دقيق العيد وابن الجارود».

فإذا حصل نكاح قبل انقضاء العدة فهو والزنى 'سيان، ولذلك قال:  
 حَتَّىٰ إِذَا امْتَزَجَ النِّكَاحُ بِدُثْسَةٍ      فَهُمَا مَعَ الزَّوْجَيْنِ زَانِيَتَانِ



## التيس المستعار

- ٤٩٨- إِيَّاكَ وَالتَّيْسَ الْمُحَلَّلَ إِنَّهُ وَالْمُسْتَحِلَّ لِرَدِّهَا تَيْسَانِ  
 ٤٩٩- لَعَنَ النَّبِيُّ مُحَلَّلًا وَمُحَلَّلًا فَكِلَاهُمَا فِي الشَّرْعِ مَلْعُونَانِ

❁ يحذر الناظم رَحِمَهُ اللهُ مِنَ الحِيلِ عَلَى النِّكَاحِ المَحْرَمِ وَمِنْ ذَلِكَ نِكَاحِ التَّحْلِيلِ كَمَا إِذَا اتَّفَقَ الْمُطْلَقُ طَلَاقًا بَائِنًا مَعَ أَجْنَبِيٍّ عَلَى أَنْ يَتَزَوَّجَ مُطَلَّقَتَهُ وَيَدْخُلَ بِهَا لِفَتْرَةٍ مُعَيَّنَةٍ ثُمَّ يَطْلُقُهَا لَهُ لِتَحِلَّ لَهُ، وَهَذَا هُوَ الْمُسَمَّى بِنِكَاحِ التَّحْلِيلِ، وَقَدْ ثَبِتَ فِيهِ حَدِيثُ «لَعَنَ اللهُ الْمُحَلَّلَ وَالْمُحَلَّلَ لَهُ»<sup>(١)</sup>، وَيَشْتَهَرُ ذَلِكَ الْمُحَلَّلُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالتَّيْسِ الْمُسْتَعَارِ؛ لِذَا وَصَفَ النَّازِمُ الْمُحَلَّلَ وَالْمُحَلَّلَ لَهُ بِالتَّيْسَيْنِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ نِكَاحَ التَّحْلِيلِ بَاطِلٌ، وَجُودُهُ وَعَدَمُهُ سَوَاءٌ، وَتَدْخُلُ الْمَرْأَةُ فِي هَذَا الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ إِنْ كَانَتْ مُتِمِّلَةً مَعَهَا أَوْ مَعَ أَحَدِهِمَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.



(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ [٣٩٩٠]، وَمُسْلِمٌ [١٤٨٤].

## إخوانكم خولكم

٥٠٠. لَا تَضْرِبَنَّ أَمَةً وَلَا عَبْدًا جَنَىٰ فِكْلَاهُمَا بِيَدَيْكَ مَا سُورَانِ

✽ يشير رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى قول النبي ﷺ: «إخوانكم خولكم»<sup>(١)</sup> جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم»<sup>(٢)</sup>، وقد حذر الناظم من ضرب المملوكين ولو جنوا؛ لأنهم عوان مأسورون، فإذا احتاجوا إلى التأديب فليكن ذلك بغير الضرب كالنصح والتوجيه والتهديد، وهذا هو هدي النبي ﷺ، قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي أف ولا لم صنعت ولا أأ صنع»<sup>(٣)</sup>، والصحابي الذي لطم عبده ثم ندم وأعتقه، فقال له النبي ﷺ: «أما لو لم تفعل للضحتك النار أو لمستك النار»<sup>(٤)</sup>.

كما ينبغي التحذير من ضرب الأطفال دون العاشرة لأي سبب كان، بل يكتفى بما دون الضرب «مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين وإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها»<sup>(٥)</sup>.

فدل الحديث على أنهم لا يضربون إلا بعد العاشرة ولمصلحة شرعية راجحة كالصلاة وما في معناها كالتأديب على العلم والأدب.

(١) الخول: حشم الرجل وأتباعه، وأحدهم خائل. وقد يكون واحداً، ويقع على العبد والأمة، وهو مأخوذ من التحويل: التملك. وقيل من الرعاية. «النهاية» (٨٨/٢).

(٢) أخرجه البخاري [٣٠] من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري [٦٠٣٨]، ومسلم [٢٣٠٩] من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه مسلم [١٦٥٩] من حديث أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه أبو داود [٤٩٤]، والترمذي [٤٠٧]، والحاكم [٧٢١] من حديث أبي ثُرَيَّة سَبْرَةَ بن معبد الجهني. وقال الترمذي: حسن صحيح. وقال الحاكم: على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

الضرب ينفعهم والعلم يرفعهم لولا المخافة ما خطوا ولا كتبوا

وإن احتيج إلى الضرب فإنه يجب أن يكون غير مبرح.

وأنبه هنا إلى ظاهرة خطيرة، ألا وهي سوء معاملة العمال الذين سخرهم الله لخدمتك، فيلاحظ أن البعض يهينونهم أو لا يعطونهم حقوقهم كاملة أو يعتدون عليهم بالضرب أو بالتوبيخ والاستهزاء ونحو ذلك مما هو محرم شرعاً، وذاك أمر منكر.

فعليك يا عبد الله أن تستشعر نعمة الله عليك بأن سخرهم لك بالعمل والخدمة كما سخر لك لهم بالمال:

النَّاسُ لِلنَّاسِ مِنْ بَدْوٍ وَحَاضِرَةٍ بَعْضٌ لِبَعْضٍ وَإِنْ لَمْ يَشْعُرُوا خَدَمُ

وكذلك الحال في ضرب النساء كما يفعل بعض ضعاف الإيمان وقليلي الخيرية؛ لسبب أو لغير سبب يضرب امرأته أو يقبحها أو يكسر عظامها منها ويرى أن هذه شجاعة، وبئست الشجاعة هذه؛ يقول النبي ﷺ: «يَعْمَدُ أَحَدَكُمْ فَيَجْلِدُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ فَلَعَلَهُ يَضَاجِعُهَا مِنْ آخِرِ يَوْمِهِ»<sup>(١)</sup>، وقد اجتمع عند بيوت النبي ﷺ نساء كثير يشكون أزواجهن، فقال ﷺ: «لَيْسَ أَوْلَتْكَ بِخِيَارِكُمْ»<sup>(٢)</sup>.



(١) أخرجه البخاري [٤٩٤٢]، ومسلم [٢٨٥٥] من حديث عبد الله بن زمعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الدارمي [٢٢٦٥]، وأبو داود [٢١٤٨] من حديث إياس بن عبد الله بن أبي ذباب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٦٣/٦): «إسناده صحيح، وإياس مختلف في صحبته، لكن الراجح صحبته كما قال الحافظ، وصحح الحديث: ابن حبان والحاكم والذهبي».



## في الحلال غنية عن الحرام

لِعِنَاقِ خَيْرَاتِ هُنَاكَ حِسَانٍ  
مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ بِهَا زَوْجَانِ  
مَحْضُوفَةٌ بِالنَّخْلِ وَالرُّمَّانِ  
وَقُصُورُهَا مِنْ خَالِصِ الْعُقَيَّانِ  
شُبَّهْنَ بِالْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ  
حُمُرُ الْخُدُودِ عَوَاتِقُ الْأَجْضَانِ  
هَيْفُ الْخُصُورِ نَوَاعِمُ الْأَبْدَانِ  
صَفَرُ الْحُلِيِّ عَوَاطِرُ الْأَرْدَانِ  
فِي دَارِ عَدْنٍ فِي مَحَلِّ أَمَانٍ  
بِأَنَامِلِ الْخُدَامِ وَالْوُلْدَانِ  
وَهُمَا فَوَيْقُ الْفُرْشِ مُتَكَيِّانِ  
وَهُمَا بِلَذَّةِ شُرْبِهَا فَرِحَانِ  
وَكِلَاهُمَا بِرُضَابِهَا حُلْوَانِ  
وَهُمَا بِثَوْبِ الْوَصْلِ مُشْتَمِلَانِ  
إِخْوَانُ صِدْقِ أَيِّمَاءِ إِخْوَانِ  
أَكْرَمَ بِهِمْ فِي صَفْوَةِ الْجِيرَانِ  
وَالْمُقْلَتَانِ إِلَيْهِ نَاطِرَتَانِ  
وَعَلَى الْمَفَارِقِ أَحْسَنُ التِّيْجَانِ  
أَوْ فِضَّةٍ مِنْ خَالِصِ الْعُقَيَّانِ

٥٠١- أَعْرِضْ عَنِ النَّسْوَانِ جُهْدَكَ وَانْتَدِبْ  
٥٠٢- فِي جَنَّةٍ طَابَتْ وَطَابَ نَعِيمُهَا  
٥٠٣- أَنَهَارُهَا تَجْرِي لَهُمْ مِنْ تَحْتِهَا  
٥٠٤- غُرَفَاتُهَا مِنْ لَوْلُؤٍ وَزَيْرَجِدٍ  
٥٠٥- قُصِرَتْ بِهَا لِلْمُتَّقِينَ كَوَاعِبُ  
٥٠٦- بَيْضُ الْوُجُوهِ شُعُورُهُنَّ حَوَالِكَ  
٥٠٧- فُلُجُ الثُّغُورِ إِذَا ابْتَسَمْنَ ضَوَاحِكًا  
٥٠٨- خَضِرُ الثِّيَابِ تُدِيهُنَّ نَوَاهِدُ  
٥٠٩- طُوبَى لِقَوْمٍ هُنَّ أَزْوَاجُ لَهُمْ  
٥١٠- يُسْقَوْنَ مِنْ حَمَرٍ لَذِيذٍ شُرْبُهَا  
٥١١- لَوْ تَنْظُرُ الْحَوْرَاءُ عِنْدَ وَلِيِّهَا  
٥١٢- يَتَنَازَعَانِ الْكَأْسَ فِي أَيْدِيهِمَا  
٥١٣- وَلَرُبَّمَا تَسْقِيهِ كَأْسًا ثَانِيًا  
٥١٤- يَتَحَدَّثَانِ عَلَى الْأَرَائِكِ خُلُوةً  
٥١٥- أَكْرَمَ بَجَنَاتِ النَّعِيمِ وَأَهْلُهَا  
٥١٦- جِيرَانُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحِزْبُهُ  
٥١٧- هُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَهُ وَيَرَوْنَهُ  
٥١٨- وَعَلَيْهِمْ فِيهَا مَلَابِسُ سُندُسٍ  
٥١٩- تِيْجَانُهُمْ مِنْ لَوْلُؤٍ وَزَيْرَجِدٍ

- ٥٢٠- وَخَوَاتِمٌ مِنْ عَسَجِدٍ وَأَسَاوِرٍ  
 ٥٢١- وَطَعَامُهُمْ مِنْ لَحْمِ طَيْرٍ نَاعِمٍ  
 ٥٢٢- وَصِحَافُهُمْ ذَهَبٌ وَدُرٌّ فَائِقٌ  
 ٥٢٣- إِنْ كُنْتَ مُشْتَاقًا لَهَا كَافًا بِهَا  
 ٥٢٤- كُنْ مُحْسِنًا فِيمَا اسْتَطَعْتَ قَرِيبًا  
 ٥٢٥- وَاعْمَلْ لِحَنَاتِ النَّعِيمِ وَطِيبِهَا  
 مِنْ فَضَّةٍ كُسِيتَ بِهَا الزُّنْدَانُ  
 كَالْبُخْتِ يُطْعَمُ سَائِرَ الْأَلْوَانِ  
 سَبْعُونَ أَلْفًا فَوْقَ أَلْفِ خَوَانِ  
 شَوْقَ الْغَرِيبِ لِرُؤْيَا الْأَوْطَانِ  
 تُجْزَى عَنِ الْإِحْسَانِ بِالْإِحْسَانِ  
 فَنَعِيمُهَا يَبْقَى وَلَيْسَ بِضَانِ

✽ أَعْرَضَ عَنِ النِّسْوَانِ، أَي: عَنِ الْأَجْنِيَّاتِ نَظَرًا أَوْ لِمَسَا أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ. وَعَلَيْكَ أَنْ تَحْتَسِبَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ لَعَلَّهُ يَرْزُقُكَ بِالْخَيْرَاتِ الْحَسَنَاتِ فِي تِلْكَ الْجَنَانِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ أَمْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥١﴾ فَيَأْتِي ءَالَءٌ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٢﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٣﴾ فَيَأْتِي ءَالَءٌ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٤﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٥٥﴾ فَيَأْتِي ءَالَءٌ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٦﴾ إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٥٧﴾ فَيَأْتِي ءَالَءٌ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٨﴾ مُدَّاهِمَتَانِ ﴿٥٩﴾﴾ [الجن: ٥٦ - ٦٠]، ثُمَّ ذَكَرَ عِدَّةَ خَيْرَاتٍ فَقَالَ: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٦١﴾ فَيَأْتِي ءَالَءٌ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٢﴾ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٦٣﴾﴾ [الجن: ٧٠ - ٧٢]؛ فَإِذَا أَرَدْتَ هَذَا الْوَعْدَ الْكَرِيمَ فَتَجَنَّبِ التَّعَلُّقَ بِالنِّسَاءِ الْأَجْنِيَّاتِ؛ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٦٤﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦٥﴾ فَمَنْ أَبْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [البقرة: ٥ - ٧].

فَانْتَبِهْ يَا عَبْدَ اللَّهِ وَلَا تَتَجَاوَزْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ فَإِنْ مِنْ تَرَكَ شَيْئًا لِلَّهِ عَوَضَهُ اللَّهُ خَيْرًا

منه.

وَيَحْتَمِلُ الْبَيْتَ مَعْنَى آخَرَ قَدْ لَا يَقْصِدُهُ النَّازِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ التَّزْهِيدُ فِي الزَّوْاجِ، وَهَذَا مِنَ الرِّهَابَانِيَةِ الْمَحْرَمَةِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَاتَّقَاكُمْ لَهُ

لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»<sup>(١)</sup>، وفي البخاري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «خير هذه الأمة أكثرها نساء»<sup>(٢)</sup>، وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من دعاكم إلى ترك النكاح فقد دعاكم إلى هدم الدين».

قال الشاعر:

مجانبهن فاقد طيب عيش      ومن يعلق بهن هواه ضاعا



(١) تقدم تخريجه في ص: [٥٥٣].

(٢) أخرجه البخاري [٥٠٦٩].

## إكرام الله أهل جنته

وقوله: «وانتدب العناق ...» إلخ.

✽ بدأ يتكلم على الجنة وما أكرم الله به أهلها وجباهم من مكارم ونعيم مقيم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَمَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ فِيهَا ۖ آيَاتُ رَبِّكَ يُكَذِّبَانِ ۖ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ۖ فِيهَا ۖ آيَاتُ رَبِّكَ يُكَذِّبَانِ ۖ فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۖ فِيهَا ۖ آيَاتُ رَبِّكَ يُكَذِّبَانِ ۖ فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ رَوْحَانٌ ۖ فِيهَا ۖ آيَاتُ رَبِّكَ يُكَذِّبَانِ ۖ﴾ [التجن: ٤٦ - ٥٣]؛ يعني: صنفان، وأصناف وأصناف، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فيها فاكهة ونخل وورمان، ولهم فيها ما تشتهي أنفسهم وتلذ أعينهم؛ قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ [فصلت: ٣٢]، وقال: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهُ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [التجن: ٧١]، وقال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التجن: ١٧]، وقوله سبحانه في سورة الواقعة ﴿وَالسَّيِّفُونَ السَّيْفُونَ ۖ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۖ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۖ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۖ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۖ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ۖ مُتَكِبِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ۖ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ۖ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ۖ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ ۖ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۖ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۖ وَحُورٌ عِينٌ ۖ كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ الْمَكُونِ ۖ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۖ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ۖ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ۖ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۖ فِي سِدْرٍ مَحْضُودٍ ۖ وَطَلْحٍ مَبْضُودٍ ۖ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ۖ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ۖ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۖ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۖ وَفُرُشٌ مَرْقُوعَةٍ ۖ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً ۖ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ۖ عُرُبًا أَتْرَابًا ۖ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ۖ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۖ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۖ﴾ [الواقعة: ١٠ - ٤٠]، وقال رسول الله ﷺ: «قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقربوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ

أَعْيُنُ جَزَاءٍ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ [السجدة: ١٧] ﴾<sup>(١)</sup>، وقال عز وجل: ﴿ فِيهَا فَكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٧٨﴾ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٩﴾ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٨٠﴾ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ ﴿٨١﴾ فَإِنِّي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٨٢﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِلَاسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿ [الحج: ٦٨ - ٧٤]، وقال سبحانه: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنهَرٌ مِن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنهَرٌ مِن لَبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنهَرٌ مِن خَمْرٍ لَّذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ وَأَنهَرٌ مِن عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَنَّهُ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿ [محمد: ١٥]، وغير ذلك كثير مما في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ من أوصاف الجنة وما أعد الله لأهلها من الكرامة.

وقوله:

٥٠٤. غُرَفَاتُهَا مِنْ لؤلؤٍ وَزَبَرَجَدٍ وَقُصُورُهَا مِنْ خَالِصِ الْعِيقَانِ  
 ﴿ يصف غرفات الجنة، تلك القصور العظيمة التي هي من الذهب والفضة والزبرجد.

وفي الحديث أن «الجنة بناؤها لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها ينعم لا يبأس ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم»<sup>(٢)</sup>.

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُكَلِّفُ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلؤلؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿ [الحج: ٢٣]، وَقَالَ النَّبِيُّ: ﴿ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُسٌ خُضَرٌ وَلَا سَبْرَقٌ وَحُلُوءٌ أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا

(١) أخرجه البخاري [٣٢٤٤]، ومسلم [٢٨٢٤] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد [٩٧٤٤]، والترمذي [٢٥٢٦] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٣١١٦].

﴿١١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿[الْإِنشَاء: ٢١ - ٢٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَزْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسَادٍ هَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿[النَّبَأ: ٣١ - ٣٦].

ويذكر مزيداً من أوصاف نساء الجنة فيقول: «فلج الثغور... عواطر الأردن»، ومن يقرأ هذه النونية ونونية ابن القيم يجد بينهما تشابها في الأوصاف عظيمًا، ولو أنك تأملت: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَزْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسَادٍ هَاقًا ﴿[النَّبَأ: ٣١ - ٣٤].

ولو تأملت قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاحٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿[الزُّلْفَلَّات: ٤١ - ٤٤].

ولو تأملت قوله تَعَالَى: ﴿وَجُوهٌ يُّوَمِّذُ نَاعِمَةً ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةً ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَمَنَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَوَاجٌ يُمْبِئُونَ ﴿[الْحَاشِيَةُ: ٨ - ١٦].

ولو تأملت قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِسْمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿[الْإِنْشَاق: ٧ - ٩].

ولو تأملت قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِسْمِينِهِ ﴿١١﴾ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْنَبُ ﴿١٢﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةٍ ﴿١٣﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿١٤﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٥﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿١٦﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿[الْجَافَّة: ١٩ - ٢٤].

ولو تأملت قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخْلَدُونَ ﴿٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ﴿٩﴾ وَفَكَهْهَ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿١١﴾ وَخُورٍ

عَيْنٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ الذُّلُولِ الْمَكُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءُ يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿[الواقعة: ١٧ - ٢٦].﴾

وغير ذلك من الآيات العظيمة التي تصف الجنان وما فيها مما يبهر العقول لزهدت في الدنيا وحطامها واقتصرت على ما أحل الله لك، وابتعدت عما حرمه الله عليك رجاء أن تفوز بهذا النعيم المقيم الذي لا ينتهي أبد الآباد.

وقوله:

٥١٠- يُسْقَوْنَ مِنْ حَمْرٍ لَدِيدٍ شُرْبُهَا  
٥١١- لَوْ تَنْظُرَ الْحَوْرَاءُ عِنْدَ وَلِيِّهَا  
٥١٢- يَتَنَازَعْنَ الْكَأْسَ فِي أَيْدِيهِمَا  
٥١٣- وَلَرُبَّمَا تَسْقِيهِ كَأْسًا ثَانِيًا  
٥١٤- يَتَحَدَّثَانِ عَلَى الْأَرَائِكِ خَلْوَةً  
٥١٥- أَكْرَمَ بَجَنَاتِ النِّعَمِ وَأَهْلِهَا  
٥١٦- جِيرَانُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحِزْبُهُ

بِأَنَامِلِ الْخُدَامِ وَالْوِلْدَانِ  
وَهُمَا فَوْيْقَ الْفُرْشِ مُتَكِيَانِ  
وَهُمَا بِلَذَّةِ شُرْبِهَا فَرِحَانِ  
وَكِلَاهُمَا بِرُضَابِهَا حُلْوَانِ  
وَهُمَا بِثَوْبِ الْوَصْلِ مُشْتَمِلَانِ  
إِخْوَانُ صِدْقٍ أَيْمًا إِخْوَانِ  
أَكْرَمَ بِهِمْ فِي صَفْوَةِ الْجِيرَانِ

﴿ كما قال الله تعالى: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿[الواقعة: ١٧-١٨]، وقال سبحانه: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكُونٌ ﴿[الطور: ٢٤]، وقال: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿١٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَوْنَ ﴿[الصافات: ٤٥ - ٤٧]، وقال عز وجل: ﴿ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُسٌ خُضْرٌ وَسِتْرٌ وَحُلُوعٌ أَسَاوِرٌ مِنْ ذَهَبٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿١٦﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿[الإنسان: ٢١ - ٢٢].﴾

### هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟

يصف نعيم الجنة ويصف المؤمن الذي ينال هذا الجزاء العظيم وهو في اللذة متعة - لا تقارن بمتعة الدنيا - مع تلك الحور العين اللاتي هن رهن إشارة أزواجهنّ.

ووصف أوصافاً دقيقة عظيمة تجعل المؤمن الخالص يزهد في كل شيء في هذه الدنيا الزائلة ويطمع فيما عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ من ذلك: كونها يتنازعان الكأس لا لغو فيها ولا تأثيم.

ومن ذلك تبادلهما الحب، واشتغالهما بثياب الوصل وغير ذلك من الأمور التي يجلّ عنها الوصف ويقصر دونها الحصر؛ فذلك نعيم الجنة العظيم، كيف وهي جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

وقوله:

٥١٧- هُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَهُ وَيَرَوْنَهُ وَأَمْقَلَتَانِ إِلَيْهِ نَاطِرَتَانِ

✽ يقرر الناظم رَحِمَهُ اللهُ فِي هذا البيت القول الحق في مسألتين هامتين قد تقدم الكلام مفصلاً عليهما.

الأولى- صفة من صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وهي صفة الكلام.

والثانية- ثبوت رؤية المؤمنين ربهم في الجنة، وذكر أن أهل الجنة يسمعون كلام ربهم إذا كلمهم ويرونه بأعينهم، وفي ذلك من النعيم وقرّة العين لهم ما الله به عليم، وهذا محل إجماع بين أهل السنة كما تقدم.



وقوله:

- ٥١٨- وَعَلَيْهِمْ فِيهَا مَلَابِسُ سُندُسٍ  
٥١٩- تِيْجَانُهُمْ مِنْ لؤلؤٍ وَزَبَرْجَدٍ  
٥٢٠- وَخَوَاتِمٌ مِنْ عَسْجَدٍ وَأَسَاوِرٌ  
٥٢١- وَطَعَامُهُمْ مِنْ لَحْمِ طَيْرٍ نَاعِمٍ  
٥٢٢- وَصِحَافُهُمْ ذَهَبٌ وَدُرٌّ فَائِقٌ  
٥٢٣- إِنْ كُنْتَ مُشْتَقًّا لَهَا كَلِيفًا بِهَا  
٥٢٤- كُنْ مُحْسِنًا فِيمَا اسْتَطَعْتَ قَرِيبًا  
٥٢٥- وَاعْمَلْ لِحَنَاتِ النِّعَمِ وَطِيبِهَا
- وَعَلَى الْمَفَارِقِ أَحْسَنُ التِّيْجَانِ  
أَوْ فِضَّةٌ مِنْ خَالِصِ الْعِقْيَانِ  
مِنْ فِضَّةٍ كُسِيتَ بِهَا الزُّنْدَانِ  
كَالْبُخْتِ يُطْعَمُ سَائِرَ الْأَلْوَانِ  
سَبْعُونَ أَلْفًا فَوْقَ أَلْفِ خَوَانِ  
شَوْقَ الْغَرِيبِ لِرُؤْيَا الْأَوْطَانِ  
تُجْزَى عَنِ الْإِحْسَانِ بِالْإِحْسَانِ  
فَنَعِيمُهَا يَبْقَى وَلَيْسَ بِضَانِ

❖ فذكر ما أعد الله لهم من التيجان ومن لباس السندس والإستبرق، بل يلبسون الحرير والذهب والفضة واللؤلؤ مما كان محرماً عليهم في الدنيا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يُكَلِّبُ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَاقِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ [الأنبياء: ١٥]، والآيات في هذا كثيرة.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَحْمَ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الأنبياء: ٢١].

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٧١].

وقوله:

- ٥٢٣- إِنْ كُنْتَ مُشْتَقًّا لَهَا كَلِيفًا بِهَا  
شَوْقَ الْغَرِيبِ لِرُؤْيَا الْأَوْطَانِ

٥٢٤- كُنْ مُحْسِنًا فِيمَا اسْتَطَعْتَ فَرُبَّمَا تَجْزَى عَنِ الْإِحْسَانِ بِالْإِحْسَانِ

✽ يعني إذا كنت تريد هذا الفضل العظيم الذي أعده الله للمتقين وما جاء في وصف الجنات في القرآن والسنة - والذي ذكر الناظم بعضه - يقول: إن كنت تريد هذا الخير والحصول عليه وأن تجازي بالإحسان فعليك أن تكون من أهل الإحسان، وأهل الإحسان هم السابقون إلى الخيرات. يقول الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ يُحْسِنُونَ﴾ [التَّحَلُّفُ: ١٢٨]. والإحسان حقيقته أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. يعني: من أراد الظفر بهذه الجنان فعليه بالإحسان.

وقوله:

٥٢٥- وَاعْمَلْ لِحِجَاتِ النَّعِيمِ وَطِيبْهَا فَنَعِيمُهَا يَبْقَى وَلَيْسَ بِضَانٍ

✽ نعيم الجنة باق عند أهل السنة والجماعة، أبدياً سرمدياً، لا يزول ولا يحول، وهم دائماً في شغل فاكهون؛ ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ﴾ ٥٥ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِونَ ٥٦ هُمْ فِيهَا فَكِهِونَ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ ٥٧ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ✽

[يَتَسَاءَلُونَ: ٥٥ - ٥٨]

فمن أراد هذا الخير وأن ينال هذا الفضل فليبادر ويسارع إلى الأعمال الصالحة التي تقربه إلى الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصَّافَّاتِ: ٦١].



## المدامومة على القيام والصيام وأثار تلاوة القرآن

- ٥٢٦- أَدِمِ الصَّيَّامَ مَعَ الْقِيَامِ تَعَبُداً      فَكِلَاهُمَا عَمَلَانِ مَقْبُولَانِ  
٥٢٧- قُمْ فِي الدُّجَى وَاتْلُ الْكِتَابَ وَلَا تَنْمَ      إِلَّا كَنُومَةٍ حَائِرٍ وَلَهَّانِ  
٥٢٨- فَلَرُبَّمَا تَأْتِي الْمَنِيَّةُ بَغْتَةً      فَتُسَاقُ مِنْ فُرْشٍ إِلَى الْأَكْفَانِ  
٥٢٩- يَا حَبَّذا عَيْنَانِ فِي غَسَقِ الدُّجَى      مِنْ خَشْيَةِ الرَّحْمَنِ بَاكِتَانِ

❖ هنا بحث على الصيام والقيام، وذلك يشمل الفرض والنفل. والصوم سماه النبي ﷺ جنة، أي: يجتنّ ويستتر به من النار، فعلى المؤمن أن يكثّر منه.

يقول النبي ﷺ: «من صام يوماً في سبيل الله بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً»<sup>(١)</sup>.

فإن الصيام مع القيام من خيرة الأعمال التي يتقرب بها إلى الله عزّ وجلّ، والقاسم المشترك بينهما أنها سر بين العبد وبين ربه.

فالصيام إمساك عن المفطرات ولا يعلم حقيقة هذا الإمساك وصدق صاحبه إلا الله عزّ وجلّ.

والقيام الذي يتعاهده صاحبه آخر الليل أيضاً فيه شيء من السرية، ومن البعد عن المظاهر والرياء والسمعة، قال الله في وصف عباده الأخيار: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَلَا أَشْخَارِهِمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذّٰرِثَاتُ: ١٧ - ١٨]، وَقَالَ الْعَالِي: ﴿نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النّٰجِة: ١٦ - ١٧]، وقال عزّ وجلّ: ﴿أَمَنَ هُوَ قَنِيتٌ ؕ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَأً ؕ يَمَّا يَخَذِرُ أَلَاخِرَةَ وَرَجُوا رَحْمَةً رَّبِّهِ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ؕ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزّٰر: ٩].

(١) أخرجه البخاري [٢٨٤٠]، ومسلم [١١٥٣] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لبست ثوب الدجى والناس قد رقدوا      وقمت أشكو إلى مولاي ما أجد  
وقلت يا رغبتى لكل نائبة      ومن عليه لكشف الضر أعتمد  
أشكو إليك أمورا أنت تعلمها      ما لي على حملها صبر ولا جلد  
وقد مددت يدي بالضر معترفا      إليك يا خير من مُدت إليه يد  
فلا تردنها يا رب خائبة      فبحر جودك يروي كل من يرد

والمداومة على الصوم جنة للمؤمن يجتن بها من النار؛ قال رسول الله ﷺ في حديث معاذ الطويل: «والصوم جنة» ثم قال: «وصلاة الرجل من جوف الليل، ثم تلا قوله تعالى: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [التجاة: ١٦]»<sup>(١)</sup>.

فحري بمن داوم على صوم النفل وصلاة الليل أن يرزق الإخلاص، وأن يستجيب الله دعاءه، وأن ييسر الله أمره، وأن يجعل له من كل ضيق فرجاً ومن كل هم مخرجاً.

ويحث الناظم رحمه الله على قيام الليل وكثرة تلاوة القرآن فيه، وقد تقدم بعض الأدلة الدالة على فضل ذلك.

وقوله: «ولا تنم إلا كنومة حائر وهان» يشير بهذا إلى أهمية طول القيام، وأكمل الهدي في ذلك هدي النبي ﷺ وهدي نبي الله داود عليه السلام، قال ﷺ: «أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام وأحب الصيام إلى الله صيام داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوماً ويفطر يوماً»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه أحمد [٢٢٠١٦]، وابن ماجه [٣٩٧٣]، والترمذي [٢٦١٦]، والنسائي في «السنن الكبرى» [١١٣٣٠]، من حديث معاذ بن جبل، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير».

(٢) أخرجه البخاري [١١٣١]، ومسلم [١١٥٩] من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ولا أقول لك كما قال الناظم: «ولا تنم إلا كنومة حائر الوهان»، ولكن إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، ولزورك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه، ولا تدع حقًا يطغى على حق.

وقوله:

٥٢٨. فَلَرُبَّمَا تَأْتِي الْمَنِيَّةُ بَغْتَةً فَتُسَاقُ مِنْ فُرْشٍ إِلَى الْأَكْضَانِ  
تذكر هذه الحال؛ فإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، والأعمال بالخواص، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٠٢].

ومما ينسب إلى ابن القاسم العتقي:

تُؤمِّلُ فِي الدُّنْيَا طَوِيلًا وَلَا تَدْرِي  
إِذَا جَنَّ اللَّيْلُ هَلْ تَعِيشُ إِلَى الضُّجْرِ  
فَكَمْ مِنْ صَحِيحٍ مَاتَ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ  
وَكَمْ مِنْ فَتًى يَمْسِي وَيَصْبِحُ آمِنًا  
وَكَمْ مِنْ عِلِيلٍ عَاشَ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ  
وَقَدْ نَسَجَتْ أَكْفَانَهُ وَهَوَّلَا يَدْرِي<sup>(١)</sup>

وقوله:

٥٢٩. يَا حَبِذَا عَيْنَانِ فِي غَسَقِ الدُّجَى مِنْ خَشْيَةِ الرَّحْمَنِ بَاكِيتَانِ  
في هذا حث على قيام الليل بحضور قلب وخشوع، إذا قام العبد في الليل وخلا مع نفسه يناجي ربه لا رقيب ولا حسيب إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، عندها يخشع ويخضع ويتذكر الموت ونعيم القبر وعذابه والآخرة والجنة والنار وأهوال القيامة والميزان والصراط... فتزرف عيناه من خشية الله؛ «عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين

(١) «ديوان علي بن أبي طالب» (١/ ٨٥).

باتت تحرس في سبيل الله»<sup>(١)</sup>، وقد عدّ النبي ﷺ من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»<sup>(٢)</sup>.



(١) أخرجه الترمذي [١٦٣٩]، وابن أبي عاصم في «الجهاد» [١٤٦] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال الترمذي: حديث حسن. وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» [١٢٢٩]: صحيح لغيره.

(٢) تقدم تخريجه في ص: [٩٨].

## قذف المحصنات

٥٣٠- لَا تَقْذِفَنَّ الْمُحْصَنَاتِ وَلَا تَقُلْ مَا لَيْسَ تَعْلَمُهُ مِنَ الْبُهْتَانِ

❁ يبين رَحْمَةُ اللَّهِ أَنْ قَذَفَ المحصنات، وهو رميهن بالفاحشة من غير بينة من كبائر الذنوب، بل من الموبقات - والعياذ بالله - قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٢) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَذِيُفِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٣﴾ [البقرة: ٢٣ - ٢٤]، وقال النبي ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات» وذكر منها «وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» (١).

ثم حذر رَحْمَةُ اللَّهِ من القول على الله بغير علم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

ويقول تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، وقذف المحصنات من القول بالبهتان.



## الاستئذان

٥٣١- لَا تَدْخُلَنَّ بُيُوتَ قَوْمٍ حُضْرٍ إِلَّا بِنَحْنَةٍ أَوْ اسْتِئْذَانٍ

﴿أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالِاسْتِئْذَانِ فِي كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَكُلُّوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾﴾ [النُّبُورَ: ٢٧]، فحرم دخول بيوت الناس الحُضْر من غير استئذان. وقال النبي ﷺ: «إِنَّمَا جَعَلَ الْاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ»<sup>(١)</sup>.

وقوله: «إِلَّا بِنَحْنَةٍ أَوْ اسْتِئْذَانٍ» فيه تفصيل؛ النحنة خاصة باستئذانك على أهل بيتك «إذا دخل تنحج»، وأما بيوت الغير فلا تدخل إلا باستئذان، ومن الاستئذان طرق الباب والسلام.

وللاستئذان آداب يجب مراعاتها، ومنها:

أن الاستئذان ثلاثاً فلا يزداد عليها كما هو هدي النبي ﷺ؛ فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كُنْتُ فِي مَجْلَسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْأَنْصَارِ إِذْ جَاءَ أَبُو مُوسَى كَأَنَّهُ مَذْعُورٌ فَقَالَ: اسْتَأْذَنْتُ عَلَىٰ عُمَرَ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذِنْ لِي فَرَجَعْتُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ قُلْتَ: اسْتَأْذَنْتُ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذِنْ لِي فَرَجَعْتُ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا اسْتَأْذَنْ أَحَدُكُمْ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذِنْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ» فَقَالَ: وَاللَّهِ لَتَقِيمَنَّ عَلَيْهِ بَيْتَهُ أَمِنْكُمْ أَحَدٌ سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ أَبُو بَنْ كَعْبٍ: وَاللَّهِ لَا يَقُومُ مَعَكَ إِلَّا أَصْغَرُ الْقَوْمِ فَكُنْتُ أَصْغَرَ الْقَوْمِ فَقُمْتُ مَعَهُ فَأَخْبَرْتُ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ ذَلِكَ»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: أن يكون الطرق بلطف لئلا ينزعج من في البيت، وصح في الأدب المفرد للإمام البخاري أن طرق حجات النبي ﷺ كان بالأظفار.

(١) أخرجه البخاري [٦٢٤١] من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [٦٢٤٥]، ومسلم [٢١٥٣].



ومنها: الرجوع إذا لم يؤذن لك بلسان الحال أو المقال دون وجود ضيق في صدرك؛  
امثالاً لقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكىٰ لَكُمْ﴾ [التوبة: ٢٨].



## التحلي بالصبر

- ٥٣٢- لَا تَجْزَعَنَّ إِذَا دَهَتْكَ مُصِيبَةٌ إِنَّ الصَّبُورَ ثَوَابُهُ ضِعْفَانِ  
 ٥٣٣- فَإِذَا ابْتُلِيَتْ بِنَكْبَةٍ فَاصْبِرْ لَهَا اللَّهُ حَسْبِيَ وَخُدَّهُ وَكَفَانِي

✽ على المسلم إذا قدر الله عليه مصيبة من المصائب أن يصبر ويحتسب.

وقد ذكر الله الصبر وجزاء الصابرين في كتابه الكريم في أكثر من تسعين موضعاً:  
 ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزَّهْرَاءُ: ١٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [البَقَرَةُ: ١٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البَقَرَةُ: ١٥٦]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٧٠] وَأُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْتَخُونَ

[البَقَرَةُ: ١٥٥ - ١٥٧]

فعلى المسلم أن يتحلى بالصبر عند المصيبة ولا يجزع ولا يتسخط بل يصبر ويرضى ويسلم، وليقل: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لي خيراً منها؛ يقول النبي ﷺ: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾! اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لي خيراً منها إلا أخلف الله له خيراً منها»<sup>(١)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»<sup>(٢)</sup>. وليس للمؤمن من خيار عند المصائب إلا الصبر: «... فمن رضى فله الرضى، ومن سخط فله السخط»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه مسلم [٩١٨] من حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) تقدم تخريجه في ص: [٥٣٠].

(٣) أخرجه الترمذي [٢٣٩٦]، وابن ماجه [٤٠٣١] من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: «هذا

فاصبر على طاعة الله، واصبر عن معاصي الله، واصبر على أقدار الله المؤلمة، واعلم أن الظفر مع الصبر، وأن مع العسر يسراً، وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وذلك هو شأن المؤمن.

وهذا لا يتعارض مع الرقة والرحمة التي أسكنها الله في قلوب عباده وما يظهر من أثرها من الحزن والدمع والبكاء عند المصيبة بفقد محبوب مثلاً بدون نياحة، فإن النبي ﷺ لما توفي إبراهيم قال: «إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»<sup>(١)</sup>.



= حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(١) أخرجه البخاري [١٣٠٣] من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

## عليك بالعلوم النافعة

- ٥٣٤- وَعَلَيْكَ بِالْفِظَةِ الْمُبِينِ شَرْعَنَا  
 ٥٣٥- عِلْمُ الْحِسَابِ وَعِلْمُ شَرْعِ مُحَمَّدٍ  
 ٥٣٦- لَوْلَا الْفَرَائِضُ ضَاعَ مِيرَاثُ الْوَرَى  
 ٥٣٧- لَوْلَا الْحِسَابُ وَضُرِبَهُ وَكُشُورُهُ  
 وَفَرَائِضُ الْمِيرَاثِ وَالْقُرْآنِ  
 عِلْمَانِ مَطْلُوبَانِ مُتَّبِعَانِ  
 وَجَرَى خِصَامُ الْوُلْدِ وَالشَّيْبَانِ  
 لَمْ يَنْقَسِمِ سَهْمٌ وَلَا سَهْمَانِ

✽ معرفة الفقه والتفقه في الدين أمر لا بد منه حتى تعبد الله تَعَالَى عبادة صحيحة؛  
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ  
 الْمُشْرِكِينَ﴾ [يُوسُف: ١٠٨]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا  
 فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التَّوْبَةُ: ١٢٢].

ويقول النبي ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»<sup>(١)</sup>. ولا يكفي  
 مجرد حفظ النصوص، بل لا بد معه من الفهم الذي يُميز به بين الأشياء، وقد قال عمر في  
 كتابه المشهور إلى أبي موسى الأشعري: «الفهم الفهم»<sup>(٢)</sup>.

والفقه هو: معرفة الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية من كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ  
 وسنة رسوله ﷺ وإجماع علماء الأمة والاعتبار والنظر الصحيح.

والتعبد بدون الفقه أمر في غاية الخطورة تجعل المرء يتخبط ولا يعرف كيف يؤدي  
 عبادته أداء صحيحاً على الوجه الذي يرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. قال ﷺ: «مثل  
 ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية  
 قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله  
 بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك

(١) أخرجه البخاري [٣١١٦]، ومسلم [١٠٣٧] من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البيهقي في «سنن الكبرى» (١/١١٥) رقم [٢٠١٣٤].

ماء ولا تنبت كلاً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»<sup>(١)</sup>، وطريق ذلك هو التلمذ على العلماء الربانيين الذين ينفون عن الدين تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين وتحريف الغالين، والتلقي عنهم، وثني الركب عندهم.

أولئك الذين وصفهم النبي ﷺ بقوله: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»<sup>(٢)</sup>.

وقوله:

٥٣٥- عِلْمُ الْحِسَابِ وَعِلْمُ شَرْعِ مُحَمَّدٍ عِلْمَانِ مَطْلُوبَانِ مُتَّبَعَانِ  
 فعلم الحساب وعلم الشرع متلازمان؛ لأن علم الحساب يُعرف به قسمة الموارد، والأنصاء والفيء والغنيمة ونحو ذلك، وتعرف به الأهلة والسنين والشهور، ويعرف به ما يحتاجه المسلمون في أمر دينهم ودنياهم - وإن كان هو يعني حساباً معيناً وهو ما يتعلق بالفرائض ونحوه -، لكن لا شك أن ذلك يشمل كل علم ينفع الأمة من ألوان الحساب المختلفة المتطورة على مرّ العصور والأيام.

فهذا لا بد أن يتعلمه من المسلمين من يسقط عنهم به الإثم لأنه فرض كفائي.

وعلم الفرائض من أهم العلوم وأشرفها وأدقها، وقد وردت آثار تشير إلى أنه أول علم يفقد من الأرض وهو معرفة كيفية الموارد والأنصاء وقسمتها على أهلها بإعطاء كل ذي حق حقه ومستحقه.

(١) أخرجه البخاري [٧٩] من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ..

(٢) أخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» [٣٨٨٤]، والبيهقي [٢١٤٣٩] من حديث إبراهيم بن عبد الرحمن العذري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «المشكاة» [٢٤٨].

وقد يحتاج الفرضي إلى معرفة دقائق مسائل الحساب وكسوره كما قال الناظم.  
لولا ما من الله به على الأمة من معرفة علم الحساب ما استطاع أحد أن يقسم  
مسائل المواريث وأن يعطي كل ذي حق حقه.



## البدع والأهواء والضلال والضياع نتيجة حتمية لأهل الكلام والفلسفة

- ٥٣٨- لَا تَلْتَمِسْ عِلْمَ الْكَلَامِ فَإِنَّهُ  
٥٣٩- لَا يَصْحَبُ الْبِدْعِي إِلَّا مِثْلُهُ  
٥٤٠- عِلْمُ الْكَلَامِ وَعِلْمُ شَرْعِ مُحَمَّدٍ  
٥٤١- أَخَذُوا الْكَلَامَ عَنِ الْفَلَاسِفَةِ الْأُلَى  
٥٤٢- حَمَلُوا الْأُمُورَ عَلَى قِيَاسِ عُقُولِهِمْ  
٥٤٣- مُرْجِيهِمْ يُزْرِي عَلَى قَدَرِيهِمْ  
٥٤٤- وَيَسُبُّ مُخْتَارِيهِمْ دَوْرِيهِمْ  
٥٤٥- وَيَعِيبُ كَرَامِيهِمْ وَهَبِيهِمْ  
٥٤٦- لِحِجَاجِهِمْ شُبَهَ تَخَالٍ وَرَوْنَقٍ  
٥٤٧- دَعَا أَشْعَرِيَهُمْ وَمُعْتَزِلِيَهُمْ  
٥٤٨- كُلُّ يَقِيسُ بِعَقْلِهِ سُبُلَ الْهُدَى  
٥٤٩- فَاللَّهُ يَجْزِيهِمْ بِمَا هُمْ أَهْلُهُ  
٥٥٠- مَنْ قَاسَ شَرْعَ مُحَمَّدٍ فِي عَقْلِهِ  
يَدْعُو إِلَى التَّغْطِيلِ وَالْهَيْمَانِ  
تَحْتَ الدُّخَانِ تَأْجُجُ النَّيِّرَانِ  
يَتَغَايِرَانِ وَلَيْسَ يَشْتَبِهَانِ  
جَحَدُوا الشَّرَائِعَ غِرَّةً وَأَمَانِ  
فَتَبَلَّدُوا كَتَبَلِدِ الْحَيِّرَانِ  
وَالْفِرْقَتَانِ لَدَيَّ كَافِرَتَانِ  
وَالْقَرَمَطِيُّ مُلَاعِنُ الرُّفْضَانِ  
وَكِلَاهُمَا يَزُورِي عَنِ ابْنِ أَبَانِ  
مِثْلُ السَّرَابِ يَلُوحُ لِلظَّمْآنِ  
يَتَنَاقَرُونَ تَنَاقَرَ الْغُرَبَانِ  
وَيَتِيهِ تَيْهَ الْوَالِهِ الْهَيْمَانِ  
وَلَهُ الثَّنَا مِنْ قَوْلِهِمْ بَرَّانِي  
قَذَفَتْ بِهِ الْأَهْوَاءُ فِي عُذْرَانِ

✽ يحذر رَحِمَهُ اللَّهُ من الاشتغال بعلم الكلام الذي هو في عامته من المنطق والفلسفة، وهو علم أضل الأولين من أتباع جهم والجمع بن درهم حينما انصرفوا عن هدي الكتاب والسنة، وتعلقوا بأدرانهم، وظنوا أنهم أرادوا بذلك أن ينزهوا الله عما لا يليق به، فوقعوا في شر مما فروا منه.

واحذر قوامين أرياب الكلام فما  
قاموس فلسفة مضتاج زندقة  
بها من العلم غير الشك والتهم  
كم من مُلَمَّ به قد باء بالندم

راموا بها عزل حكم الله واقترحوا  
يُرُوك أن تزن الوحيين مجترًا  
وأن تحكّمها في كل مشتجر  
أما الكتاب فحرّف عن مواضعه  
كذا الأحاديث آحاد وليس بها  
وقد أبى الله إلا نصر ما خذلوا  
لحق ردًا وإنقاذًا لحكمهم  
عليهما بعقول المغفل العجم  
إذ ليس في الوحي من حكم لمحتكم  
إذ ليس يُعجزك التحريف للكلم  
بُرهان حق ولا فصل لمختصم  
وكسر ما نصروا منهم على رغم  
فعلم الكلام والمنطق من أخطر العلوم على المسلمين، وقد اختلف أهل العلم في  
حكم تعلمه على ثلاثة أقوال:

الأول- ذهب قوم إلى تحريم علم المنطق مطلقًا لما فيه من خطورة ولما فيه من لبس  
الحق بالباطل.

الثاني- وقال قوم بجوازه مطلقًا دون استثناء.

الثالث- ذهب آخرون إلى التفصيل؛ وهو إن احتيج إليه وكان متعلمه في مأمن من  
أن تزل قدمه وذلك بعد أن يتفقه في دين الله ويتصلع في فهم العقيدة الصحيحة ويجتهد  
في ذلك، ويخضعه للشرع ولا يخضع الشرع له، ويخضعه للنصوص ولا يخضع النصوص  
له، ويعتبره آلة إن احتاج إليه في الرد على الخصوم وإلا فلا حاجة له، وهذا هو الراجح.  
وقد اقتبس له شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ من حديث أم زرع وصفًا دقيقًا فقال:  
«كلحم جمل غث على رأس جبل وعر لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقى»<sup>(١)</sup>.

والقول بهذا التفصيل في تعلم المنطق هو الراجح.

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٧/ ٥٨٧).



وقوله:

٥٣٩- لَا يَصْحَبُ الْبِدْعِيُّ إِلَّا مِثْلُهُ تَحْتَ الدُّخَانِ تَأْجُجُ النَّيِّرَانِ  
كما يقال: الطيور على أشكالها تقع؛ وفي الحديث «الأرواح جنود مجندة فما تعارف  
منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»<sup>(١)</sup>؛ فأصحاب البدع تجد بعضهم حول بعض،  
ولا يأنسون لأحد من أهل السنة؛ فـ «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من  
يخالل»<sup>(٢)</sup>، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الحجرات: ٦٧]،  
ولذلك قال الناظم: البدعي لا يصحب إلا مثله.

ثم إن تلك البدع قد تكون خفية مستترة كالجمر تحت الرماد فتشبه تأجج  
النيران تحت الدخان، فلنحذر منها، صغیرها وكبیرها، دقیقها وجلیلها، مرکبها  
وبسيطها، کلیها وجزئها، حقیقها وإضافيها؛ لأنها في غاية الخطورة.

والمبتدع غالباً لا یمكن من التوبة لبعده من السنة وإعراضه عن الحق؛ لأنه  
یرى نفسه على حق وهو على باطل.

یقضی على المرء في أيام محنته حتى یرى حسناً ما لیس بالحسن<sup>(٣)</sup>  
وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله حجز - أو قال حجب - التوبة  
عن كل صاحب بدعة»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري [٣٣٣٦] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) تقدم تخريجه في ص: [١٧].

(٣) للشاعر الأمير يحيى بن علي باشا الأحسائي المدني، انظر: «قصائد من عيون الشعر» (٢/١).

(٤) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥٩/١) رقم [٣٧]، ورواه ابن عدي في «الكامل» (٩/٣٥٦) رقم [١٥٥٤٨]، وابن وضاع في «ما جاء في البدع» ص: [١١٩]، رقم [١٥٧]، والبيهقي في «الشعب» =

والبدع بريد الكفر، وهي أخطر من المعاصي. يقول سفيان الثوري: «البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن المعصية قد يتاب منها والبدعة لا يتاب منها»<sup>(١)</sup>.

فلنحذر من أهل الكلام والبدع ما ظهر منها وما بطن ولا نتساهل فيها، ولنبتعد عن أهلها، ولا نجالسهم؛ لأن الأجر يجرب من حوله، والمرء على دين خليله، والمرء مع من أحب؛ فإذا تساهل المرء في مجالسة أهل البدع فإنه قد يصل الأمر به في نهاية المطاف إلى أن لا يراهم مبتدعة، بل ربما ارتكس في حبائلهم، وإن بدت بدعتهم صغيرة فمعظم النار من مستصغر الشرر.

لا تصحب الكسلان في حالاته      كم صالح بفساد آخر يفسد  
عدوى البليد إلى الجليد سريعة      كالجمر يوضع في الرماد فيخمد  
وقوله:

٥٤٠. عِلْمُ الْكَلَامِ وَعِلْمُ شَرْعِ مُحَمَّدٍ      يَتَغَايِرَانِ وَلَيْسَ يَشْتَبِهَانِ

<sup>=</sup> (٣٩١/٩) رقم [٦٨٤٦]، وأيضاً في (٥٤/١٢) رقم (٩٠١٠-٩٠١١)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٣/٦٠٩) رقم [٧٥٣]، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/١٤٥) رقم (٢١١-٢١٢)، والطبراني في «المعجم الأوسط» طبعة مكتبة المعارف (٥/١١٣) رقم [٤٢١٤]، وفي طبعة دار الحرمين (٤/٢٨١) رقم [٤٢٠٢]، وكذلك هو في «مجمع البحرين في زوائد المعجمين» (٨/٦٢) رقم [٤٧١٣]، وانظر: «مجمع الزوائد» للهيتمي (١٠/١٨٩)، قلت وإنما ذكرت هذا ليُعلم خطأ الإمام المنذري رَحِمَهُ اللهُ حيث زاد - في نهاية هذا الحديث - : «حتى يدع بدعته» ثم عزاه للطبراني وحسنه، وتابعه من تابعه، والذي أرى أن هذا بسبب انتقال البصر اثناء النقل من حديث إلى حديث فإن هذه الزيادة قد جاءت في حديث آخر عند ابن ماجه برقم [٥٠]، وابن أبي عاصم [٣٩]، من حديث ابن عباس مرفوعاً بلفظ: «أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة، حتى يدع بدعته» وهو حديث ضعيف جداً كما قرر الأئمة.

(١) انظر: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» للأصبهاني (٧/٢٦)، «شعب الإيمان» للبيهقي (١٢/٥٣)، «شرح السنة» للبخاري (١/٢١٦).

❖ النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان؛ فعلم الكلام إما أن يكون من الضدين على الأقل وإما أن يكون من النقيضين بالنسبة للشرع. والنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان، والضدان لا يجتمعان وقد يرتفعان.

فالعامل بعلم المنطق والكلام وعلم الشرع لا يجتمع في قلب مسلم إلا كما يجتمع الماء والنار.

وقوله:

٥٤١- أَخَذُوا الْكَلَامَ عَنِ الْفَلَّاسِفَةِ الْأُولَى جَحَدُوا الشَّرَائِعَ غِرَّةً وَأَمَانِ  
٥٤٢- حَمَلُوا الْأُمُورَ عَلَى قِيَاسِ عُقُولِهِمْ فَتَبَلَّدُوا كَتَبَلْدِ الْحَيَرَانِ

❖ لو تأمل الفطن في مصادر أهل علم الكلام لوجد عامتها ترجع إلى أربعة مصادر: إما اليهود، أو النصارى أو الفلاسفة اليونانيين أو بعض طوائف الهنادك وبخاصة السمنية، منهم الذين يكفرون بها سوى الحسيات، ومعلوم أن الفلاسفة الذين هم أهم مصادر أهل الكلام كفروا بجميع الشرائع وجحدوا الرسائل والمرسلين، وجعلوا العقل وحده هو الملاذ والمرجع، وجعلوا القياس العقلي هو المحكم في كل الأمور، وقلدهم أهل الكلام في ذلك، فأخضعوا النصوص الشرعية لهذا القياس المنطقي.

فإذا قيل لهم: دلت النصوص على إثبات الأسماء والصفات لله عَزَّجَلَّ، أجبوا بقولهم: ولكن العقل ينفي ذلك حتى أدى بهم ذلك إلى تبدل الإحساس.

ولذلك أهل الكلام لما أرادوا أن يجادلوا الفلاسفة غلبهم الفلاسفة لأنهم أقوى منهم، فأفضى الحال بالبعض منهم إلى إنكار المعاد فضلا عن إنكار قواعد الإسلام الرئيسة ومبادئه العظيمة.

وأكثر الانحراف الذي حصل هو من جراء الانهماك في علمي الكلام والفلسفة.  
فلنحذر منها، فإنها علما فاسدان خطيران.

أخضعوا كل شي للعقول، وأي عقول تلك؟ إنها العقول التي تضرجت بأوضار  
الفلسفة وأدران المنطق؛ ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فيا ليت شعري بأي  
عقل يوزن الكتاب والسنة؟»<sup>(١)</sup>.

هؤلاء وزنوا الكتاب والسنة بعقولهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة، ونحن لا نقول:  
عطلوا عقولكم، بل إن العقل السليم لا يعارض النص الصحيح.

بل قد نبه الله على أهمية العقول المستنيرة؛ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الْعَنْكَرَانِ: ١٩٠]، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِّأُولِي  
الْأَلْبَابِ﴾ [التَّوْبَةِ: ٢١].

لكن العقول المريضة التي تأثرت بالفلسفة والكلام لا يعول عليها ولا يصح الأخذ  
عن أهلها.

وقوله:

«مرجئهم يزري على قدرهم      والفرقتان لدي كافرتان  
ويسب مختاريهم<sup>(٢)</sup> دوريهم<sup>(٣)</sup>      والقرمطي<sup>(٤)</sup> ملاعن الرفضان

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٩/٥).

(٢) المختارية: هم أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي وهي الفرقة التي اشتهرت بالقول بالبداء والاهتمام به،  
والتزام عقيدة، ويقولون بنبوة المختار بن أبي عبيد الثقفي.

(٣) الدورية: هم الفلاسفة المنكرون للصانع المعتقدون في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى  
ما كان عليه.

(٤) القرامطة: هم فرقة من الشيعة الفاطمية الباطنية، وأشهرهم أربع طوائف: القرامطة والدروز

ويعيب كراميتهم<sup>(١)</sup> وهبيهم<sup>(٢)</sup> وكلاهما يروي عن ابن أبان  
لحاجهم شبه تخال ورونق مثل السراب يلوح للظمان  
دع أشعريهم ومعتزليهم يتناقرون تناقرا غريبان  
كل يقيس بعقله سبل الهدى ويتيه تيه الواله الهيمان  
فالله يجزيهم بما هم أهله وله الثنا من قولهم براني  
من قاس شرع محمد في عقله قذفت به الأهواء في غدران»

تعلمون رحماني الله وإياكم أنه بعد مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ظهر كثير من الفرق  
الضالة مما قد يفوق الاثنتين والسبعين، مما حدى ببعض أهل العلم إلى القول بأن العدد  
غير مقصود لذاته، وإنما المقصود بقول النبي ﷺ: «وستفترق هذه الأمة على  
ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة»<sup>(٣)</sup> إشارة إلى كثرة الفرق  
وتعددتها، والذي عليه التحقيق أن العدد مراد، فالاثنتان والسبعون فرقة أصول لفرق  
أخرى قد تبلغ المئات!

والإسماعلية والنصيرية. وهم من الزنادقة الملاحدة أتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون بنبوة  
زرادشت ومزدك.

(١) الكرامية: فرقة تقول بأن المنافق مؤمن وهو مخلص في النار؛ لأنه آمن ظاهراً لا باطناً ويدخل الجنة من  
آمن ظاهراً وباطناً.

(٢) الوهبية: نسبة لعبد الوهاب بن رستم إمام الإباضية بالمغرب حين ثار عليه أبو قدامة يزيد بن  
فندين.

(٣) أخرجه أحمد [٨٣٩٦]، وأبو داود [٤٥٩٨]، والترمذي [٢٦٤٠]، وابن ماجه [٣٩٩١]، وابن حبان  
[٦٧٣١]، والحاكم [٨٤٤٣] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.  
وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وصححه الألباني في «الصحيحة» [٢٠٤].

وقد بين الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ حال المبتدعة بأنهم يكفر بعضهم بعضا، ويدع ويفسق بعضهم بعضا، ويزري بعضهم على بعض، أي: يعيب عليه، فكل منهم يطعن في الآخر؛ لأن مناهجهم من عند غير الله، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٤٨].

والخلاصة أن المعارضين عن الكتاب والسنة على اختلاف طوائفهم ومشاربهم، أهل البدع والإلحاد دائماً - وإن انتسب بعضهم إلى الإسلام - فإنه يكفر بعضهم بعضاً؛ فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله.

وقوله: «وكلاهما يروي عن ابن أبان» إشارة منه إلى أن مصدر علم تلك الفرق المتباينة يرجع إلى أبان بن سمعان اللاحقي، فأبان وبنوه وأتباعه هم الذين أسسوا مذهب المعطلة وسائر الفرق، وهو من شيوخ الجعد بن درهم، مؤسس مذهب الجهمية؛ فإن الجهم يروي عن الجعد، والجعد عن أبان وبنيه، وأبان عن طالوت بن أخت لبيب بن الأعصم اليهودي، عن لبيد بن الأعصم نفسه؛ فهي سلسلة الكذب والدجل والكفر والإلحاد - والعياذ بالله -.

وقد ضحى بالجعد هذا خالد بن عبد الله القسري يوم الأضحى حيث خطب الناس وقال: «أيها الناس، ضحوا، تقبل الله ضحاياكم، فإني اليوم مضح بالجعد بن درهم، حيث زعم أن الله لم يكلم موسى تكليماً، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً» ثم نزل وذبحه عند أصل المنبر - كما أشار إلى ذلك ابن القيم في نونيته -:

ولأجل ذا ضحى بجعد خالد ال      قسري يوم ذبائح القرين  
إذ قال إبراهيم ليس خليله      كلا ولا موسى الكليم الداني

شكر الضحية كل صاحب سنة      لله درك من أخي قريبان<sup>(١)</sup>  
وقوله:

٥٤٦- لِحِجَا جِهِمْ شُبَّةٌ تُخَالُ وَرَوْنَقُ      مِثْلُ السَّرَابِ يَلُوحُ لِلظَّمَانِ  
\* المتأمل في حجج هؤلاء يجد أنها: كما قال الخطابي:

حجج تهافت كالزجاج تخالها      حقا وكل كاسر مكسور<sup>(٢)</sup>  
والمقصود أنهم قد يلبسون على بعض الناس ببهرجتهم ولبسهم الحق بالباطل،  
وتأويلهم لبعض النصوص، واعتمادهم على العقل المجرد، واعتمادهم على المنطق  
والفلسفة وعلم الكلام الذي أفسد كل كلام إلا من عصم الله، فيظنهم السامع على  
شيء وهم ليسوا على شيء، فهو \* كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ  
شَيْئًا \* [النور: ٣٩].

فالفرق المخالفة لمنهج أهل السنة كلها على ضلال وفي ضياع.

وقوله:

٥٤٧- دَعِ أَشْعَرِيَّهْمُ وَمُعْتَزِلِيَّهْمُ      يَتَنَاقَرُونَ تَنَاقُرَ الْغُرَبَانِ  
٥٤٨- كُلُّ يَقِيسُ بِعَقْلِهِ سُبُلَ الْهُدَى      وَيَتِيَهُ تِيَهُ الْوَالِيهِ الْهَيْمَانِ  
٥٤٩- فَاللَّهُ يَجْزِيهِمْ بِمَا هُمْ أَهْلُهُ      وَلَهُ الثَّنَاءُ مِنْ قَوْلِهِمْ بَرَّانِي  
٥٥٠- مَنْ قَاسَ شَرْعَ مُحَمَّدٍ فِي عَقْلِهِ      قَذَفَتْ بِهِ الْأَهْوَاءُ فِي غُدْرَانِ

\* أي أن كلا من فرقتي المعتزلة والأشعرية يعيب بعضهم بعضا ويرد بعضهم على  
بعض، وعبر عن ذلك بتناقر الغربان، ومرد ذلك كله إلى أن كلا منهما يقيس بعقله الفاسد،

(١) انظر: «متن القصيدة النونية» لابن القيم، ص: [٨].

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٤/ ٢٨).

والعقول متباينة ومختلفة، فلا يمكن الوصول إلى الحق الذي يؤلف بين القلوب من خلال قياسات تلك العقول المتنافرة، مما أدى بهم إلى التيهان والضياع والخيبة والتناقض.

وهذا لا محالة، شأن أولئك الذين يعرضون عن النصوص في معرفة الهدى، ويعتمدون على أقيسة منطقية وقواعد عقلية فلسفية صاغتها عقول مريضة مريدة، واتبعوا المتشابه فحادوا عن هدي الكتاب والسنة فصاروا كالتائه الذي لا يدري أين يتجه، يهيم على وجهه لا يدري ما الطريق السوي الذي يوصله إلى برّ النجاة، نتيجة حتمية لكل من أعرض عن الكتاب والسنة، وأخذ بعلم الكلام، والمعرض عن التوحيد مشرك شاء أم أبى، والمعرض عن السنة مبتدع ضال شاء أم أبى كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ.

ولو كانت الأهواء هوى واحداً لقليل إنه الحق ولكنها أهواء قال ابن القيم في «المدارج»: «فليس بعد القرآن وأخبرنا وحدثنا إلا شبهات المتكلمين، وآراء المنحرفين، وخيالات المتصوفين، وقياس المتفلسفين»<sup>(١)</sup>، ومن فارق الدليل وحاد عن التنزيل ضل السبيل ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [الزَّكَّرَاتُ: ٧].

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قال رسول الله ﷺ: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»<sup>(٢)</sup>، وفي الحديث التحذير من مخالطة أهل البدع والزيغ ومن يتبع مشكلات العلم والمتشابه للفتنة.

وقوله:

٥٤٩- قَالَ اللَّهُ يَجْزِيهِمْ بِمَا هُمْ أَهْلُهُ وَلَهُ الثَّنَا مِنْ قَوْلِهِمْ بَرَّانِي

(١) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم (٢/ ٤٦٨).

(٢) أخرجه البخاري [٤٥٤٧]، ومسلم [٢٦٦٥] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.



❁ وهذا منه رَحْمَةُ اللَّهِ من باب تلطيف العبارة، حيث أحالهم على 'ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هو الذي يتولاهم ويجزيهم بما شاء، والله سُبْحَانَهُ عفو غفور.  
ثم حمد الله أن نجاه وبرأه مما وقع فيه أولئك.

وقوله:

٥٥٠. مَنْ قَاسَ شَرْعَ مُحَمَّدٍ فِي عَقْلِهِ قَذَفَتْ بِهِ الْأَهْوَاءُ فِي غُدْرَانٍ  
❁ من استعمل القياس في الشرع معرضاً عن هدي الكتاب والسنة متبعاً هواه  
أودى به ذلك إلى أودية الضلال السحيق ولجج غدران الشر العميقة ❁ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن  
ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ❁ [ظنا: ١٢٤].



## من عقيدة أهل السنة والأثر التفكير في آلاء الله لا في ذات الله

- ٥٥١- لَا تَفْتَكِرْ فِي ذَاتِ رَبِّكَ وَاعْتَبِرْ      فِيمَا بِهِ يَتَصَرَّفُ الْمَلَوَانِ  
٥٥٢- وَاللَّهُ رَبِّي مَا تَكْيُفُ ذَاتُهُ      بِخَوَاطِرِ الْأَوْهَامِ وَالْأَذْهَانِ

❖ لا تفكر في كيفية ذات الله عَزَّجَلَّ فتقحم نفسك فيما لا علم لك به، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ [الأنعام: ٣٦]، وجاء في الأثر «تفكروا في آيات الله ولا تفكروا في الله»<sup>(١)</sup>.

وإذا وسوست لك نفسك في أن تفكر في ذات الله فانتبه وقل: آمنت بالله وحده وكفرت بالذين من دونه - كما ثبت ذلك في الحديث - واستحضر ضعفك وضعف عقلك وإدراكك، وأنت لن تدرك كنه الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإنما عليك أن تعرفه بأسمائه وصفاته وآياته الشرعية والكونية.

والمملوان: الليل والنهار، يعني: تفكر في هذه المخلوقات، من خلقها؟ من صورها؟ من أبدعها؟ من أوجدها من العدم؟ ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِلَهِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۖ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۚ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۚ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الأنعام: ١٧ - ٢٠]، ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٨٥]، ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]، ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الأنعام: ٢١]، ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حِينًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٤]،

(١) انظر: «شعب الإيمان» للبيهقي [١٢٠].

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً  
وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ [تغافل: ٨٢].

فلا يعلم كيف هو إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يعلم كيفية صفاته إلا هو.



## أمروها كما جاءت بلا كيف

٥٥٣- أَمَرُوا أَحَادِيثَ الصِّفَاتِ كَمَا أَتَتْ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ وَلَا هَدْيَانِ  
٥٥٤- هُوَ مَذْهَبُ الزُّهْرِيِّ وَوَافَقَ مَالِكٌ وَكِلَاهُمَا فِي شَرْعِنَا عِلْمَانِ

✽ كان السلف إذا أنزلت آيات تتعلق بأسماء الله وصفاته واليوم الآخر، أو سمعوها قالوا: سمعنا وأطعنا، ولا يسألون عن الكيفيات، ولا يقحمون أنفسهم فيما لا طاقة لهم به، بل يقفون عند الحدود التي حد الله لهم، ولا يسألون عما لا يعينهم.

أهل السنة يقفون عند حدود النصوص، ولذلك إذا جاءتهم آيات وأحاديث الصفات أمروها كما جاءت بعد الإيمان بمعانيها مع تفويض العلم بكيفيتها إلى الله كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ عندما سئل عن الاستواء: «الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة»<sup>(١)</sup>.

وقال الزهري والأوزاعي ومكحول وسفيان وغيرهم في آيات الصفات: «أمروها كما جاءت بلا كيف»<sup>(٢)</sup>.

فلذلك يجب على كل مسلم أن يلاحظ في باب الإيمان بالأسماء والصفات ثمانية أمور:

- ١- الاختصار على ما جاء في الكتاب والسنة بلا زيادة ولا نقصان.
- ٢- أن نؤمن بمعانيها، وأنها ليست جوفاء بلا معنى، فالله لم يتعبّدنا بالألغاز ولا بالأحاجي.
- ٣- الإيمان بتلك المعاني على الوجه الذي يليق بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

(١) تقدم تخريجه، ص: [١٤٠].

(٢) تقدم، ص: [١٣٩].

- ٤- عدم التّعطيل، أي: لا ننفّيها.
- ٥- عدم التّأويل، أي: لا نحرفها عن مدلولها.
- ٦- عدم التّكليف لا نقول إنّ كفيّتها كذا وكذا، فلها كيف لا يعلمه إلّا الله، وهو معنيّ قول السّلف «أمروها كما جاءت بلا كيف».
- ٧- عدم التّشبيه؛ لا نشبه الله بخلقه ولا نشبه خلقه به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
- ٨- عدم التّمثيل.

وهذا يتطلّب منا الوقوف عند ثلاثة أسس:

الأول- تقديم النقل على العقل ومعلوم أنّ العقل الصريح لا يتعارض مع النصّ الصحيح.

ثانيًا- قطع الطمع عن إدراك الكيفية.

ثالثًا- رفض التّأويل.

فعدم التّأويل والتّكليف والتّعطيل وإمرار آيات الصفات كما جاءت بلا كيف مع الإيمان بمعانيها اللائقة بجلال الله هو مذهب السلف والأئمة، ومنهم الزهري من كبار التابعين وتلميذه الإمام مالك، وهو قول مكحول والأوزاعي والشافعي وأحمد والدارمي وابن أبي شيبة والبخاري والآجري وابن خزيمة وسائر أئمة الهدى والدين.



## إثبات صفة الوجه والعينين لله سُبْحَانَهُ

٥٥٥. لِلّهِ وَجْهٌ لَا يُحَدُّ بِصُورَةٍ وَلَرَيْنَا عَيْنَانِ نَاطِرَتَانِ

✽ بدأ رَحِمَهُ اللهُ يذكر بعض الصفات الذاتية فبدأ بصفة الوجه، ومعنى: «لا يُحدُّ أي: لا يُدرك كيفيته وكنهه، وأما صفة الوجه فإنها صفة حقيقية تليق به، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (١) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿[الحج: ٢٦ - ٢٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

وقال رسول الله ﷺ: «حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» (١)، وقال ﷺ فيما يقال عند دخول المسجد - وحسنه بعض أهل العلم - : «أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم» (٢).

والآيات والأحاديث واضحة الدلالة على إثبات صفة الوجه لله سُبْحَانَهُ على الوجه الذي يليق به جَلَّ وَعَلَا.

ثم أثبت بعد ذلك صفة العينين لله سُبْحَانَهُ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِنُصَنِّعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾ [المزمل: ١٤].

وجاء في حديث الدجال: «وإن ريكم ليس بأعور» (٣). وقد استدل السلف بهذا الحديث وغيره على أن لله عينين تليقان بجلاله وعظمته، من غير تكيف ولا تشبيه.

(١) أخرجه مسلم [١٧٩] من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود [٤٦٦] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

قال النووي في «الأذكار»، ص: [٣١]: «حديث حسن، رواه أبو داود بإسناد جيد».

وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» [٧٤٩].

(٣) أخرجه البخاري [٧١٣١]، ومسلم [٢٩٣٣].

### إثبات صفة اليدين لله تعالى

٥٥٦. وَلَهُ يَدَانِ كَمَا يَقُولُ إِلَهُنَا وَيَمِينُهُ جَلَّتْ عَنِ الْأَيْمَانِ  
٥٥٧. كِلْتَا يَدَيَّ رَبِّي يَمِينٌ وَصَفُهَا وَهُمَا عَلَى الثَّقَلَيْنِ مَنْفِقَتَانِ

✽ يقرر الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ ما عليه السلف من أن لله يدين تليقان بعظمته وجلاله. وقد دلّ على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

فمن الكتاب قول الله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقوله جلّ وعلا: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَلَائِكُونَ﴾ [الشع: ٧١]، وقوله جلّ وعلا: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

ومن السنة قول النبي ﷺ: «احتج آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده أتلومني على أمر قدّره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة فحج آدم موسى فحج آدم موسى ثلاثاً»<sup>(١)</sup>.

وقال النبي ﷺ: «إن يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم ينقص ما في يمينه وعرشه على الماء وبيده الأخرى الفيض أو القبض يرفع ويخفض»<sup>(٢)</sup>، وما جاء في معنى ذلك من الآيات والأحاديث.

(١) أخرجه البخاري [٦٦١٤]، ومسلم [٢٦٥٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري [٧٤١٩]، ومسلم [٩٩٣] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأجمع أهل السنة والجماعة على أن الله تَعَالَى يدين تليقان بجلاله وعظمته، لا تشبه أيدي المخلوقين، ونُتبت صفة اليدين على نحو ما جاء عن الإمام مالك في الاستواء، فيقال: اليدان معلومتان، والعلم بكيفيتهما مجهول، والإيمان بحقيقتهما واجب، والسؤال عن الكيفية بدعة.

وكما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ في الاستواء: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»، وهكذا القول في سائر الصفات كما تقدم.

وقوله:

٥٥٧- كَلَّتَا يَدَيَّ رَبِّي يَمِينٌ وَصَفُهَا وَهُمَا عَلَى الثَّقَلَيْنِ مُنْفِقَتَانِ

✽ يشير بهذا إلى قول النبي ﷺ: «وكلتا يديه يمين»<sup>(١)</sup>.

والجمع بين هذا وما ورد في أحاديث أخرى من ذكر الشمال أن يقال: إنه لا تعارض بينهما إذا أخذنا في الاعتبار أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يقاس بخلقه لا قياس شمولي ولا تمثيلي ولا إلحاقى ولا غير ذلك حتى في اللغة عند الناس الآن - والله المثل الأعلى - عندما يتفاهمون بينهم يقول قائلهم: شمالك يمين، لفهمهم أن اليمين صفة مدح، وأن الله عَزَّجَلَّ هو الذي وصف نفسه بأن كلتا يديه يمين، وهو الذي وصف نفسه بأن له يميناً وشمالاً فنحمل كلا على الوجه اللائق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مع الوقوف حيث وقف السلف من إثبات ذلك كله بلا تأويل ولا تشبيه ولا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ولا يتعارض ذلك من تسمية الشمال باليمين لأن ذلك أدعى وأقوى في باب التنزيه وما وصف الله به نفسه نُتبت على الوجه اللائق به مع الأخذ في الاعتبار أن ذات الله عَزَّجَلَّ لا تشبه ذوات المخلوقين. فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ينفق بهما على الخلق كيف يشاء، وهو أكرم الأكرمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(١) أخرجه مسلم [١٨٢٧] من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.



## معنى الكرسي

٥٥٨- كُرْسِيُّهُ وَسِعَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا وَالْأَرْضَ وَهُوَ يَعُمُّهُ الْقَدَمَانِ

✽ الكرسي ثبت تفسيره عن حبر الأمة عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بأنه موضع القدمين<sup>(١)</sup>؛ قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وما السماوات والأرض بالنسبة للكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، فما بالكم بالعرش الذي هو أعظم المخلوقات.

فإن قال قائل كون الكرسي موضع القدمين ليس مرفوعاً إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فالجواب عن هذا أن يقال: إن له حكم الرفع لأنه مما لا مجال للرأي فيه.

وثبت ذكر القدمين في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «فأما النار فلا تمتلئ فيضع قدمه عليها فتقول قط قط فهناك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض»<sup>(٢)</sup>.



(١) أخرجه الطبراني [٩١٢٤٠٤]، والدارقطني في «الصفات» [٣٦]، والحاكم [٣١١٦]. وصححه الألباني في «تخريج الطحاوية»، ص: [٣١١].

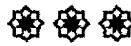
(٢) أخرجه البخاري [٤٨٤٨]، ومسلم [٢٨٤٨] من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

## إثبات صفة الضحك لله جَلَّ وَعَلَا

٥٥٩- وَاللَّهُ يَضْحَكُ لَا كَضْحَكِ عِبِيدِهِ وَالْكَيفُ مُمْتَنِعٌ عَلَى الرَّحْمَنِ

✽ يشير بهذا رَحْمَةُ اللَّهِ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَضْحَكُ ضَحْكًا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرُ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْتَشْهَدُ»<sup>(١)</sup>، وَقَالَ ﷺ: «ضَحْكُ رَبِّنَا عَزَّوَجَلَّ مِنْ قَنُوطِ عِبَادِهِ، وَقَرَبِ غَيْرِهِ، فَقَالَ أَبُو رَزِينٍ: أَوْ يَضْحَكُ الرَّبُّ عَزَّوَجَلَّ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبِّ يَضْحَكُ خَيْرًا»<sup>(٢)</sup>.

ومذهب أهل السنة أن الله يضحك كما يليق بجلاله وعظمته. وقد أول أهل الكلام صفة الضحك بالثواب، وهذا تأويل فاسد وباطل، وصرف للفظ عن ظاهره، فيجب الإيمان بتلك الصفات، ولا يلزم من إثباتها مشابهة المخلوقين.



(١) أخرجه البخاري [٢٨٢٦]، ومسلم [١٨٩٠] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الطيالسي [١١٨٨]، وأحمد [١٦١٨٧]، وابن ماجه [١٨١] من حديث أبي رزين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحسنه الألباني في «الصحيحه» [٢٨١٠].

## مسألة نزول الرب سبحانه

- ٥٦٠- وَاللَّهُ يَنْزِلُ كُلَّ آخِرٍ لَيْلَةٍ لِسَمَائِهِ الدُّنْيَا بِلَا كِتْمَانٍ  
 ٥٦١- فَيَقُولُ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُجِيبُهُ فَأَنَا الْقَرِيبُ أَجِيبُ مَنْ نَادَانِي  
 ٥٦٢- حَاشَا إِلَٰهَهُ أَنْ تُكَيِّفَ ذَاتَهُ فَالْكَيْفُ وَالتَّمَثِيلُ مُنْتَفِيَانِ  
 ٥٦٣- وَالْأَضَلُّ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ تَعَالَى الرَّبُّ ذُو الْإِحْسَانِ

❖ هنا تكلم عن صفة النزول، وهي صفة ثابتة لله عز وجل، دلت عليها السنة الصحيحة المتواترة، وأجمع عليها سلف الأمة كما تقدم تفصيله.

قال النبي ﷺ: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى الثلث الأخير من الليل؛ فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يستغفرني فأغفر له، من يسألني فأعطيه»<sup>(١)</sup>، فيجب الإيمان به، وعدم تكييفه أو تفويضه أو تمثيله، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؛ نقول: ينزل نزولا يليق بجلاله وعظمته، شأنه شأن الاستواء وسائر الصفات.

فعلى المسلم أن يقوم آخر الليل ويتعرض لهذه النفحات الربانية كما قال الله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ آلِ إِبْرَاهِيمَ مَا يَجْعَلُونَ ﴿٧﴾ وَإِلَّا سَحَارَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٧ - ١٨].



(١) تقدم تحريجه في ص: [٢٤٣].

### تابع لمسألة كلام الله جَلَّ جَلَالُهُ

- ٥٦٤- وَحَدِيثُهُ الْقُرْآنُ وَهُوَ كَلَامُهُ  
صَوْتُ وَحَرْفٌ لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ  
٥٦٥- لَسْنَا نُشَبِّهُ رَبَّنَا بِعِبَادِهِ  
رَبٌّ وَعَبْدٌ كَيْفَ يَشْتَبِهَانِ  
٥٦٦- فَالصَّوْتُ لَيْسَ بِمُوجِبٍ تَجْسِيمَةٍ<sup>(١)</sup>  
إِذْ كَانَتِ الصِّفَتَانِ تَخْتَلِفَانِ  
٥٦٧- حَرَكَاتُ أَلْسِنَانَا وَصَوْتُ حُلُوقِنَا  
مَخْلُوقَةٌ وَجَمِيعُ ذَلِكَ فَإِنْ

❁ في هذه الآيات تقرير بأن القرآن كلام الله الذي تكلم به حقيقة بحرف وصوت مسموعين، سواء كان محفوظاً في الصدور أو مكتوباً في المصاحف أو متلو باللسن لفظه ومعناه، كل ذلك كلام الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يلزم من ذلك كله مشابهة المخلوقين إذ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وقد تقدم تفصيل القول في الجسم والجهة والتحيز.



(١) الجسم لا يثبت ولا ينفي؛ لأنه لم يرد نفيه ولا إثباته..

## إثبات صفة الحياة لله عز وجل

- ٥٦٨- وَكَمَا يَقُولُ اللَّهُ رَبِّي لَمْ يَزَلْ  
٥٦٩- وَحَيَاةُ رَبِّي لَمْ تَزَلْ صِفَةً لَهُ  
٥٧٠- وَكَذَلِكَ صَوْتُ إِلَهِنَا وَنِدَاؤُهُ  
٥٧١- وَحَيَاتُنَا بِحَرَارَةٍ وَبُرُودَةٍ  
٥٧٢- وَقَوَامُهَا بِرُطُوبَةٍ وَيُبُوسَةٍ  
٥٧٣- سُبْحَانَ رَبِّي عَنْ صِفَاتِ عِبَادِهِ
- حَيًّا وَلَيْسَ كَسَائِرِ الْحَيَوَانِ  
سُبْحَانَهُ مِنْ كَامِلِ ذِي الشَّانِ  
حَقًّا أَتَى فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ  
وَاللَّهُ لَا يُعْزَى لَهُ هَذَانِ  
ضِدَّانِ أَزْوَاجٍ هُمَا ضِدَّانِ  
أَوْ أَنْ يَكُونَ مُرَكَّبًا جَسَدَانِي

✽ يتحدث الناظم رحمه الله عن صفة الحياة للرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو حي لا كحياة المخلوقين. قال الله عز وجل: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْوَحْيِ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادُوعُهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ [تآول: ٦٥]، وقال تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وحياته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بلا ابتداء وبلا انتهاء، لم يتقدمه حدوث وليس له انتهاء، فهو الأول فليس قبله شيء، وهو الآخر فليس بعده شيء كما قال النبي ﷺ في الدعاء المأثور الثابت «أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء»<sup>(١)</sup> بخلاف حياة المخلوقين، فهي حياة محدودة ضعيفة. فالمقصود أن صفة الحياة الأبدية التي ليس لها ابتداء ولا انتهاء هي صفة له سُبْحَانَهُ وحده، بل هذه الصفة يقر بها حتى بعض المتكلمين كالأشاعرة والماتريدية، لكنهم لا يقرون بها اعتماداً على النصوص الشرعية، وإنما يشتونها بناء على القواعد العقلية. نعم العقل يثبت، لكن لا بد أن يكون تابعا للنص؛ فالعقل مع النص كالفرع مع الأصل.

(١) أخرجه مسلم [٢٧١٣] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم نزهه بقوله: «سبحانه من كامل ذي الشان»، فيجب أن ينزه الله عن كل ما لا يليق به، وأن ينزهه عن جميع صفات النقائص.

### تابع لانتصار الناظم لعقيدة السلف وتقريره بأن القرآن هو كلام الله حقيقة

وقوله:

٥٧٠. وَكَذَلِكَ صَوْتُ إِلَهِنَا وَنِدَاؤُهُ حَقًّا أَتَى فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ  
✽ رجع إلى الحديث عن صفة الكلام، وهو إثبات الصوت والحرف والنداء لله  
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خِلَافًا لِمَا يَزْعُمُهُ الْمُتَكَلِّمُونَ. حتى 'الأشاعرة والماتريدية ينكرون الحرف  
والصوت والنداء، وشبهتهم على 'هذا المعتقد الباطل بيت شعري مصنوع ينسب لشاعر  
نصراني يدعى 'الأخطل.

وهو قوله:

إِن الْكَلَامَ لَضِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا جَعَلَ اللِّسَانَ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلًا<sup>(١)</sup>  
وهذا كما قال الشاعر:  
وَمَنْ جَعَلَ الْغُرَابَ لَهُ دَلِيلًا يَمْرِبُهُ عَلَى جَيْفِ الْكَلَابِ<sup>(٢)</sup>  
والرد على هذه الدعوى قد تقدم.

وقوله:

٥٧١. وَحَيَاتُنَا بِحَرَارَةٍ وَيُرُودَةٍ وَاللَّهُ لَا يُعْزِي لَهُ هَذَانِ

(١) «جواهر الأدب» لأحمد الهاشمي (٢/ ٦٥).

(٢) «المستطرف في كل فن مستظرف» (١/ ٧٩).

٥٧٢- وَقَوَامُهَا بِرُطُوبَةٍ وَيُبُوسَةٍ ضِدَّانِ أَزْوَاجٍ هُمَا ضِدَّانِ ﴿١﴾  
 مقومات الحياة في البشر أو في أي مخلوق أربعة - وهي التي يسمونها الطبائع  
 الأربعة التي بها اعتدال الصحة - : الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة<sup>(١)</sup>. فإذا اختلفت  
 واحدة من هذه الأربعة اختلفت صحة المخلوق. ولذلك يقول بعض الفلاسفة: إن الروح  
 عبارة عن اعتدال الطبائع الأربعة المذكورة، وهذا كلام ساقط، والروح أمرها إلى الله،  
 نؤمن بأنها موجودة، وأنها تسعد وتشقى وتفارق وتعود، أما ما وراء ذلك فنقول: ﴿قُلِ  
 الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

فالناظم هنا يقول: إنه لا تقاس حياة الله بحياة خلقه التي تتطلب هذه الأشياء  
 الأربعة أو غيرها. فالله عَزَّجَلَّ منزّه عن ذلك كله؛ لأن ذاته لا تشبه الذوات فكذا صفاته  
 لا تشبه الصفات.

وقوله:

٥٧٣- سُبْحَانَ رَبِّي عَنْ صِفَاتِ عِبَادِهِ أَوْ أَنْ يَكُونَ مُرَكَّبًا جَسَدَانِي ﴿٢﴾  
 يعني يجب أن ننزه الله عَزَّجَلَّ عما لا يليق: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾  
 [الصافات: ١٨٠]

فكل وصف يحتمل نقصاً بأي وجه من الوجوه فالله منزّه عنه.

وأما التركيب والجسمان فلم يرد في نفيهما ولا إثباتهما شيء، فلا نثبتهما ولا ننفيهما، أو  
 يقال: إن أريد بالتركيب والتجسيم إثبات الأسماء والصفات فنحن نثبتها لله، وإن أريد بهما  
 مشابهة المخلوق فنحن ننفي ذلك كما نفاه عن نفسه.

(١) انظر: «الروح» لابن القيم (١/ ١٧٦)، «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (١/ ٣٠).

انتصار الناظم لأهل الهدى والسنة  
برده على المذهب المؤلدة والمعطلتة  
لكشف الشبه عندهم،

ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة

- ٥٧٤- إِنِّي أَقُولُ فَأَنْصِتُوا لِمَقَالَتِي  
٥٧٥- إِنَّ الَّذِي هُوَ فِي الْمَصَاحِفِ مُنْبِتٌ  
٥٧٦- هُوَ قَوْلُ رَبِّي أَيُّهُ وَحُرُوفُهُ  
٥٧٧- مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ ضِدَّ مَقَالَتِي  
٥٧٨- هُوَ فِي الْمَصَاحِفِ وَالصُّدُورِ حَقِيقَةٌ  
٥٧٩- وَكَذَا الْحُرُوفُ الْمُسْتَقَرُّ حَسَابُهَا  
٥٨٠- هِيَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ  
٥٨١- حَاءٌ وَمِيمٌ قَوْلُ رَبِّي وَحْدَهُ
- يَا مَعْشَرَ الْخُلَطَاءِ وَالْإِخْوَانِ  
بِأَنَامِلِ الْأَشْيَاحِ وَالشُّبَّانِ  
وَمِدَادُنَا وَالرَّقِّ مَخْلُوقَانِ  
فَالْعَنَهُ كُلَّ إِقَامَةٍ وَأَذَانِ  
أَيُّقِنَنَّ بِذَلِكَ أَيُّمَا إِيْقَانِ  
عِشْرُونَ حَرْفًا بَعْدَهُنَّ ثَمَانِ  
حَقًّا وَهُنَّ أُصُولُ كُلِّ بَيَانِ  
مِنْ غَيْرِ أَنْصَارٍ وَلَا أَعْوَانِ

يقول الشيخ محمد بن عبد الله القحطاني رَحِمَهُ اللَّهُ: اسمعوا منظومتي هذه التي أقرر فيها عقيدة السلف فلا تحيدوا عنها والزموها، فإنها تستند إلى هدي الكتاب والسنة، وابتعدوا عما يخالفها من آراء الرجال والفلسفة وعلم الكلام.

وهنا قد يقول قائل: أليس في هذا شيء من التفاخر؟ والجواب أن المذموم هو التفاخر الذي يقصد به التعالي على الناس والتكبر، أما إذا كان المرء حاذقًا في أمر معين والناس بحاجة إليه، فإنه يتعين عليه بيان ذلك. فهذا يوسف عَلَيْهِ السَّلَام يقول للملك: ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يُوسُف: ٥٥]، وقال النبي ﷺ:



«قد علمتم أني أتقاكم لله وأصدقكم وأبركم»<sup>(١)</sup>، وقوله ﷺ: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»<sup>(٢)</sup>.

وقوله:

٥٧٥- إِنَّ الَّذِي هُوَ فِي الْمَصَاحِفِ مُنْبِتٌ بِأَنَامِلِ الْأَشْيَاحِ وَالشُّبَّانِ  
٥٧٦- هُوَ قَوْلُ رَبِّي أَيُّهُ وَحُرُوفُهُ وَمِدَادُنَا وَالرَّقُّ مَخْلُوقَانِ

✽ الكلام في هذه المسألة تقدم مفصلاً، ويعني بقوله: «ومدادنا والرق مخلوقان» أن الآلة التي كتب بها القرآن وكتب عليها مخلوقة، فالخبر والورق مخلوقان.

وقوله:

٥٧٧- مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ ضِدَّ مَقَالَتِي فَالْعَنَهُ كُلُّ إِقَامَةٍ وَأَذَانٍ

✽ يعني: من خالف منهج السلف، لأنه في الحقيقة لم ينفرد بمقالة، وإنما قرر منهج أهل السنة والجماعة. وهذا من شدته في الحق رَحِمَهُ اللَّهُ، لكن الناظم لما رأى القوم يحرفون ويبدلون ويؤولون كلام الله جَلَّ وَعَلَا، ورأى أنهم خرجوا عن الجادة، عن هدي الكتاب والسنة، واستبدلوا الذي هو أحسن وخير بآراء الفلاسفة والمناطق، عند ذلك أخذته الحمية والحماس للدين والحق، حتى إنه قال: من قال بخلاف هذا المقالة التي هي مقالة أهل السنة والجماعة، فالعنه كل إقامة وأذان.

وقوله:

٥٧٨- هُوَ فِي الْمَصَاحِفِ وَالصُّدُورِ حَقِيقَةٌ أَيْقِنْ بِذَلِكَ أَيْمَانِ

(١) أخرجه البخاري [٧٣٦٧]، ومسلم [١٢١٦] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري [٢٨٦٤]، ومسلم [١٧٧٦] من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

✽ يعني: هذا الذي في المصاحف وفي السطور المقروء المتلو المكتوب المنزل المسموع هو كلام الله فاحفظه حفظاً وأيقن بما فيه، واعتقده ولا تحد عن ذلك يمناً أو يسرة فضل.

وقوله:

٥٧٩- وَكَذَا الْحُرُوفُ الْمُسْتَقَرُّ حَسَابُهَا عَشْرُونَ حَرْفًا بَعْدَهُنَّ ثَمَانِ  
٥٨٠- هِيَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ حَقًّا وَهُنَّ أُصُولُ كُلِّ بَيَانٍ

✽ هذه الحروف الثابتة التي يشتمل عليها القرآن هي حروف تكلم بها الله عَزَّجَلَّ حقيقة لا مجازاً. والله عَزَّجَلَّ تكلم بالقرآن كلاماً يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وهذا هو الذي حمل السجزي رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى أَنْ يُوَلِّفَ رسالة «الحرف والصوت» - كما تقدم -.

وقوله:

٥٨١- حَاءٌ وَمِيمٌ قَوْلُ رَبِّي وَحْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْصَارٍ وَلَا أَعْوَانٍ  
✽ يعني: لما قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿حَمِّمْ﴾، ﴿تَ﴾، ﴿قَ﴾، ﴿صَ﴾، ﴿يَسَ﴾.

هذه الحروف تكلم الله بها حقيقة، فهي من كلامه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ولا نفسرها بغير ذلك وإن كان كثير من أهل العلم يقولون: إن الله عَزَّجَلَّ تحدى بها العرب الذين هم أهل هذه اللغة وأهل هذه الحروف؛ كأنه يقول لهم: إن هذا القرآن الذي أنكرتموه مكون من هذه الحروف التي تسمعونها، فتحداهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن: ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الشعراء: ٨٨].



- ٥٨٢- مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ مَا قَدْ قَالَهُ  
 ٥٨٣- فَقَدْ افْتَرَى كَذِبًا وَإِنَّمَا وَاقْتَدَى  
 ٥٨٤- خَالَطْتُهُمْ حِينًا فَلَوْ عَاشَرْتُهُمْ  
 ٥٨٥- تَعَسَّ الْعَمِيَّ أَبُو الْعَلَاءِ فَإِنَّهُ  
 ٥٨٦- وَلَقَدْ نَظَّمْتُ قَصِيدَتَيْنِ بِهِجُوهِ
- عَبْدُ الْجَلِيلِ وَشِيعَةُ اللَّحْيَانِ  
 بِكِلَابِ كَلْبِ مَعَرَّةِ النُّعْمَانِ  
 لَضَرَبْتُهُمْ بِصَوَارِمِي وَلِسَانِي  
 قَدْ كَانَ مَجْمُوعًا لَهُ الْعَمِيَانِ  
 أَبْيَاتُ كُلِّ قَصِيدَةٍ مِثْلَانِ

✽ يشير إلى بعض من قال: إن القرآن ليس كلام الله من الجهمية ومن تفرع عنهم مثل رجل يقال له: عبد الجليل وآخر يقال له: اللحياني، فإن هذين ومن تقدمهما ومن تأخر عنهما ممن هو على شاكلتهما كلهم قد ضلّ سواء السبيل في صفة الكلام لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَوْ نسبة القرآن أن يكون كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فمن أنكر أن يكون القرآن كلام الله فهو من شيعة هؤلاء، ولهذا قال:

- ٥٨٣- فَقَدْ افْتَرَى كَذِبًا وَإِنَّمَا وَاقْتَدَى  
 ✽ فالذي يعطل ويؤول كلام الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فإنه يكون قد افترى وتعدى وتجاوز وظلم؛ لأنه كذب على الله تَعَالَى وقلد في ذلك من أسماهم الناظم بكلام كلب معرة النعمان، وهم أتباع أبي العلاء المعري الفيلسوف الملحد، فهو معروف بإلحاده وزندقته وإغراقه في الفلسفة وإنكاره لكلام الله جَلَّ وَعَلَا واعتقاده أن القرآن مخلوق، بل هو الذي يهزأ بأحكام القرآن في مثل قوله:

يد بخمس مئين عسجدٍ وديت      ما بالها قطعت في ربع دينار  
 تناقض مالنا إلا السكوت له      ونستجير بمولانا من النار

وفي رواية:

حكم مضى ما لنا إلا السكوت له      ونستعيد بمولانا من النار

يعني: يعترض على حكم الله في قطع يد السارق، فيقول: كيف هذه اليد التي ديتها بخمسائة دينار عسجد - أي: من الذهب - كيف تقطع إذا سرق صاحبها ربع دينار؟ وهذا اعتراض على حكم الله، ولذلك رد على هذا الملحد بعضهم بقوله:

قل للمعري عار أيما عاري      جهل الفتى وهو من ثوب التقى عاري  
عز الأمانة أغلاها وأرخصها      ذلّ الخيانة فافهم حكمة الباري<sup>(١)</sup>

وفي رواية:

حماية النفس أغلاها وأرخصها      حماية المال فافهم حكمة الباري  
ومن إلحاده أيضاً قوله:

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه      وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا  
هذا الذي ترك الأفهام حائرة      وصيرّ العالم النحرير زنديقا

وهذا اعتراض على أقدار الله، وقد تقدم ما يغني عن الرد على هذا الإلحاد في الكلام على القدر كقول الله تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَرَهُ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ۝﴾ [التَجْوِيدُ: ١٥ - ١٦]، وتقدم ذكر حديث الصادق المصدوق «ثم يؤمر بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد».

وقال الشاعر:

ينال الفتى من عيشه وهو جاهل      ويكدي الفتى في دهره وهو عالم  
ولو كانت الأرزاق تجري على الحجا      هلكن إذا من جهلن البهائم

وقوله:

٥٨٤. خَالَطْتُهُمْ حِينًا فَلَوْ عَاشَرْتُهُمْ      لَضَرَيْتُهُمْ بِصَوَارِمِي وَلِسَانِي

(١) «معاهد التنصيص على شواهد التلخيص» (١/١٤٣).

✽ يقول: لو أني ظفرت بهم لجاهدتهم بصواري ولساني، أي: بالسيف واللسان.

وقوله:

٥٨٥- تَعَسَّ الْعَمِيُّ أَبُو الْعَلَاءِ فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ مَجْمُوعًا لَهُ الْعَمَيَانِ

٥٨٦- وَلَقَدْ نَظَّمْتُ قَصِيدَتَيْنِ بِهِجْوِهِ أَبْيَاتُ كُلِّ قَصِيدَةٍ مِثْلَانِ

✽ تعس: هلك، يقصد بالعمي: أبا العلاء المعري<sup>(١)</sup>، وأخبر أنه قد جُمع له العموان:

عمى' البصر وعمى' البصيرة؛ لأنه ملحد، فهو ممن يتنكر للشريعة.

ويخبر رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قد نظم في هجائه قصيدتين، كل واحدة منهما مائتا بيت، وهجو

أهل البدع والشر والأهواء إذا لم يترتب على ذلك فتنة أو ضرر لأهل السنة مطلوب بالطرق المشروعة، فدرء المفاصد مقدم على جلب المصالح.

ولذلك أذن النبي ﷺ لحسان أن يهجو كفار قريش، وقال: «اهجهم

وجبريل معك»<sup>(٢)</sup>.

وأنبه هنا على أن العيب في عمى' البصيرة لا في عمى' البصر كما قال الله تَعَالَى: ﴿فَاتَّهَا

لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]؛ وقال الشاعر:

إذا أبصر المرء المروءة والتقى فإن عمى' العينين ليس يضير<sup>(٣)</sup>

(١) هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان الفيلسوف الملحد المتوفى سنة ٤٤٩ هـ، انظر: «تاريخ بغداد»، (٤/٢٤٠).

(٢) أخرجه البخاري [٣٢١٣]، ومسلم [٦٥٤٢] من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٣) «ديوان بشار بن برد» لأبي معاذ بشار بن برد بن يرجوخ العقيلي ١٦٧/٩٥ هـ.

بل قد يكون ابتلاء وإكرامًا من الله عزَّجَلَّ لعبده المؤمن إذا صبر واحتسب، قال رسول الله ﷺ عن ربه عزَّجَلَّ أنه قال: «من أذهبت حبيبتيه فصبر واحتسب لم أرض له ثوابًا دون الجنة»<sup>(١)</sup>.

وكان ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لما عمي يستشهد دائمًا بقول حسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

إن أذهب الله من عيني نورهما      فضي فؤادي وقلبي منهما نور  
عقلي ذكي وقلبي ما حوى دخلا      وفي فمي صارم كالسيف مشهور  
وقال الشاطبي إمام القراءات رَحِمَهُ اللَّهُ لَمَنْ عابه بالعمى:

وقالوا قد عميت فقلت لا      وإني اليوم أبصر من بصير  
سواد العين زار سواد قلبي      ليجمعنا على فهم الأمور



(١) أخرجه الترمذي [٢٤٠١]، والنسائي في «الكبرى» [١١٤٤٦] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: «حسن صحيح».

هجومه الأشاعرة واعتماده على الكتاب والسنة

في الرد عليهم واعترازه بالله في رد أباطيلهم

وحمايته منهم بأسلوب لا يخلو من تحدٍ وسخرية

وَأَذِيعُ مَا كَتَمُوا مِنَ الْبُهْتَانِ  
عُدَّوَانِ أَهْلِ السَّبْتِ فِي الْحِيتَانِ  
وَطَعَنْتُمْ بِالْبَغْيِ وَالْعُدَّوَانِ  
أَسْطَوْ عَلَى سَادَاتِكُمْ بِطِعَانِي  
حَتَّى تَلَقَّفَ إِفْكَكُمْ ثُعْبَانِي  
وَبِهِ أُرْزِلَ كُلُّ مَنْ لَاقَانِي  
مِنْ كَيْدِ كُلِّ مُنَافِقٍ خَوَّانِ  
أَوْ أَصْبَحْتَ قَفْرًا بِلَا عُمْرَانَ  
وَلِهَتْكَ سِتْرَ جَمِيعِكُمْ أَبْقَانِي  
أَعْيَا أَطَبَّتْكُمْ غُمُوضُ مَكَانِي  
أَنَا مُرْهَفٌ مَاضِي الْغَرَارِ يَمَانِي  
سَخَطُ يَدِيْقُكُمْ الْحَمِيمِ الْآنِي  
وَالْفِقْهُ لَيْسَ لَكُمْ عَلَيْهِ يَدَانِ  
لَمْ يَجْتَمِعْ مِنْهَا لَكُمْ ثِنْتَانِ  
وَتَقَى وَكَفُّ أَدَى وَفَهُمْ مَعَانِ  
لَا خَيْرَ فِي دُنْيَا بِلَا أَدْيَانِ  
فَبَلَعْتُمْ الدُّنْيَا بِغَيْرِ تَوَانِ

٥٨٧- وَالْآنَ أَهْجُوا الْأَشْعَرِيَّ وَحِزْبَهُ  
٥٨٨- يَا مَعْشَرَ الْمُتَكَلِّمِينَ عَدُوْتُمْ  
٥٨٩- كَفَرْتُمْ أَهْلَ الشَّرِيعَةِ وَالْهُدَى  
٥٩٠- فَلَا تُصِرَنَّ الْحَقَّ حَتَّى أَنْنِي  
٥٩١- اللَّهُ صَيَّرَنِي عَصَا مُوسَى لَكُمْ  
٥٩٢- بِأَدِلَّةِ الْقُرْآنِ أَبْطَلُ سِحْرَكُمْ  
٥٩٣- هُوَ مُلَجِّئِي هُوَ مَدْرئِي هُوَ مُنْجِي  
٥٩٤- إِنْ حَلَّ مَذْهَبُكُمْ بِأَرْضٍ أَجْدَبَتْ  
٥٩٥- وَاللَّهُ صَيَّرَنِي عَلَيْكُمْ نَقْمَةً  
٥٩٦- أَنَا فِي خُلُوقِ جَمِيعِكُمْ عَوْدُ الْحَشَا  
٥٩٧- أَنَا حَيَّةُ الْوَادِي أَنَا أَسَدُ الشَّرَى  
٥٩٨- بَيْنَ ابْنِ حَنْبَلٍ وَابْنِ إِسْمَاعِيلِكُمْ  
٥٩٩- دَارَيْتُمْ عِلْمَ الْكَلَامِ تَشْرُرًا  
٦٠٠- الْفِقْهُ مُفْتَقِرٌ لِخَمْسِ دَعَائِمٍ  
٦٠١- حِلْمٌ وَإِتْبَاعٌ لِسُنَّةِ أَحْمَدٍ  
٦٠٢- آثَرْتُمْ الدُّنْيَا عَلَى أَدْيَانِكُمْ  
٦٠٣- وَفَتَحْتُمْ أَفْوَاهَكُمْ وَبَطُونَكُمْ

٦٠٤- كَذَّبْتُمْ أَقْوَالَكُمْ بِفِعَالِكُمْ  
 ٦٠٥- قَرَأُوكُمْ قَدْ أَشْبَهُوا فَقَهَاءَكُمْ  
 ٦٠٦- يَتَكَلَّبَانِ عَلَى الْحَرَامِ وَأَهْلِهِ  
 ٦٠٧- يَا أَشْعَرِيَّةُ هَلْ شَعَرْتُمْ أَنَّنِي  
 ٦٠٨- أَنَا فِي كُبُودِ الْأَشْعَرِيَّةِ قَرَحَةٌ  
 ٦٠٩- وَلَقَدْ بَرَزْتُ إِلَى كِبَارِ شُيُوكُمْ  
 ٦١٠- وَقَلَبْتُ أَرْضَ حِجَابِهِمْ وَنَثَرْتُهَا  
 ٦١١- وَاللَّهُ أَيْدِي وَثَبَتْ حُجَّتِي  
 ٦١٢- وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُهَيِّمِ دَائِمًا  
 ٦١٣- أَحَسِبْتُمْ يَا أَشْعَرِيَّةُ أَنَّنِي  
 ٦١٤- أَفْتَسْتَرُ الشَّمْسُ الْمُضِيئَةَ بِالسَّهَاءِ  
 ٦١٥- عُمْرِي لَقَدْ فَتَشْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ  
 ٦١٦- أَحَضَرْتُكُمْ وَحَشَرْتُكُمْ وَقَصَدْتُكُمْ  
 ٦١٧- أَزَعَمْتُمْ أَنَّ الْقُرْآنَ عِبَارَةٌ  
 ٦١٨- إِيْمَانُ جِبْرِيلَ وَإِيْمَانُ الَّذِي  
 ٦١٩- هَذَا الْجُوَيْهَرُ وَالْعُرِيضُ بِزَعْمِكُمْ  
 ٦٢٠- مَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَعْرِفْهُمَا  
 ٦٢١- أَفْمُسْلِمٌ هُوَ عِنْدَكُمْ أَمْ كَافِرٌ  
 ٦٢٢- عَطَلْتُمْ السَّبْعَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا  
 ٦٢٣- وَزَعَمْتُمْ أَنَّ الْبَلَاغَ لِأَحْمَدٍ

وَحَمَلْتُمْ الدُّنْيَا عَلَى الْأَدْيَانِ  
 فِئْتَانٍ لِلرَّحْمَنِ عَاصِيَتَانِ  
 فِعْلُ الْكِلَابِ بِجِيْفَةِ اللَّحْمَانِ  
 رَمَدُ الْعُيُونِ وَحِكَّةُ الْأَجْفَانِ  
 أَرَبُو فَأَقْتُلْ كُلَّ مَنْ يَشْنَانِي  
 فَصَرَفْتُ مِنْهُمْ كُلَّ مَنْ نَاوَانِي  
 فَوَجَدْتُهَا قَوْلًا بِلَا بُرْهَانِ  
 وَاللَّهُ مِنْ شُبُهَاتِهِمْ نَجَّانِي  
 حَمْدًا يُلَقِّحُ فِطْنَتِي وَجَنَانِي  
 مِمَّنْ يُقَعِّعُ خَلْفَهُ بِشْنَانِ  
 أَمْ هَلْ يُقَاسُ الْبَحْرُ بِالْخُلْجَانِ  
 حُمْرًا بِلَا عَنَنْ وَلَا أَرْسَانَ  
 وَكَسَرْتُكُمْ كَسْرًا بِلَا جُبْرَانَ  
 فَهُمَا كَمَا تَحْكُونَ قُرْآنَانِ  
 رَكِبَ الْمَعَاصِي عِنْدَكُمْ سَيَّانِ  
 أَهْمَا لِمَعْرِفَةِ الْهُدَى أَضْلَانِ  
 وَأَقْرَبَ الْإِسْلَامِ وَالْفُرْقَانِ  
 أَمْ عَاقِلٌ أَمْ جَاهِلٌ أَمْ وَإِنْ  
 وَالْعَرْشُ أَخْلِيْتُمْ مِنَ الرَّحْمَنِ  
 فِي آيَةٍ مِنْ جُمْلَةِ الْقُرْآنِ



وَالْمَذْهَبُ الْمُسْتَحْدَثُ الشَّيْطَانِي  
كَاسَمِ النَّبِيدِ لِحُمْرَةِ الْأَذْنَانِ  
وَاللَّهُ عَنْهَا صَانِي وَحَمَانِي  
وَعَضَضْتُهُ بِنَوَاجِذِ الْأَسْنَانِ  
طُوفَانُ بَحْرٍ أَيْمًا طُوفَانِ  
أَنَا سُمْكُمْ فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ  
مِنْ كُلِّ قَلْبٍ وَالِهِ لَهْفَانِ  
مِنْ غَيْرِ تَمَثِيلٍ كَقَوْلِ الْجَانِي  
بِمُحَمَّدٍ فَزَهَا بِهِ الْحَرَمَانِ  
مَا دَامَ يَصْحَبُ مُهْجَتِي جُثْمَانِي  
حَتَّى تُغَيِّبَ جُثَّتِي أَكْضَانِي  
حَتَّى أُبْلَغَ قَاصِيًا أَوْ دَانِي  
غَيْظًا لِمَنْ قَدْ سَبَّنِي وَهَجَانِي  
وَلِتُحْرِقَنَّ كُبُودَكُمْ نِيرَانِي  
وَلِيُخَمِدَنَّ شُوَاطِقُكُمْ طُوفَانِي  
وَلِيَمْنَعَنَّ جَمِيعَكُمْ خِذْلَانِي  
حَمَلِ الْأَسُودِ عَلَى قَطِيعِ الضَّانِ  
حَتَّى يَهْدَّ عُتُوكُمْ سُلْطَانِي  
فَيَسِيرُ سَيْرَ الْبُزْلِ بِالرُّكْبَانِ  
حَتَّى يُغْطِي جَهْلَكُمْ عَرْفَانِي

٦٢٤- هَذِي الشَّقَاشِقُ وَالْمَحَارِقُ وَالْهَوَى  
٦٢٥- سَمَيْتُمْ عِلْمَ الْأُصُولِ ضَلَالَةً  
٦٢٦- وَنَعَتْ مَحَارِمَكُمْ عَلَى أَمْثَالِكُمْ  
٦٢٧- إِنِّي اعْتَصَمْتُ بِحَبْلِ شَرْعِ مُحَمَّدٍ  
٦٢٨- أَشَعَرْتُمْ يَا أَشْعَرِيَّةُ أَنَّنِي  
٦٢٩- أَنَا هُمُّكُمْ أَنَا غَمُّكُمْ أَنَا سَقْمُكُمْ  
٦٣٠- أَذْهَبْتُمْ نُورَ الْقُرْآنِ وَحُسْنَهُ  
٦٣١- فَوَحَقَّ جَبَّارٍ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى  
٦٣٢- وَوَحَقَّ مَنْ خَتَمَ الرِّسَالَةَ وَالْهُدَى  
٦٣٣- لِأَقْطَعَنَّ بِمِعْوَلِي أَعْرَاضَكُمْ  
٦٣٤- وَلَا هُجُونََكُمْ وَأَتْلِبُ حَزْبَكُمْ  
٦٣٥- وَلَا هَتِكَنَّ بِمِنْطِقِي أَسْتَارَكُمْ  
٦٣٦- وَلَا هُجُونَ صَغِيرَكُمْ وَكَبِيرَكُمْ  
٦٣٧- وَلَا نُزِلَنَّ بِكُمْ أَلِيمَ صَوَاعِقِي  
٦٣٨- وَلَا أَقْطَعَنَّ بِسَيْفِ حَقِّي زُورَكُمْ  
٦٣٩- وَلَا أَقْصِدَنَّ اللَّهُ فِي خِذْلَانِكُمْ  
٦٤٠- وَلَا أَحْمِلَنَّ عَلَى عُتَاةٍ طُغَاتِكُمْ  
٦٤١- وَلَا أَرْمِينَكُمْ بِصَخْرِ مَجَانِقِي  
٦٤٢- وَلَا أَكْتُبَنَّ إِلَى الْبِلَادِ بِسَبِّكُمْ  
٦٤٣- وَلَا دُحْضَنَّ بِحُجَّتِي شُبُهَاتِكُمْ

٦٤٤- وَلَاغَضَبَنَّ لِقَوْلِ رَبِّي فِيكُمْ  
 ٦٤٥- وَلَاضْرِبَنَّكُمْ بِصَارِمِ مَقُولِي  
 ٦٤٦- وَلَاسُعِطَنَّ مِنَ الْفُضُولِ أُتُوفِكُمْ  
 ٦٤٧- إِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ عِنْدَ قِتَالِكُمْ  
 ٦٤٨- وَإِذَا ضَرَبْتُ فَلَا تَحِيبُ مَضَارِي  
 ٦٤٩- وَإِذَا حَمَلْتُ عَلَى الْكُتَيْبَةِ مِنْكُمْ  
 ٦٥٠- الشَّرْعُ وَالْقُرْآنُ أَكْبَرُ عُدَّتِي  
 ٦٥١- ثَقُلَا عَلَى أَبْدَانِكُمْ وَرُءُوسِكُمْ  
 ٦٥٢- إِنْ أَنْتُمْ سَأَلْتُمْ سُؤْلَتُمْ  
 ٦٥٣- وَلَيْتُنْ أَبَيْتُمْ وَاعْتَدَيْتُمْ فِي الْهَوَى  
 ٦٥٤- يَا أَشْعَرِيَّةُ يَا أَسَافِلَةَ الْوَرَى  
 ٦٥٥- إِنِّي لَأُبْغِضُكُمْ وَأُبْغِضُ حَزْبَكُمْ  
 ٦٥٦- لَوْ كُنْتُ أَعْمَى الْمُقْلَتَيْنِ لَسَرَّنِي  
 ٦٥٧- تَغْلِي قُلُوبَكُمْ عَلَيَّ بِحَرْهَا  
 ٦٥٨- مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ وَمُوتُوا حَسْرَةً  
 ٦٥٩- قَدْ عِشْتُ مَسْرُورًا وَمِتُّ مُخْضَرًّا  
 ٦٦٠- وَأَبَاحَنِي جَنَاتِ عَدْنٍ أَمِنَّا  
 ٦٦١- وَلَقِيتُ أَحْمَدَ فِي الْجَنَانِ وَصَحْبَهُ  
 ٦٦٢- لَمْ أَدْخِرْ عَمَلًا لِرَبِّي صَالِحًا  
 ٦٦٣- أَنَا تَمَرَةٌ الْأَحْبَابِ حَنْظَلَةُ الْعِدَا

غَضَبَ النُّمُورِ وَجُمْلَةِ الْعُقْبَانِ  
 ضَرْبًا يُزْعِزُ أَنْفُسَ الشُّجْعَانِ  
 سَعَطًا يُعْطِسُ مِنْهُ كُلُّ جَبَانِ  
 لِمُحْكِمٍ فِي الْحَرْبِ ثَبَتَ جَنَانِ  
 وَإِذَا طَعَنْتُ فَلَا يَرُوعُ طِعَانِي  
 مَزَقْتُهَا بِلَوَامِعِ الْبُرْهَانِ  
 فَهَمَّا لِقَطْعِ حِجَااجِكُمْ سَيْفَانِ  
 فَهَمَّا لِكَسْرِ رُءُوسِكُمْ حَجَرَانِ  
 وَسَلِمْتُمْ مِنْ حَايِرَةِ الْخِذْلَانِ  
 فَنِضَالِكُمْ فِي ذِمَّتِي وَضَمَانِي  
 يَا عُمَيُّ يَا صُمُّ بِلَا آدَانِ  
 بُغْضًا أَقَلُّ قَلِيلِهِ أَضْغَانِي  
 كَيْ لَا يَرَى إِنْسَانُكُمْ إِنْسَانِي  
 حَنْقًا وَغَيْظًا أَيْمًا غَلِيَانِ  
 وَأَسَىٰ عَلَيَّ وَعَضُّوا كُلَّ بَنَانِ  
 وَلَقِيتُ رَبِّي سَرَّنِي وَرَعَانِي  
 وَمِنْ الْجَحِيمِ بِفَضْلِهِ عَافَانِي  
 وَالْكُلُّ عِنْدَ لِقَائِهِمْ أَدْنَانِي  
 لَكِنْ بِإِسْخَاطِي لَكُمْ أَرْضَانِي  
 أَنَا غُصَّةٌ فِي حَلْقٍ مِّنْ عَادَانِي

٦٦٤- وَأَنَا الْمُحِبُّ لِأَهْلِ سُنَّةِ أَحْمَدٍ وَأَنَا الْأَدِيبُ الشَّاعِرُ الْقَحْطَانِي

تقدم بيان أن أبا الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللهُ بَرِيءٌ مما عليه الأشاعرة الآن كبراءة الشيخ عبد القادر الجيلاني رَحِمَهُ اللهُ مما تنسبه إليه غلاة المتصوفة؛ فإن أبا الحسن ختم الله له بالعودة إلى مذهب السلف في باب الأسماء والصفات في الجملة، ونص في آخر كتبه وهو كتاب «الإبانة» بأنه على مذهب الإمام أحمد في الاعتقاد، فلا يوافق الناظم رَحِمَهُ اللهُ على هجوه والنيل منه كما تقدمت الإشارة إلى عذر الناظم في شدته هذه على الأشعري بأنه لم يبلغه رجوعه إلى منهج أهل السنة.

وقوله:

٥٨٨- يَا مَعْشَرَ الْمُتَكَلِّمِينَ عَدَوْتُمْ عُدَّوَانَ أَهْلِ السَّبْتِ فِي الْحَيَاتَانِ

٥٨٩- كَفَرْتُمْ أَهْلَ الشَّرِيعَةِ وَانْهَدَيْتُمْ وَطَعَنْتُمْ بِالْبَغْيِ وَالْعُدَّوَانَ

❦ وصف الناظم رَحِمَهُ اللهُ أهل الكلام بالعدوان والتكفير والطعن في أهل السنة بالبغي والعدوان، وذلك في نفیهم أو تأويلهم أسماء الله وصفاته مع نبزهم أهل السنة بالتجسيم والتشبيه.

وشبه حالهم بحال اليهود في اعتدائهم وتحيلهم على الصيد في يوم السبت.

ولا غرو فقلوبهم منكوسة، وعقولهم معكوسة - والعياذ بالله - عن الحق.

وقوله:

٥٩٠- فَلَا نُضَرُّنَّ الْحَقَّ حَتَّىٰ أَنْنِي أَسْطُو عَلَى سَادَاتِكُمْ بِطِعَانِي

٥٩١- اللَّهُ صَيَّرَنِي عَصَا مُوسَىٰ لَكُمْ حَتَّىٰ تَلَقَّافَ إِفْكَكُمْ ثُغْبَانِي

٥٩٢- بِأَدْلَةِ الْقُرْآنِ أُبْطِلُ سِحْرَكُمْ وَبِهِ أُرْزِلُ كُلَّ مَنْ لَاقَانِي

٥٩٣- هُوَ مُلْجِي هُوَ مُدْرِي هُوَ مُنْجِي مِنْ كَيْدِ كُلِّ مُنَافِقٍ خَوَانِي

- ٥٩٤- إِنْ حَلَّ مَذْهَبُكُمْ بِأَرْضٍ أَجْدَبَتْ      أَوْ أَصْبَحَتْ قَفْرًا بِلَا عُمَرَانِ  
٥٩٥- وَاللَّهُ صَيَّرَنِي عَلَيْكُمْ نِقْمَةً      وَلِهَاتِكَ سِتْرَ جَمِيعِكُمْ أَبْقَانِي  
٥٩٦- أَنَا فِي حُلُوقِ جَمِيعِكُمْ عُوْدُ الْحَشَا      أَغْيَا أَطَبَّبْتُكُمْ غُمُوضُ مَكَانِي  
٥٩٧- أَنَا حَيَّةُ الْوَادِي أَنَا أَسَدُ الشَّرَى      أَنَا مُرْهَفٌ مَاضِي الْغَرَارِ يَمَانِي

✽ عاهد الله بنصرته لمذهب أهل السنة، وذلك بمطاعنة أعداء أهل السنة من أهل الكلام بسلاح الحق، فوصف انتصاره عليهم بأن الله جعله مثل عصي موسى مع عصي السحرة، وجعله بمثابة حية الوادي وأسد الشرى وعود الشجا وهتك سترهم معتمداً على الله في ذلك وملتجأ إليه، بإقامة الحجة والبراهين من كتاب الله تَعَالَى وسنة رسوله ﷺ، الأمر الذي أظهر الله به الحق وأزهم به باطلهم.

وقوله: «أنا مرهف ماضي الغرار يمانِي» أي: أن الله جعله سيفاً مصلتاً من سيوف الله المسلولة على أهل الباطل.

ويقول رَحِمَهُ اللهُ بأنه مرهف الإحساس، لين الطبع والعريكة مع أهل السنة، لكنه مع المبتدعة سيف يمانِي قاطع، والسيوف اليمانية يضرب بها المثل في الحدة والقوة كما قال الشاعر:

وهل ينفع الفتیان حسن وجوهمهم      إذا كانت الأخلاق غير حسان  
فلا تجعل الحسن الدليل على الفتى      فما كل مصقول الحديد يمانِي<sup>(١)</sup>  
وقوله:

٥٩٨- بَيْنَ ابْنِ حَنْبَلٍ وَابْنِ إِسْمَاعِيلِكُمْ      سَخَطٌ يُذِيقُكُمْ الْحَمِيمَ الْآنِي

(١) «المستطرف في كل فن مستظرف» (١/ ٢٥٩).

✽ يعني بابن إسماعيلكم الشيخ علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري الذي ينتهي نسبه إلى أبي موسى الأشعري رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وقد نبهت غير مرة أن أبا الحسن الأشعري رجع إلى مذهب الإمام أحمد في الاعتقاد في الجملة وبينت عذر الناظم في ذلك.

وقوله:

٥٩٩- دَارَيْتُمْ عِلْمَ الْكَلَامِ تَشْرُزًا      وَالْفِقْهُ لَيْسَ لَكُمْ عَلَيْهِ يَدَانِ  
٦٠٠- الْفِقْهُ مُفْتَقِرٌ لِخَمْسِ دَعَائِمٍ      لَمْ يَجْتَمِعْ مِنْهَا لَكُمْ ثِنْتَانِ  
٦٠١- حِلْمٌ وَإِتِّبَاعٌ لِسُنَّةِ أَحْمَدٍ      وَتَقَى وَكَفٌ أَذَى وَفَهْمٌ مَعَانِ

✽ وصف رَحْمَةُ اللَّهِ أَهْلَ الْكَلَامِ باعتمادهم على 'أدران الفلسفة وأوضار المنطق وإعراضهم عن نصوص الوحيين، الأمر الذي أفقدهم الفقه في علوم الشريعة المبنية على النصوص، فتشعبت بهم الأهواء وتفرقت بهم الآراء نتيجة لمسلكهم المشين.

عليك ببكر الفكر إن كنت كفاها      وإلا تنح عن ذرى المجد واقعد  
فمن قلّد الآراء ضل عن الهدى      ومن قلّد المعصوم في الدين يهتدي  
فما الدين إلا الاتباع لما أتى      عن الله والهادي البشير محمد  
قال مطرف بن عبد الله بن الشخير العامري رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ: «لو كانت الأهواء هوىً واحداً لقليل: إنه لحق ولكنها أهواء»<sup>(١)</sup>.

ثم وضح دعائم الفقه الصحيح الخمس وهي الحلم والاتباع والتقوى وكف الأذى وفهم معاني النصوص ومقاصد الشرع وأنه ليس لأهل الكلام من هذه الدعائم نصيب، وقد صدق رَحْمَةُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ.

(١) «الاعتصام» للشاطبي (١/ ٦٢).

وقوله:

- ٦٠٢- أَثَرْتُمْ الدُّنْيَا عَلَى أَذْيَانِكُمْ      لَا خَيْرَ فِي دُنْيَا بِلَا أَذْيَانٍ  
٦٠٣- وَفَتَحْتُمْ أَفْوَاهَكُمْ وَبَطُونَكُمْ      فَبَلَعْتُمْ الدُّنْيَا بِغَيْرَتَوَانٍ  
٦٠٤- كَذَبْتُمْ أَقْوَالَكُمْ بِفِعَالِكُمْ      وَحَمَلْتُمْ الدُّنْيَا عَلَى الْأَذْيَانِ  
٦٠٥- قُرَأُوكُمْ قَدْ أَشْبَهُوا فَقَهَاءَكُمْ      فَيَّتَانِ لِلرَّحْمَنِ عَاصِيَتَانِ  
٦٠٦- يَتَكَلَّبَانِ عَلَى الْحَرَامِ وَأَهْلِهِ      فَعَلَ الْكِلَابُ بِجِيْفَةِ اللَّحْمَانِ

❖ ما زال الناظم رَحِمَهُ اللهُ يتكلم عن أهل الكلام والفلسفة وما وصلوا إليه من انحراف وإعراض عن كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله ﷺ، وقد يكون السبب في ذلك إعراضهم عن الدين وإقبالهم على الدنيا؛ ولذلك فإنك إذا أتيتهم بأي دليل من كتاب أو سنة أو أثر سلفي قابله بقواعدهم الفلسفية وآرائهم المنطقية الفاسدة، لأن قلوبهم قد أشربت البدع وعلم الكلام الذي أبعدهم عن الله وأقسى قلوبهم وأصم آذانهم وأعمى أبصارهم عن سماع ورؤية الحق فافتتن فقهاؤهم وقراؤهم بالتكالب على الدنيا ومزاحمة أهلها وإيثارها على الآخرة والدين، فإذا وصل المرء إلى هذه الحال فلا خير في حياته.

ولاخير في عيش امرء لم يكن له      من الله في دار القرار نصيب

وقال آخر:

حياة بلا علم حياة ذميمة      وعلم بلا تقوى كلام مضيع

يقول الله تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصيبٍ﴾ [التَّوْبَةِ: ٢٠]، وقال سُبحَانَهُ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الْإِنشَاء: ١٦-١٧].

وقوله:

٦٠٧- يَا أَشْعَرِيَّةُ هَلْ شَعَرْتُمْ أَنَّنِي رَمَدُ الْعُيُونِ وَحِكَّةُ الْأَجْضَانِ  
٦٠٨- أَنَا فِي كُبُودِ الْأَشْعَرِيَّةِ قَرَحَةٌ أَرِئُو فَأَقْتُلْ كُلَّ مَنْ يَشْنَانِي

هذا مثل ما تقدم من أن مقصود الشيخ ليس هو التفاخر ولا التعالي وإنما مقصوده الرد على هؤلاء لأنهم أعرضوا عن الكتاب والسنة فقال: إنني قذئ في أعينكم وشوكة في جفونكم فلتستعدوا للنزال إن كنتم صادقين يا من تركتم كتاب الله وراءكم ظهرًا وأقبلتم على علم الكلام والفلسفة الذي أضلكم وأعمى قلوبكم وأبصاركم.

ويشبه نفسه رَحْمَةُ اللَّهِ وكونه يقرعهم بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بالقرحة التي تكبر في البطن شيئًا فشيئًا حتى تقضي على صاحبها. والمقصود أنه قد وفقه الله وأعانه ليزيف أقوالهم وليدحض شبههم التي يلبسون بها على العامة.

ويقول: إنني دمغتم بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة من الكتاب والسنة حتى قلبت أركانكم رأسًا على عقب؛ فالذي تحتجون به يعود حجة عليكم، والشبه التي تتعلقون بها هي عليكم لا لكم.

ويقول: إن الله عَزَّجَلَّ بناء على وعده أن ينصر عباده المؤمنين وأن ينجي عباده المخلصين، فمهما كاد المتكلمون لأتباع السلف فإنهم سيوؤون بالخسران حتى إذا كان لهم صولة وجولة في فترة من الفترات فإن نهايتهم ستكون وخيمة، إذ أن العاقبة للمتقين.

وقوله:

٦١٢- وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُهِيمِنِ دَائِمًا حَمْدًا يُلَقِّحُ فِطْنَتِي وَجَنَانِي  
 \* يحمده الله سبحانه وتعالى الذي يلهمه الصواب؛ لأن من توكل على الله كفاه: ﴿وَمَنْ  
 يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

ومن اعتمد على هدي الكتاب والسنة فإنه لا يمكن لأحد أن يقف في طريقه أبدًا  
 ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

٦١٣- أَحْسِبْتُمْ يَا أَشْعَرِيَّةُ أَنَّنِي  
 ٦١٤- أَفْتُسِّرَ الشَّمْسُ الْمُضِيئَةُ بِالسُّهَا  
 ٦١٥- عَمْرِي لَقَدْ فَتَشْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ  
 ٦١٦- أَحَضَرْتُكُمْ وَحَشَرْتُكُمْ وَقَصَدْتُكُمْ  
 ٦١٧- أَزَعَمْتُمْ أَنَّ الْقُرْآنَ عِبَارَةٌ  
 ٦١٨- إِيْمَانُ جِبْرِيلَ وَإِيْمَانُ الَّذِي  
 ٦١٩- هَذَا الْجَوْيْهَرُ وَالْعُرِيضُ بِزَعْمِكُمْ  
 ٦٢٠- مَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَعْرِفْهُمَا  
 ٦٢١- أَفْمُسْلِمٌ هُوَ عِنْدَكُمْ أَمْ كَافِرٌ  
 ٦٢٢- عَظَّمْتُمْ السَّبْعَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا  
 ٦٢٣- وَزَعَمْتُمْ أَنَّ الْبَلَاغَ لِأَحْمَدٍ  
 ٦٢٤- هَذِي الشَّقَاشِقُ وَالْمَخَارِقُ وَالْهَوَى  
 ٦٢٥- سَمَّيْتُمْ عِلْمَ الْأُصُولِ ضَلَالَةً  
 مِمَّنْ يُقَعِّقُ خَلْفَهُ بِشْنَانٍ  
 أَمْ هَلْ يُقَاسُ الْبَحْرُ بِالْخُلْجَانِ  
 حُمُرًا بِلَا عَنَنْ وَلَا أَرْسَانِ  
 وَكَسَرْتُكُمْ كَسْرًا بِلَا جُبْرَانِ  
 فَهُمَا كَمَا تَحْكُونَ قُرْآنَانِ  
 رَكِبَ الْمَعَاصِيَ عِنْدَكُمْ سَيَّانِ  
 أَهْمَا لِمَعْرِفَةِ الْهُدَى أَضْلَانِ  
 وَأَقْرَبَ الْإِسْلَامِ وَالْفُرْقَانِ  
 أَمْ عَاقِلٌ أَمْ جَاهِلٌ أَمْ وَانٍ  
 وَالْعَرْشُ أَخْلِيْتُمْ مِنَ الرَّحْمَنِ  
 فِي آيَةٍ مِنْ جُمَلَةِ الْقُرْآنِ  
 وَالْمَذْهَبُ الْمُسْتَحْدَثُ الشَّيْطَانِي  
 كَاسِمُ النَّبِيِّ لِحَمْرَةِ الْأَدْنَانِ



٦٢٦- وَنَعَتْ مَحَارِمُكُمْ عَلَى أَمْثَالِكُمْ وَاللَّهُ عَنْهَا صَانِي وَحَمَانِي  
٦٢٧- إِنِّي اغْتَصَمْتُ بِحَبْلِ شَرَعِ مُحَمَّدٍ وَعَضَضْتُهُ بِنَوَاجِدِ الْأَسْنَانِ

❖ يقال: يقعق خلفه بالشنان لمن ضعف عقله، وغالبًا يستخدم في حق المجانين عندما يؤذيهم الأطفال ويقعقعون خلفهم بالشنان، والشنان جمع شنة، وهي القربة اليابسة البالية. فيقول: أنا لست من ضعاف العقول الذين تهزؤون بهم وتقعقعون خلفهم بالشنان والقرب، وتضحكون عليهم، وتلبسون عليهم بشبه وقواعد ما أنزل الله بها من سلطان، ومن ذلك قولكم: لو كان كذا لكان كذا، ولو كان كذا لكان كذا وكذا....؛ لأنني أتكلم من منطق متين، وآوي إلى ركن شديد، على نور من الله.

وقوله:

٦١٤- أَفْتُسْتَرُ الشَّمْسُ الْمُضِيئَةَ بِالسَّهَا أَمْ هَلْ يُقَاسُ الْبَحْرُ بِالْخُلْجَانِ

❖ السَّهَا<sup>(١)</sup>: كوكب خافت الضوء، والشمس معروفة، والخليج: الفرع الممتد من البحر.

يقول: إنه لا يمكن أن تقارن الشمس بالسها ولا يمكن أن يقارن الصبح بالدجى ولا يمكن أن يقارن الثرى بالثريا ولا يمكن أن يقارن البحر بالخليج؛ يعني: أن النصوص من الكتاب والسنة البينة الواضحة لا يمكن سترها ولا ردها بحجج أهل الكلام الواهية وآرائهم الضعيفة الكاسدة.

إِذَا عَيَّرَ الطَّائِي بِالْبَخْلِ مَادَرٍ وَعَيَّرَ قَسَا بِالْفَهَاهَةِ بِاِقْلٍ

(١) في «لسان العرب» (٤٠٦/١٤): السَّهَا: كَوْكَبٌ صَغِيرٌ خَفِيَ الضَّوُّ فِي بَنَاتِ نَعَشِ الْكِبَرِ وَالنَّاسِ يَمْتَحِنُونَ بِهِ أَبْصَارَهُمْ يُقَالُ إِنَّهُ الَّذِي يُسَمَّى 'أَسْلَمَ' مَعَ الْكَوْكَبِ الْاَوْسَطِ مِنْ بَنَاتِ نَعَشٍ وَفِي الْمَثَلِ أَرِيهَا السَّهَا وَتَرَيْنِي الْقَمَرَ.

وقال السهلي للشمس أنت ضئيلة  
وطاولت الأرض السماء سفاهة  
فيا موت زُرْ إِنَّ الْحَيَاةَ ذَمِيمَةٌ  
وقال الدجى للصبح لونك حائل  
وفاخرت الشهب الحصى والجنادل  
ويا نفس جدِّي إِنَّ دَهْرَكَ هَازِلٌ<sup>(١)</sup>

ومن شعر القاضي عبد الوهاب البغدادي:

متى تصل العطاش إلى ارتواء  
وإن ترفع الوضعاء يوما  
إذا استوت الأسافل والأعالي  
إذا استقت البحار من الركايا  
على الرفعاء من إحدى البلايا  
فقد طابت منادمة المنايا

وقوله:

٦١٥- عُمْرِي لَقَدْ فَتَشْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ حُمْرًا بِلَا عَنَنِ وَلَا أَرْسَانِ

❦ يقول رَحِمَهُ اللهُ: إنه بسبب إعراضكم عن الكتاب والسنة فالذي يخبركم ويفتش عن حقيقتكم يجد أنكم كالحمر التي ليس لها أزمة تقاد بها ولا خطم تكبح جماحها؛ فشبههم بالحمر، وقد شبه الله الكفار بالحمر المستنفرة: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنَفِرَةٌ ۖ تَفْرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ [الأنعام: ٥١]؛ فالذي يدين بعلم الكلام ويعرض عن الوحي يكاد يكون كالحمار يحمل أسفارا، ويستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

وقوله:

٦١٦- أَحْضَرْتُكُمْ وَحَشَرْتُكُمْ وَقَصَدْتُكُمْ وَكَسَرْتُكُمْ كَسْرًا بِلَا جُبْرَانِ

❦ يقول: إنه جمع مقالاتهم وردّها وقضى عليها فكسرها كسرا لا يكون بعده جبران كالقلوب إذا تنافرت؛

إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا تَنَافَرَ وَدَّهَا شَبَّهَ الزُّجَاجَةَ كَسْرُهَا لَا يُشْعَبُ

(١) «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد (١/ ٤٥٤).

لأنه ليس عندهم حجة ولا برهان يعتمد فكانت حججهم أوهى من بيت العنكبوت.

وقوله:

٦١٧- أَرَعَمْتُمْ أَنَّ الْقُرْآنَ عِبَارَةٌ فَهُمَا كَمَا تَحْكُونُ قُرْآنَانِ

✽ الأشعرية والماتريدية هم القائلون: إن القرآن عبارة أو حكاية عن كلام الله؛ إذ أن كلام الله عندهم هو الكلام النفسي.

وعليه فكأنهم بهذا يقولون بأن هناك قرآنين: قرآن في نفس الله وهو الكلام القائم بالنفس وقرآن يعبر به عن ذلك وهو الذي بين أيدينا.

فيا ترى من الذي عبر عن الله سُبْحَانَهُ؟ أهو جبريل أم محمد ﷺ؟ أم أنهم يهذون بكلام لا يعلمون حقيقة ما يترتب عليه من اللوازم الفاسدة - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً -.

وقوله:

٦١٨- إِيْمَانُ جِبْرِيلٍ وَإِيْمَانُ الَّذِي رَكِبَ الْمَعَاصِي عِنْدَكُمْ سَيِّانٍ

✽ يقول عن المرجئة الأشاعرة عندما تقولون إن الإيمان هو مجرد التصديق، فإنه حيثئذ لا فرق عندكم بين إيمان جبريل وإيمان أفسق الناس، وبين إيمان أبي بكر وإيمان أفجر الناس...

يعني أنكم تسوون بين الإيمان المطلق ومطلق الإيمان، فلا فرق عندكم والحال هذه بين المطيع والعاصي، وهؤلاء هم المرجئة الذين يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع

مع الكفر طاعة؛ وهذه هي عقيدة الأشعرية والماتريدية وقبلهم الجهمية، فاستحل غلاتهم بذلك المعاصي واستباحوا المحرمات.

وقوله:

٦١٩- هَذَا الْجَوْيْهَرُ وَالْعَرِيضُ بِزَعْمِكُمْ  
٦٢٠- مَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَعْرِفْهُمَا  
٦٢١- أَفَمُسْلِمٌ هُوَ عِنْدَكُمْ أَمْ كَافِرٌ  
٦٢٢- عَطَلْتُمْ السَّبْعَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا  
٦٢٣- وَزَعَمْتُمْ أَنَّ الْبَلَاحَ لِأَحْمَدٍ  
٦٢٤- هَذِي الشَّقَاشِقُ وَالْمَخَارِقُ وَالْهَوَى  
٦٢٥- سَمَيْتُمْ عِلْمَ الْأُصُولِ ضَلَالَةً  
٦٢٦- وَنَعَتَ مَحَارِمَكُمْ عَلَى أَمْثَالِكُمْ  
أَهْمَا لِمَعْرِفَةِ الْهُدَى أَضْلَانٍ  
وَأَقْرَبِ الْإِسْلَامِ وَالْفُرْقَانِ  
أَمْ عَاقِلٌ أَمْ جَاهِلٌ أَمْ وَإِ  
وَالْعَرْشَ أَخْلَيْتُمْ مِنَ الرَّحْمَنِ  
فِي آيَةٍ مِنْ جُمْلَةِ الْقُرْآنِ  
وَالْمَذْهَبُ الْمُسْتَحْدَثُ الشَّيْطَانِي  
كَاسْمِ النَّبِيذِ لِحُمْرَةِ الْأَذْنَانِ  
وَاللَّهُ عَنْهَا صَانِي وَحَمَانِي

✽ يشير رَحْمَةُ اللَّهِ إِلَى 'بعض مصطلحات أهل الكلام، ومن ذلك: الجوهر والعرض اللذان هما أصل كل شيء عندهم.

والجواهر: هو الجسم الذي يقوم بنفسه. والعرض: هو ما يقوم بغيره ولا يقوم بنفسه.

فمن كلامهم المرتب على هذه الاصطلاحات الخبيثة: أن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل ولا فوق ولا تحت ولا جوهر ولا عرض... إلخ، ويزعمون بهذا أنهم يريدون التنزيه، وإنما وقعوا بذلك أولاً في التشبيه حيث ظنوا أن صفات الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تشبه صفات خلقه. فلما وقعوا في ذلك وجدوا أنفسهم

مضطرين إلى التعطيل، ثم إنهم لما تبين لهم أن التعطيل قد يؤخذ عليهم لأنه لا مدح فيه ولا كمال لجأوا إلى التأويل - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - .

ويقول الناظم ملزماً إياهم: رأيتم من تقدم من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم ممن لم يعرف الجوهر ولا العرض ولا غيرهما من مصطلحاتكم، هل كانوا مسلمين عندكم أم كفارا؟ أم علماء عندكم أم جهالا؟ أم كانوا متوانين عن الوصول إلى الحق بزعمكم لكونهم لم يعلموا المصطلحات المنطقية.

وقوله:

٦٢٢- عَطَلْتُمْ السَّبْعَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا وَالْعَرْشَ أَخْلَيْتُمْ مِنَ الرَّحْمَنِ

✽ يقول: إنكم عطلتم السبع السماوات العلا التي ذكر الله أنه فوقها جميعاً، بل فوق عرشه سُبْحَانَهُ وزعمتم أن الله لم يستو على عرشه، وأنه ليس في العلو، وعبر عن ذلك بقوله: «والعرش أخليتكم من الرحمن»، يعني: أنكم كذبتكم القرآن من حيث تشعرون أولاً تشعرون، حيث جاءت أدلة الاستواء في سبعة مواضع من القرآن، ويقال لكم والحال هذه: إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل.

وقوله:

٦٢٣- وَزَعَمْتُمْ أَنَّ الْبَلَاحَ لِأَحْمَدٍ فِي آيَةٍ مِنْ جُمْلَةِ الْقُرْآنِ

✽ يعني: أعرضتم عن آيات القرآن وتمسكتم بالقواعد الفلسفية والمنطقية، وتدعون أنكم تنزهون الله وتدعون أنكم تؤمنون بـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ولكنكم عطلتم ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. مع أن الآية التي تدعون أنكم تستدلون بها عندما تعطلون صفات الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أُولَها تستدلون به بينما تعطلون آخرها، فآمنوا

بالآية كلها، أما أن تؤمنوا بصدورها وتكفروا بآخرها، فهذا لا يعقل؛ فالذي قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ هو الذي قال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، والذي قال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [يونس: ٦٥] هو الذي قال: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وهو الذي قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، وهو الذي قال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ ① و﴿بَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧]. فلا تؤمنوا ببعض الكتاب وتكفروا ببعض.

وقوله:

٦٢٤- هَذِي الشَّقَاشِقُ وَالْمَخَارِقُ وَالْهَوَىٰ وَالْمَذْهَبُ الْمُسْتَحْدُثُ الشَّيْطَانِي

يعني هذا الذي تدعون إليه يا أهل الكلام والفلسفة، لا يعدو أن يكون شقشقة في الكلام ومخاريق واتباعا للهوى ومذهبا شيطانيا ينتزه عنه العقلاء:

أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم وشقشقة الكلام أصلاً من شقشقة الطيور ويتوسع فيها فيقال للذي يكثر الكلام دونها فائدة إنه يشقشق، المخاريق والحماقات والكلام العاري عن الحجة والدليل.

لكل داء دواء يستطب له إلا الحماقة أعييت من يداويها فيقول: إن هؤلاء حمقى وإلا لما رغبوا عن هدي الكتاب والسنة واستعاضوا عنه بالمنطق والفلسفة.

عن سالم بن عبد الله قال سمعت عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خيراً له من أن يمتلئ شعراً» ①.

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» [٦١٥٤]، وأحمد [٤٩٧٥].

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: «والله الذي لا إله غيره لأن ألقى الله بعمل غير الشرك أحب إلي من أن ألقاه بعلم الكلام».

وقوله:

٦٢٥- سَمَيْتُمْ عِلْمَ الْأُصُولِ ضَلَالَةً كَاسْمِ النَّبِيذِ لِخَمْرَةِ الْأَذْنَانِ

✽ يقول إنكم ترون الهدى 'ضلالا' والضلal هدى فتسمون الأشياء بغير اسمها ياعراضكم عن مصادر التشريع إلى الأصول الفلسفية، معتبرين أنه طريق الهدى وهو محض الضلال كمن يستحل الخمر فيشربها ويسميها بغير اسمها، وهذا دليل على انتكاس الفطرة عندكم وانعكاس المفاهيم ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [فَاطَةُ: ٨].

يقضى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن ✽ لذلك تجد أهل البدع يعرضون عن السنة، وقد يسمونها بدعة ويغرقون في البدع ويعتبرونها سنناً، فكلما أوغلوا في ارتكاب البدع تركوا من السنن مثل ذلك - والعياذ بالله - حتى إنك في نهاية المطاف لا تجد عندهم من معالم السنن شيئاً.

يقول حسان بن عطية رَحِمَهُ اللهُ: «ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ثم لا يعيدها عليهم إلى يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

وقوله:

٦٢٦- وَنَعَتْ مَحَارِمُكُمْ عَلَى أَمْثَالِكُمْ وَاللَّهُ عَنْهَا صَانِنِي وَحَمَانِي

(١) أخرجه الدارمي في سننه (٥٨/١).

❖ يقول: من البدع التي ارتكستم فيها أن نساءكم يعينكم بأصوات منكرة وبالنياحة ولطم الخدود وشق الجيوب، ويحمد الله أن صانه وحصنه من هذه البدع والخزعات والخرافات بلزومه السنة واتباعه منهج السلف الصالح - فمن عوفي فليحمد الله -.

وقوله:

٦٢٧- إِنِّي اِعْتَصَمْتُ بِحَبْلِ شَرْعِ مُحَمَّدٍ  
 ٦٢٨- أَشَعَرْتُمْ يَا أَشْعَرِيَّةُ أَنَّنِي  
 ٦٢٩- أَنَا هُمُّكُمْ أَنَا غَمُّكُمْ أَنَا سَقْمُكُمْ  
 ٦٣٠- أَذْهَبْتُمْ نُورَ الْقُرْآنِ وَحُسْنَهُ  
 وَعَضَضْتُهُ بِنَوَاجِذِ الْأَسْنَانِ  
 طُوفَانُ بَحْرِ أَيْهَامَا طُوفَانِ  
 أَنَا سُمْكُمْ فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ  
 مِنْ كُلِّ قَلْبٍ وَإِلَيْهِ لَهْفَانِ؛

❖ أي: أنه رَحِمَهُ اللَّهُ يعتصم ويحتمي بشرع محمد ﷺ، فبه يصول وبه يجول، وهو الملجأ والركن الشديد لا غيره، من لجأ إليه فاز ونجا، ومن حاد عنه يميناً أو شمالاً انهمز وهلك.

ويشير بقوله:

٦٣٠- أَذْهَبْتُمْ نُورَ الْقُرْآنِ وَحُسْنَهُ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ وَإِلَيْهِ لَهْفَانِ

❖ إلى أن من يعتقد أن القرآن حكاية أو عبارة عن كلام الله وشطح عن الحق في ذلك لا يمكن له أن يتلذذ بكلام الله ولا أن يشتاق إلى سماعه وقراءته؛ لأن القرآن ليس كلام الله في الحقيقة عنده - والعياذ بالله - والنبی ﷺ يقول: «إني أحب أن أسمع من غيري»... الْحَدِيثُ، ويقول الله جَلَّ وَعَلَا منوها ومادحا لمن يتأثر بسماع القرآن: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [الْمَائِدَةُ: ٨٣].



قال الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللهُ:

كفى وحسبك بالقرآن معجزة  
لم يعتره قط تبديل ولا غير  
مهيمننا عربيا غير ذي عوج  
لم تلبث الجن إذ أصغت لتسمعه  
الله أكبر ما قد حاز من عبر  
والله أكبر إذ أعيت بلاغته  
كم ملحد رام أن يبدي معارضة  
أنى وكيف ورب العرش قائله  
ما كان خلقا ولا فيضا تصوره  
بل قاله ربنا قولاً وأنزله وحيا  
والله يشهد والأملأك شاهدة

وقوله:

٦٣١- فَوَحِّ جَبَّارٍ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى  
٦٣٢- وَوَحِّ مَنْ خَتَمَ الرِّسَالَةَ وَالْهُدَى

❦ أقسم الناظم رَحِمَهُ اللهُ بالله الذي على العرش استوى وبين أن هذا القسم قسم حق خلافا لما ذكره الجاني ممن يؤول صفات الله جَلَّ وَعَلَا أو يعطلها أو ينفيها أو يفوضها أو يشبه الله بخلقه في صفاته؛ فهو لاء كلهم جناة، سواء في ذلك المشبهة أو المعطلة.

وقوله «على العرش استوى» هو نص القرآن، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، استوى استواء يليق بجلاله وعظمته.

ثم كرر القسم بحق من ختم الرسالة بالنبي ﷺ، وهو الله عز وجل، فنبينا محمد ﷺ هو الذي ختمت به الرسالات؛ ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الاحزاب: ٤٠]، وقال رسول الله ﷺ: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي»<sup>(١)</sup>.

وقوله: «فرها به الحرمان» أي: أن الحرمين الشريفين ازدانا برسول الله ﷺ، فقد أم بهما وتعبد الله فيهما فازدادا جمالا على جمال بذلك.

وقوله:

٦٣٣- لَأَقْطَعَنَّ بِمِعْوَلِي أَعْرَاضَكُمْ مَا دَامَ يَصْحَبُ مُهْجَتِي جُثْمَانِي  
هذا جواب القسم لأنه أقسم بالله أيما مغلظة: لأقطعن أوصالكم ما دامت روعي في جسدي.

والمقصود بكلامه هذا، أي: لأقطعن كلامكم وآراءكم بدمغها بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

وقوله:

٦٣٤- وَلَاهْجُونَكُمْ وَأَثْلِبُ حِرْزَكُمْ حَتَّى تُغَيِّبَ جُثَّتِي أَكْفَانِي  
معطوف على جواب القسم؛ يقول: لأشتغلن بهجائكم ولأشتغلن بتصحيح آراءكم حتى تفارق روعي جسدي وحتى أكفن بأكفاني وأدفن في قبري.

(١) أخرجه البخاري [٣٤٥٥]، ومسلم [١٨٤٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والمقصود أنه سيستمر في الرد عليهم، وليس المراد بالهجو مجرد السب هنا وإن كان هجاء الكفار والمبتدعة يجوز إذا لم يترتب عليه مفسدة أعظم. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

وقوله:

٦٣٥- وَلَا هَتِكَنَ بِمَنْطِقِي أَسْتَارَكُمْ      حَتَّىٰ أَبْلُغَ قَاصِيًا أَوْ دَانِي  
٦٣٦- وَلَا هُجُونَ صَغِيرَكُمْ وَكَبِيرَكُمْ      غَيْظًا لِمَنْ قَدْ سَبَّنِي وَهَجَانِي

❖ أيضًا يقول إنه سيهتك عوارهم ويكشف مخازيهم بالرد عليهم ودحض شبههم وبيان الحق بدليله. لا فرق عنده في ذلك بين صغيرهم وكبيرهم إذ الكل سادر في الضلال لإيذائهم لأهل السنة وإعراضهم عن قبول الحق.

يقول: بما أنكم سببتموني من أجل نصرتي لدين الله ونصرتي لتوحيد الله عَزَّوَجَلَّ وإثبات أسمائه وصفاته فلا هجون صغيركم وكبيركم ببيان الحق بدليله وبدحض شبهكم وبقمع بدعكم وبإحياء السنة التي تقمع بها بدعكم التي أحدثتموها في دين الله. والنبى ﷺ أذن لحسان بهجاء المشركين وكذلك الحال في المبتدعة إذا لم يترتب عليه فتنة، بل قد يتعين ذلك لإيقافهم عند حدهم وليحذر المسلمون شرهم.

وقوله:

٦٣٧- وَلَا نُزِلَنَّ بِكُمْ أَلِيمَ صَوَاعِقِي      وَلَتُخْرِقَنَّ كُبُودَكُمْ نِيرَانِي

❖ كل هذا كما تقدم يعني به رد شبههم بالكتاب والسنة وإقامة الأدلة والبراهين القاطعة التي تقطع أوصال شبههم.

وقوله:

٦٣٨- وَلَا قُطْعَنَ بِسَيْفٍ حَقِّي زُورَكُمْ وَلِيُخْمِدَنَّ شُوَاطِكُمْ طُوفَانِي

❖ أيضًا كذلك عبر بهذه العبارة العظيمة؛ يقول: إني أقطع بسيفي - أي: بلساني - زوركم وبهتانكم؛ فهو يشبه دمه للباطل بالطوفان الذي يطفئ النيران معها عظمت.

وقوله:

٦٣٩- وَلَا قَصِدَنَّ اللَّهُ فِي خِذْلَانِكُمْ وَلِيَمْنَعَنَّ جَمِيعَكُمْ خِذْلَانِي

❖ هذا كله رجاء في الله تبارك وتعالى لأنه يبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، لذلك فإنه واثق من نصر الله له وخذلان أعدائه من أهل الكلام، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الزمر: ٤٧].

وقال سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٤٧].

ويقول النبي ﷺ: «لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك»<sup>(١)</sup>.

وقوله:

٦٤٠- وَلَا حَمِلَنَّ عَلَى عُتَاةٍ طُغَاتِكُمْ حَمَلَ الْأُسُودِ عَلَى قَطِيعِ الضَّانِ

٦٤١- وَلَا زَمِيَنَّكُمْ بِصَخْرٍ مَجَانِقِي حَتَّى يَهْدَّ عُتُوكُمْ سُلْطَانِي

❖ فهو في معنى ما تقدم، يقول: سوف أحمل عليكم بكل ما آتاني الله من قوة وبرهان حتى أقضي على باطلكم كما تقضي الأسود على الضأن والغنم.

(١) أخرجه البخاري [٣٥٣٢]، ومسلم [٢٣٥٤] من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

وقوله:

٦٤٢- وَلَا كُتِبَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا الْبَلَادُ بِسَبِّكُمْ فَيَسِيرُ سَيْرَ الْبُزْلِ بِالرُّكْبَانِ  
 ﴿سأُرسل إلى جميع الأمصار والأقطار بفضيحتكم وتسفيه عقولكم وآرائكم  
 بما وقعتم فيه من تأويل لصفات الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى وخوض في الإيثار بلا دليل ولا برهان  
 حتى يسير به الركبان في كل مكان فيدحض ما أضللتكم به الناس.  
 والبزل: جمع بازل، وهو الجمل الكبير القوي.

قال الشاعر:

عذرت البزل إذ هي صاولتني فما بالي وبال ابن اللبون<sup>(١)</sup>  
 وقوله:

٦٤٣- وَلَا دُحِضَنَّ بِحُجَّتِي شُبُهَاتُكُمْ حَتَّى يُغَطِّيَ جَهْلُكُمْ عِرْفَانِي  
 ﴿نعم! لأن الإسلام يعلم ولا يعلم ولا يعلم ولا يعلم، والحق أبلج، والباطل لجلج،  
 فإذا أقمت عليكم الحجة فعندها تنهد قواعدكم من البنيان، وشبهكم من الأساس حتى تبدد  
 تلك الشبه فتصبح سرايا بقية أو هباء تذرؤه الرياح.

وقوله:

٦٤٤- وَلَا غَضَبَنَّ لِقَوْلِ رَبِّي فِيكُمْ غَضَبَ النُّمُورِ وَجُمَلَةِ الْعُقْبَانِ  
 ﴿يقول: لأغضبن الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى حتى أبدد آراءكم الفاسدة. وإن من أوثق عرى  
 الإسلام - كما تقدم - الحب في الله والبغض في الله.

(١) «معاهد التنصيص على شواهد التلخيص» (١/ ٣٤٠).

وشبه شدة غضبه الله عزَّجَلَّ بغضب أعتى الكواسر والجوارح من السباع والطيور.

وقوله:

٦٤٥- وَلَاضْرِبَنَّكُمْ بِصَارِمٍ مِقُولِي ضَرْبًا يُزْعِزُ أَنْفُسَ الشُّجْعَانِ  
٦٤٦- وَلَاسْعِطَنَّ مِنَ الْفُضُولِ أَنْوَفَكُمْ سَعْطًا يُعْطَسُ مِنْهُ كُلُّ جَبَانٍ

المقول هنا: هو اللسان، والمقصود بذلك: أنني سأحمل عليكم بها وهبني الله من الآيات القاطعة والبراهين الساطعة حتى أقضي على جميع معتقداتكم الفاسدة.

وقوله:

٦٤٧- إِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ عِنْدَ قِتَالِكُمْ لَمْحِكُمْ فِي الْحَرْبِ ثَبَتَ جَنَانٍ  
٦٤٨- وَإِذَا ضَرَبْتُ فَلَا تَخِيبُ مَضَارِيي وَإِذَا طَعَنْتُ فَلَا يَرُوغُ طِعَانِي  
٦٤٩- وَإِذَا حَمَلْتُ عَلَى الْكُتَيْبَةِ مِنْكُمْ مَزَقْتُهَا بِلَوَامِعِ الْبُرْهَانِ  
٦٥٠- الشَّرْعُ وَالْقُرْآنُ أَكْبَرُ عُدَّتِي فَهَمَا لِقَطْعِ حِجَاكِكُمْ سَيْفَانِ  
٦٥١- ثَقَلَا عَلَى أَبْدَانِكُمْ وَرُءُوسِكُمْ فَهَمَا لِكَسْرِ رُءُوسِكُمْ حَجَرَانِ  
٦٥٢- إِنْ أَنْتُمْ سَأَلْتُمْ سُؤْلَتُمْ وَسَلِمْتُمْ مِنْ حَيْرَةِ الْخِذْلَانِ  
٦٥٣- وَلَكِنْ أَبَيْتُمْ وَاعْتَدَيْتُمْ فِي الْهَوَىٰ فَنِضَالُكُمْ فِي ذِمَّتِي وَضْمَانِي

✽ بين الناظم رحمه الله أنه عند مجادلته للمبتدعة رابط الجأش، ثابت الجنان؛ لأنه إنما يقرع شبههم الواهية بأعظم حجة وأبلغ برهان وأفضل دليل وأقوى ركن، وهو الوحي: كتاب الله عزَّجَلَّ وسنة رسوله ﷺ.

ومن كان هذا أساس دعوته فهو المنتصر بحول الله وقوته، ومن حاد عن هذا القليل ضلَّ السبيل، وجانب الدليل، وخالف التنزيل، ووقع في حبال الشياطين التي

تؤزه أزا؛ ولذا تجدهم في أمر مريج، وشقاق بعيد، واختلاف عظيم، قَالَ عَالِي: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

أما من اعتصم بحبل الله المتين، وصراطه المستقيم، وسلك سبيل المؤمنين، وسار على الجادة التي هي منهج الأنبياء والمرسلين فإنه المنصور بإذن الله تَعَالَى عاجلاً أو آجلاً: ﴿وَلْيَنْصُرَكَ اللَّهُ مِنْ نَصْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

ويقول أيضاً بأن الله يسدد سهامه وطعانه بالحق بالأدلة الصحيحة، والبراهين الدامغة: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

ويقول لهم: إذا كانت سيوفكم قال سقراط، وقال بقراط، وقال جهنم، وقال واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وقال، وقال... فإن عدتي وسيفي كتاب الله تَعَالَى وسنة رسوله ﷺ؛ ذانكم السيفان اللذان لن يغمدا، ولن يهزم من قارع وتسلح بهما.

يا ناطح الجبل العالي ليوهنه أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل وقوله:

٦٥٢- إِنْ أَنْتُمْ سَأَلْتُمْ سُؤْلَكُمْ وَسَلِمْتُمْ مِنْ حَيْرَةِ الْخِذْلَانِ  
٦٥٣- وَلَئِنْ أَبَيْتُمْ وَاعْتَدَيْتُمْ فِي الْهَوَىٰ فَنِضَالُكُمْ فِي ذِمَّتِي وَضْمَانِي

﴿يعرض رَحْمَةُ اللَّهِ عليهم خيارين: إما خيار طريق المسألة والرجوع إلى الحق، إذ الرجوع إلى الحق خير من التماسي في الباطل، وهذا خير لكم يا أيها المؤولة في دنياكم وأخراكم وعاقبة أمركم، وهو طريق إنقاذكم من حيرة التعطيل والتأويل، وإن كانت الأخرى بأن تماديتكم في العدوان والضلال؛ فاستعدوا النزال من لا طاقة لكم ولا قبل لكم به.﴾

وقوله:

- ٦٥٤- يَا أَشْعَرِيَّةُ يَا أَسَافِلَةَ الْوَرَى  
 ٦٥٥- إِنِّي لَا بُغْضُكُمْ وَأُبْغِضُ حَزْبَكُمْ  
 ٦٥٦- لَوْ كُنْتُ أَعْمَى الْمُقْلَتَيْنِ لَسَرَّنِي  
 ٦٥٧- تَغْلِي قُلُوبَكُمْ عَلَيَّ بِحَرِّهَا  
 ٦٥٨- مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ وَمُوتُوا حَسْرَةً  
 ٦٥٩- قَدْ عِشْتُ مَسْرُورًا وَمِتُّ مُحْضَرًا  
 ٦٦٠- وَأَبَاحَنِي جَنَاتِ عَدْنٍ آمِنًا  
 ٦٦١- وَلَقِيتُ أَحْمَدَ فِي الْجَنَانِ وَصَحْبَهُ  
 ٦٦٢- لَمْ أَدْخِرْ عَمَلًا لِرَبِّي صَالِحًا  
 ٦٦٣- أَنَا تَمْرَةٌ الْأَحْبَابِ حَنْظَلَةُ الْعِدَا
- ❖ الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ قسا عليهم هنا لأنهم بعدوا عن الجادة حتى صاروا في ذيل القافلة.

يقول: إنكم جئتم بأمر لم يأت به الأوائل، فصمت أذانكم عن الحق، وعميت أعينكم عن إِبْصَارِ الْهُدَى، وقست قلوبكم عن الاهتداء بهدي الكتاب والسنة، واعتمدتم على آراء الفلاسفة والمتكلمين الذين أوقعوكم في حبال الشيطان وضلالاته.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «حكمي في أهل الكلام أن يضرّبوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر والأسواق، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة إلى علم الكلام»<sup>(١)</sup>.

(١) «شرح الطحاوية»، ص: [٧٢].



ويبين رَحْمَةُ اللَّهِ أَنَّهُ يَبْغُضُ أَهْلَ الْبَدْعِ وَخَاصَّةً أَهْلَ الْكَلَامِ، وَأَنَّهُ يَمْتَلِئُ قَلْبُهُ غِيظًا عَلَيْهِمْ، وَهَذَا مِنَ الْبَغْضِ فِي اللَّهِ - وَنَحْنُ مَأْمُورُونَ بِالْحُبِّ فِي اللَّهِ وَالْبَغْضِ فِي اللَّهِ، بَلْ إِنَّ هَذَا هُوَ أَوْثَقُ عَرَى الْإِيمَانِ.

يقول النبي ﷺ: «إِنْ أَوْثَقَ عَرَى الْإِيمَانِ أَنْ تَحِبَّ فِي اللَّهِ وَتَبْغُضَ فِي اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

ويقول: إِنْ النِّظَرَ إِلَيْكُمْ لَا يَسِرُّ لِبَعْدِكُمْ عَنْ هَدْيِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ بَابِ الْبَغْضِ لِلْبَدْعِ وَأَهْلِهَا.

وإِنَّكُمْ إِنْ لَمْ تَرْتَدَّعُوا مِنْ غِيْكُمْ وَحَقْدِكُمْ وَبَغْضِكُمْ لِأَهْلِ السُّنَّةِ الَّذِي بَلَغَ حَدًّا لَا يَطَاقُ حَيْثُ تَجْهَلُونَهُمْ وَتَسْمُونَهُمْ بِالْحَشْوِيَّةِ، وَتَسْمُونَهُمْ بِالنَّابِتَةِ، وَتَسْمُونَهُمْ بِالنَّوَاصِبِ، وَبِعِلْمَاءِ الْحِيْضِ وَالنَّفَاسِ... يَقُولُ: هَذَا مِنَ الْحَقْدِ الْكَامِنِ فِي قُلُوبِكُمْ عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ، وَلَكِنْ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

مَا يَضُرُّ الْبَحْرَ أَمْسَى زَاخِرًا      أَنْ رَمَى فِيهِ غَلَامٌ بِحَجَرٍ<sup>(٢)</sup>  
وإنه لأحرى بكم قول الله تَعَالَى: ﴿قُلْ مُؤْتُوا بِغِيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾  
[الْحَجَرَاتُ: ١١٩]، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فِيمَا يَرُوهُ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتَهُ بِالْحَرْبِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الطيالسي في مسنده [٧٤٧]، وأحمد [١٨٥٤٧]، وابن أبي شيبة [٣٤٣٣٨] من حديث البراء ابن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٢٠٠٩].

(٢) «البيت ينسب» للأخطل، ديوانه: ص [٤٧٢].

(٣) أخرجه البخاري [٦٥٠٢] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم وصف الناظم رَحْمَةَ اللَّهِ قوة رجائه في الله عَزَّجَلَّ لدفاعه عن السنة وثباته على عقيدة التوحيد، فيرجو من ربه ما يرجوه كل موحد سني من السرور والحبور والفوز بالجنة والنجاة من النار كما يرجو ربه أن يجعله في كلاءته ورعايته لحفظه دين الله عَزَّجَلَّ في نفسه، والدعوة والصبر على الأذى فيه، قال رسول الله ﷺ لابن عباس: «احفظ الله يحفظك»<sup>(١)</sup>، وقوله ﷺ فيما يرويه عن الله تَعَالَى: «من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه»<sup>(٢)</sup>.

ويبين أنه يرجو الله بهذا العمل الطيب الذي هو نصر السنة وقمع البدعة أن يجمعه ربه بالنبي ﷺ وصحبه في الجنة. وهذه أمنية كل مسلم - نسأل الله أن يجعلنا وإياكم كذلك -.

ثم بين أن الله قد سلطه عليهم فهو بالنسبة للمؤمنين كالتمرة النافعة التي يطيب أكلها، وللمبتدعة والمعتدين كالحنظلة الضارة التي لا تستساغ. والمقصود بذلك أنه يحمد الله عَزَّجَلَّ أن جعله ناصر الدين معرضاً عن البدع وأهلها، رادا لشبهاتهم وقامعا لأباطيلهم ومقيما للحجة عليهم.

(١) تقدم تخريجه في ص: [١٠٨].

(٢) تقدم تخريجه في ص: [٤٠٩].

وفي الآيات الإشارة إلى الحديث في وصف المؤمن الموحد والمنافق، قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر»<sup>(١)</sup>.



(١) أخرجه البخاري [٦٥٠٢] من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

## اعتزاز الناظم بقومه في نصرة دين الله عز وجل

- ٦٦٤- وَأَنَا الْمُحِبُّ لِأَهْلِ سُنَّةِ أَحْمَدٍ      وَأَنَا الْأَدِيبُ الشَّاعِرُ الْقَحْطَانِي
- ٦٦٥- سَلَّ عَنْ بَنِي قَحْطَانَ كَيْفَ فَعَالَهُمْ      يَوْمَ الْهَيَاجِ إِذَا التَّقَى الزَّحْفَانِ
- ٦٦٦- سَلَّ كَيْفَ نَثَرَهُمُ الْكَلَامَ وَنَظْمَهُمْ      وَهُمَا لَهُمْ سَيْفَانِ مَسْلُولَانِ
- ٦٦٨- نُصِرُوا بِالسِّنَةِ حِدَادٍ سَلَّقِ      مِثْلَ الْأَسِنَّةِ شُرْعَتِ لَطْعَانِ
- ٦٦٩- سَلَّ عَنْهُمْ عِنْدَ الْجِدَالِ إِذَا التَّقَى      مِنْهُمْ وَمِنْ أَضْدَادِهِمْ خَصْمَانِ
- ٦٧٠- نَحْنُ الْمُلُوكُ بَنُو الْمُلُوكِ وَرِاثَةٌ      أَسْدُ الْهَيَاجِ وَأَبْحَرُ الْإِحْسَانِ
- ٦٧١- لَا قَوْمُنَا بَخْلًا وَلَا بِأَذَلَّةٍ      عِنْدَ الْحُرُوبِ وَلَا النَّسَا بِزَوَانِ

❖ قال رسول الله ﷺ: «المرء مع من أحب»<sup>(١)</sup>، وقال: «المرء على دين خليله»<sup>(٢)</sup>؛ فهو يقول: إنني محب لأهل السنة، ناصر لهم وأنا فخور بذلك، وهذا فخر وعزلي في الدنيا والآخرة، وأنه سلق اللسان وشاعر ألهمه الله تَعَالَى قول الحق وقمع الباطل.

ويشير رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى جهوده وجهود قومه في الذب عن السنة، ويفخر بذلك فخر المؤمن المعتز بدينه حيث ينصره الله بنصره للدين ﴿وَلَيَنْصُرَكَ اللَّهُ مَنِ يَنْصُرُهُ﴾ إِنَّكَ اللَّهُ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿[الفتح: ٤٠].

ومما يروى أن النبي ﷺ سمع النابغة الجعدي يقول:

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدَنَا وَسَنَاوْنَا      وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا

(١) تقدم تخريجه في ص: [١٧].

(٢) تقدم تخريجه في ص: [١٧].

فقال النبي ﷺ: «لا يفضض الله فاك»، فعُمر طويلاً ولم تسقط له سن.  
وقال له: «إلى أين يا أبا ليلى؟» قال: «إلى الجنة»<sup>(١)</sup>، وأقره ﷺ على ذلك، وقال:  
إن شاء الله.

وكان حسان يفاخر بنفسه وقبيلته في ذبهم عن دين الله عز وجل، وكل ذلك في ذات الله  
عز وجل كقوله:

لساني صارم لا عيب فيه ويحري لا تكدره الدلاء

بل إن النبي ﷺ قال: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»<sup>(٢)</sup>،  
ولا علاقة لهذا بالفخر بالأنساب الجاهلي المذموم.



(١) أخرجه ابن قانع في «المعجم» (٢/ ٣٤٥)، وابن عساكر في تاريخه [٧٣٠٢].

(٢) أخرجه البخاري [٢٨٧٤]، ومسلم [١٧٧٦] من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

بِدَعَا وَأَهْوَاءَ بِلَا بُرْهَانٍ  
مِنْ شَاعِرٍ ذَرَبِ اللِّسَانِ مُعَانٍ  
فَكَأَنَّ جُمْلَتَهَا لَدَيَّ عَوَانٍ  
كَالصَّخْرِ يَهْبِطُ مِنْ ذُرَى كَهْلَانٍ  
هَتَكَتْ سَتُورَكُمْ عَلَى الْبُلْدَانِ  
تَرَكَتْ رُءُوسَهُمْ بِلَا آذَانٍ  
فَكِلَاهُمَا مُلْقَانِ مُخْتَلِفَانِ  
ضُرِبَتْ لِفَرْطِ ضِدَاعِهَا الصُّدْغَانِ  
صَابَ وَفِي الْأَجْسَادِ كَالسَّعْدَانِ  
أَوْ تَمَرٍ يَثْرَبُ ذَلِكَ الصَّيْحَانِ

٦٧٢- يَا أَشْعَرِيَّةُ يَا جَمِيعَ مَنْ ادَّعَى  
٦٧٣- جَاءَتْكُمْ سُنِّيَّةٌ مَأْمُونَةٌ  
٦٧٤- خَرَزَ الْقَوَافِي بِالْمَدَائِحِ وَالْهَجَا  
٦٧٥- يَهْوِي فَصِيحُ الْقَوْلِ مِنْ لَهَوَاتِهِ  
٦٧٦- إِنِّي قَصَدْتُ جَمِيعَكُمْ بِقَصِيدَةٍ  
٦٧٧- هِيَ لِلرُّوَافِضِ دِرَّةٌ عُمَرِيَّةٌ  
٦٧٨- هِيَ لِلْمُنَجِّمِ وَالطَّبِيبِ مَنِيَّةٌ  
٦٧٩- هِيَ فِي رُءُوسِ الْمَارِقِينَ شَقِيقَةٌ  
٦٨٠- هِيَ فِي قُلُوبِ الْأَشْعَرِيَّةِ كُلِّهِمْ  
٦٨١- لَكِنْ لِأَهْلِ الْحَقِّ شَهْدًا صَافِيًا

❖ هنا كرّر على الأشعرية مرّة أخرى لرد باطلهم وحملهم على الحق والسنة، ويقول:  
إنكم قد ارتكستم في البدع فسلط الله عليكم قوارع أهل السنة وألستهم.

وقوله:

٦٧٤- خَرَزَ الْقَوَافِي بِالْمَدَائِحِ وَالْهَجَا      فَكَأَنَّ جُمْلَتَهَا لَدَيَّ عَوَانٍ

❖ يقول: إن الله عزّ وجلّ سخر له القوافي، وفعلا سخر له القوافي في نصره السنة،  
وهذا من فضل الله، فقد يكون الجهاد باللسان وقد يكون بالبيان وقد يكون بالقلم.

قال أحد النظام:

جهاد قلب وجهاد باليد      وبلسانك وبالمهند

وقوله: «يهوي فصيح القول من لهواته كالصخر يهبط من ذرى كهلان».

كهلان: قبيلة مشهورة باليمن، والمقصود أنه ينحت الشعر نحتا وتتسابق إليه الكلمات الفصيحة القوية كما تهاوى الصخور التي تنحدر من الجبال عندما يجرفها السيل «كجلمود صخر حطه السيل من عل»؛ وكأننا يتمثل بقول علي بن الجهم:

أهز بالشعر أقواما ذوي وسن      في الجهل لو ضربوا بالسيف ما شعروا  
عليّ نحت القوافي من مقاطعها      وما عليّ لهم أن تفهم البقر<sup>(١)</sup>  
وقوله:

٦٧٦- إِنِّي قَصَدْتُ جَمِيعَكُمْ بِقَصِيدَةٍ      هَتَكْتُ سُتُورَكُمْ عَلَى الْبُلْدَانِ  
\* يعني: إن قصيدي هذه ردت عليكم ودحضت شبهكم فلم يبق إلا الحق لمن أراد أن يعتنقه ويسلكه ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يُونُس: ٣٢].

وقوله:

٦٧٧- هِيَ لِلرَّوَافِضِ دُرَّةٌ عُمَرِيَّةٌ      تَرَكْتُ رُءُوسَهُمْ بِلاَ آذَانٍ  
\* يبين الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ أَنَّ هذه القصيدة العظيمة التي نظمها في عقيدة السلف هي لكل من انحرف عن الجادة - وعلى رأسهم الروافض - درة عمرية.

والدرة العمرية هي عصا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التي كان يجمع بها من يخالف أمر الله جَلَّ وَعَلَا.

وهي الدرة التي يضرب بها من يخالفون أمر الله من المبتدعة وأصحاب المعاصي، وكانت مشهورة.

(١) «الزهرة» لابن داوود الأصبهاني (١/ ١٨٣).

وهي التي أدب بها صبيغا لما بلغه أنه يسأل عن المشابه؛ فبينما عمر يخطب قام فسأله عن ﴿... وَالَّذِينَ ذَرَوْا ﴿١﴾ فَأَلْحَمَاتٍ وَفَرَا﴾ [الأنبياء: ١ - ٢]، وما بعدها فنزل عمر فقال ما اسمك قال أنا عبد الله صبيغ قال عمر وأنا عبد الله عمر اكشف رأسك فكشفه فرأى عليه شعرا فقال له لو وجدتك مخلوقا لضربت الذي فيه عيناك بالسيف - لأنه لو كان خارجيا لكان مخلوق الرأس؛ لأن الخوارج سيماهم التحليق - ثم علاه بالدرة وأمر فضرب ضربا شديدا وبعث به إلى البصرة وأمرهم أن لا يجالسوه فكان بها كالبعير الأجرب لا يأتي مجلسا إلا قالوا عزمة أمير المؤمنين فتفرقوا عنه حتى تاب وحلف بالله ما بقي يجد مما كان في نفسه شيئا فأذن عمر في مجالسته <sup>(١)</sup>.

فهذه الدرة لولي الأمر ومن ينييه في إقامة حدود الله والتعزيرات الشرعية.

فهو يبين أن هذه القصيدة نقضت أصول المبتدعة؛ فهي بمثابة درة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهي تضربهم وتترك رؤوسهم كأنها بدون آذان؛ بمعنى أنها دمغت حججهم ودحضت شبههم وقوضت أركان باطلهم.

وقوله:

٦٧٨- هِيَ لِلْمُنَجِّمِ وَالطَّبِيبِ مَنِيَّةٌ      فَكَلَاهُمَا مُلْقَانِ مُخْتَلِفَانِ

﴿المنجم المقصود به الذي يتعاطى علم التأثير المحرم من نوعي علم النجوم الذي تقدم الكلام عليه. ويقصد بالطبيب: الذي يتعاطى السحر ويدعي علم الغيب وقد يطلق عليه المهندس، والمراد ليس الطبيب والمهندس المتعارف عليهما اليوم، وإنما يراد بهما في ذلك الوقت المشعوذون والدجلة والسحرة.

(١) انظر: «ذم التأويل» لابن قدامة، ص: [١٠].



وقوله:

٦٧٩- هِيَ فِي رُءُوسِ الْمَارِقِينَ شَقِيقَةٌ ضُرِبَتْ لِفَرْطِ صُدَاعِهَا الصُّدْغَانِ  
 \* الشقيقة: صداع يصيب الرأس وفي الغالب يأخذ النصف منه أو جانبه.

يقول: إن هذه القصيدة التي نظمها في الذب عن حياض الإسلام، هي بمثابة الشقيقة لأهل العقائد المنحرفة المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة، وبخاصة أهل الكلام والروافض ومن نحى' نحوهم من الطوائف الضالة.

وقوله:

٦٨٠- هِيَ فِي قُلُوبِ الْأَشْعَرِيَّةِ كُلِّهِمْ صَابٌ وَفِي الْأَجْسَادِ كَالسَّعْدَانِ  
 ٦٨١- لَكِنْ لِأَهْلِ الْحَقِّ شَهْدًا صَافِيًا أَوْ تَمْرٌ يَثْرِبَ ذَلِكَ الصَّيْحَانِي

\* يقول: إنها في قلوب من انحرف عن الجادة بمثابة مرض يضرب قلوبهم فيشققها ويُقَطِّعُهَا ويضعفها، وكشوك السعدان لأجسادهم، والسعدان شجر من أجود مراعي الإبل، له شوك قوي ملتوي؛ يضرب به المثل فيقال: مرعى' ولا كالسعدان.

لكنها لأهل السنة والحق عسلٌ صافٍ، أي: غذاء ودواء. يقول: هذه القصيدة التي سطرها لأهل الحق، لأهل السنة والجماعة والطائفة المنصورة بمثابة الشهد وهو العسل الذي يتلذذ به شاربه. وهذا تعبير عن انتفاع المؤمنين بها وكونها بلسماً لهم يشفيهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بها من أمراض القلوب؛ فلذلك شبهها بالعسل وبتمر المدينة الذين يستشفون بها.



## المنظومة وأثرها على الناس

- ٦٨٢- وَأَنَا الَّذِي حَبَّرْتُهَا وَجَعَلْتُهَا  
٦٨٣- وَنَصَرْتُ أَهْلَ الْحَقِّ مَبْلَغَ طَاقَتِي  
٦٨٤- مَعَ أَنَّهَا جَمَعَتْ عُلُومًا جَمَّةً  
٦٨٥- أَبْيَاتُهَا مِثْلُ الْحَدَائِقِ تُجْتَنَّى  
٦٨٦- وَكَأَنَّ رَسْمَ سَطُورِهَا فِي طِرْسِهَا  
مَنْظُومَةٌ كَقَلَائِدِ الْمَرْجَانِ  
وَصَفَعْتُ كُلَّ مُخَالِفٍ صَفْعَانِ  
مِمَّا يَضِيقُ لِشَرْحِهَا دِيَوَانَ  
سَمْعًا وَلَيْسَ يَمْلُحُنَّ الْجَانِي  
وَشَيْءٌ تَنْمِقُهُ أَكْفُ غَوَانَ

❦ فهو الذي جمعها وحبرها وصاغها بألفاظه الجميلة التي اختارها وشبهها بعقود المرجان المنتظمة، المتساوية في العقد، وهي كما قال.

ويقول: إنه بذل جهده في نصره الحق ونصرة الدين والعقيدة الصحيحة وأهلها والذب عنها ودحض شبه المخالفين لأهل السنة والجماعة. وعبر عن ذلك بأنه صفعهم صفعانا وألقى بشبهاتهم إلى الحضيض.

والواقع أنها أيضاً كما قال مشتملة على علوم؛ عقيدة وفقه وعلوم الطب ونحو ذلك من العلوم النافعة، فهي منظومة جامعة نافعة مائة.

فهي للمؤمن المتجرد للحق، صاحب العقيدة الصحيحة، بمثابة الحديقة الغناء التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

ولجمال نظمها وأسلوبها كأنها منسوج تنمقه أكف الغواني؛ وهن النساء اللاتي يعملن في التطريز والنسج والتجميل، فهي جمال على جمال؛ جمعت حسن السبك والتركيب وقوة المعاني.

ما ضرَّ حسانها والطبع صائغها ألم يضعها قريع الشعر حسان

### مسك الختام

- ٦٨٧- وَاللّٰهُ اَسْأَلُهُ قَبُوْلَ قَصِيْدَتِي مَنِّيْ وَاَشْكُرُهُ لِمَا اَوْلَانِي  
٦٨٨- صَلَّى الْاِلٰهَ عَلَيَّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ مَا نَاحَ قُمْرِيَّ عَلَيَّ الْاَغْصَانِ  
٦٨٩- وَعَلَيَّ جَمِيعَ بَنَاتِهِ وَنِسَائِهِ وَعَلَيَّ جَمِيعِ الصَّحْبِ وَالْاِخْوَانِ  
٦٩٠- بِاللّٰهِ قُوْلُوا كُلَّمَا اَنْشَدْتُمْ رَحِمَ الْاِلٰهَ صَدَاكَ يَا قَحْطَانِي

✽ يدعو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ونحن ندعوه أيضاً - بأن يتقبل منه هذه القصيدة، وهذا الجهد المبارك، وأن يجعله خالصاً لوجهه؛ لأنه أراد بها الذبّ عن السنة والعقيدة الصحيحة، وبيان الحق الذي يجب سلوكه، ودحض الباطل الذي يجب البعد عنه، ويشكر الله أن منّ عليه بذلك.

#### وقوله:

- ٦٨٨- صَلَّى الْاِلٰهَ عَلَيَّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ مَا نَاحَ قُمْرِيَّ عَلَيَّ الْاَغْصَانِ  
٦٨٩- وَعَلَيَّ جَمِيعَ بَنَاتِهِ وَنِسَائِهِ وَعَلَيَّ جَمِيعِ الصَّحْبِ وَالْاِخْوَانِ  
✽ هكذا درج أهل العلم بالبدء بالحمد لله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله ﷺ والختم بذلك اتباعاً للسنة.

فهو يصلي على النبي ﷺ عدد ما ناح قمري - والقمري: نوع من الطيور -.

والمقصود: أنه يصلي على النبي ﷺ صلوات كثيرة لا تقف عند حد ولا عد.

ثم أردف ذلك بالصلاة على أهل البيت - رضوان الله عليهم - من بناته ونسائه وجميع آل البيت ومن الصحابة ومن كان معهم أو جاء بعدهم، ممن تبعهم بإحسان.

وقوله:

٦٩٠- بِاللّٰهِ قُولُوا كَلِّمًا أَنْشَدْتُمْ رَحِمَ الْإِلَٰهِ صَدَاكَ يَا قَحْطَانِي

✽ يناشد إخوانه المسلمين، أهل السنة، الذين يقرأون هذه القصيدة ويتنفعون بها أن يسألوا الله له المغفرة والرحمة.

وأنا أقول: أسأل الله أن يتغمده برحمته، وأن يسكنه فسيح جناته، وأن يثقل بهذا العمل المبارك موازين حسناته، وأن ينفعنا بها وكل من قرأها أو حفظها أو نظر فيها أو دعا إلى ما دعت إليه من تحقيق للتوحيد والسنة.

كما نسأله شُبْحَانَهُ العِلم النافع والعمل الصالح، إنه جواد كريم.

وكان الفراغ من شرح هذه النونية في اليوم الرابع من شهر صفر، سنة سبع وعشرين وأربعمائة وألف للهجرة بعد صلاة المغرب في مسجد النبي ﷺ.

وقد تمّ الانتهاء من تنقيح هذا الشرح وتهذيبه في يوم الاثنين، الثالث من شهر شعبان، سنة ١٤٣٢ هـ.

وصلى الله وسلم وبارك على نبيينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان.

## فهرس الموضوعات

خطبة الحاجة .....	٧
أهمية دراسة كتب السلف .....	٨
وسطية أهل السنة .....	١٢
نبذة عن المنظومة وأنها شاملة للعقيدة والفقه ولزوم السنة والطب وغير ذلك من العلوم النافعة .....	١٢
لم أعر على ترجمة للقحطاني، وبيان خطأ نسبة النونية إلى محمد بن صالح القحطاني المتوفى سنة ٣٧٨هـ لأن أحداثا ذكرت فيها وقعت بين القرن الخامس والسادس .....	١٣
توسل الناظم بكلام الله عَزَّجَلَّ الذي هو صفة من صفاته ويقضي ذلك مشروعية التوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى .....	٥٥
أنواع التوسل .....	٥٦
إقرار الناظم باستفاضة نِعَم الله عليه وشكره ربَّه على ذلك .....	٨٢
تفصيل الكلام على أن القرآن الكريم من كلام الله عَزَّجَلَّ حقيقة وتقرير أن الله سُبحَانَهُ متكلم؛ يتكلم بها إذا شاء كيف شاء .....	١١٥
بيان أن الله عَزَّجَلَّ له ذات عليّة لا يحيط بها أحد ولا يدرك كنهها كذلك له الصفات العلى التي لا تدرك كيفيته .....	١٢٧
تقرير أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات .....	
الكلام على إحاطة علم الله عَزَّجَلَّ .....	١٢٨

- الله عَزَّجَلَّ مالك الملك، مستو على عرشه، بائن من خلقه ..... ١٣٤
- عودًا على بدءٍ في تقرير أن القرآن كلام الله حقيقة منزل غير مخلوق والرد على المخالفين في ذلك ..... ١٤٥
- مسألة الهجر ..... ١٨٢
- كن سلفيا على الجادة ..... ١٩٢
- الأمر بالبدء بالتوحيد الذي هو حق الله على العبيد ..... ١٩٦
- إيضاح أن وصف الله بالكلام صفة مدح وكمال، لا نقص فيه بوجه من الوجوه .. ١٩٩
- القدر: منزلته ومراتبه وكمال حكمة الله فيه ووجوب الإيمان بذلك ..... ٢٠٣
- الشريعة كاملة تامة وشاملة ..... ٢١٦
- وجوب الإيمان بالغيب كله؛ ومن ذلك الإيمان بالكتب الكرام ..... ٢١٨
- الإيمان بما يحصل في القبر من نعيم أو عذاب، وأنه أول منازل الآخرة، وأن من مات فقد قامت قيامته، ووجوب الإيمان بكل ما صحَّ مما يكون يوم القيامة وأنه حق وصدق ..... ٢٢٢
- الإيمان بالبعث ..... ٢٢٩
- الإيمان بالصرائط ..... ٢٣١
- الإيمان بحوض نبينا محمد ﷺ ..... ٢٣٤
- الإيمان بالميزان والجزاء على الأعمال، إن خيرًا فخيرًا وإن شرًّا فشرًّا ..... ٢٣٧
- وصف الله سُبحَانَهُ بالمجيء والرد على المخالف ..... ٢٤٢

- الإيمان بعرض الخلق على الله عَزَّوَجَلَّ لا تخفى عليه منهم خافية ..... ٢٥٢
- إثبات رؤية الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة وأنه سبحانه لا يُرى في الدنيا ..... ٢٥٣
- أوصاف يوم القيامة وما يكون فيه من أهوال ..... ٢٦٠
- الجنة والنار مخلوقتان موجودتان لا تفنيان ولا تبددان ..... ٢٦٢
- الجنة دار إكرام لأهلها، والنار دار هوان على أهلها ..... ٢٦٦
- الشفاعة ..... ٢٦٩
- المسارعة إلى الفرائض والواجبات ..... ٢٧٦
- أهمية الصلاة المفروضة إجمالاً وأن الصلاة قرينة الزكاة وتحريم منع الزكاة ..... ٢٧٨
- الوتر والجمعة والعيدين ..... ٢٨١
- وجوب صيام رمضان وسنية قيامه والإنكار على من أنكر التراويح ..... ٢٨٥
- وجوب الحج على من توفرت فيه شروطه ..... ٢٩١
- صلاة الجنازة وحكمها وصفتها ..... ٢٩٥
- الأهلة وطريق ثبوتها ودخول شهر رمضان والفطر وما يتعلق بذلك ..... ٢٩٧
- الرافضة من شر الخلق والخليقة، وبيان فضل آل النبي ﷺ وصحبه ..... ٢٩٩
- خيرية النبي ﷺ وأفضليته على جميع الخلق وفضل صاحبيه أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ..... ٣٠٤
- والتنويه بمنزلة عائشة وحفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ..... ٣٠٤
- فضل عثمان بعد أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ..... ٣١٧

- منزلة علي وفضله بعد الخلفاء الثلاثة قبله رضي الله عن الجميع ..... ٣١٩
- الكلام على الإمامة والخلافة ومنزلتها من الدين ..... ٣٢٠
- فضل فاطمة الزهراء وابنيها الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ..... ٣٢٢
- الكلام على فضل بقية العشرة وأهل بيعة الرضوان ..... ٣٢٤
- التنويه بفضل الصحابة جميعا والإعراض عما شجر بينهم ..... ٣٢٦
- حكم الخوارج الذين قتلوا عثمان وكذا قتلة الحسين واعتقاد أهل السنة في مرتكبي الكبيرة
- المظاهرات والإعتصامات دخيلة على الإسلام والمسلمين ..... ٣٣١
- التواريخ وأهميتها وما يقبل منها ويرد ..... ٣٣٦
- فضل الحديث وأهله والتنويه بفضل بعضهم ..... ٣٣٧
- أهل السنة يعرفون لأهل البيت حقهم، ومنهجهم في ذلك المنهج الوسط ..... ٣٤٠
- تقرير الناظم لمذهب السلف في الرافضة، والتحذير من سلوك منهجهم المشين ووجوب
- محبة الصحابة ..... ٣٤١
- منهج أهل السنة في الرجاء والخوف ..... ٣٤٨
- الإيمان عند أهل السنة والجماعة ..... ٣٥٠
- وجوب مراقبة الله عَزَّوَجَلَّ ..... ٣٥٣
- أهمية العلم النافع وأنه سبيل الهدى والفلاح ..... ٣٥٥
- الكلام على الطبائعيين والفلاسفة والرد عليهم ..... ٣٦٨
- بيان أن العرافة والطيرة من الشرك ..... ٣٧٥



- الرد على المنجمين ومن في حكمهم والتعريض بالطبائعين والفلاسفة ..... ٣٨٠
- الإسلام هو دين الأنبياء والرسل قاطبة وأفضل تلك الأديان وأكملها دين نبينا محمد  
صلى الله عليه وسلم ..... ٣٩٠
- أركان الإسلام ..... ٤٠١
- ما يعمل به العباد محفوظ عليهم ..... ٤٠٢
- السكوت في محله فضيلة ..... ٤٠٣
- توقي الفتن مطلب شرعي ..... ٤٠٦
- فضل السواك والوضوء وتفصيل أعمال الوضوء والرد على المنحرفين عن السنة فيه . ٤١٠
- من أحكام المسح على الخفين ..... ٤١٨
- غسل الجنابة ..... ٤٢١
- أحكام المياه ..... ٤٢٤
- تتمة الكلام على الوضوء والتحذير من الوسوسة ..... ٤٢٦
- أحكام الإستطابة ..... ٤٢٨
- نواقض الوضوء ..... ٤٢٩
- الغسل وموجباته ..... ٤٣٣
- من أحكام الحيض والنفاس ..... ٤٣٥
- التحذير من السرقة والخيانة والخمر والظلم والزنا ..... ٤٣٩
- أشراط الساعة ..... ٤٤٥
- أوقات الصلاة ..... ٤٥٩

- ٤٦٠ ..... أحكام الجمع والقصر والإفطار
- ٤٦٣ ..... تفصيل الكلام في أوقات الصلاة
- ٤٦٨ ..... من أحكام الإمامة والمأموم
- ٤٦٩ ..... من أحكام سجود السهو
- ٤٧٣ ..... سنن الصلاة وفرائضها
- ٤٧٤ ..... من أحكام الأذان
- ٤٧٥ ..... من أحكام الصلاة وآدابها
- ٤٧٧ ..... تنمة أحكام الصوم
- ٤٨٠ ..... ذم ذي الوجهين
- ٤٨١ ..... ذم الحسد
- ٤٨٢ ..... ذم النميمة
- ٤٨٤ ..... العين حق
- ٤٨٦ ..... أحكام السحر والسحرة
- ٤٩٠ ..... وجوب بر الوالدين وطاعة ولي الأمر في غير معصية الله والدين هو رأس المال ...
- ٤٩٨ ..... التوقي من فتنة النساء والمردان
- ٥٠٦ ..... حفظ السر ومراعات آداب الصحبة
- ٥٠٨ ..... التهاون في الصغيرة قد يوقع في الكبيرة
- ٥١٠ ..... النذر عهد، وإن العهد كان مسؤولاً
- ٥١١ ..... ليشغلك عيبك عن عيوب الناس

- آداب الجدال والمناظرة ..... ٥١٣
- فضل التواضع ..... ٥٢٦
- وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ..... ٥٢٨
- أركان السعادة ..... ٥٣٠
- العبادة القلبية ..... ٥٣٣
- الحض على التوبة ..... ٥٣٤
- لن يغلب عسر يسرين ..... ٥٣٦
- الحذر من شهوات النفس والبطن والفرج وتوجيهات نفيسة في الصحة والحماية ..... ٥٣٨
- حقيقة الزهد ..... ٥٥٠
- التحذير الشديد من ظلم اليتامى وأكل الربا ..... ٥٥٤
- حقوق الجار ..... ٥٥٦
- حق الضيف ..... ٥٥٧
- صلة الرحم ..... ٥٥٩
- اليمين وآثاره ..... ٥٦١
- من أحكام النكاح ..... ٥٦٣
- أحكام العدة والاستبراء ..... ٥٦٤
- التيس المستعار ..... ٥٦٨
- إخوانكم خولكم ..... ٥٦٩

- ٥٧١ ..... في الحلال غنية عن الحرام
- ٥٧٤ ..... إكرام الله أهل جنته
- ٥٧٨ ..... هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟
- ٥٨١ ..... مداومة على الصيام والقيام وأثار تلاوة القرآن
- ٥٨٥ ..... قذف المحصنات
- ٥٨٦ ..... الاستئذان
- ٥٨٨ ..... التحلي بالصبر
- ٥٩٠ ..... التزود بالعلوم النافعة
- ٥٩٣ ..... البدع والأهواء والضلال والضياع نتيجة حتمية لأهل الكلام والفلسفة
- ٦٠٤ ..... من عقيدة أهل السنة والأثر التفكير في آلاء الله لا في ذات الله
- ٦٠٦ ..... أمروها كما جاءت بلا كيف
- ٦٠٨ ..... إثبات صفة الوجه والعينين لله سبحانه
- ٦٠٩ ..... إثبات صفة اليدين لله تعالى
- ٦١١ ..... معنى الكرسى وإثبات صفة القدم لله تعالى
- ٦١٢ ..... إثبات صفة الضحك لله جل وعلا
- ٦١٣ ..... إثبات صفة النزول لله تعالى
- ٦١٤ ..... عودة إلى صفة الكلام لله جل جلاله
- ٦١٥ ..... إثبات صفة الحياة لله تعالى

- انتصار الناظم لعقيدة السلف وتقريره بأن القرآن هو كلام الله حقيقة ..... ٦١٦
- انتصار الناظم لأهل الهدى والسنة برده على مذهب المؤولة والمعطلة بكشف الشبه
- عندهم؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ..... ٦١٨
- اعتزاز الناظم بدينه وقومه ..... ٦٥٤
- هذه المنظومة حوت علومًا كثيرة نافعة وامتازت بالانتصار لأهل الحق ولها أثر عظيم في
- بيان عقيدة الفرقة الناجية مع حسن السبك وجزالة العبارة ..... ٦٦٠
- مسك الختام ..... ٦٦١
- فهرس الموضوعات ..... ٦٦٣

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

**[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)**

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)